الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر –بسكرة–
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

المقياس: ما قبل التاريخ العام والشمال الإفريقي

المستوى: الثانية ليسانس، تاريخ عام

السداسي: الثالث

مطبوعة مقياس ما قبل التاريخ العام والشمال الإفريقي مقدمة لطلبة السنة الثانية ليسانس

من إعداد: د. توريرت مصطفى

السنة الجامعية: 2025–2026

السداسي 3:

وحدات التعليم	عناوين المواد	الأرصدة	المعامل	الحجم الساعي الأسبوعي			الحجم الساعي للسداسي (15 أسبوعا)	أخرى*	نوع التقييم	
				دروس	أعمال موجهة	أعمال تطبيقية			مراقبة مستمرة	امتحان
وحدة تعليم أساسية الرمز: وت أس 1.2 الأرصدة: 20 المعامل: 8	تاريخ وحضارة المغرب القديم 1	5	2	1سا 30	1سا 30	-	45سا 00	45 سا 00	40%	60%
	صدر الإسلام والدولة الأموية	5	2	1سا 30	1سا 30	-	45سا 00	45 سا 00	40%	60%
	تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس	5	2	1سا 30	1سا 30	-	45سا 00	45 سا 00	40%	60%
	تاريخ الجزائر الثقافي 1	5	2	1سا 30	1سا 30	-	45سا 00	45 سا 00	40%	60%
وحدة تعليم منهجية الرمز: وت م 1.2 الأرصدة: 4 المعامل:3	منهجية وتقنيات البحث التاريخي 1	3	2	1سا 30	1سا 30	-	45سا 00	45 سا 00	40%	60%
	مصادر تاريخ الجزائر العام	3	2	1سا 30	-	-	22سا 30	45 سا 00	-	100%
وحدة تعليم استكشافية الرمز: وت إس 1.2 الأرصدة: 2 المعامل: 2	ما قبل التاريخ العام والشمال الإفريقي	1	1	1سا 30	-	-	22سا 30	45 سا 00	-	100%
	أوروبا في العصور الوسطى	1	1	1سا 30	-	-	22سا 30	45 سا 00	-	100%
وحدة تعليم أفقية الرمز: وت أف 1.2 الأرصدة: 2 المعامل: 2	جغرافيا طبيعية	1	1	1سا30	-	-	22سا30	45 سا 00	-	100%
	لغة أجنبية	1	1	-	1سا30	-	22سا30	45 سا 00	100%	-
مجموع السداسي الثالث		**30**	**16**	**13سا30**	**9سا00**		**337سا30**	**450سا00**		

مقدمة:

شهدت منطقة شمال إفريقيا خلال عصور ما قبل التاريخ مسارا حضاريا طويلا ومتدرّجا، بدأ مع ظهور الإنسان الأول في العصر الحجري القديم الأسفل، بتفرعاته التشريحية المختلفة، حيث اعتمد على الصيد وجمع القوت، واستعمل أدوات حجرية بسيطة مكّنته من التكيّف مع بيئة طبيعية متقلبة، وقد تميّزت هذه المرحلة بسيادة نمط العيش البدائي والترحال المستمر، غير أنها أرست الأسس الأولى للنشاط التقني والسلوك الاجتماعي، مثل التعاون في الصيد وتقاسم الموارد.

ومع الانتقال إلى العصر الحجري الأوسط -الذي يقابله العصر الحجري القديم المتأخر في شمال إفريقيا- عرف الإنسان تطورًا ملحوظًا في تقنياته، حيث أصبحت الأدوات أكثر دقة وتخصصا وتهذيبا، وظهرت بوادر سلوكيات رمزية كطقوس الدفن، ويعكس هذا التطور بداية تشكّل وعي إنساني أكثر تعقيدًا، قائم على التنظيم الجماعي وتحسين وسائل العيش، مما مهّد لظهور أنماط ثقافية أكثر وضوحا واستقرارا، والتي ستبرز بشكل جلي في العصر الحجري الحديث، فقد حدث تحول جذري في حياة الإنسان تمثّل في الانتقال من الاقتصاد القائم على الالتقاط إلى الإنتاج، من خلال الزراعة وتدجين الحيوانات، وقد أدى هذا التحول إلى الاستقرار وبناء الأكواخ والمساكن البدائية، وظهور صناعات جديدة مثل الفخار، إضافة إلى تزايد عدد السكان وتنظيم العلاقات الاجتماعية، ويُعد هذا التحول نقطة مفصلية في تاريخ الإنسان، لأنه أسّس لقيام المجتمعات البشرية المنظمة.

وفي سياق موازٍ، شهدت المنطقة ازدهارًا في التعبير الثقافي، خاصة من خلال الفن الصخري في مواقع مثل طاسيلي ناجر والهوقار، حيث صوّر الإنسان مشاهد من حياته اليومية ومعتقداته وبيئته الطبيعية، ويُظهر هذا الفن انتقال الإنسان من مجرد تلبية حاجاته المعيشية إلى التعبير الرمزي والفكري، وهو ما يعكس تطورًا في الوعي الثقافي والروحي.

كما لعبت التحولات البيئية دورا حاسما في توجيه هذا المسار الحضاري، خاصة مع نهاية عصر البلايستوسين وبداية الهولوسين في بداية الألف الثانية عشر قبل الميلاد، إذ كانت الصحراء في فترات سابقة منطقة رطبة غنية بالمياه والحياة، قبل أن تتعرض للتصحر التدريجي خلال منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد، وقد أدى ذلك إلى هجرة السكان نحو المناطق الأكثر ملاءمة، مثل السواحل ووادي النيل، مما ساهم في تكثيف التفاعل البشري وتبادل الخبرات والثقافات.

وفي نهاية هذا المسار، ومع بداية استعمال المعادن وتوسع النشاط الزراعي والتجاري، دخلت مجتمعات شمال إفريقيا مرحلة فجر التاريخ، حيث بدأت تظهر ملامح التنظيم الاجتماعي والسياسي الأكثر تعقيدًا. وهكذا يتضح أن التطورات الحضارية في هذه المنطقة لم تكن منفصلة، بل كانت مترابطة ومتراكمة، قادت تدريجيًا إلى نشوء الحضارات التاريخية.

ولدراسة هذه المرحلة الطويلة من تطور انسان شمال إفريقيا فيما قبل التاريخ، نعتمد على أحد العلوم التي ظهرت حديثا، وهو علم ما قبل التاريخ، الذي يعد ذو نشأة غربية، حيث ظهر كعلم مستقل في أوروبا خلال القرن التاسع عشر ميلادي، خاصة بعد تطور علم الآثار وازدياد الاكتشافات والتنقيبات الأثرية، وقد ساهمت عدة عوامل في نشأته، من أبرزها اكتشاف الأدوات الحجرية وبقايا الإنسان القديم، إلى جانب تطور نظريات علمية مثل نظرية التطور التي طرحها تشارلز داروين سنة 1859.

وقد تعزز هذا العلم بفضل جهود باحثين أوروبيين مثل جورج بوفون .Buffon G، وديني ديدرو Diderot .D وكوفييه جورج .Cuvier G الذين درسوا إعمار الأرض وأصل الأنواع، وجاك بوشيه دو بيرت J. Boucher de Perthes، الذي أثبت قِدم الإنسان من خلال اكتشاف أدوات حجرية مرتبطة ببقايا حيوانات منقرضة، ومنذ ذلك الحين، أصبح علم ما قبل التاريخ فرعًا أساسيًا من العلوم الإنسانية. أما في العالم العربي الإسلامي، فلم يُعترف بعلم ما قبل التاريخ كعلم مستقل إلا في فترة متأخرة نسبيًا، وذلك خلال أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، بالتزامن مع دخول الاستعمار الأوروبي إلى مناطق شمال إفريقيا مثل الجزائر وتونس وليبيا والمغرب الأقصى، فقد قام الباحثون الأوروبيون بإجراء حفريات ودراسات ميدانية في هذه المناطق، مما أدى إلى اكتشاف مواقع ما قبل التاريخ ونشر نتائجها علميا، مع تأسيس لهيئات علمية تعنى بهذا التخصص.

ومع تطور التعليم الحديث في الدول العربية بعد الاستقلال، بدأت الجامعات والمعاهد في تدريس هذا التخصص، وأصبح يُنظر إليه كعلم مهم لفهم جذور الإنسان وتاريخ المجتمعات القديمة، وقد ساهم باحثون عرب في تطويره لاحقًا، خاصة منذ منتصف القرن العشرين، حيث تم توطين هذا العلم وربطه بالهوية التاريخية والثقافية للمنطقة، وبالتالي تكمن أهمية هذا العلم بالنسبة لطلبة التاريخ خاصة والعلوم الإنسانية عامة بما فيهم الباحثون في التاريخ فيما يلي:

- فهم أصول الانسان وتطوره البيولوجي والثقافي، من خلال دراسة الحفريات والبقايا العظمية المختلفة، مما يسهم في معرفة كيفية انتقال من كائن بدائي إلى كائن عاقل قادر على التفكير والتنظيم ثم الإنتاج والابداع.
- إعادة بناء حياة الانسان، بالتعرف على مختلف النشطة التي مارسها قبل اهتدائه للكتابة والتدوين، حيث مر بمرحلتين مهمتين؛ مرحلة الجمع والالتقاط والصيد، ثم مرحلة إنتاج القوت أو ما عرف بالثورة النيوليتية، عن طريق استقراء أدواته ووسائل عيشه التي توضح مدى تكيفه مع البيئة.
- يسهم هذا العلم في تفسير نشأة الحضارات البدائية الأولى، بداية بالحضارة الألدوانية، وصولا إلى الحضارة القفصية، مرورا بعد حضارات أخرى على غرار الحضارة الأشولية والموستيرية والعاترية... إلخ، هذه الحضارات البدائية نسبت إلى مواقع نموذجية لكن كان لها حضور بارز في شمال إفريقيا، من خلال البقايا والمخلفات التي تنسب لكل ثقافة، وذلك بتتبع إطارها التاريخي، والحضاري سواء على مستوى الأدوات

الحجرية التي تميزها أو طريقة صنعها وشكلها، فضلا عن معرفة الانسان المسؤول عن هذه الحضارة بدراسة المخلفات العظمية التي تم الكشف عنها، ثم توسيع دائرة البحث لمعرفة الجوانب الدينية والفنية والاجتماعية لهذه الحضارات الأولى.

- لا يمكن دراسة حياة إنسان ما قبل التاريخ ومختلف جوانبه الحضارية بمعزل عن دراسة محيطه الذي عاش فيه، لأن حياة الإنسان القديم كانت تعتمد بشكل مباشر على الظروف الطبيعية المحيطة به، ولم يكن يمتلك الوسائل التقنية للتحكم فيها كما هو الحال اليوم، لذلك فإن فهم الماضي البشري لا يتم إلا من خلال فهم الإطار البيئي والمناخي الذي عاش فيه، إذ يساهم هذا العلم في إعادة بناء البيئات القديمة عبر الاستعانة بمعطيات الجيولوجيا وعلم المناخ القديم، حيث يتم تحليل الرواسب، وحبوب اللقاح، وبقايا الحيوانات والنباتات لتحديد طبيعة المناخ عبر فترات مختلفة، وبذلك يمكن معرفة الظروف التي أثّرت في استقرار الإنسان أو تنقله، وبالتالي فهم نوع النشاط الذي كان يمارسه.
- يعزّز هذا العلم الانتماء إلى المكان، خاصة في مناطق مثل شمال إفريقيا، حيث تُبرز المواقع الأثرية (مثل عين لحنش، تيغنيف، مشتى العربي، طاسيلي ناجر والهوقار) استمرارية الوجود الإنساني عبر آلاف السنين، مما يربط الإنسان المعاصر بأرضه وتاريخه العميق، كما يساعد في حماية التراث الثقافي، لأن دراسة مواقع ما قبل التاريخ تُبرز قيمتها العلمية والإنسانية، مما يدفع إلى الحفاظ عليها كجزء من الذاكرة الجماعية.

من هذا المنطلق، جاء هذا العمل في شكل مطبوعة بيداغوجية لتغطي هذه المرحلة من تاريخ البشرية خلال فترة ما قبل الكتابة، أين سيتم فيها تقديم مجموعة من المحاور بداية بمدخل تعريفي لعلم ما قبل التاريخ من حيث النشأة والعلوم المساعدة له، ثم فضلنا تخصيص دراسة أخرى لأهم البحوث الأجنبية والمحلية حول ما قبل التاريخ في شمال إفريقيا، وبعدها سنتناول الحضارات التي عرفتها المنطقة خلال العصر الحجري القديم والسلالات البشرية التي خلفت هذه الحضارات، والتي كشفت عنها الأبحاث والتنقيبات الأثرية، لننتقل بعدها إلى مرحلة مهمة جدا وهي حضارات العصر الحجري الحديث والسمات الثقافية التي ميزت أقسامه الثلاث؛ النيوليتي ذو التقاليد السودانية الصحراوية، النيوليتي ذو التقليد القفصي، وأخيرا النيوليتي ذو التقاليد المتوسطية، وبعدها سنتناول الفن الصخري بشيء من التفصيل، لنعرج على الحياة الاقتصادية والاجتماعية بمنطقة الصحراء والأطلس الصحراوي استنادا إلى مجموعة من الدلائل الأثرية، ونختم بفجر التاريخ، تلك المرحلة المهمة، والتي تعتبر بمثابة مرحلة انتقالية ما فترة ما قبل التاريخ والمرحلة التاريخية.

المحاضرة الأولى: مدخل إلى علم ما قبل التاريخ

علم ما قبل التاريخ هو علم من العلوم التي نشأت حديثا مقارنة مع العلوم الحديثة، ولا يتعدى ظهوره منتصف القرن 19م، وهو ذا نشأة غربية، بمعنى ظهر في جو فكري وسياسي أوربي، ولذا يجب علينا معرفة المنطلقات الفكرية والعقائدية التي ظهر فيها، وهذا ما سنتعرض له بالتفصيل في مختلف مواضيع هذه الوحدة.

1/ مفهوم ما قبل التاريخ: تُعرّف فترة ما قبل التاريخ بأنها مرحلة سحيقة من الماضي لا يمكن دراستها إلا من خلال البقايا المادية، لغياب الوثائق المكتوبة، ولقد ظهرت هذه الفكرة بالفعل في سبعينيات القرن التاسع عشر؛ إذ عرّف غابرييل دو مورتييه (Gabriel de Mortillet) سنة 1875 ما قبل التاريخ بأنه: "الأزمنة التي سبقت الوثائق التاريخية، أي الوثائق المكتوبة"، وبعد ربع قرن، قدّم مورتييه إضافة مهمة حين كتب سنة 1900: "ما قبل التاريخ هو تاريخ الإنسان قبل الوثائق المكتوبة، وقبل الوثائق المصوّرة، بل وحتى قبل التقاليد والأساطير" [1]

وهذا التعريف نجده أيضًا عند نادايّاك (Nadaillac)، الذي وصف ما قبل التاريخ بأنه: "ماضٍ أقدم بكثير من التاريخ المكتوب، ماضٍ لم يترك أي أثر في ذاكرة البشر"[2]، إن التشديد على النسيان الكلّي لفترةٍ انفلتت تمامًا من ذاكرة البشر، دون أن تترك أثرًا لا في الشهادات المكتوبة ولا حتى في التقاليد الشفوية، يُعد أمرًا ذا دلالة عميقة، لكن في الوقت الحالي، يمكننا أن نحتفظ بالمعنى الأكثر عمومية الذي يُسند اليوم لمفهوم ما قبل التاريخ: "ماضٍ منسي، سابق لظهور الوثائق المكتوبة"[3].

2/ مفهوم علم ما قبل التاريخ

هو علم يبحث في أصل الإنسان وتطور حضاراته في الفترة الممتدة ما بين ظهوره على وجه الأرض إلى غاية اكتشافه للكتابة سنة 3200 ق.م، وذلك من خلال دراسة آثاره الحضارية التي تركها، وتتمثل هذه المخلفات في البقايا المادية الأثرية مثل الأدوات المصنوعة من الحجارة والعظام، والأواني الفخارية والمعدنية، وكذلك الرسومات المنقوشة على الصخور والجدران، ودراسة هذه المخلفات تسمح لعلماء ما قبل التاريخ بإعادة تصوير وتصميم الحياة اليومية لإنسان ما قبل التاريخ في بيئة وزمن معينين[4].

إذا كان علم الآثار وعلم ما قبل التاريخ يبحثان في موضوع واحد يكمن أساسا في معرفة مختلف ميادين حياة الإنسان من نشأته، فإنهما يختلفان من حيث منهجية البحث، إذ أن علم الآثار يعتمد أساسا على

---

[1] Mortillet (G.), Mortillet (A.), La Préhistoire. Origine et antiquité de l'homme, Librairie Schleicher Frères, Paris, 1900, p 2.

[2] Nadaillac (H.), Les premiers hommes. Masson, Paris, 1881, p 6.

[3] Stoczkowski (W), La Préhistoire, les origines du concept, In: Bulletin de la Société préhistorique française, tome 90, n°1, 1993, pp 13-14.

[4] محمد سحنوني، ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 3.

الكتابية لتدعيم وتصحيح شواهد مادية، أما علم ما قبل التاريخ فإنه يستند على العلوم الطبيعية مثل جيولوجية الزمن الرابع، وعلم المستحثات "المتحجرات البشرية والحيوانية"، وكذا العلوم الفيزيائية فيما يخص تأريخ الشواهد المادية لوضعها ضمن تسلسل زمني لحضارات ما قبل التاريخ.

أما الفرق بين علم آثار ما قبل التاريخ وعلم ما قبل التاريخ هو أن الأول يأخذ بعين الاعتبار في تحديده البقايا المادية فقط، بينما الثاني يلم بجميع حضارات إنسان ما قبل التاريخ، بما في ذلك العامل البيئي "المناخ والنبات".

وإذا كان علم ما قبل التاريخ يهتم بالتطور الحضاري لفكر الإنسان، فإن علم المستحثات الإنسانية يهتم بأصل وتطور الإنسان البيولوجي، أما الفرق علم التاريخ وعلم ما قبل التاريخ فهو شكلي، بحيث أنهما لا يختلفان من حيث الهدف أو الغاية وكلاهما يختص في دراسة تاريخ البشرية، لكن الثاني يختص في دراسة كل ما حدث قبل ظهور الكتابة، والأول يختص في دراستها بعد ظهور الكتابة، أما إذا كان ما يلاحظه الدارس فهو شكلي، ويمكن تصنيفه في المدة الزمنية وطبيعة المصادر وطرق المنهجية.

من حيث المصطلح، فقد استخدم "إسحاق لابيير I. La payère" سنة 1655 صيغة "ما قبل آدم"، من خلال تأويل النصوص الكتابية مثل رسالة بولس إلى الرومان، وقبله، استخدم "توماس براون T. Brown" مصطلح ما قبل الطوفان سنة 1646 في كتابه "Pseudodoxia Epidemico"، وكذلك فعل "لوسون Lawson" سنة 1680 في إشارة إلى "الرجال ما قبل الطوفان"[1]، أما مصطلح ما قبل التاريخ Préhistoire فقد ظهر سنة 1833م عند الباحث تورنال M. Tournal، وكان أمينا على متحف ناربون، من خلال مقال نشره في احدى المجلات، أما توظيفه في اللغة الإنجليزية Prehistoric فقد كان سنة 1851 من طرف دانيال ولسون Wilson في كتابه الموسوم "The archeology and prehistoric annales of scotland"، ولا نعلم متى دخل المصطلح بمدلوله العربي لأول مرة، إذ بقي مصطلح ما قبل التاريخ يتردد في الأدبيات الأثرية دون خلاف على مدلولها[2].

3/ نشأة علم ما قبل التاريخ: علم ما قبل التاريخ هو علم حديث النشأة، حيث لا يتعدى منتصف القرن 19م، غير أنه وجدت محاولات سابقة نذكر منها:

- قام الملك "نبونيد البابلي" في القرن 6 ق.م بالتنقيب في أنقاض مدينة "أور"، ثم قام الإغريق بالتعمق في تاريخ أجدادهم، فصاغوا "قصص وأساطير الخلق" بل وحاول بعضهم تقسيم حياة الإنسان إلى عصور، فقد قام "هيزيود" بتقسيم تاريخ البشرية إلى العصر الذهبي، الفضي، البرونزي، الحديث، كذلك قام الرومان بدراسة الشعوب البدائية، فقد وصف "يوليوس قيصر" الشعوب البريطانية، وكان ذلك يعد من أولى الدراسات

[1] Stoczkowski (W.), La Préhistoire : les origines du concept. In: Bulletin de la Société préhistorique française, tome 90, n°1, 1993, p 14.

[2] عباس سيد أحمد محمد علي، الجذور التاريخية لإشكالية المصطلح الأثاري حالة ما قبل التاريخ، مجلة أدوماتو، ع 2، الرياض، 2000، ص 71.

الاثنوغرافية، ثم "لوكريتوس" الذي يوصف بأنه الأب الأول لآثار ما قبل التاريخ، حيث نظم قصيدة مطولة سماها "في طبيعة الأشياء"، تحدث فيها عن أصل الإنسان والأحوال الجوية والزلازل.. الخ، ثم جاءت قصة خلق الكون في سفر التكوين، وفي عصر النهضة الأول "15-16" ازداد الاهتمام بالآثار وجمع التحف، ثم في عصر النهضة الثاني "1750-1860" تجدد الاهتمام بالآثار الكلاسيكية ونفذت العديد من الحملات في المدن القديمة خاصة في روما، وبالنسبة للعالم العربي فقد أثرت حملة نابليون بونابرت على مصر الدراسات الأثرية لما اصطحبه من علماء، دون أن تسهم بشيء واضح باعتبار أن معظمها كانت واقعة تحت سيطرة الاستعمار الأوربي.

ولكن ما سبق ذكره يتعلق بدراسة مخلفات الانسان ونمط معيشته، وبالتالي يمكن ادراجها كبدايات أولى للاهتمام بالإنسان البدائي بطريقة غير مباشرة وعفوية، وبينما انشغل العلماء عبر قرون بدراسة النجوم والحيوانات والنباتات، ولم تبدأ الفكرة القائلة بأن الإنسان قد عاش في زمن واحد مع حيوانات منقرضة في الظهور إلا في منتصف القرن التاسع عشر، فمنذ العصور الوسطى المسيحية، كانت الكرونولوجيا السائدة مستمدة من الكتاب المقدس، الذي حدد تاريخ الخلق بحوالي 6000 سنة، وكان الإنسان، مثل بقية الكائنات الحية، يُعتبر نتاجًا للخلق الإلهي، كما كانت قصة استيطان الأرض تُقسَّم إلى مرحلتين تفصل بينهما كارثة الطوفان الكوني الذي أنزله الله بعقاب على نسل آدم وحواء[1].

ومنذ القرن الثامن عشر، طُرحت فرضية تحول الأنواع على يد دني ديدرو Denis Diderot وجورج بوفون Georges Buffon، ففي عام 1778 نشر بوفون كتابًا قدَّر فيه عمر الأرض بـــ 75 ألف سنة، ويبدو أنه استشرف نظرية التطور التي لم تُعلن صراحة إلا في مطلع القرن التاسع عشر على يد تلميذه جان باتيست دو لامارك، ومنذ بداية القرن التاسع عشر وحتى سنة 1859، ظهرت مدرستان متعارضتان:

- أنصار جورج كوفييه G. Cuvier، المدافع عن نظرية الكوارثية والثباتية، حيث كان يعتقد أن كل كارثة كبرى تعقبها إعادة إعمار الأرض بأنواع جديدة.
- وأنصار لامارك Lamarck المدافع عن التحولية، وهو من أوائل المبشرين بالتطورية.

لقد استغرق ظهور الأفكار التحولية واكتشاف أولى بقايا الإنسان المتحجر وقتًا طويلاً قبل أن تُرسّخ وتُقنع بقدم وجود الإنسان، ومع ذلك، فقد لُوحظت الأدوات ما قبل التاريخية منذ العصور القديمة، غير أنّه حتى القرن الثامن عشر كان يُعتقد أنّها نتاج العواصف، ولذلك سُمّيت "حجارة البرق" أو "الصواعق"، وكانت رؤوس السهام وشفرات الفؤوس المصقولة تزيّن خزائن بعض الفضوليين والهواة منذ عصر النهضة، بل ونُسبت إليها خصائص علاجية أيضا.

[1] Archamboult de Beaune (S), Balzean (A), La Préhistoire, CNRS édit. Paris, 2009, p 12.

في القرن السادس عشر كان ميشيل ميركاتي M. Mercati، ثم في القرن السابع عشر أنطوان دو جوسيو A. de Jussieu من أوائل من فسّـر هذه الأدوات على أنّها أسـلحة وأدوات لشـعوب قديمة جدًا، وقد توصّـل الأخير إلى ذلك من خلال المقارنة مع الأدوات التي جُلبت من مختلف أنحاء العالم، وفي أواخر القرن الثامن عشـر بدأ البعض يقترح أنّ هذه الحجارة المشـذّبة، المقترنة بعظام ضـخمة، قد تكون بالغة القِدم. ومع مطلع القرن التاسـع عشـر، أُبلغ عن وجود آثار أدوات حادة على عظام أنواع حيوانية منقرضـة، وفي عام 1833 كُشـف عن عظم مُشـكَّل[1]، وفي سـنة 1846 قام البلجيكي شـميرالنج بعدة حفريات في مجموعة من الكهوف في بلجيكا أشـهرها حفرياته في مقاطعة "لياج" وبالتحديد في كهف انجي الذي كشـف من خلالها على جماجم بشـرية وعدد كبير من الأدوات وقد أصـدر كتابا ضـمنه نتائج أبحاثه عنونه ب " بحوث حول العظام المتحجرة بمقاطعة لياج « recherches sur les ossements fossiles découvert dans les cavernes de la province de liège » وفي هذا البحث تمكن هذا العالم من إقامة الدليل العلمي على أن تلك الجماجم البشـرية قديمة قدم البقايا العظمية للحيوانات المنقرضة منها وحيد القرن والماموث (الفيل المنقرض) [2].

غير أنّ الفضـل في الاعتراف فعليًا بقدم الإنسـان يعود إلى جاك بوشـيه دو بيرت J. boucher de perthes، مدير الجمارك في مدينة أبيفيل، إذ عثر أثناء حفرياته في رواسب نهر السوم القديمة على صوان مشذّب "صُنع بيد الإنسان" بجانب بقايا حيوانات منقرضة، في طبقات جيولوجية اعتُبرت "ما قبل الطوفان antédiluviens ".

وفي منتصـف القرن التاسـع عشـر حدثت واقعتان بارزتان كان لهما أثر حاسـم في تطور التفكير حول الإنسـان القديم، أولاهما سـنة 1857، حين تم اكتشـاف جزء من قبة جمجمة في كهف بوادي نياندر قرب دوسلدورف بألمانيا، وثانيهما صدور كتاب تشارلز داروين Ch. Darwin أصل الأنواع عام 1859[3]، الذي عرض فيه نظريته حول الانتقاء الطبيعي، لقد وضـع هذا العمل أسـس التطور، ومهّد العقول لتقبّل فكرة تطور الإنسان البدائي.

لكن اكتشـاف جمجمة نياندرتال أثار جدلًا واسـعًا؛ فبعضـهم اعتبرها جمجمة لإنسـان حديث مشـوّه، وبعضهم الآخر رآها خدعة، أما نظرية داروين التطورية، التي وضعت الإنسان ضمن مجموعة الرئيسيات إلى جانب القردة العليا، فقد سـببت فضـيحة كبرى وأثارت موجات من السـخط، ومع ذلك، جذبت انتباه علماء الطبيعة إلى قضـية أصـل الإنسـان، ولم يكن ينقص التطورية سـوى بضـع براهين أحفورية حاسـمة لتظفر بقبول شامل.

[1] Ibid, p 13.
[2] Schmerling (P-C), recherches sur les ossements fossiles découvert dans les cavernes de la province de liège, Collardin, Libraire, Imprimeur de L'université, 1833.
[3] Darwin (Ch), De l'origine des espèces, édit. Schleicher Frères, 1859.

وفي عام 1863، جاء اكتشاف ما عُرف بـــ إنسان مولان-كوينون ليُعيد إشعال النقاش، ففي ذلك الحين لم يكن أحد يعرف كيف يمكن أن يبدو الإنســان "ما قبل الطوفاني"، إذ لم يُعثر بعد على أي أحفورة بشــرية تختلف عن الإنسان الحديث، باستثناء إنسان نياندرتال ذي المصداقية المشكوك فيها. وكان إنسان مولان-كوينون يبدو ذا ملامح عصرية، والسبب واضح: فقد تبيّن لاحقًا أنّ الأمر لا يعدو كونه خدعة، إذ كانت عظمة فك ســفلي لإنســان حديث قد دُسّــت في طبقات قديمة، وقد ســاهمت هذه الحادثة في إبطاء تقبّل الأفكار الجديدة حول تطور الإنسان، كما أدت إلى تقويض سمعة بوشيه دو بيرت[1].

في الوقت نفسه، كانت الاكتشافات المتعلقة بصناعات الإنسان القديم تتزايد بسرعة، ففي عام 1864، عثر إدوار لارتيه E. Lartet في موقع لا مادلين بمنطقة الدوردون على جزء من ناب ماموث يحمل نقشًــا يمثل هذا الحيوان المنقرض. وقد شــكّل هذا الاكتشــاف الدليل الحاســم على التزامن بين وجود الإنســان وأنواع حيوانية مندثرة، وبذلك تأكد نهائيًا قدم النوع البشري، وبعده بسنة، اقترح الإنجليزي جون لوبك J. Lubbock في كتابه "Prehistoric Times" تقسيم العصر الحجري إلى عصر حجري قديم ، وعصر حجري حديث، وكان ذلك تصنيفا بحتا لم يلعب الجانب الاقتصادي فيه دورا بارزا.

وفي سنة 1868، قام لويس لارتيه، ابن إدوار، بالتنقيب في المأوى الشهير كرو-مانيون في الدوردون، حيث كشــف عن بقايا أحفورية لثلاثة رجال وامرأة وطفل. وقد أثارت هيئة هذه الحفريات دهشــة كبيرة، إذ كانت تلك هي المرة الأولى التي يُعثر فيها على بقايا للإنسان العاقل (Homo sapiens)، وكانت شديدة الشبه بالإنسان الحديث، لقد تركت هذه الحفريات أثرًا عميقًا في الوعي العام، حتى أن مصــطلح "إنســان كرو-مانيون" ما زال يُستعمل على نطاق واسع إلى اليوم للإشارة إلى البشر ما قبل التاريخ.

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بدأ علماء الطبيعة يقبلون بفكرة قِدم أصل الإنسان، لكنهم لم يتفقوا جميعًا حول شــكله البدائي، فبعضــهم اعتقد أنه كان منذ البداية على هيئته الحالية، في حين رأى آخرون أنه تطور عبر الزمن، غير أنّ غياب الأدلة الأحفورية الواضحة حال دون حسم هذا الجدل، كما كانت الأسئلة الدينية تتداخل مع النقاشات العلمية آنذاك.

ظل إنســان نياندرتال يثير الخلافات: فهناك من اعتبره نوعًا منقرضًــا مســتقلًا، في حين رآه قلة آخرون سلفًا للأوروبيين المعاصرين، لكن سنة 1886 شكّلت نقطة تحول حاسمة، إذ اكتشف مارسيل دو بوي M. de Paydt وماكس لوهيست M. Lohest ثلاثة هياكل نياندرتالية في كهف سبي ببلجيكا، هذا الاكتشاف أثبت أن الفرد الذي عُثر عليه سابقًا في وادي نياندر لم يكن حالة مرضية شاذة، بل ينتمي إلى مجموعة بشرية مميزة ذات خصائص متكررة.

[1] Archamboult de Beaune (S), Balzean (A), op-cit, p 13.

تتابعت بعد ذلك الاكتشافات، ففي عام 1899 في كرواتيا، ثم سنة 1908 مع إنسان لا شابيل في كوريز بفرنسا، وفي 1909 بلا فيراسّي في الدوردون، وفي عام 1911 نشر مارسلان بول M. Boule أول دراسة شاملة عن النياندرتاليين اعتمادًا على تحليل مفصل لهيكل لا شابيل[1]، وقد أصبح هذا العمل مرجعًا أساسيًا رغم أنه يعكس النظرة السلبية التي كانت سائدة آنذاك تجاه إنسان نياندرتال.

ومع الاعتراف بوجود هذا النوع البشري المنقرض، اندلع جدل جديد حول موقعه في شجرة التطور، فقد أصبح هناك شبه إجماع على أن النياندرتاليين كانوا نوعًا بشريًا مستقلًا انقرض من دون أن يترك ذرية مباشرة، غير أنّ فكرة وجود سلف للإنسان يختلف عن الإنسان الحالي لم تكن جديدة تمامًا، إذ اقترح إرنست هيكل E. Haechel عام 1866 فرضية وجود "الحلقة المفقودة" بين الإنسان الحديث والقرد، ورجّح أن موطنها في آسيا، هذه النظرية دفعت الطبيب الهولندي الشاب يوجين دوبوا E. Dubois إلى القيام برحلة بحثية في جنوب شرق آسيا، وبين عامي 1891 و1892، نجح في موقع ترينيل بجزيرة جاوة في اكتشاف قِحْف (قبة جمجمة) وعظم فخذ، وقد مثّل هذا الاكتشاف أول ظهور معروف للنوع الإنسان المنتصب (Homo erectus)، أحد أهم أسلاف الإنسان في مسار التطور.

لم يقتنع المجتمع العلمي نهائيًا بوجود الإنسان المنتصب (Homo erectus) إلا بعد اكتشافات جديدة في جزيرة جاوة خلال الثلاثينيات وما بعد الحرب العالمية الثانية. بين عامي 1931 و1941، تمكّن غوستاف هاينريخ رالف فون كوينغسفالد Gustav Heinrich Ralph von Koenigswald وويليم فريدريك فلوروس أوبينورث Willem Frederick Florus Oppenoorth من العثور في إندونيسيا على حفريات إضافية تعود إلى هذا النوع البشري.

وفي الصين، بدأ العمل في موقع تشووكوديان (Zhoukoudian) سنة 1927، حيث توالت بعثات التنقيب حتى عام 1937، وأسفرت عن العثور على عدد كبير من حفريات الإنسان المنتصب، وفي سنة 1939، قام العالم فرانز فايدنرايش Franz Weidenreich بدراسة دقيقة لتلك العينات، إذ صنع منها قوالب، وصوّرها فوتوغرافيًا وأجرى عليها فحوصًا بالأشعة السينية.

بعد أوروبا وآسيا، شهدت إفريقيا بدورها اكتشافات بارزة غيّرت مسار البحث في أصول الإنسان، ففي عام 1924، عثر رايموند دارت R. Dart في مقلع جير بمنطقة طونغ بجنوب إفريقيا على قبة جمجمة طفل، وقد اعتبر هذا الاكتشاف ممثلًا لنوع جديد أطلق عليه اسم أوسترالوبيثيكوس أفريكانوس Australopithecus africanus ورأى دارت أن هذا الكائن كان سلفًا لسلالة الأومو، بوجه ذي ملامح بشرية، وحركة ثنائية القدمين، ودماغ أكبر قليلًا من دماغ القردة العليا[2].

[1] Boule (M), L'homme fossile de la Chapelle-aux-Saints, extrait des Annales de paléontologie (1911-1913), Masson, Paris, 1913.
[2] Archamboult de Beaune (S), Balzean (A), op-cit, pp 14-15.

غير أن فرضية دارت قوبلت ببرود شديد من الأوساط العلمية آنذاك، إذ كان الاعتقاد السائد أن سلف الإنسان يجب أن يكون ذا دماغ كبير وأسنان شبيهة بأسنان القردة، لا العكس، وهكذا، اعتبر معظم العلماء طفل طونغ مجرد سلف للشمبانزي، باستثناء العالم روبرت بروم R. Broom الذي انطلق للبحث عن حفريات إضافية في جنوب إفريقيا.

وفي سنة 1936، اكتشف بروم في كهف ستيركفونتاين قرب جوهانسبورغ جمجمة لإنسان بالغ، عُرفت لاحقًا باسم "الطفلة بليس Ples، كما عثر على جمجمة نوع آخر سميت أوسترالوبيثيكوس روبستوس (Australopithecus robustus)، مُظهرًا بذلك وجود شكلين مختلفين من الأوسترالوبيثيكوس؛ أحدهما رشيق (gracile)والآخر ضخم البنية (robuste) .

وقد اعتُقد في البداية أنّ الأمر يتعلق بنوع واحد فقط يختلف أفراده في الشكل والحجم تبعًا للفروق الجنسية (ذكر وأنثى)، لكن الاكتشافات اللاحقة أوضحت أنّه كانت هناك بالفعل أنواع متعددة من الأوسترالوبيثيكوس؛ رشيقة وأخرى قوية البنية، وقد أُعيدت تسمية الأخيرة لاحقًا لتصبح بارانثروبوس (Paranthropus).

في عام 1959، تمكّن العالمان لويس وماري ليكي في موقع أولدوفاي، بوادي أومو في إثيوبيا، من العثور على حفرية نسباها إلى نوع جديد أسموه زينجانثروبوس بوازي (Zinjanthropus boisei)، وهو ما يُعرف اليوم باسم بارانثروبوس بوازي (Paranthropus boisei)، وكان بجوار هذه الحفرية أدوات حجرية بدائية جدًا.

وفي السنة التالية، عثر الزوجان في الطبقات نفسها على حفرية أخرى نسبوها إلى جنس هومو (Homo)، وبما أنهما لم يتصورا أن الزنجانثروبوس هو صانع الأدوات، فقد اعتبرا الحفرية الجديدة هي التي تعود لنوع جديد أطلقا عليه اسم الإنسان الماهر (Homo habilis)، وقد كُشف لاحقًا عن عدة حفريات مشابهة، وفي عام 1964، قام كل من لويس ليكي L. Leakey وفيليب توبياس Ph. Tobias وجون نابير J. Napier بوصف هذا النوع الجديد رسميًا، وهكذا عُدّ "الإنسان الماهر" أول من صنع الأدوات الحجرية، الذي عثر عليه في موقع أولدوفاي، الذي بدأ لويس ليكي أعمال التنقيب فيه ثم تابعتها زوجته ماري بعد وفاته، قدّم أكثر من ستين بقايا لنوع الأومو، ومن بين هذه الحفريات تعرّف الباحثون على أول ممثل للإنسان المنتصب(Homo erectus) في إفريقيا.

وفي السنوات التالية، توالت الاكتشافات في كل من شرق إفريقيا وجنوبها، وكان تنوع الحفريات كبيرًا إلى درجة جعلت الباحثين يطرحون فرضية وجود أنواع متعددة مختلفة، وظهرت أسماء جديدة، بل أُعيد تصنيف بعض الحفريات، فعلى سبيل المثال، عُثر عام 1972 على فك سفلي مؤرخ بـ 1.5 مليون سنة على يد ريتشارد ليكي، ابن لويس وماري. وقد اعتُبر في البداية من بقايا الانسان المنتصب، لكن أُعيد لاحقًا تصنيفه

ضمن Homo ergaster، وفي العام التالي (1973)، اكتشف ريتشارد وزوجته ميف ليكي أحفورة أخرى نسبت أولًا إلى Homo habilis، لكنها لاحقًا أطلق اسم جديد سنة 1986 وهو Homo Rudolfensis.

وفي حملات لاحقة، كُشف عن جماجم متحجرة أصبحت نماذج أساسية في دراسة تطور الإنسان. ففي سنة 1984، استُخرج هيكل عظمي لطفل في ناريوكوتومي قرب بحيرة توركانا (كينيا)، وهو نموذج محفوظ جيدًا من نوع Homo ergaster، تُقدّر قامته عند البلوغ بـ 1,85م[1].

وبالتالي اليوم، لم تعد الرؤية الخطية للتطور مقبولة، بل استُبدلت برؤية متشعبة ومعقدة أشبه بشجرة متفرعة، فقد أكملت الأحافير المكتشفة خلال العشرين سنة الأخيرة ألبوم أسلافنا وغيرت تسلسلهم الزمني. ففي عام 1995، اكتشف فريق ميشال برونيه (M. Brunet) في تشاد أحفورة Abel، وهو أوسترالوبيثيكوس، ويعدّ أول دليل على وجود أشباه البشر في غرب إفريقيا، وقد هزّ هذا الاكتشاف نظرية إيف كوبان Yves Coppens المعروفة بـ"قصة الجانب الشرقي East Side Story"، التي كانت ترى أن الإنسان ظهر وتطور حصريًا في شرق إفريقيا.

وفي سنتي 2000 و2001، عُثر على أقدم أشباه البشر ثنائيي الحركة في كل Orrorin وToumaï بشرق وغرب إفريقيا، ويعود تاريخهما إلى 6 ملايين سنة، وأخيرًا، كان آخر موضوع مثير للجدل في علم الإحاثة البشرية (paléoanthropologie) هو اكتشاف إنسان فلوريس (Homo floresiensis) سنة 2004، في جزيرة فلوريس بإندونيسيا، وقد لُقّب بالهوبيت لصغر قامته، وما زال حتى اليوم يثير الكثير من النقاش.

وبالتالي فمنذ أواخر القرن التاسع عشر، بدأ علم آثار ما قبل التاريخ يتخذ طابعًا مؤسسيًا؛ وفي سنة 1860م اعترفت معظم الجمعيات العلمية بعلم ما قبل التاريخ، إذ أصبح له متاحف وكراسي جامعية وجمعيات علمية، وبدأ بتنظيم لقاءات وندوات ومؤتمرات، كما صار العلماء ينشرون نتائج أبحاثهم في مجلات علمية ذات انتشار إقليمي ووطني ودولي، أما الأساليب الجديدة للتحقيق والتنقيب، فقد تطورت تدريجيًا طوال القرن العشرين.

ومنذ بداياتها، كانت دراسة ما قبل التاريخ منقسمة بين علوم الطبيعة من جهة (كالجيولوجيا وعلم الأحافير)، وعلوم الإنسان من جهة أخرى (كالتاريخ والإثنولوجيا)، وقد ظهرت بالفعل مدارس فكرية حقيقية خلال خمسينيات وستينيات القرن العشرين على يد كبار علماء ما قبل التاريخ مثل فرانسوا بورد (François Bordes) في بوردو، وأندريه لوروا-غوران (André Leroi-Gourhan) في باريس[2].

4/ **العلوم المساعدة لعلم ما قبل التاريخ**: تتمثل آثار الإنسان ما قبل التاريخ في الأدوات الحجرية والأواني والهياكل العظمية والأسلحة والمنحوتات والرسوم الصخرية التي خلفها في باطن الأرض وفي الكهوف وفي المواقع

[1] Archamboult de Beaune (S), Balzean (A), op-cit, p 15.
[2] Stoczkowski (W.), op-cit, p 19.

التي كان يعيش فيها، ودراسة هذه المخلفات تساهم في الكشف عن تكون البيئة التي عاش فيها الإنسان ونوع المناخ الذي ساد تلك الفترة، ونوع الحيوان والنبات الذي عاش إلى جنب تلك السلالات البشرية، ويعتمد علم ما قبل التاريخ في الوصول إلى ذلك على عدة علوم:

1-4/ العلوم الطبيعية: إن لعلم ما قبل التاريخ ميزة خاصة تجعله يتداخل مع العلوم الطبيعية من جهة والإنسانية من جهة ثانية، وهو يحمل صفة مشتركة بين كل من هذه العلوم ويشاركها البحث من أجل تحقيق أهدافه المركزة لمعرفة واقع حياة إنسان ما قبل التاريخ ضمن إطارها البيئي القديم، وتتمثل هذه العلوم فيما يلي:

- **علم الجيولوجيا "علم طبقات الأرض"géologie"**: هذا العلم شديد الصلة بعلم ما قبل التاريخ حيث يفيدنا في تحديد التاريخ الجيولوجي للمواقع وطبيعة الترسبات الموجودة فيها، وفيما إذا كان مصدرها مناخيا كالمياه والرياح أم بدائية كالبراكين والزلازل، ويركز علماء ما قبل التاريخ على دراسة الزمن الجيولوجي الرابع الذي ظهر فيه الإنسان واختلطت آثاره بتشكيلاتها التي تقع ضمن نطاق البحوث الجيومورفولوجية (علم شكل الأرض) التي تهتم بأشكال الأرض كالمصاطب النهرية والشواطئ البحرية القديمة وعلاقتها بالأدوات الحجرية، كما تفيدنا الجيولوجيا في تحديد المقالع الطبيعية للخامات، وخاصة حجر الصيوان الذي كان له أهمية كبيرة في حياة إنسان العصور الحجرية، حيث اعتمد في إقامته على مدى توفره وصنع أسلحته وأدواته منه.

- **علم المستحثات Paléontologie** : لها علاقة كبيرة بدراسة علم ما قبل التاريخ وينقسم إلى علم المستحثات النباتية والحيوانية وعلم المستحثات الإنسانية، ودراسة هذه المستحثات يفيدنا في تحديد أنواع الأشجار والنباتات التي عاشت في تلك المنطقة أو الأخرى، ومدى اعتماد ذلك الإنسان عليها في سكنه وغذائه، ونتمكن كذلك من إعادة تركيب الوسط الطبيعي الجغرافي القديم الذي كان كبير الأثر على الإنسان، ومن خلال التحاليل المخبرية للعينات التي تحتوي على غبار الطلع Pollen الذي يمكن إتباع بدقة كل تغيير حصل على المناخ Paléoécologie، كما أن البقايا العظمية الحيوانية القديمة تعطينا فكرة جيدة على الأنواع التي عاشت في ذلك الوقت، خاصة الأجناس الصغيرة ذات الحساسية العالية التي تدل بصورة دقيقة على التقلبات المناخية وتغيراتها بين الباردة والدافئة، وينقسم هذا العلم إلى قسمين : قسم يدرس الإنسان وقسم يدرس الحيوان، ويعتمد على دراسة البقايا الحفرية التي يتم العثور عليها في المواقع الأثرية (مثل بقايا الأضراس، والفكوك، أو شظايا الجماجم)، ولدراسة الأحافير أهمية كبيرة منها:

- التعرف على الأعمار النسبية للطبقات الجيولوجية وفقا لمبدأ الترصب، لأن كل طبقة رصوبية تحتوي على مجموعة من الكائنات الحية الخاصة بها وتميزها عن بقية الاحياء.

- تعرفنا الاحافير بالتغيرات التي حدثت لسـطح الأرض، فالعثور على متحجرات لقواطع بحرية في قمة الجبل حاليا، دليل على أن هذا الجبل كان مغمورا بالماء في السابق.

- بدراسـة هذا المتحجرات وكيفية توزيعها على مختلف المناطق مع الأخذ بعين الاعتبار شـكلها ونوعها يمكن التعرف على المناخ السائد والمتغيرات التي طرأت عليه.

- تقدم المتحجرات براهين وأدلة تبين خطوات التطور التي مرت به مختلف الكائنات الحية.

الأنثروبولوجيا Anthropologie: وتسـمى علم الإنسـان وتعد من العلوم المسـاعدة أيضـا فهي تدرس ظهور الإنسان وتطوره من خلال الهياكل العظمية التي تتواجد سواء في مواقع العصور الحجرية او خارجها، وتحدد لنا الصـفات العرقية للأنواع البشـرية وعلاقتها بعضـها ببعض، ومكانها في عملية التطور ومدى ارتباطها بالطبقات الأثرية والجيولوجية بين 3 فروع رئيسـية يظهر كل علم منها كعلم مسـتقل له تفرعاته المسـتقلة: الأنثروبولوجيا الفيزيائية، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، الأنثروبولوجيا الثقافية[1].

4-2/ العلوم الإنسـانية: يعتبر علم ما قبل التاريخ شـديد الصـلة بالعلوم الإنسـانية لأنه يدرس الإنسـان ويستعين بالعلوم التالية:

- **علم الآثار (archéologie)** :علم الآثار ترجمة للكلمة اللاتينية Archéologie التي تعني علم الأشـياء القديمة أو معرفة الأشياء القديمة عند اليونانيون، وكان يقصد به عندهم الفن الذي يهتم بدراسة الماضي العتيق، أما اسـتعماله عند الرومان فقد اصـبح يختص في ناحية من تاريخ الرومان، وهو العلم الذي يدرس شـعراء اليونان القدامى، وتوقف علم الآثار عن الاسـتعمال في العصـور الوسـطى ليظهر من جديد مع بداية عصـر النهضـة وكان هدفه في تلك الفترة دراسـة مباني وآثار العصـور القديمة تلبية لمتطلبات عصـر النهضـة الأوربية التي كانت تبحث عن جذور أصـالتها التي ترجع إلى الحضـارة اليونانية والرومانية، أما حاليا فيهتم بدراسـة ماضـي البشـرية من خلال أنشـطتها المادية، وتكون هذه الدراسـة من خلال التنقيب عن المخلفات والبقايا الأثرية بمختلف أنواعها (النصـوص الكتابية المنقوشـة على الجدران الصـخرية ومختلف الشـواهد المادية الأخرى كالمخلفات والبقايا الأثرية المادية)، وهو بذلك من أهم العلوم المسـاعدة لعلم ما قبل التاريخ على اعتبار أنّ هذه المخلفات والبقايا الأثرية تعتبر بمثابة وثائق رئيسـية يعتمد عليها العلماء في إعادة تصـوير عصور البشرية الأولى .

- **الاثنوغرافيا Ethnographe**: ولأن المكتشـفات غالبا ما تدلنا على المسـتوى التقني للمجتمعات القديمة دون أن تحدثنا عن حياتهم الاجتماعية والروحية، فان الباحثين في العصـور الحجرية يهتمون بالاثنوغرافيا

[1] حكيم ابن الشيخ، محاضرات ونصوص فيما قبل التاريخ، دار هومة، 2013، ص ص 32-33.

وهو علم يدرس الشـــعوب البدائية الحالية التي تعيش على مســـتوى حضـــاري (من عادات وتقاليد) يشـــابه مجتمعات ما قبل التاريخ.

- **علم الجغرافيا وعلم التاريخ**: هناك علاقة بين العلمين لأن البيئة الجغرافية الحالية مؤشـــرا هاما على البيئة القديمة، ومع التاريخ حيث مناهج البحث التاريخي لها أسـس متشـابهة ومرتبطة مع بعضـها، وهناك من يســـمى ما قبل التاريخ بالجغرافية التاريخية البدائية، وهي فرع من الجغرافيا التاريخية بمعناها الشـــامل، وتهدف إلى دراسة أثر النشاط الإنساني في الطبيعة في عصور ما قبل التاريخ.

التنميـــــــط: هي علم المراقبة، دراسة وتسخير الآثار، ويعتبر من أهم الدراسات المساعدة لعلم ما قبل التاريخ تتمثل في دراسـة الأنماط من خلال تصـنيف وترتيب المخلفات المادية لإنسـان ما قبل التاريخ (الأسـلحة الحجرية والعظمية، الأدوات الفخارية...الخ)، وذلك بمقارنتها بعضـها ببعض من حيث الشـكل بصـفة خاصـة، فإذا كانت الأداة عبارة عن رأس سهم تصنف مع عائلة رؤوس السهام. وهذا يسمى بالتنميط الوصفي للأدوات ثم يأتي الشـــق الثاني من التنميط وهو يتلخص في التصـــنيف التحليلي وهذا يقوم على أســـاس التقنية التي استعملت في صنع الأداة المعنية وتحديد خصائصها[1].

علم الرواســـب: يســـاعد علماء ما قبل التاريخ في معرفة نوعية الرواســـب والترســـيبات التي عثروا عليها متراكمة في المواقع الأثرية التي يزاولون بها عملهم، كما يُمكّنهم من معرفة عوامل وأسباب الترسيبات التي يمكن أن تكون من فعل الانجراف الجليدي أو النهري أو البحري أو بفعل الرياح، وكل ذلك يساعد على بناء المعطيات الجيولوجية والمناخية التي تكونت خلالها تلك الرواسب.

علم التزمين النسبي والمطلق أو "الكرونولوجيا"chronologie ": وتسمى أيضا علم التأريخ، فهي ترمي إلى تحديد الزمن أو الأزمنة التي تشكلت فيها الطبقات الأثرية والجيولوجية، وهي في الواقع العمود الفقري للبحث التاريخي لأنها تعرفنا على تتابع الشـــعوب عبر الزمن، وتمكننا من صـــنع الســـلم الزمني لتاريخ الإنســـان منذ بدايته، فمنها نوعان:

أ/ الكرونولوجيا النســـبية: تعتمد على دراســـة عمر البقايا بمقارنتها بعضـــها ببعض دون التعرف على العمر الحقيقي لهـا، فـالطبقـة التي في الأســـفـل تكون الأقـدم، والأعلى هي الأحـدث، والطبقـات التي تحتوي على متحجرات قديمة تكون أقدم من تلك التي تحتوي على متحجرات حديثة، وبذلك تعتمد على المســـتحثات في مقارنتها لبقايا الكائنات الحية، ومن هذه الطرق نجد:

* الطريقة الأثرية: وهي التي تحدد انتماء الآثار المكتشفة بالاعتماد على نماذج هذه الآثار ومادتها وأشكالها، فمثلا الأدوات الحجرية دليل على العصـــر الحجري، والحديدية منها تؤرخ بعصـــر الحديد، كما يســـتدل على

[1] حكيم ابن الشيخ، المرجع السابق، ص 39.

الزمن من دراسة شكل التوضعات الستراتغرافية (تتابع الطبقات) والجيولوجية في الموقع لأن الطبقات الأدنى تكون عادة أقدم من الأعلى، إلا في حالة اختلاط الترسبات والطبقات بفعل الانجراف أو الزلازل.

* الجيولوجية الرباعية: "الجيومرفولوجية: دورها هام في التأريخ النسبي لأن الأسرة النهرية والشواطئ البحرية التي تشكلت في الزمن الرابع تضم العديد من الأدوات الحجرية والمواد الأخرى التي تكون معاصرة زمنيا للسرير أو للشاطئ الذي تتواجد ضمن طبقاته.

* الطريقة الشجرية: تعتمد على عدد الحلقات في الجذع بعد شقه أفقيا.

ب/ الكرونولوجيا المطلقة: وهي تعتمد على تطبيق طرق تعطي أرقاما بالسنوات ولكن لا يكمن تطبيقها على كل المواقع:

- طريقة الفحم المشع C14: الأشعة الكونية"الذرية" تنتج كربون 14 المشع عند استدامه بالجو، ويتخذ هذا الكربون مع الكربون العادي الموجود في الجو عن طريق عملية التركيب الضوئي، ثم يمتصه النبات عن طريق التركيب الضوئي، ثم عن طريق التغذية ينتقل إلى الإنسان والحيوان.

هذه الطريقة تستخدم في تأريخ المواد العضوية التي تحتوى على الكربون والتي قد يعثر عليها في الحفريات الأثرية، ومنذ موت هذا الكائن الحي يبدأ الفحم المشع بالتناقص والتحول إلى الفحم العادي، وذلك وفق مدة زمنية محددة، بانقضائها تنتهي كل كمية الفحم المشع، ومن قياس النسبة المتبقية من هذا الفحم يمكن تحديد زمن موت الجسم الحي، وقد أظهرت التجارب أنه من خلال مرور 5730 سنة الأولى على موت أي جسم حي يفقد نصف مقدار المواد المشعة الموجودة فيه والتي تتحول إلى مواد غير مشعة، ومع مرور 5730 سنة أخرى تتحول إلى نصف المتبقية أي ربع الكمية الأصلية وهكذا حتى تتحول كل الإشعاعات من الجسم الحي، ولا تصلح هذه الطريقة على المواقع التي تزيد عمرها عن 50-60 ألف سنة، لأنه بمرور هذا الزمن تكون قد انتهت كل المواد المشعة وتصبح العينة غير صالحة للتأريخ، وقد كانت سنة 1949 أول سنة أعلنت فيها نتائج هذه الطريقة والتي شرحها كل من Arnold[1] ,Libby, Anderson.

- **اليورانيوم "توريوم** Uranium- Thorium: وهي تقوم على حساب الكمية المتبقية من اليورانيوم المشع U234 الذي تحول إلى يورانيوم عادي TH230 حسب زمن ثابت أيضا، ولكن ببطئ أكبر من تحول الفحم المشع، لذلك تصلح لمواقع أقدم يتراوح عمرها من 70 إلى 700 ألف سنة، وهي تكمل بذلك طريق الفحم المشع.

[1] محمد السيد غلاب، يسرى الجوهري، الجغرافيا التاريخية عصر ما قبل التاريخ وفجره، ط2، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1975، ص 36.

- **البوتاسيوم/ أرغون** Potassium- Argon: تعتمد هذه الأخيرة على قياس البوتاسيوم المشع K40 الذي يتحول الى أرغون مشـــع A40 ولكن خلال زمن طويل جدا، لها علاقة بالمواقع التي تزيد عمرها عن 700 ألف سنة ويصل حتى 5-6 مليون سنة.
- **اختبار الفلورين**: وتقوم هذه الطريقة على قياس نسبة الفلورين في العظام، ويكتسب هذا الأخير الفلورين من الماء بمعدل ثابت بعد امتصـاصـه، بحيث يزداد نسـبة الفلورين بقدم العظام، في حين العظام الحديثة فإنها تحتوي على نسب ضئيلة فيه.

وهناك علوم اخرى مثل:

- **التألق الحراري** Thermoluminescence: تصـلح على العينات المحروقة التي تعرضـت إلى درجة حرارة جد

عالية كالفخار، وتعتمد على قياس كمية المواد المشعة المتشكلة في العينة منذ لحظة احتراقها.

- الطريقة المغناطيسة القديمة Paleo-magnetisme: التي تدرس تغير الشمال المغناطيسي عبر الزمن، وتؤرخ مواقع تصل حتى 5 م س، وبفضل هذه الطريقة وجدت الانقلابات المغناطيسية التي شهدتها الأرض في بداية الزمن الرابع وأهم الانقلابات الأربع هي: جلبر، قوس، ماتوياما، برون..

5/ تقسيم فصول ما قبل التاريخ:

بعد تعدد الاكتشافات البالينتولوجية "علم الحفريات" وتزامنها مع اكتشافات عن صناعة ما قبل التاريخ، وكان من أولى اهتمامات علماء ما قبل التاريخ تحديد عمر الطبقات المنقّبة واللقى التي تحتويها بدقة ممكنة، لذلك، كان لا بد من وضع مقياس للزمن ما قبل التاريخ، وفي القرن التاسع عشر، كانت السلسلة الزمنية الجيولوجية المرجعية بسيطة؛ فالأزمنة ما قبل التاريخ لم تكن سوى وحدة واحدة منقسمة إلى قسمين: العصر الرسوبي (Alluvium) الذي أعطى الصناعات "الكلتية"، والعصر الطوفاني (Diluvium) الذي وفّر الصناعات "ما قبل الطوفانية"، وقد وُجد نظامان زمنيّان متعارضان: أحدهما قائم على تطور الحيوان، والآخر على تعاقب الصناعات (الأدوات)، وفي سنة 1936 اقترح الأثريون الدنماركيون وعلى رأسهم كريستيان يورغنسن تومسون Ch. Jurgensen Thomsen تقسيما لما قبل التاريخ عصر الحجارة، عصر البرونز، عصر الحديد، وذلك أثناء محاولته تنظيم مجموعات المتحف الوطني الدنماركي للآثار، هذا التقسيم لم يُشكّك فيه قط، لكنه خضع لاحقًا للتفصيل، فقُسّم عصر الحجر إلى: العصر الحجري القديم (Paléolithique)، الوسيط Mésolithique)، والحديث (Néolithique)، ثم قُسم العصر الحجري القديم إلى؛ سفلي، أوسط، وأعلى، أما العصر الحجري الأعلى فقد قُسم إلى أوريغناسي (Aurignacien)، بيريغوردي أعلى Périgordien)

(supérieur، سـولوتري (Solutréen)، ومجدليني(Magdalénien) ، وقد جرى تقسـيم هذه بدورها إلى مراحل فرعي

وفي سـنة 1961 قـدم البـاحـث "إدوارد لارتريـه E. Lartet" اقتراحـا يقوم على الفترة مـا قبـل التـاريخيـة إلى تقسيمات قائمة على: عصر الدببة، عصر الماموث ووحيد القرن، عصر الرنة، عصر الأرخص Aurochs،

وفي سـنة 1968 اقترح الباحث "غابرييل دي مورتيلي G. de Mortillet" تقسـيم قائم على أدوات الحجر؛ العصـر الحجري القديم حسـب شـكل الأدوات من الأقدم إلى الأحدث، فاقترح العصـر الباليوليتي الأسـفل "الحضـارة الأشـولية – الاشـيلية"، والباليوليتي الأعلى "المجدالية، السـوليتيرية، الموسـتيرية"، وكانت هذه التقسـيمات الأولى في الأصـل مجرد محاولة لوضـع بعض النظام في ما قبل التاريخ الذي شـعر الباحثون بامتداده الطويل، لكنهم كانوا يجهلون تفاصـيله، فكان الأمر أقرب إلى تصـنيف نمطي للأدوات أكثر من كونه زمنًا حقيقيًا، خاصـة في غياب وسـائل للتأريخ المطلق، إذ لم يكن سـوى تراكب الطبقات الجيولوجية ما يتيح تقدير قِدم الرواسب وما تحتويه.

وفي سـنة 1912 قام الباحث "الأب هنري براي" بتقسـيم ما قبل التاريخ إلى: العصـر الباليوليتي الأسـفل، الأوسط، الأعلى، والميزوليتي "العصر الحجري الوسيط"، النيوليتي "العصر الحجري الحديث"، فجر التاريخ، عصر البرونز، عصر الحديد.

وهكذا صـار الزمن يُجزّأ تدريجيًا إلى مراحل متعاقبة، تُعرَف بآثارها المادية؛ سـواء كانت حجرية، عظمية، أو معدنية (في الفترات الأحدث)، أو بسـمات أخرى أقل مادية مثل أنماط الدفن أو زخرفة الفخار، وبفعل تأثير علم الجيولوجيا، اعتُبر "الأثر الأحفوري" حاملًا لمعلومة زمنية مباشـرة، وكان يفترض ضـمنيًا أن هذه المراحل تعبّر عن مسـار تقدمي، ومن ثم، صـارت هذه المجموعات تُعتبر تقسـيمات "ثقافية"، بل "ثقافات" لها قيمة زمنية وجغرافية.

لكن ما بدأ مجرد تصـنيف عملي تحول مع الزمن إلى تصـور عن تطور ثقافي حقيقي، قائم على "ثقافات" موضـوعة على سـلم زمني، والحال أن الربط الذي يقوم به علماء ما قبل التاريخ اليوم بين الثقافة المادية والثقافة في معناها الأنثروبولوجي مضـلل؛ فقد تشـترك جماعتان بشـريتان مختلفتان في تقنية واحدة، وعلى العكس، قد توجد اختلافات تقنية داخل جماعة واحدة، لذلك ينبغي ألا نغفل أن مفهوم الثقافة فيما قبل التاريخ ليس إلا أداة منهجية عملية أكثر من كونه حقيقة قائمة.

المحاضرة الثانية: الأبحاث الأثرية الأجنبية والمحلية في مجال ما قبل التاريخ حول إفريقيا الشمالية.

كانت بلدان المغرب شبه مغلقة أمام الرحالة الأوربيين قبل الاحتلال بسبب حالة العداء والتوترات التي ميزت العلاقات المغاربية الأوربية، باستثناء القليل منهم كالقناصل والأسرى الذين اعتنقوا الإسلام في الجزائر، ومنهم القنصل الإنجليزي "شاو"، الذي مكث 12 سنة، ولخص أبحاثه في كتاب عام 1738م، بالإضافة إلى أعمال الأسير الإنجليزي "طوماس داكون Th. Dacon" أوائل القرن 18م الذي زار آثار مدينة "دوقة"، فضلا عن اعمال القنصل "كسيمينس Ximenes" الذي زار تونس عدة مرات وكتب تقريرا عن تلك الزيارات، وكانت أوصاف "شاو" للآثار الرومانية التي زارها مثار اهتمام كبير لدى المهتمين بالشأن الأثري في شمال افريقيا من الأوربيين، فقام عدد من الرحالة الإنجليز والفرنسيين والألمان بجولات عبر مناطق عديدة في الجزائر وتونس.

أولا/ الأبحاث الأجنبية في البلدان المغاربية

1/ في المغرب الأقصى

يُلاحظ أن الدراسات الأثرية، شأنها في ذلك شأن الدراسات الإثنوغرافية، قد سبقت ورافقت مسار التدخل الاستعماري، حيث يمكن تأريخ انطلاقة الأبحاث الإسبانية حول التراث الأركيولوجي المغربي إلى أواخر خمسينيات القرن التاسع عشر. فبمقتضى الأمر الملكي الصادر في 31 أكتوبر 1859، أُنيطت مهمة مرافقة الجيش الإسباني، الذي كان حينها منخرطًا في حرب تطوان، بـإميليو لافوينتي ألكانتارا، وذلك بهدف دراسة الآثار والنقوش الكتابية بالمدينة، إلى جانب جمع القطع الفنية. وقد تواصلت هذه الجهود البحثية لاحقًا على يد عدد من الرحالة، من بينهم خوسيه ماريا مورغا ورامون جودينيز ألفاريز وساتورنينو زيمينيس نوريش، الذي قام بثلاث رحلات إلى المغرب خلال سنوات 1882 و1883 و1884.

وفي أواخر القرن التاسع عشر، تزايد اهتمام الإسبان باستكشاف المجال المغربي، حيث دخل العديد منهم لهذا الغرض، من بينهم مانويل تيلو ألموندارين وأنطونيو راموس، بالإضافة إلى الرحالة خوسيه بوادا روميو الذي أنجز رحلة ما بين سنتي 1889 و1894، وقد وثّقها في مؤلفه "ما وراء المضيق: أسفار إلى المغرب".

فيما يخص التحريات التي أجراها الفرنسيون، وإلى جانب استطلاعات أوغست بوميي وشارل دو فوكو، يُعد شارل تيسو من الرواد في استكشاف تاريخ شمال إفريقيا القديم. فقد مكّنته اكتشافاته المتعلقة بالآثار والنقوش الرومانية في المغرب من إنجاز خريطة «موريتانيا الطنجية» خلال الفترة ما بين 1871 و1876. وفي السياق ذاته، انخرط هنري دو لا مارتينيير في ميدان البحث الأثري، حيث أجرى حفريات بموقعي وليلي وليكسوس ما بين 1885 و1889. وبحكم عضويته (1882–1889) ثم مسؤوليته (1900–1901) داخل المفوضية الفرنسية بطنجة، نشر دو لا مارتينيير عدة دراسات حول المغرب، من بينها: «طريق فاس إلى وجدة»

(1895)، و«إشعار بشأن المغرب» (1897)، و«خطاطة تاريخ المغرب قبل وصول العرب» (1912)، و«مذكرات المغرب (1919) ».

وقد تواصلت هذه الأبحاث مع موريس بيسنييه في إطار «البعثة العلمية للمغرب» التي أشرفت على نشر «الأرشيف المغربي» خلال الفترة الممتدة من 1904 إلى 1936، وذلك تحت إشراف عالم الاجتماع ميشو بيلير . وكان الهدف الأساسي من مجمل هذه الجهود البحثية هو الإحاطة بثقافة المغرب وتاريخه بما يخدم تسهيل الاختراق الاستعماري.

وبعد توقيع معاهدة الحماية الفرنسية والإسبانية على المغرب 1912، تم تكثيف البعثات الأثرية للكشف عن الثروة التراثية للبلاد. ويُعد لويس شاتلان من أوائل الباحثين في مجال الآثار الكلاسيكية بالمغرب؛ إذ عُيّن سنة 1915 بموقع وليلي، حيث أشرف على حفريات مهمة، قبل أن يُكلّف سنة 1918 بإدارة مصلحة الآثار بالمغرب من طرف المقيم العام ليوطي .كما لعب شاتلان دورًا بارزًا في تأسيس المتحف الأثري بالرباط سنة 1931، والذي عُرف أيضًا باسم «متحف لويس شاتلان». وقد تعاقب على رئاسة مصلحة الآثار بعده كل من ريمون ثوفنو وموريس أوزينا (ابتداءً من 1955)، قبل أن تُسند المسؤولية سنة 1963 إلى الباحثة المغربية نعمة الله الخطيب بوجيبار.

أما في مناطق الحماية الإسبانية، فقد اضطلعت الأكاديمية الملكية للتاريخ بدور محوري في دعم الأبحاث المتعلقة بالتراث الأركيولوجي المغربي. فبعد الاهتمام بتراث مدينة تطوان، حظي موقع ليكسوس بعناية خاصة من خلال أعمال ثلاثة علماء آثار إسبان، هم سيزار لويس دي مونتالبان (1935–1925)، وبيلايو كوينتيرو أتاوري (1947–1940)، وميغيل تارراديل (1954–1948)، الذي يُنسب إليه إطلاق مشروع الدراسة المنهجية للموقع. وقد تم تعيينه في مايو 1948 على رأس الدائرة الأثرية للمغرب الإسباني ومتحف تطوان، خلفًا لبيلايو كوينتيرو أتاوري.

تميز عمل مصلحة الآثار في المغرب بنشاط كبير في مجال ما قبل التاريخ، حيث فتحت أعمال أرمون غولمان (1896-1948)، مفتش آثار ما قبل التاريخ، الطريق أمام أعمال موريس أنطوان وبيير بيبرسون (1909-1992)[1]، وروحلمان سنة 1941[2]، وجان روش (1913-2008) وجورج سوفيل وأندريه جودان (1921-2003)، كما تم جرد النقوش الصخرية للأطلس الكبير بشكل منهجي من قبل جان مالهوم، في المقابل، مكنت عمليات التنقيب التي همت المواقع الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط والساحل الأطلسي من تحديد أماكن

[1] BIBERSON (P.), Le Cadre paléogéographique de la Préhistoire du Maroc atlantique et le Paléolithique inférieur du Maroc atlantique, Publications du Service des Antiquités du Maroc, Rabat, 16, 1961.
[2] NEUVILLE (R.), RUHLMANN (A.), La place du Paléolithique ancien dans le Quaternaire marocain, Collection Hespéris, Institut des Hautes-études marocaines n°VIII, Librairie Farairre Casablanca.

العديد من المراكز التجارية الفينيقية والقرطاجية. أما بالنسبة لتلك الحفريات التي همت الطبقات السفلى لمواقع وليلي وشالة وباناصا، فقد مكنت من الكشف عن وجود آثار تتعلق بالحضارة المورية.

بعد حصول المغرب على استقلاله، واصل عدد من الباحثين الفرنسيين نشاطهم في مجالي البحث الأثري والنشر العلمي. غير أنه، وبموازاة الإصدارات التي تعود إلى الفترة الكولونيالية، برزت «النشرة الأثرية المغربية» سنة 1956 كمنبر علمي جديد، حيث أسهمت تدريجيًا في دعم البحث الأثري وتعويض منشورات مصلحة الآثار المغربية.

ومع إحداث المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث سنة 1986، انخرطت فرق بحث مشتركة، تضم باحثين مغاربة وأجانب، في مواصلة الجهود التي أسس لها الرواد في مجال الأركيولوجيا. وقد برزت مساهمات وازنة لعدد من الباحثين المغاربة، من بينهم جودية حصار بن سليمان وعبد العزيز توري وعمار أكراز، حيث أسهموا بفعالية في تطوير البحث الأثري. وتوزعت اهتمامات هذه الفرق بين أركيولوجيا ما قبل التاريخ، وأركيولوجيا ما قبل الإسلام، والأركيولوجيا الإسلامية.

وفي هذا السياق، تمكّن فريق بحث مغربي–فرنسي مؤخرًا من اكتشاف بقايا أقدم إنسان عاقل) هومو سابيانس (بموقع جبل إيغود، والتي يعود تاريخها إلى نحو 315 ألف سنة، وهو اكتشاف بالغ الأهمية في دراسة أصول الإنسان وتطوره.

يعتبر موقع وليلي أول ما استقطب المقيم العام هوبير ليوطي، حيث أسندت سنة 1915 للملازم لوي شاتلان مهمة استكمال التنقيب بالموقع الذي شرع فيه قبل الحماية ما بين 1888 و1890 تحديدا، الوزير الفرنسي لدى مفوضية طنجة هنري دولامارتينير[1]، وتم الاستعانة بالكفاءات الفرنسية مع الاستعانة بالجنود الألمان أسرى الحرب العالمية الأولى، وتم الكشف عن مركز المدينة الرومانية، ثم تولي التنقيب بنفس المكان ريموند توفينو ما بين 1941-1955، وفي عدة مناطق أخرى مثل ريغا (سيدي سليمان)، بناصا (مشرع بلقصيري) تاموسيدا (شمال القنيطرة)، سالا (شالة) موغادور (الصويرة).

ثم تبرز أبحاث أرمان رولمان في مجال ما قبل التاريخ التي عرفت بغزارة الإنتاج ويتعلق الأمر بأبحاث وتحريات قام بها وحده أو بالاشتراك مع روني نوفيل، بجهة درعة، بأكلمان سيدي علي بالأطلس المتوسط، وبمغارة الخنزيرة (نواحي الجديدة)، وبمقالع سيدي عبد الرحمان بالدار البيضاء وبدار السلطان (الرباط)، تافوغالت (بركان) ، ولا يخفى الدور الذي لعبه ميكيل طراديل في تأصيل البحث الأركيولوجي شمال المغرب، إذ ساهم في احداث القطيعة مع الارتجالية المنتهجة من قبل من سبقوه في التنقيب بالمنطقة الخاضعة للإسبان، أبرزهم سيزار مونطالبان (1923-1935) كينطيرو أطاوري (1940-1944)، ومن بين الإنجازات التي تحسب

[1] De la Martinière H, lettre de la Martinière à M. le directeur de Journal des Savants, 10 em année 1912, p 33-34

لطراديل استحداث المعلومات عن المقتنيات المحفوظة بالمتحف الأركيولوجي بتطوان التي تولى سنة 1948 مهمة تدبيره، ومباشرة تحريات ميدانية أتاحت له قراءة تاريخ شمال المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ في سياق إدراك شمولي للروابط الحضارية التي تجمعه مع الضفة الشمالية لمضيق حبل طارق، فضلا عن نشاك مكثف في التأليف والنشر وثق بواسطته أعمال الحفر التي باشرها بموقعي تامودا وأدميركوري، وتحديدا بموقع ليكسوس الذي زوده بمخطط كرونولوجي أولي كشف النقاب عن حقيقة ما قبل الميلاد واستيطان الفينيقيين والقرطاجيين لغربي المتوسط.

وفي سنة 1934 تم الكشف عن بقايا بشرية تعود للإنسان المنتصب القامة في الرباط وسلا ومحجر سيدي عبد الرحمان بالدار البيضاء والحاجب قرب مكناس، فضلا عن بقايا تعود إلى انسان جبل إيغود قرب أسفي على المحيط الأطلسي[1]، كما كان موقع تيت امليل محل بحث من قبل أنتوان M. Antoine حيث اكتشف بعض أدوات الصناعة الأشولية وعظام الحيوانات الثدية[2]، ومن بعده توصل أرامبورغ Arambourg إلى اكتشاف عظام فبلة أطلسية فضلا عن شظايا وفؤوس بيفاسية.

بالإضافة إلى موقع عين فريطيسة الذي نقب فيه كل من الباحث "سيكارد Dr. Sicard سنة 1952، وأنتوان وروحلمان Ruhlmann وتبين لهم بأن صناعة هذا الموقع قزمية ذات تقاليد لفالوازية Levaloisien، واعتبرها الباحث فورير Forrer صناعة أشولية متطورة[3].

وبعد استقلال المغرب استمرت الأبحاث الأجنبية، وبرزت مساهمة موريس أوزينا رئيس مصلحة الآثار القديمة، حيث برمج حفريات بموقع موكادور بين 1956 و1958 واستئناف عمليات التنقيب بليكسوس وسلا تحت اشراف جان بوب، كما استأنفت مهمة استكمال التنقيب بتاموسيدا إلى المدرسة الفرنسية بروما، بين سنتي 1956-1962 وهذا دون إغفال مواسم الحفر التي تمت برمجتها بكل من وليلي وبناصا بين 1955-1965، وبعد عزل موريس أوزينا على رأس مصلحة الآثار تولى رئاستها باحثين محليين ورغم ضعف الإمكانيات تمكنوا من إعادة هيكلة القطاع سنة 1975 وتوسيع نطاق مسؤوليتها على مجموع التراب المغربي، وكان الغرض من هذا الإصلاح تحديد ورسم معالم معرفة أركيولوجية ينتجها المجتمع المغربي عن ذاته، وبنفس جديد يضمن انسيابية علاقات التعاون التي تجمع مصلحة الآثار مع شركائها التقليدين (المعهد الوطني للبحث العلمي بباريس، المدرسة الفرنسية في بروما).

[1] MARCAIS J., 1934, Découverte de restes humains fossiles dans le grès quaternaire de Rabat (Maroc), L'Anthropologie, t. XLIV.
[2] Antoine (M), un cône de résurgence du paléolithique moyen à Titmellil, près de Casablanca, Bulletin de la société de préhistoire du Maroc, 1938, pp 3-6.
[3] Forrer (R), Ruhlmann (A), Maroc oriental, Bull. De la Société de préhistoire du Maroc, 1939, pp 4-11.

2/ تونس: يعتبر موقع قفصة اهم المواقع التونسية والذي اكتشفه Couillault في نهاية القرن 19م[1]، ثم كان محل دراسة كل من قومزي Gomzi وبالو. ثم تولى البحث كل جوبير Gobert وكستاني Castany [2]. أما موقع سيدي الزين فقد اكتشفه الباحث ايتيان دومون Domon سنة 1942م وكان محل دراسة من قبل جوبير الذي اكتشف أدوات بيفاسية وبليطات دات ملامح أشولية بمساعدة الباحث بالو[3].

3/ **ليبيا**: موقع بير دوفان في شمال طرابلس الذي يعود للعصر الحجري القديم الأسفل، ويحمل ملامح الحضارة الأشولية السفلى[4]، فضلا عن موقع هوافتيح الذي تعاقبت عليه معظم الحضارات ما قبل التاريخية باعتباره همزة وصل بين المؤثرات الحضارية الشرقية بالغربية في منطقة شمال إفريقيا، وكذلك الدراسة التي قام بها لوكلاك Le Quellec حول الفن الصخري في فزان الشمالية، والتي كشف فيها عن عدة مواقع بها مشاهد للفن الصخري.

ثانيا/ الأبحاث الأثرية الأجنبية (الفرنسية) في الجزائر

1/ الأبحاث التي أجريت قبل 1830م:

تتمثل هذه الأبحاث في النشاط الذي قامت به مختلف اللجان والجمعيات والمدارس، بالإضافة إلى معاهد جامعة الجزائر، حيث ساهم فيه أكاديميون بمختلف البحوث ودعمه ساسة وعسكريون ناهيك عن رجال الأعمال والتجارة، بغرض تجميع البيانات والوثائق التاريخية، والشواهد الأثرية لإعادة صياغة تاريخ الجزائر وفق منظور استعماري تحولت أثناءه الجزائر إلى مختبر بحث واستكشاف، والجزائري إلى موضوع يخضع للاختبار والتجربة، ساير البحث العلمي التاريخي والأثري عمليات اكتساح للأرض بالغزو العسكري من قبل الجيش الفرنسي وتلازمت معه أبحاث للتنقيب عن الموارد الطبيعية التي شملت تخصصات مختلفة كالجيولوجيا والجغرافيا والآثار القديمة والحفريات وطرق القوافل ، كما أجريت دراسات على أنماط حياة الجزائري وعاداته وتقاليده وسلالته وحتى طبيعته الخَلقية،

في القرن 17 و18م حتى قبيل الاحتلال الفرنسي كان اهتمام الأوربيين ينصب على مخلفات الاحتلال الروماني والتراث المسيحي في شمال افريقيا، وهم أساسا قاموا بأعمال لإبراز تأثير الفكر المسيحي ونشره، وكانت تأليف القديس أوغسطين أهما، وأراد الأوربيين إعادة التراث المسيحي وكذلك الاثار الرومانية والبيزنطية، ويمكن تقسيم الباحثين في هذا المجال إلى مجموعتين؛ الأولى تابعة للدولة الفرنسية خاصة أنها تقوم بأبحاث رسمية

[1] Gouillault (R), Notes sur les stations préhistorique de Gafsa, L'Anth., T. V, 1894, p 530.
[2] Gobert (E. G), morphologie quaternaire, et palèthnologie et leurs relations ; Libyca T. II, 1954, pp 9-37.
[3] Gobert (E. G), le gisement paléolithique de Sidi Zine, Carthage, T. I, 1950, pp 1-50.
[4] مصطفى عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1955، ص 2.

بتكليف من حكوماتهم مثل: دوبوا، بوتان، تانفيل، كيرسي، والثانية تتمثل في العلماء أو المنظمين إلى مجموعات أكاديمية مهتمة بالتاريخ الإفريقي القديم.

2/ **<u>الأبحاث الأثرية الفرنسية ما بين 1830-1880م</u>**

2-1/ أعمال الهواة والعسكريين

لم تكن فرنسا أقل حماسة في هذا المجال، فكما فعلت في مصر أثناء حملة "نابليون بونابرت" على مصر، الذي اصطحب علماء، مهندسين، مؤرخين، غير أن رجال المعرفة هذه المرة كانوا من الضباط العسكريين، فالعلم والتنقيبات ارتدت "الزي العسكري"، وهذا الماريشال "سولت Soulte" يكاتب الأمين العام للأكاديمية الفرنسية 1833م يحثه على التوجه إلى الجزائر قصد استحصال "التجارب التي تحققت بين روما والأهالي" ونجد أيضا:

- الكابيتان "روزي Rozet" نشر كتاب بعنوان "رحلة في ايالة الجزائر Un voyage dans la régence d'Alger" عام 1832 واصفا آثار "رشقون".
- الكابيتان "دي كزيفري De zivry" أصدر كتاب بعنوان "أمارات التاريخ في الجزائر Traces de histoire en Algérie عام 1838م، وقد ساعده على وصف هذه الشواهد الأثرية اتقانه للعربية.
- الكابيتان أزيما Azima" شارك في احتلال تيارت علم 1837م وقام بنشر الكثير من النقائش اللاتينية في صحيفة العلماء .Journal des Savants
- بعد احتلال قسنطينة عام 1837م بـ20 يوم شكل الجنرال "دانريمون Danrémont" لجنة عسكرية للقيام بمهمة وصف كل ما يصادف الجيش الفرنسي خلال تنقلاته من معالم وآثار فنية، وكان من أبرز هؤلاء أدريان بيربروجر A. Berbrugger سنة 1838م، الطوبوغرافي كاريت Carette، ماك كارتي Mac Carty، الرسام أدولف دولامار Delamare الذي قام برحلة إلى بسكرة علم 1844 بعد أن زار لمبيز وضريح المدغاسن، كما أصدر بوتان تقرير بعنوان "الاكتشاف العلمي للجزائر".

2-2/ تأسيس اللجان والجمعيات الأثرية الفرنسية في الجزائر: ومن أهمها نجد:

- **لجنة الاكتشاف العلمي للجزائر "1837-1842م":**

أمر وزير الحربية الفرنسية المارشال سولت بتشكيل لجنة علمية لاستكشاف الجزائر، وأخطر الحاكم العام في الجزائر الماريشال فاليي VALEE في رسالة موجهة له بتاريخ 14 أوت 1837 م تضمنت ضرورة اتخاذ الإجراءات الكفيلة باستقبال البعثة دون مماطلة أو تأخير[1]، من أجل جمع المعلومات الضرورية الخاصة بجغرافية وتاريخ وآثار وصناعة وعلوم وفنون الجزائر، ولكن بعد عدة مشاورات ونظرا للظرف الأمني شرعت اللجنة في إحصاء

[1] Ministère De La Guerre, Tableau De La Situation Des Etablissement Français Dans L'Algérie En 1838, Paris, imp. Royale, juin 1839, p. 113.

الأعضاء يوم 18 سبتمبر 1839 م، فأوصت باختيار ليون فودوايي VOUDOYER عضوا في اختصاص الهندسة المعمارية كما عينت بيربروجر محافظ مكتبة الجزائر وباول بريار PRIEUR المتصرف المال العسكري لإقليم وهران كمنسقين بين أفراد البعثة فيما أدرجت ضابطي المدفعية برونال BRUNEL وبوب لاي BOB LAYE والنقيب في هيئة الأركان كاسيمير كاي KAY على خلفية إتقانه للغة العربية والمستشرق دولابورت والرائد ميشال وأنطوان كاريت CARETTE الذي كلف بالبحث في أصول اللغة والأثنيات داخل الجزائر المستعمرة، فيما أسندت لبروسبير أونفونتان ENFANTIN الذي ينتمي إلى الحركة السانسيمونية مهمة البحث في الأثنوغرافيا والتاريخ والتقاليد الجزائرية[1].

تم تحديد تاريخ 20 نوفمبر 1839 م موعدا لانطلاق الرحلة من ميناء طولون، على أن تجمع كل الطاقم ممن شملهم التعيين بما في ذلك العسكريين الذين صادف تواجدهم أثناء الخدمة في الجزائر، وتم تقسيم أفراد اللجنة حسب اختصاصهم، فقام بيربروجر بزيارة الاثار الرومانية في شرشال وتيمقاد وقالمة وجميلة وكتب عدة تقارير عنها[2]، واختص آخرون بالجانب النباتي والحيواني وجيولوجيا المعادن والمناخ، مثل أنطوان ميشال كاريت الذي قدم دراسة حول السالك والطرق العربية في القسم الجنوبي الشرقي من الجزائر وإيالة تونس[3]، ودراسة أخرى حول تجارة الجنوب[4] وآخر حول الهجرات والقبائل الرئيسية في شمال الجزائر[5]،

- **الجمعية الأثرية لعمالة قسنطينة Société archéologique de Constantine**

تأسست في 1852/10/5 بموجب قرار رئاسي حدد مهامها في "الاستكشاف والتعرف على الأرض الأثرية وإقامة ورشات التنقيب وتدوين الآثار والعمل على حفظها"، تتكون من 11 عضو معظمهم عسكريين مثل: شوانسي، كريويلي، بروسليرد، شاربونو، لانوي، ميلوشان وفيتال، ومن أهدافها على لسان مارشال تروسيل قائلا:" العمل على إزاحة الغطاء عن تيمقاد، ثيبيليس، عنونة، جميلة، تيديس، هيبون وبعث هذه المعالم من تحت ظلام السنين كي تتألق من جديد تحت الشمس الذهبية لإفريقيا الفرنسية".

---

[1] LACROIX (Alfred) Notice historique sur quatre botanistes membre ou correspondants de l'Académie des Sciences, ayant travaillé pour la France d'outre-mer, de la fin du siècle dernier à nos Jours : lecture faite en séance annuelle du 19 décembre 1938, Ed. Gauthier-Villars. Paris 1938, p 26.

[2] BERBRUGGER (Adrien), Une Grave Erreur Chronologique » in R A, vol 10, Année 1866
Ibid, Les Romains Dans Le Sud De L'Algérie – Haut Plateaux Et Le Sahara Du Centre » in R A vol 2 Année 1857 ; Ibid, Inscription Romaine De Sisga » in R A, vol 7, Année 1863, Ibid, Julia Caesarea (Cherchel) (Inscriptions chrétiennes) » in R A, vol 1,An 1856, Ibid, (Adrien) « Manuscrits Espagnols En Caracteres Arabes » in R A , Vol 04. Année 1859-1860, Ibid, Mers-el-Kebir et Oran d'après Suarez » in R A, vol 10, Année 1866, Ibid, L'Afrique septentrionale après le partage du monde romain en Empire d'Orient et Empire d'Occident » in R A, vol 1, Année 1856

[3] CARETTE, (E), Etudes Des Routes Suivie Par Les Arabes, Exploration scientifique de L'Algérie Pendant les Année 1840-1841-1842 et Par ordre du gouvernement et avec le Concours d'une commission Académique, imp, royale, paris 1840.

[4] CARETTE (E) : Recherches sur la géographie et le commerce de l'Algérie méridionale, imp: Royale Paris 1844.

[5] CARETTE (E) Recherches Sur L'origine Et Les Migrations Des Principales Tribus De L'Afrique Septentrionale Imp, Imperiale, Paris, 1853.

وقال الحاكم في سنة 1952: "إن هذه الجمعية التي تشكلت من عناصر أكسبتها طابعها وأبرزت قيمتها، وهم الضباط والاداريين البارزين والجامعيون والكنسيون والأطباء، وقد اجتمعوا كلهم حول هدف مشترك وهو إعادة بعث الماضي المضيء لإفريقيا الرومانية وخدمة المعرفة الفرنسية، إن الأجيال المتلاحقة على راس هذه الجمعية بعد 100 سنة لم تتغير وظائفها وأهدافها".

ومن نشاطاتها البحثية نجد اصدار الحوليات (6 أعداد) وتضمنت مقالات حول الاثار القديمة لقسنطينة[1]، فضلا عن النقوش اللاتينية والبونيقية التي عثر عليها في قسنطينة[2]، وكذا بقايا آثار الاحتلال الروماني في سكيكدة[3]، وترجمة كتاب "إفريقيا المسيحية"، وعدة اصدارات اخرى في شكل تقارير، بحوث، مذكرات مثل تقرير حول سطيف لبول Poulle،[4] دراسة حول نقوش وحلي وتوابيت حجرية، وبقايا قنوات مياه في برج بوعريريج[5]، وجمع "دوبروغ Debrugue" عدة أدوات تعود لما قبل التاريخ من الصحراء،[6]، بالإضافة إلى حفرياته في كهف علي باشا التي تضمنت بقايا عظمية تعود لما قبل التاريخ[7].

- **الجمعية التاريخية الجزائرية والمجلة الافريقية 1956 Société historique Algérienne**

كان بيربروجر عضوا نشيطا في هذه الجمعية منذ 1834م ثم أمينا بالمكتبة 1835، حيث كتب بعد تأسيس المجلة الافريقية: "إن المجلة الافريقية يحب أن تهتم خاصة بالمادة غير المنشورة وبالأعمال المفيدة والايجابية والوثائق الأصيلة، وبكل ما يمكن أن يلقي ضوء ا على التاريخ المحلي في مختلف العصور". وفي الذكرى المئوية لتأسيسها يذكر "ألفريد بوز" هدفها فيما يلي: "تأسست جمعيتكم عام 1956 وقبلها تأسست مكتبة الجزائر سنة 1935، هذه الأخيرة تذكرني بمكتبة الإسكندرية قديما التي أتت الحرائق المتواصلة على محتواها الثقافي الدي نحن ورثته، إنني أرى اشعاعا ينبعث على ليل دام 1200 سنة على هذه الضفة الإفريقية". ويضيف: "إن هذه الثقافة التي حولتها المسيحية إلى حضارة جديدة، ها هي تقف على قدميها على الضفة الافريقية"، وفي موضع اخر يضيف: "إن هؤلاء المؤرخين الذين ساروا علة اعقاب الجنود الفاتحين، يذكروننا بأن الشعب الذي يستعيد التنقيب عن الماضي هو شعب يعرف كيف يبني، خلال قرن من الزمن تفحصتم تاريخ هذه الأرض التي

[1] ANONYME (Frédégaire) « Coup D'oeil Sur Les Antiquités De La Province De Constantine » in A.S.A.C Année, 1853

[2] MOLL (A) « Note sur des fouilles faites à Lambèse aux sources d'Ain Drinn et d'Ain Boubennana » in A.S.A.C Année 1956-1957 ; CHERBONNEAU (Auguste) « Inscriptions latines découvertes dans la province de Constantine » in A.S.A.C, Année 1858- 1859.

[3] MARSSILLy (C) « Notice Sur Les Vestiges De L'occupation Romains Dans Le Cercle De Philippeville » in A.S.A.C, 1853.

[4] POULLE (A) « A travers la Mauritanie Sétifienne, » in R.S.A.C Année ,1863

[5] JUDAS (A) « Sur quelques animaux attribués ou refusés à la Libye par Hérodote » in R.S.A.C, Année 1865 ; FERAUD « Bordj bou Arréridj » in R.S.A.C, année 1869.

[6] DEBRUGE (A) « Industries Prehistoriques Sahariennes. Presentation De La Vitrine n° 8 du Musée De Constantine » in R.S.A.C, 1906

[7] DELISLE (Fernand) « Deuxième note sur les ossements humains préhistoriques de la grotte Ali Bacha (Fouilles de M. Debruge) » in R.S.A.C, Année 1906

كانت مرومنة مثل بلاد الغال، ومثلها كانت مسيحية أيضا، وفتح الإسلام لشمال افريقيا مزق وحدة البحر المتوسط التي أقامتها روما، إن أعمالكم يجب أن تساعد هذه الوحدة على استعادة وعيها بتنوعها التاريخي".

أصدرت هذه الجمعية المجلة الإفريقية سنة 1856 واستمر نشاطها حتى 1962، واهتمت بتاريخ الجزائر من البعد العام الذي اتصل بتاريخ إفريقيا من العهد الليبي القديم حتى الاحتلال الروماني، اعتمد فيه الكتاب على عملية جرد ودراسة وتعريف شملت الجانب اللغوي والجغرافي والتاريخي والأثري بما فيه الفنون، حيث استعملت الجمعية كل الوسائل للحفاظ على المعالم التاريخية ذات الأصل الروماني والبيزنطي المسيحي، وقسمت المجلة إلى 4 أقسام؛ الأول يتضمن مقالات أساسية "Article se Font" والثاني في صفحتين أو ثلاث لتقارير عن مواقع أثرية يسمى "Chronique أخبار"، وثالث فيه ملخصات أثرية ونصوص أطلق عليها Bulletin"، ورابع ملاحظات سمي "Notes Diverses".

- **أكاديمية هيبون Académie d'Hippone**

تأسست عام 1860 باسم "جمعية الأبحاث العلمية والإقليمية"، وكان العسكريون كالعادة وراء تلك الجمعية، مثل فيدرب Faidherbe والطبيب الضابط ربيود Reboud الذي ألف كتاب أسماه "المجموعة الكاملة للنقوش النوميدية" سنة 1870 عن منطقة الشفة جنوب الطارف، ثم برز أيضا لوتورنو Letourneux وباسك Posc.

- **جمعية الجغرافيا والآثار لوهران Société de géographie et d'archéologie d'Oran**

اختصر اسمها إلى نشرية هيبون وأصبحت تختص بنشر المعلومات الأثرية، وكان وراءها عسكريون مثل دي فيسو تروباتا الذي قال في اجتماعها التأسيسي: "يوم 15 أفريل 1878م إن "العمل على معرفة تاريخ وجغرافية الجزائر وهو الهدف الأساسي، وجمع المعلومات المتعلقة بالمستعمرة الجميلة وإحصاء ثرواتها الطبيعية وتسطير المشاريع الاستعمارية وعرضها ومناقشتها والتطرق إلى مختلف الأعمال والفنون المتعلقة بهذا الشأن، والإشراف على جميع المشاريع المستقبلية في المستعمرة، تلك هي مهمتنا، فعلى جميع من يهمه الأمر الاتصال بنا ومساعدتنا على استكمال المهمة"،

وكان من أبرز أعضائها أمثال "دومايغ De maeght"[1] الذي اهتم بآثار ما قبل التاريخ وفي سنة 1881م التحق ألبير بالو Ballu بالجزائر وتكفل بمتابعة حفريات تيمقاد ولمبيز، كما أنجز كانال Canal دراسة عن منطقة هنين

[1] لويس دومايغ) DOMAEGHT LOUIS (ولد في دنكرك سنة 1831 م عسكري برتبة رائد عمل في مكتب التجنيد بوهران وأنهي خدمته العسكرية سنة 1879 كآمر سرية، باحث في الآثار ودراسة النقوش، انتخب عضوا في المجلس الإداري بعد اجتماع الجمعية العامة التي انعقدت في 24 ماي 1880 م اقترح اسمه في الكثير من المرات لرئاسة للجمعية لكنه اكتفى بمنصب أمين عام لها للتفرغ للبحث الأثري، أعد الكثير من التقارير والبحوث التي نشرت بالمجلة، توفي سنة 1898.

وتيفا بتلمسان[1]، وبحثا مونوغرافيا عن تيارت[2]، وعن آفلو جنوب تيارت[3]، وكتب ايديموند راسير عن الشلف[4]، وقام تيسيران بدراسة وهران القديمة[5]، دون أن ننسى دور المؤسسة الدينية الفرنسية في الاهتمام بالمعالم الأثرية الرومانية المسيحية مثل الكشف عن أرضية البازيليكا المسيحية بتبسة سنة 1892،

3-2/ الأبحاث الأثرية ما بين 1880-1930م

تعرف هذه المرحلة بعهد المؤرخين المتخصصين، حيث ظهرت هيئتان علميتان تقومان بتمويل العمليات البحثية والاشراف عليها، ونشرها في مجلات علمية، وظهر متحف الجزائر سنة 1880، متحف "الباردو 1902"، كما استمرت الجمعيات السابقة في النشاط إلى غاية الاستقلال، كما لا يجب أن ننسى الأبحاث التي قام بها الباحثين أمثال "دوفري" الذي قام بالبحث عن الصحراء والتوارق، ولكن هذه الأبحاث لم تكن منظمة مما تسبب في تدمير المعالم الأثرية خاصة القبور الجنائزية.

وفي سنة 1909 تأسست جامعة الجزائر التي أصبحت تشرف عن الأبحاث بفضل قسم التاريخ الذي أصبح فريدا من نوعه في افريقيا، وقد لعب الباحث "بالو" دورا كبير في الاشراف على البحوث في جامعة الجزائر، ومن أهم اكتشافات هذه الفترة هو "موقع المويلح" من طرف الباحث "بول بلاري" سنة 1899م.

ثالثا/ الأبحاث الأثرية الأجنبية في مجال ما قبل تاريخ بالجزائر

1/ الأبحاث في مواقع ما قبل التاريخ بالجزائر

كثيرة جدا المواقع التي تعود لما قبل التاريخ في الجزائر، ففي الغرب نجد بحيرة كيرار ، والذي يعود للعصر الباليوليتي الأسفل، اكتشف سنة 1894 وعثر على فؤوس يدوية محفوظة في متحف الانسان بباريس، وقد كان محل دراسة من قبل بولي سنة 1899[6]، واكتُشف شمال شرق تلمسان، موقع أوزيدان الذي يرجع إلى الفترة الآشولية العليا، وحسب ما ذكر محمد الصغير غانم فإن اكتشافه بول بلاري P. Pallary سنة 1874 م، في حين ينسبه عبد العزيز طارق ساحد للباحث ألفريد شانكوني Chancogne.

أما موقع المويلح فقد اكتشفه بول بلاري سنة 1899م وقام باربان Barbin بإجراء حفرية أثرية، ووفر له ستيفان قزال الدعم المالي بصفته مديرا للمتاحف آنذاك، ونشرت نتائج البحث في مقالين ضمن مجلة الجمعية الجغرافية والأثرية لمقاطعة وهران سنة 1910، 1912م، في حين يعود الفضل في اكتشاف موقع "بودغن" أسفل

[1] CANAL, « Le littoral des Trara Les ruines d'Honaï, carte 6 pl » in B.S.G.A.O, vol 4, Année 1884.
[2] CANAL (J) « Tiaret, monographie ancienne et moderne » in B.S.G.A.O, vol 20, Année 1900.
[3] FABRE (Jean-Henri) « Monographie de la commune indigène de Tiaret-Aflou, fig. et carte » in B.S.G.A.O, vol
22, Année 1902.
[4] REISSER (Edmond) « Notice sur Tingitanum (ou Orléansville), sa création, sa destruction, ses Monuments » in B.S.G.A.O, vol 22, Année 1902.
[5] TISSERAND (P.) « L'ancien et le nouvel Oran » in B.S.G.A.O, vol 4, Année 1884.
[6] Pallary (P), Caractères généraux de industries de la pierre dans l'Algérie occidentale, l'homme préhistorique, paris, 1900, pp 33-43.

هضبة لالا ستي للباحث "بليشي Bleicher" سنة 1875م، أما موقع عين كرمان فقد محل دراسة من قبل بول بلاري ودالوني Dalloni وعثرا فيه على فؤوس يدوية مصنوعة من الكوارتز[1]، كما تولى بول بلاري دائما التنقيب في موقع لأبو قير جنوب شوق مستغانم[2]، ثم درس أدواته الباحث دوميرق Doumergue واحتوى على عظام حيوانات استوائية مثل الفيل الأطلسي، الدب الأبيض وأفراس النهر، ويبقى موقع تيغنيفين في معسكر من أهم المواقع، وقد شرع بالتنقيب فيه سنة 1872 وبموجبه عقد مؤتمر لما قبل التاريخ سنة 1888م[3]، وفي سنة 1954 استأنف هوفستيتر Hoffsteter وأرامبورغ التنقيب بالموقع[4]،

أما في الوسط الجزائري فقد تم العثور على عدة مواقع منها تاقدامت بين العاصمة ودلس، اذي كان محل دراسة من قبل بلاري ولاكور Lacour وتوركا Turcat وفيري Viré[5]، أما موقع شمبلان فقد أجرى التنقيبات به كل من كستلاني Castellani، وجلود Gelaud وكذا بالو سنة 1952[6]، ويعود هذا الموقع للعصر الحجري القديم الأسفل والأعلى، وفي الشرق الجزائري يتصدر كل المواقع التي تعود لما قبل التاريخ موقع عين لحنش – 9 كلم شمال غرب العلمة بسطيف، حيث اكتشفه الباحث أرامبورغ سنة 1931، واكتشف فيه عظام حيوانات عتيقة تعود لفترة الفيلافرنشي[7]، وفي سنة 1991 تولى الباحث الجزائري محمد سحنوني التنقيب بالموقع بالتعاون مع فرقة بحث اسبانية[8].

---

[1] Dalloni (M), notes sur la classification du plèocène supérieur et du quaternaire de l'Algérie, B.S.G.A.Or., T.LXI, 1940, pp 30-36.

[2] Pallary (P), la sablière d'Aboukir, B.S.G.A.Or., 1887, p 47.

[3] Pallary (P), état du préhistorique dans le département d'Oran, XXéme congrès de l'A.F.A.S., Marseille, 1891, p 609.

[4] Arambourg (C) Hoftsteter (R), Découvertes en Afrique du paléolithique inférieure ; Aead., Sci., T. 239, 1954, pp 72-74.

[5] Viré, l'âge de pierre dans la région de Bordj Menail et sur la cote Rec, des notes et mém. De la société de Constantine, T. LXIII, 1935-1936, p 12.

[6] Balout (L), préhistoire de l'Afrique du nord, Arts et métiers graphiques, Paris, 1966, p 234.

[7] **Arambourg, C. (1949b).** "Sur la présence dans le villafranchien d'Algérie de vestiges éventuels d'industrie humaine." C. R. Acad. Paris **229**: 66-67. ; **Arambourg, C. (1970).** "Les Vertébrés du Pléistocène de l'Afrique du Nord." Archives du Muséum National d'Histoire Naturelle. **1**(Paris): 1- 127. ; **Arambourg, C. (1979).** Les Vertébrés du Pléistocène de l'Afrique du Nord. Paris, Editions Fondation Singer-Polignac ; **Arambourg, C. and L. Balout (1952).** "Du nouveau à Ain Hanech." Bulletin de la Societé d'Histoire Naturelle de l'Afrique du Nord, Alger **43**: pp. 152-159. ; **Arambourg, C.,** présentation d'objets énigmatiques provenant du villafranchien d'Algérie, S.G.F, 1949, pp 121-123/

[8] **Sahnouni, M. (1987).** L'industrie sur galets du gisement villafranchien supérieur de Ain Hanech, Office des publications universitaires (Alger). : **Sahnouni, M. (1993).** "Étude comparative des galets taillés polyédriques, subsphériques et sphériques des gisements d'Ain Hanech (Algérie orientale) et Olduvai (Tanzanie)." L'Anthropologie, Paris **97, n·1**: pp.51-68. ; **Sahnouni, M., J. d. Heinzelin, F. Brown and Y. Saoudi (1996).** "Récentes recherches dans le gisement oldowayen d'Ain Hanech, Algérie." C. R. Acad. Paris **323, série II a**: pp. 639- 644. ; **Sahnouni, M., N. Toth and K. Schick (1997).** "An Experimental Investigation into the Nature of Faceted Limestone ''Spheroids'' in the Early Palaeolithic." Journal of Archaeological Science **24**: 701–713. ; **Sahnouni, M. (1998).** The Lower Palaeolithic of the Maghreb: Excavations and analyses at Aïn Hanech, Algeria, British Archaeological Reports, International Oxford. **Series 689:** 1- 168. ; **Sahnouni, M. and J. d. Heinzelin (1998).** "The Site of Ain Hanech Revisited: New Investigations at this Lower Pleistocene Site in Northern Algeria." Journal of Archaeological Science **25**: 1083–1101. ; **Sahnouni, M., D. Hadjouis, J. van der Made, A.-e.-K. Derradji, A. Canals, M. Medig, H.**

وفي قسنطينة نجد كل من موقع مهم في السهول العليا حيث تولى توماس Thomas سنة 1884 الكشف عن بقايا حيوانية متحجرة بهضبة المنصورة تعود لفترة الفيلافرانشيان[1]، ثم قام جلود سنة 1912 بالتنقيب بموقع عين الباي، أما موقع الماء الأبيض جنوب تبسة فقد اكتشفه الباحث ديبروج Debruge، ثم تولى لاتابي Latapie وريغاس Reygasse البحث فيه[2].

وفي الجنوب نجد موقع شتمة ببسكرة الذي يعود للعصر الحجري القديم الأسفل، وقد كتب دالوني Dalloini تقرير عن محطة شتمة الأشولية[3]، فضلا عن موقع تيهودين Tihodaine بقلب الصحراء والذي يعود للعصر الحجري القديم الأسفل وكان محل تنقيب من قبل دوفيري Duverier [4].

4-2/ الأبحاث الأثرية حول المعالم الجنائزية الميغاليتية بالجزائر العائدة لفجر التاريخ

كانت أولى اللّمحات حول المعالم الجنائزية من نوع المصاطب تعود للقرن الثامن عشر وكان هذا قنصل بريطانيا شاو وشابيلان Chapelain، عندما وصف لنا مصاطب بني مسوس، أما في الشرق الجزائري ومع سقوط مدينة قسنطينة، بدأت أولى الاكتشافات الأثرية مع دورو ثم دولامال Dureau de la malle وبيربروجر Berbrugger، دولامار Delamare، عندما كانوا يرافقون الفرق العسكرية كما حدثت في مصر، فأخذوا في جمع العديد من الملاحظات والرسومات.

ومن بين أشهر الباحثين في هذا الميدان الذين كانوا يدافعون عن فكرة إنشاء هذه المعالم من طرف سكان شمال أوربا، كل من المترجم العسكري فيرود Feraud الذي بدأ في الأبحاث الأثرية منذ سنة 1860 والذي أصبح من بعدها رئيسا للجمعية التاريخية الجزائرية 1876- 1860 م فقد قام بحفرية أثرية سنة 1863 على مصاطب راس عين بومرزوق رفقة عالم العظام الانجليزي Christy بالإضافة إلى فريق آخر أشتهر أيضا بالحفريات والدراسات المتعلقة بالمعالم الجنائزية الخاصة بالشرق الجزائري أمثال Logeart Bourjot، Bertrand،Reboud, Berbrugger, Martin، Vel Galles، Chabassiere، Boysson في كل من مقابر الركنية، رأس العين بومرزوق، قاسطل، بونوارة، سيقوس، بوشن، سيلا وتيركابين. ونسبها إلى سكان بروطون وغاليين.

Belahrech, Z. Harichane and M. Rabhi (2002). "Further research at the Oldowan site of Ain Hanech, North-eastern Algeria." Journal of Human Evolution **43(6)**: 925–937. ; **Sahnouni, M., D. Hadjouis, J. van der Made, A.-e.-K. Derradji, A. Canals, M. Medig, H. Belahrech, Z. Harichane and M. Rabhi (2004).** "On the earliest human occupation in North Africa: a response to Geraads et al." Journal of Human Evolution **46**(6): 763-775. ; **Sahnouni, M. (2006).** "Les plus vieilles traces d'occupation humaine en Afrique du Nord : Perspective de l'Ain Hanech, Algérie." C. R. Palevol **5**: 243–254. ; **Sahnouni, M., Parès Josep, M., Duval, M., Caceres, I., Harichane, Z., Van der Made, J,Gonzalez Alfredo-P , Abdessadok, S , Kandi, N, Derradji, A, Medig, M, Boulaghraif, K, Semaw, S,(2018).** 1.9-million- and 2.4-million-year-old artifacts and stone tool–cutmarked bones from Ain Boucherit, Algeria**.** *Science First release :DOI :10.1126Science.aau0008.*

[1] **Arambourg, C. (1970).** "Les Vertébrés du Pléistocène de l'Afrique du Nord." Op-cit, pp 49-53.

[2] Reygesse (M), découvertes préhistoriques dans le centre de Tebessa, C.N.M.A.C., T. XLV, 1911, p 351.

[3] Dalloni (M), notes sur …, op-cit, p 40.

[4] Devillers (Ch), les dépôts quaternaires de l'arg-tihodaine, Sahara central, congrès préhistorique de F. 13 séssion, Paris, 1950, pp 186-189.

- رأس العين بومرزوق: حيث أجرى التنقيبات به كل من فيرود، كريستي christy سنة 1863، ثم شابسيير Chabassiere مابين 1887-1886 ومن بعده بلاري.
- جبل المراح: كشف السيناتور مارتين Martin على 9 مصاطب وبازينا واحدة، ثم قام فروبينيوس Frobeniusبالبحث في نفس الموقع.
- الركنية: لقت تمت الحفريات الأولى على يد بيربروجر سنة 1864 ولوتورنو وشميت Schmit سنة 1865 غير أن أهم الحفريات تلك التي قام بها بورقينا Bourguignat[1] وفيدراب سنة 1867 وكذا حفرية السيدة Alquier سنة 1932، وبلوخ Bloch وغابريال كامبس.
- مقبرة سيلا: قام فال Vel سنوات 1904-1905 باستطلاع للموقع من طرف Mennetrier سنة 1910، وVicrey سنة 1943، وفي سنة 1914 تولى الألماني بروبينيوس التنقيب، ليختم Logeart على عدة سراديب.
- مقبرة ذراع بوتومي: قام بزيارته شباسيير سنة 1889م ثم تولى دراسته كل من فال Vel سنة 1989[2].
- مقبرة سيقوس: أول من زارها دولامار سنة 1850، ثم شاربونو وريبود سنة 1863، ثم Maumené سنة 1915، وبعدها نفذ توماس Thomas بالتنقيب سنة 1877، ثم قام شابسيير سنة 1886.
- مقبرة بووشن: أجريت الزيارة الأولى من قبل موميني سنة 1901، وفال سنة 1905، وVicrey سنة 1930[3].
- بونوارة: تولى البحث فيه كل من Delamare , Mac Iver, Frobenius, Weissen Szumslanska، وفي سنة 1865 قام فيدريبFaidherbe بالتنقيب، ثم بالاري سنة 1909، وفي سنة 1913 قام Debruge وJoleaud بالتنقيب أيضا، ثم في سنة 1953 قام كامبس وزوجته بتنظيم حفرية في الموقع[4].
- بوعطاف بقالمة: يعد فينرال .Vigneral Ch من الأوائل الذين زاروا الموقع، ويذكر روبو Reboud أن كارطوارد Cartoirde قام بحفريات واكتشف عظام وجماجم سنة 1878[5]، ثم كان الموقع محل زيارة من قبل قزال وموجال[6].

بالإضافة إلى الدراسات والأبحاث الميدانية التي ذكرناها سابقا، فقد شهدت منطقة الأوراس عدة عمليات تحري وتنقيب من قبل دولامار، Carbucci، Payen، .Jullien L، .Rinn L، Vercoutre، Vaissière وغيرهم، دون أن ننسى دور ضباط الطبوغرافية أمثال ماسكوراي Masqueray E.

---

[1] Bourgignat (Gr), Histoire des monuments mégalithiques de Roknia près de Hammam Maskhoutine ; Paris, 1870, pp 38-52.

[2] Vel A., Monuments et inscriptions Libyques relevées dans les ruines de Tir-kabbine. RSAC., 1905.

[3] مراد زرارقة، المعالم الجنائزية والهيئات السكنية لحوض بومرزوق، أطروحة دكتوراه في الآثار القديمة، جامعة الجزائر، معهد الآثار، 2012-2013، ص ص 45-55.

[4] Camps G. & Camps-Fabrer H., La nécropole mégalithique du djebel Mazela à Bounouara. Mémoire du C.R.A.P.E., Paris, A.M.G. 1964.

[5] Reboud, Excursion dans la Maouna et ses contreforts, R.S.A.C., 1884, pp 27-28.

[6] Abbé Mougel, 4km de promenades archéologiques sur la vie droite de l'oued Mela, B.A.H., T., XIL, 1881, pp 45-50.

وفي بداية القرن العشرين برز ستيفان قزال بشكل لافت، حيث ألف كتاب بعنوان "تاريخ شمال افريقيا القديم" وجمع فيه حوصلة ابحاثه وتنقيباته حول المعالم الجنائزية مبرزا توزيعها الجغرافي، وما بين 1910-1950 أجريت تنقيبات أثرية في الدولمان والبازينات والجثي قام بها عديد الباحثين أمثال Reygasse M., Debrugge A., roffo P., Dr. Marchand، حيث ركز ريغاس على المعالم الجنائزية في الصحراء[1]، في حين ركز فروبينيوس على منطقة الأوراس وبالضبط حول المعالم الجنائزية لمنطقة إيشوكان، فضلا عن عدة أبحاث في كل من بني مسوس، بونوارة، سطيف، قسنطينة، بوسعادة، الهامل وفرندة، معسكر وبني صاف[2].

هذا بالإضافة إلى أبحاث J.P Savary في موقع فدنون بالطاسيلي[3]، وأبحاث الباحث الجزائري طارق ساحد في منطقتي نقاوس وسفيان بالأوراس[4]، ودراسة ميدانية بنواحي عين بوسيف خلال سنوات 1991-1992[5]، وما بين 2001-2007 أجريت دراسات ميدانية في كل من جبال بوعريف، الأوراس، البوص وجبل أحمر خدو، وخلال سنوات 2005، 2007، 2008 أجريت عديد الزيارات لمواقع غير معروفة بجبل الميلق، الحويطة، وادي مزي بالأغواط[6].

[1] Reygasse (M), Les monuments funéraires préislamiques de l'Afrique du Nord, A.M.G., paris, 1950.
[2] Camps (G), Aux origines de la Berbèrie, Monuments et rites funéraire protohistorique, Edi. A.M.G. paris, 1961.
[3] Savary (J-P), Monuments en pierres sèches du Fadnoun, Tassili-Ajjer, C.R.A.P.E., N° 6, AMG, 1965.
[4] عزيز طارق ساحد، المعالم الجنائزية لمنطقة نقاوس ومقبرة سفيان، الحضنة الشرقية، مذكرة ماجستير في علم آثار ما قبل التاريخ، معهد الاثار، جامعة الجزائر 2، 1998.
[5] مصطفى الرميلي، المعالم الجنائزية "فجر التاريخ" بمنطقة آشير جبال التيطري، مذكرة ماجستير في علم آثار ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2002.
[6] عزيز طارق ساحد، آثار فجر التاريخ في الجزائر، دار المعرفة، الجزائر، 2011، ص ص 26-27.

المحاضرة الثالثة: حضارات العصر الحجري القديم الأسفل

امتدّ العصر الحجري القديم الأسفل على فترة زمنية طويلة جدًا، تُقدّر من نحو 2.6 مليون سنة إلى حوالي 120 ألف سنة، وشهد خلاله الإنسان تطورات ملحوظة على المستويين الأنثروبولوجي والثقافي. وتُبرز الشواهد الأثرية، وخاصة البقايا البشرية المكتشفة في العديد من المواقع الإفريقية، تنوعًا واضحًا في الأجناس البشرية، وهو تنوع أسهم في تشكيل أنماط سلوكية مختلفة وتطوير قدرات الإنسان عبر الزمن.

وقد أدى غنى المنتوج الثقافي خلال هذه المرحلة إلى تمييز وجهين ثقافيين بارزين: الثقافة الألدواني باعتبارها أقدم ثقافات ما قبل التاريخ وأكثرها امتدادًا زمنيًا، والثقافة الأشولي التي تمثل مرحلة أكثر تطورًا من حيث الأدوات والتقنيات الحجرية. ويُعدّ شمال إفريقيا مجالًا جغرافيًا محوريًا لدراسة تطور الإنسان القديم وأنشطته، إذ يوفّر معطيات أساسية لفهم انتشار السلالة البشرية عبر القارة الإفريقية، بل وتتبع مسارات هجراتها نحو المجال الأورو-آسيوي عبر موجات متعاقبة. ورغم ما تحظى به هذه الفرضيات من أهمية، فإنها لا تزال موضوع نقاش علمي متواصل بين الباحثين المختصين في دراسات ما قبل التاريخ.

أولا/ الحضارة الألدوانية

تعتبر منطقة شرق إفريقيا من أول المناطق التي وجدت فيها بقايا حضارية للإنسان الأول، وقد سميت بحضارة الحصى المشذب، كما عرفت بأسماء أخرى في مناطق العالم، وقد سميت باسم حضارة كافوان (Kafuen) نسبة إلى نهر كافو بأوغندا.

1/ تعريفها: يُستمد اسم الثقافة الألدواني من موقع أولدوفاي الشهير، الواقع جنوب بحيرة فيكتوريا في شمال تنزانيا. وتُعد هذه الصناعة الأثرية أقدم من الثقافة الأشولية، إذ تتميز بأدوات بسيطة قائمة أساسًا على تقصيب الحصى، وتُعرف غالبًا بالحصى المشذّبة أو المهيأة (le galet aménagé) ، وقد امتدت هذه الثقافة لأكثر من مليوني سنة، قبل أن تتطور تدريجيًا في مراحلها المتأخرة نحو الصناعة الأشولية[1].

وقد شكّل هذا الموقع مجالًا لحفريات أثرية منتظمة منذ عشرينيات القرن العشرين، أشرف عليها عالم الآثار لويس ليكي، قبل أن تواصلها زوجته ماري ليكي خلال سبعينيات القرن نفسه، ثم أبناؤهما لاحقًا، وأسفرت هذه الأبحاث عن اكتشافات مهمة شملت أدوات حجرية وبقايا أحفورية حيوانية وبشرية، من بينها أنواع مثل أسترالوبيثيكوس بوازي وهومو هابيليس، وهو ما أسهم في إغناء المعرفة حول بدايات تطور الإنسان[2].

2/ طبيعة الموقع: يتواجد موقع ألدوفاي في سهل "سرنغتي Cerengeti"، والذي يحتوي على تكوينات يرمز لها بطبقة 1، 2، 3، 4، وطبقة ماسك، وأما عن طبيعة هذه التكوينات فهي "بحرية وبحرية- نهرية" تفصلها طبقة

[1] مروان رابحي، الصناعة الحجرية الألدوانية لموقع عين الحنش -مستوى A-دراسة تكنولوجية وتجريبية، رسالة ماجستير تخصص ما قبل التاريخ، معهد الآثار، الجزائر، 2004-2005، ص 20.

[2] محمد سحنوني، ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 83.

حمم بركانية تميز بين الطبقات، وتمكنت الباحثة ماري ليكي بالتعرف في أول محاولة لدراسة وتصنيف المركب الصناعي على صناعتين حجريتين مختلفتين في موقع ألدوفاي من الطبقة 1 إلى الطبقة 3، وهي الألدواني والأشولي، أما الألدواني فمحصور في الطبقة 1 وأسفل الطبقة 2[1]، وقد شغلت جزءا كبيرا من البلايستوسين الأسفل وهي من الناحية الجيولوجية والستراتيغرافية تعود إلى بداية الزمن الجيولوجي الرابع[2].

3/مراحل الحضارة الألدو انية

- **المرحلة الألدو انية القديمة:** المكونات الصناعية للمرحلة القديمة الألدوانية وجدت في قاعدة الطبقة ا والجزء الأسفل من الطبقة اا، كما عثر فيه على بقايا استرالوبثكوس بوازي تنتمي إلى هذه المرحلة، ومن مميزاته نجد:

- وجود الشوبر بمختلف أنماطه بنسبة 51%.
- تبلغ نسبة الحصى المشذب المتعدد الصفحات 10%.
- تشكل نسبة الأسطوانات 9%.
- نسبة الحصى الشبه كروي والكروي 6%.
- الأدوات الشظوية الكبيرة والثقيلة 8,6% والصغيرة والخفيفة 10,2%.

المحتات 1,7% والأدوات المختلفة 2%.

- **المرحلة الألدو انية المتطورة:** وتنقسم بدورها إلى مرحلتين صغيرتين هما

– **المرحلة المتطورة "أ":** تحتل هذه المرحلة المستويين الأسفل والأوسط من الطبقة اا، تتميز بالخصائص التالية:

- انعدام الفؤوس اليدوية الحقيقية.
- ارتفاع نسبة ما قبل الفؤوس اليدوية بالمقارنة مع مرحلة الألدوانية القديمة
- ارتفاع نسبة الأدوات المشكلة على الشظايا.
- انخفاض نسبة أداة الشوبر من 51% إلى 29 %.

- **المرحلة المتطورة "ب":** طبقيا ينتمي الألدواني المتطور "ب" إلى القسمين الأوسط والأعلى من الطبقة اا، ويتميز بالمكونات الصناعية الآتية:

- احتواءه على نفس الصناعة المتواجدة في المرحلة "أ" لكن يلاحظ ارتفاع نسب الأدوات مثل المكاشط والمحتات، مع قلة في الفؤوس اليدوية[3].

---

[1] نفسه.

[2] Balout (L.), Chronologie absolue et préhistoire saharienne. In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°11, 1972, p 15.

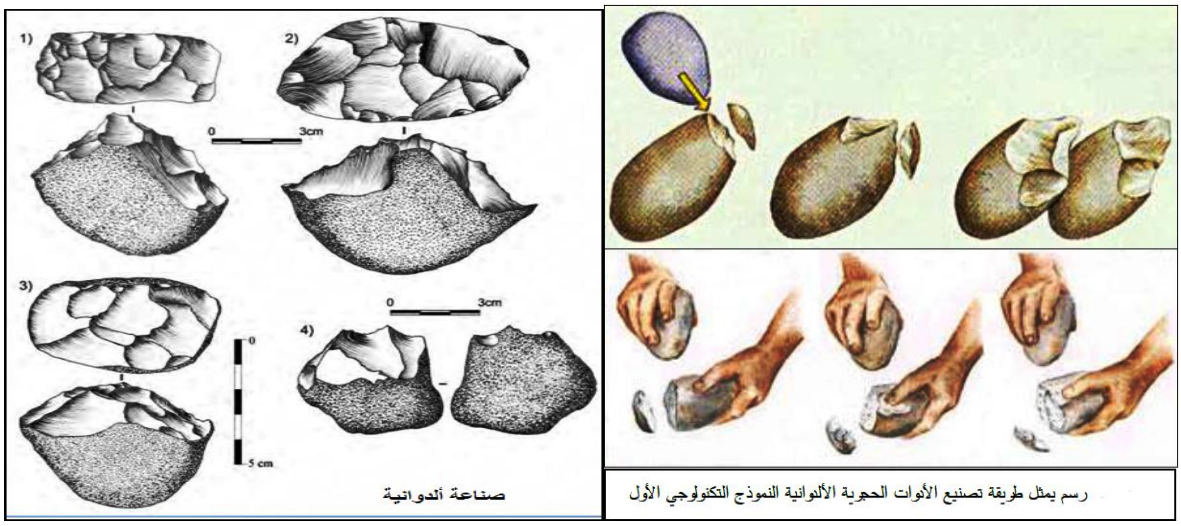
[3] محمد سحنوني، المرجع السابق، ص ص 84-85.

4/ **خصائص الوجه الثقافي الألدواني:**

-يقوم هومو هابيليس بتهيئة الكتلة الحجرية بشكل سريع، حيث يحوّلها إلى أداة عبر إزالة شظايا من أحد وجوهها أو كليهما، لينتج بذلك أداة تُعرف بـ«الشوبر(Chopper) «، سواء أحادي الوجه أو ثنائي الوجه .

-تُعدّ الصناعة الألدوانية أبسط المركبات الصناعية الحجرية، وتُعرف أيضًا بالصناعة الحصوية أو صناعة الشوبر. وتتميّز هذه الثقافة بأدوات بدائية أنجزتها الجماعات البشرية الأولى اعتمادًا على تقنيات بسيطة، من أبرزها النوى (النويات)، وأدوات الشوبر، إلى جانب أشباه الكرويات والكرويات ومتعددة الأوجه. وترتكز هذه الصناعة على تقنية التقصيب، مع محدودية في تهذيب الأدوات. ومن أهم تقنيات التشذيب المستعملة: الطّرق المباشر بالطارق الصلب، وتقنية التشذيب ثنائي القطب، مع هيمنة واضحة لتقنية الطّرق المباشر بالطارق الصلب .

- وتُصنَّف جميع المجموعات الصناعية المؤرخة ما بين 2.6 و1.5 مليون سنة ضمن الصناعة الألدوانية، وذلك بالنظر إلى التشابه الكبير في مكوناتها، وبساطة أدواتها الحجرية، والتقنيات المعتمدة في تشذيبها من طرف الإنسان خلال هذه المرحلة.[1]



الصوررقم 1: طريقة صنع أدوات ألدوانية .

5/ إنسان الوجه الثقافي الألدواني: يرى عدد من الباحثين أن هناك سلالتين بشريتين قد تكونان مسؤولتين عن إنتاج الأدوات الحجرية المنتمية إلى الثقافة الألدوانية، وذلك في حدود 2.5 مليون سنة بشرق إفريقيا. وتتمثل أولاهما في نوع أستراالوبيثيكوس بوازي /أستراالوبيثيكوس إثيوبيكوس، الذي عُثر على بقاياه في موقعي أومو وغرب توركانا. كما أفضت الاكتشافات الحديثة بموقع بوري في إثيوبيا إلى التعرف على نوع جديد أُطلق عليه أستراالوبيثيكوس غارهي، وقد اعتبره بعض الباحثين صانعًا ومستخدمًا لأقدم الأدوات الألدوانية. غير أن هذه الفرضية أثارت نقاشًا واسعًا ولم تحظَ بإجماع المختصين.

[1] مروان رابحي، المرجع السابق، ص ص 26-29.

في المقابل، يتفق غالبية الباحثين على أن الإنسان القديم المنتمي إلى جنس هومو، والذي تم اكتشافه في موقعي أومو (ما بين 2.4 و2 مليون سنة) وهادار (ما بين 2.4 و2.3 مليون سنة)، والمتزامن مع الصناعات الحجرية في هذه المواقع ومواقع أخرى مثل لوكالالاي في كينيا، يُعد المرشح الأبرز لصناعة واستعمال الأدوات الحجرية، ويتمثل هذا النوع أساسًا في هومو هابيليس[1].

وقد أُطلق اسم هومو هابيليس سنة 1964 من طرف عالم الآثار لويس ليكي، عقب اكتشافه لهذا النوع خلال حفرياته بموقع أولدوفاي في تنزانيا في أوائل ستينيات القرن العشرين. وتوالت بعد ذلك الاكتشافات في مواقع أخرى مثل هادار وأومو في إثيوبيا، وكوبي فورا في كينيا، حيث أُرّخت بقاياه بين 2.45 و1.55 مليون سنة. ونظرًا لما يحمله من خصائص إنسانية، يُعتبر هذا النوع من أقدم ممثلي السلالة البشرية[2].

6/ **<u>مو اقع الوجه الثقافي الألدو اني في شمال إفريقيا:</u>**

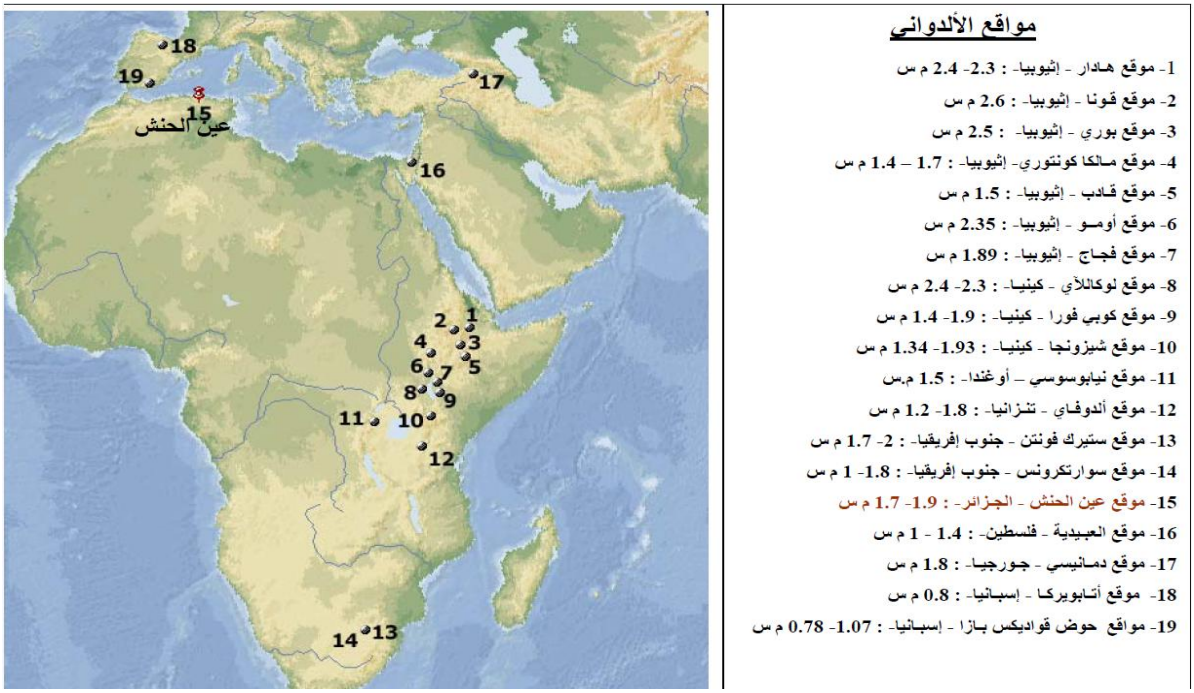
1-6/ بعض مو اقع شرق إفريقيا: تم الكشف عن 19 موقعا رئيسيا يخص الوجه الثقافي الألدواني حول العالم، بمعدل 15 موقع في افريقيا وموقعين في آسيا وموقعين في أوربا، ومن بين المواقع الواقعة شرق إفريقيا نذكر:

- **موقع بوري (اثيوبيا):** متواجد بمنطقة أواش Middle awash على بعد 96كلم جنوب موقع قونا، ترجع مخلفاته لعصر "البليوسان"، وترسباته بحرية مشتركة مع توضعات السهول المعمورة، اضافة إلى ثلاث طبقات بركانية، وأرخ الموقع باستخدام (40Ar/ 30Ar) بحوالي 2,5 م/سنة، من بقاياه عظام حيوانات تحمل آثار قطع وكسور بأدوات حجرية فيها تسبب فيها الانسان، اضافة إلى بقايا بشرية لانسان Australopithecus garth.
- **موقع قونا- إثيوبيا Gona- Hadar**: أقدم صناعة حجرية معروفة إلى يومنا هذا، يوجد هذا الموقع وسط منطقة آفار بإثيوبيا، اكتشفت فيه بقايا عظمية لانسان Austalopithecus Afransis في منطقة هادار المجاورة، أرخ الموقع باستخدام النظائر المشعة بما بين 2,6-2,5 مليون سنة. وتمثلت بقايا هذا الموقع في حصى مشذبة (شوبر، أسطوانات، حصى متعدد الصفحات، مكاشط على حصى)، قلة المكاشط المهذبة، مع كثرة الحصى ذات الوجه الواحد.
- **موقع كوبي فورا –كينيا Koobi Fora**: يضم هذا الموقع أزيد من 20 موقع أثري، يتراوح تأريخها بما بين 1,5 و1,9 مليون سنة، وذلك باستخدام تقنية البوتاسيوم-أرقون، وتمثلت صناعاته في بقايا عظمية بشرية تنتمي لسلالة Australopithécus boisei, Homo Habilis, Homo ergaster، حيوانات قديمة اضافة إلى حجارة تنتمي للنموذج التكنولوجي الأول.

---

[1] نفسه، ص ص 29-30.

[2] كلود براهيمي، تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، تر: محمد البشير شنيتي، رشيد بورويبة، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1982، ص 21.



مواقع الألدواني

1- موقع هادار - إثيوبيا- : 2.3- 2.4 م س
2- موقع قونا - إثيوبيا- : 2.6 م س
3- موقع بوري - إثيوبيا- : 2.5 م س
4- موقع مالكا كونتوري- إثيوبيا- : 1.7 – 1.4 م س
5- موقع قادب - إثيوبيا- : 1.5 م س
6- موقع أومو - إثيوبيا- : 2.35 م س
7- موقع فجاج - إثيوبيا- : 1.89 م س
8- موقع لوكاللأي - كينيا- : 2.3- 2.4 م س
9- موقع كوبي فورا - كينيا- : 1.9- 1.4 م س
10- موقع شيزونجا - كينيا- : 1.93- 1.34 م س
11- موقع نيابوسوسي – أوغندا- : 1.5 م.س
12- موقع أندوفاي - تنزانيا- : 1.8- 1.2 م س
13- موقع ستيرك فونتن - جنوب إفريقيا- : 2- 1.7 م س
14- موقع سوارتكرونس - جنوب إفريقيا- : 1.8- 1 م س
15- موقع عين الحنش - الجزائر- : 1.9- 1.7 م س
16- موقع العبيدية - فلسطين- : 1.4 - 1 م س
17- موقع دمانيسي - جورجيا- : 1.8 م س
18- موقع أتابويركا - إسبانيا- : 0.8 م س
19- مواقع حوض قواديكس باز ا - إسبانيا- : 1.07- 0.78 م س

خريطة رقم 1: توضح أهم المو اقع العالمية للحضارة الألدو انية.

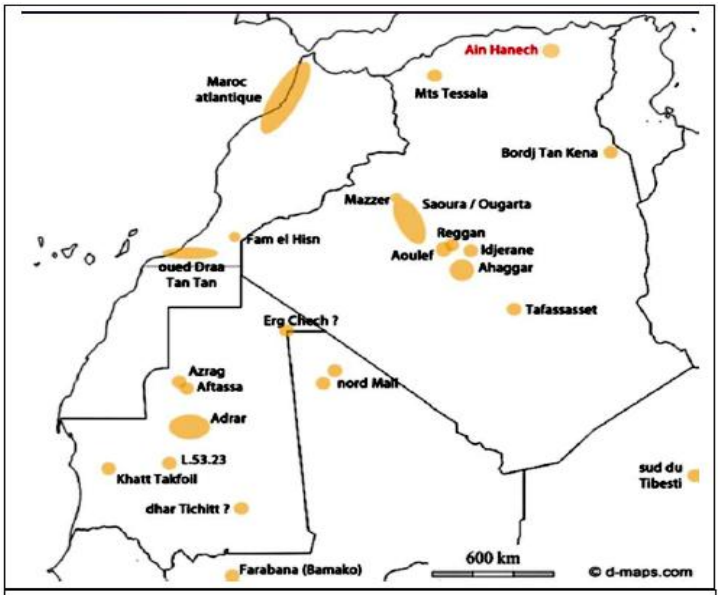
- **موقع نيابوسوسي -أوغندا- Nyabusosi**: اكتشف الموقع سنة 1993 من قبل بعثة فرنسية أوغندية، واستخرج منه بقايا جمجمة بشرية من نوع Homo ومجموعة حجرية متكونة من 600 أداة حجرية، تنتمي للنموذج التكنولوجي الأول، وهو مؤرخ بحوالي 1,5 م/س، أما أدواتها فهي مصنوعة من مادة الكوارتز والشيرت[1].

6-2/ بعض مو اقع شمال إفريقيا

تتركّز أغلب المواقع المنتمية إلى الثقافة الألدوانية في كلٍّ من المغرب الأقصى والجزائر، في حين يظل حضورها في تونس محدودًا ونادرًا، إذ لم تُسجّل الأبحاث الأثرية سوى العثور على أداة واحدة من نوع «الشوبر» في أحد المواقع. ويضم المغرب الأقصى عددًا من المواقع الأثرية الممتدة على طول الساحل الأطلسي، خاصة في محيط الدار البيضاء، حيث أُنجزت أولى الدراسات في هذه المنطقة على يد الباحث الفرنسي بيبرسن .وقد أسفرت هذه الأبحاث عن اكتشاف عدة مواقع تعود إلى العصر الحجري القديم الأسفل، من بينها سيدي عبد الرحمان والعرباوة ودوار الدوم وتيرقايت الرحلة.

[1] مروان رابحي، المرجع السابق، ص ص 16-24.

أما في الجزائر فهناك مواقع عدة مماثلة في الشمال على غرار موقع عين لحنش، موقع المنصورة، موقع جبل مكسم، موقع بجبال التسالا، وفي الصحراء مثل موقع رقان، وموقع ببرج تانكانة، وعرق بورحراحت، موقع أولف بمنطقة الساورة، فضلا عن موقع إن أفيلالة In Afaleleh قرب جانت، مواقع أخرى على طول وادي تفاساست، وفي شمال الهوقار مثل حاسي الخنيق Khenig el Hassi وتاكمبارت Takoumbaret ومنيت وأراك وتين زواتين وبقايا أخرى في التيديكليت بأدرار وفي إن جوان بتادرارت الجنوبية.[1]

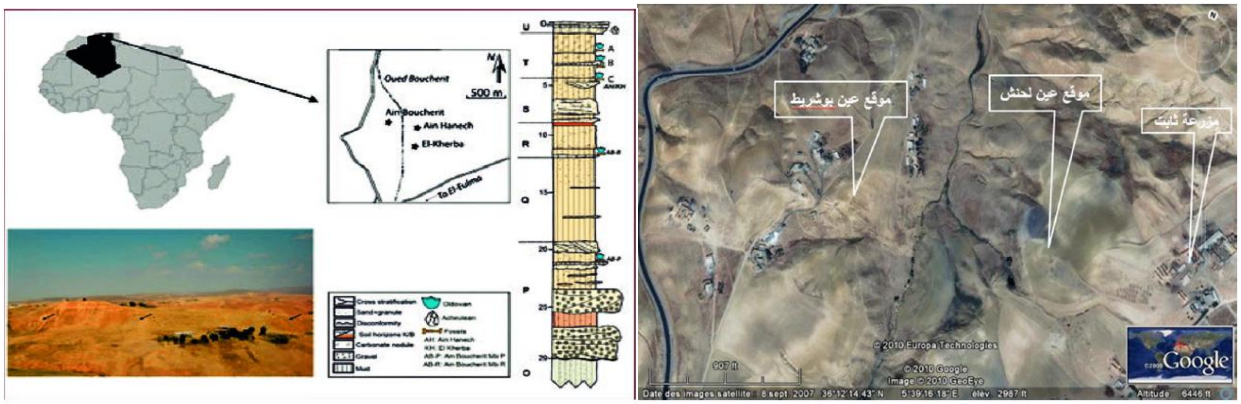


خريطة تمثل توزيع مواقع الحضارة الألدوانية عبر شمال إفريقيا

خريطة رقم 2: أهم مو اقع الألدو انية في شمال إفريقيا.

7/ الصناعة الحجرية الألدو انية لموقع عين لحنش

7-1/ موقع عين لحنش: يقع هذا الموقع ضمن بلدية القلتة الزرقاء، على بعد نحو 7 كلم شمال غرب دائرة العلمة، وقد تم اكتشاف هذا الموقع من طرف الباحث الفرنسي كامي أرامبورغ خلال أبحاثه الباليونتولوجية المتعلقة بالتوضعات القارية في منطقة بني فودة، حيث انطلقت الأبحاث الميدانية بالمنطقة سنة 1931، حيث أجرى الباحث سلسلة من التحريات والحفريات، خاصة على الضفة اليسرى لوادي بوشريط. وقد أفضت هذه الأعمال إلى اكتشاف بقايا عظمية لحيوانات منقرضة تعود إلى فترة الفيلافرنشي، وتشير المعطيات إلى أن الإنسان القديم كان يصطاد هذه الحيوانات ويستهلكها، كما استعمل عظامها في صناعة بعض الأدوات.



الصوررقم 2: موقع عين لحنش.

[1] لخضر بن بوزيد، العصر الحجري القديم في الصحراء الوسطى، ط1، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2020، ص ص 130-131.

استأنفت الأبحاث سنة 1947 في الضفة اليمنى من وادي بوشريط، واكتشف بقايا حيوانية مثل وحيد القرن، فرس النهر، الزرافة، الخنزير الري والجاموس، فيلة وخيول برية[1]، فضلا عن بقايا عظمية لحيوانات ثدية متوسطة الحجم نذكر منها؛ لكلب والغزال، هذا وكانت مصحوبة بصناعة حجرية ترجع للبلايستوسين الأسفل، وصفها الباحث حينها بأدوات حجرية "غامضة" مستخرجة من المستوى الفيلافرنشي، كنتيجة لعمله قام بنشر مونوغرافيا في ميدان الباليونتولوجيا تخص الفصائل الحيوانية الحفرية للزمن الجيولوجي الرابع لشمال إفريقيا، وفي سنة 1992 قام محمد سحنوني بفتح حفرية عين لحنش بمحاذاة الموقع الأصلي، بالإضافة إلى مواقع مجاورة منها موقع الخربة والبيضاء، ركز الباحث سحنوني على إرساء مشروع يؤسس لمقاربة حديثة تهدف لإبراز البيئة القديمة التي عاش فيها الإنسان القديم خلال الفترة الألدوانية والنموذج السلوكي والخصائص التكنولوجية للصناعة الحجرية التي خلفها[2].

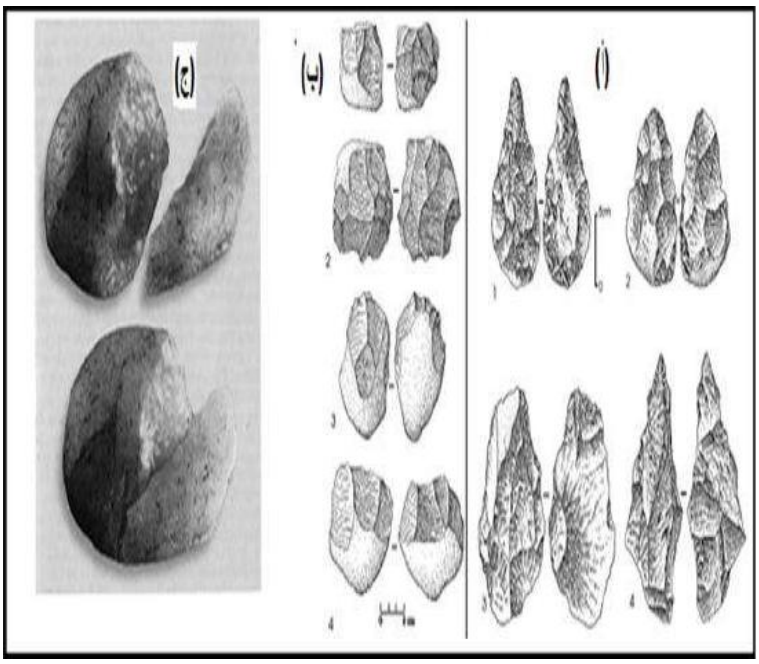
7-2/ **<u>مميزات الصناعة الحجرية لعين الحنش:</u>** تنتمي الصناعة الحجرية المكتشفة بموقع عين الحنش، بمختلف مستوياتها، إلى النموذج التكنولوجي الأول، وهي تُظهر تشابهًا واضحًا مع المجموعات الصناعية الحجرية المنتمية إلى الثقافة الألدوانية العائدة إلى مرحلة البليو–بليستوسين في إفريقيا، والمؤرخة ما بين 2.6 و1.5 مليون سنة، خاصة بموقعي أولدوفاي وكوبي فورا. وتتكوّن هذه الصناعة أساسًا من صنفين رئيسيين من الأدوات الحجرية، هما الحصى المشذّبة ونواتج التقصيب، بما في ذلك الشظايا المهذّبة وغير المهذّبة. كما تتميّز بانخفاض درجة القياسية نتيجة غياب التجانس في تقنيات التشذيب، إضافة إلى الطابع غير المنتظم لمورفولوجية الحصى المشذّبة. وتضم هذه الصناعة أيضًا أدوات كروية وأخرى هرمية الشكل، استُعملت في الوقت نفسه كأدوات عملية ووسائل دفاع[3]، إلى جانب الحصى المقصّبة، والنويات، والشظايا المختلفة، فضلًا عن الحصى أحادية الوجه وثنائية الوجه ومتعددة الأوجه، أما المواد الأولية المعتمدة في صناعة هذه الأدوات، فتتمثل أساسًا في الحجر الكلسي وحجر الصوّان، مع استخدام محدود للحجر الرملي والكوارتزيت، وهي مواد كانت متوفرة طبيعيًا في محيط الموقع.

---

[1] ليونال بالو، الجزائر فيما قبل التاريخ، تر: محمد الصغير غانم، دار الهدى، عين مليلة، قسنطينة، 2005، ص ص 21-23.

[2] **Sahnouni, M. (1987).** L'industrie sur galets du gisement villafranchien supérieur de Ain Hanech, Office des publications universitaires (Alger). : **Sahnouni, M. (1993).** "Étude comparative des galets taillés polyédriques, subsphériques et sphériques des gisements d'Ain Hanech (Algérie orientale) et Olduvai (Tanzanie)." L'Anthropologie, Paris **97, n·1**: pp.51-68. ; **Sahnouni, M., J. d. Heinzelin, F. Brown and Y. Saoudi (1996).** "Récentes recherches dans le gisement oldowayen d'Ain Hanech, Algérie." C. R. Acad. Paris **323, série II a**: pp. 639- 644. ; **Sahnouni, M., N. Toth and K. Schick (1997).** "An Experimental Investigation into the Nature of Faceted Limestone ‘‘Spheroids’’ in the Early Palaeolithic." Journal of Archaeological Science **24**: 701–713. ; **Sahnouni, M. (1998).** The Lower Palaeolithic of the Maghreb: Excavations and analyses at Aïn Hanech, Algeria, British Archaeological Reports, International Oxford. **Series 689:** 1- 168.

[3] ليونال بالو، المرجع السابق، ص ص 25-26.



صورة رقم 3: الحصى المشذب في موقعي عين لحنش ورقان

المرجع: لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 132.

يُعدّ موقع عين الحنش من أقدم المواقع الأثرية المعروفة في شمال إفريقيا، إذ أُرّخ بحوالي 2.8 مليون سنة، ما يجعله شاهدًا على الوجود المبكر للإنسان بالمنطقة. كما يتميز الموقع بكونه حافظ إلى حدّ كبير على وضعيته الأصلية دون أن يتعرض لاختلالات أو لإعادة ترتيب جيولوجي مهمة، الأمر الذي يجعله مرجعًا أساسيًا لدراسة سلوك الإنسان القديم وأنماط تعميره خلال هذه المرحلة المبكرة.

أما البقايا الحيوانية المكتشفة أثناء الحفريات، فيُرجّح أنها كانت تدخل ضمن النظام الغذائي لإنسان عين الحنش، حيث استُعملت الأدوات الحجرية في استغلال جثث الحيوانات والحصول على اللحوم[1]، وتنتمي هذه البقايا إلى أنواع حيوانية عاشت في بيئة السافانا، من بينها الخيليات والبقريات والخنازير ووحيدات القرن وأفراس النهر والفيلة والأحصنة[2].

وقد أتاح الفحص الدقيق لأسطح البقايا العظمية المستخرجة من المستويات الأثرية بموقعي عين الحنش والخربة الكشف عن آثار جزارة مرتبطة باستخدام الأدوات الحجرية من طرف الجماعات الألدوانية في استغلال الموارد الحيوانية. فقد تم التعرف على عدد من العظام التي تحمل آثار قطع واضحة، إضافة إلى عظام مكسورة عمدًا وشظايا عظمية، وهو ما يدل على استخراج النخاع من قبل هذه الجماعات البشرية الأولى. وتشير الدراسات المستحاثية إلى أن هذه العظام تعود لحيوانات صغيرة ومتوسطة الحجم.

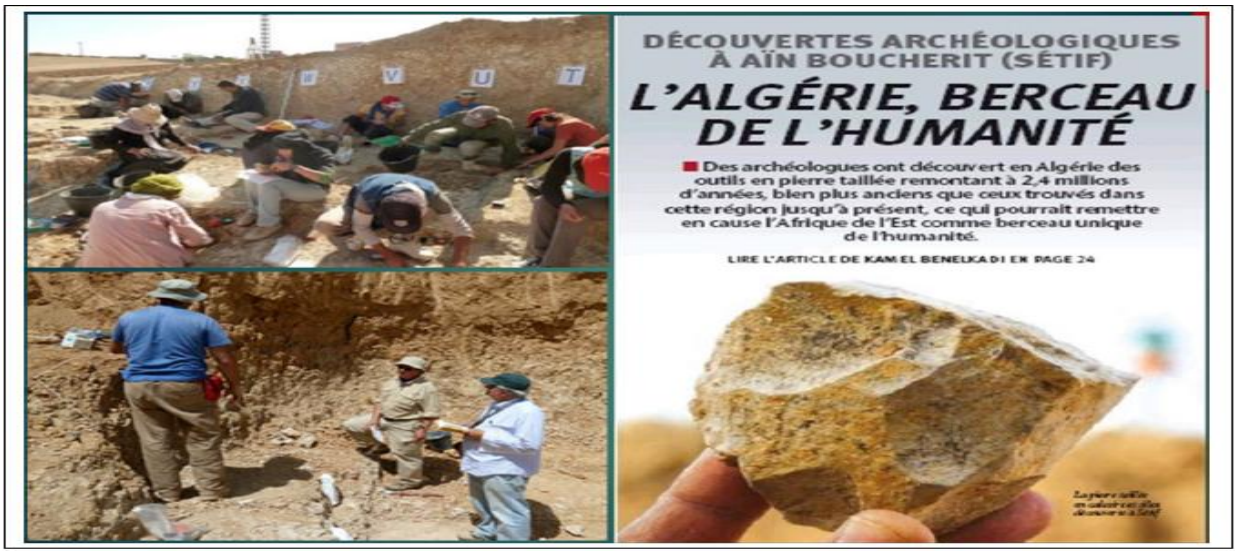
كما أظهر الفحص بالمجهر الإلكتروني لعدد من القطع الحجرية المصنوعة من الصوان، والمستخرجة من حفريات عين الحنش والخربة، وجود آثار دقيقة لعمليات تقطيع اللحوم على 23 عينة، شملت شظايا كاملة

[1] مروان رابحي، المرجع السابق، ص ص 34-35.

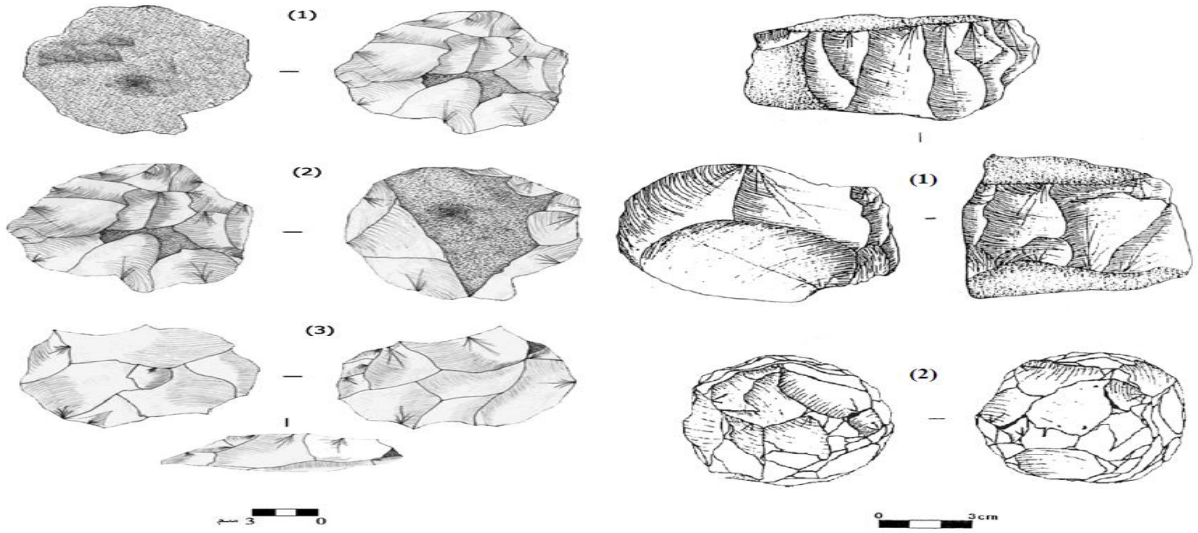
[2] Sahnouni (M.), le bassin sétifien, DA, préhistoire d'Algérie, Avril 2003, p 8.

وأدوات مهذبة مثل المكاشط والمسننات، وهو ما يؤكد استخدام هذه الأدوات الحجرية في الحصول على اللحوم ومعالجة الذبائح الحيوانية[1].

ومن جهة أخرى، يُعتبر موقع عين بوشريط من أقدم المواقع الأثرية بشمال إفريقيا، حيث كُشف فيه عن نماذج لصناعة حجرية عتيقة تتشابه مع الصناعات الألدوانية القديمة، مع إظهارها لتنوع تكنولوجي مقارنة بالصناعات المكتشفة بشرق إفريقيا. كما أسفر الموقع عن بقايا عظمية تحمل آثار قطع واضحة، مما يدل على تدخل الإنسان في معالجتها. وقد استُعملت طريقتان لتأريخ الموقع، هما التأريخ بالمغناطيسية القديمة وطريقة الرنين المغناطيسي الإلكتروني على حبات الكوارتز(RPE) ، وأسفرت النتائج عن تأريخه بين 1.9 و2.4 مليون سنة، الأمر الذي جعله يُصنف ضمن أقدم المواقع الألدوانية المعروفة في العالم[2].

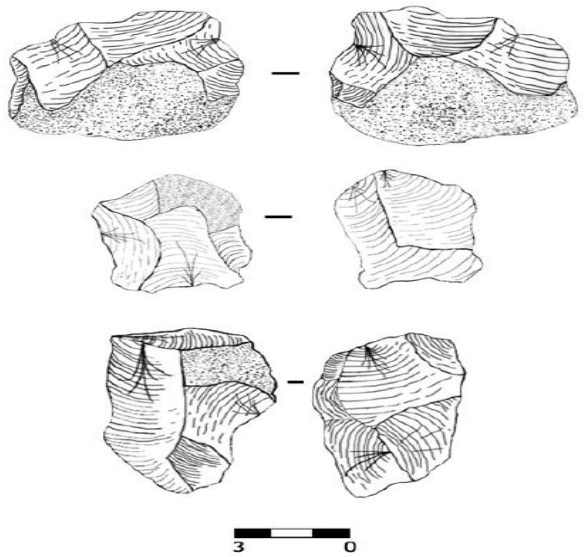


صوررقم 4: صدى نتائج أبحاث عين لحنش في المجلات العلمية العالمية.



[1] حريشان زهير، دراسة التوزيع الفضائي للبقايا الأثرية للموقع الألدواني عين الحنش (القلة الزرقاء، سطيف)، مذكرة ماجستير في ما التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2019-2020، ص ص 16-17.

[2] Sahnouni (M) et al., On the Earliest Human Occupation in North Africa: A Response to Geraads Et Al , Journal of Human Evolution 46, 2004, P 744.



الصوررقم 5: صناعة حجرية ألدوانية من موقع عين لحنش

ثانيا/ الحضارة الأشولية

يُعدّ الوجه الثقافي الأشولي ثاني أقدم الحضارات الإنسانية المنتمية إلى العصر الحجري القديم الأسفل، وقد ظهر مباشرة بعد الثقافة الألدوانية التي شكّلت الأساس الثقافي والتقني لتطور الحضارة الأشولية. وقد انتشر هذا الوجه الثقافي في كلٍّ من إفريقيا وآسيا منذ فترات مبكرة تجاوزت المليون سنة في بعض المواقع، بينما لا يتجاوز عمر المواقع الأشولية المعروفة في أوروبا مليون سنة. ورغم التقدم الذي عرفته الأبحاث الأثرية، ما يزال الجدل قائمًا بين الباحثين بشأن تحديد الخصائص الثقافية المرتبطة بالمرحلة الانتقالية بين الحضارتين الألدوانية والأشولية، فضلًا عن التساؤلات المتعلقة بكيفية وتوقيت انتشار الثقافة الأشولية خارج القارة الإفريقية.

1/ تعريفها: تعتبر هذه الحضارة من أبرز الحضارات التي تميز بها العصر الحجري القديم الأسفل، وتنسب لموقعها النموذجي سانت أشول Saint Acheul بالقرب من أميان "Amiens" شمال باريس، حيث قام جاك بوشيه دو بيرت (Jacques Boucher de Perthes) منذ ثلاثينيات القرن التاسع عشر بجمع فؤوس حجرية واعتبرها من صنع الإنسان، أما تحديدها وتسميتها أول مرة فيعود للأثري de Mortillet G سنة 1872، ثم درست من قبل العديد من الباحثين أمثال بورد François Bordes والقس بروي[1] Abbé Breuil، ويقصد بها تلك الصناعات الحجرية الغنية بالأدوات ذات الوجهين والفؤوس اليدوية، حيث حدث تطور كبير في تقنية الأدوات الحجرية[2]، حيث ظهرت مصنوعات حجرية مشذبة على جانبين تُعرف باسم الأدوات ثنائية الوجه (bifaces)، وإلى جانب نوى الحصى وأدوات القطع التي تميزت بها ثقافة الأولدوانية (Oldowan)، ظهر الفأس

[1] Giemsch (L), Frome Africa around the world: the Acheulean, In: Being Human, the beginnings of our culture, Accompanying volume to the special exhibition (May 2021-27 march 2022, Archaologisches Museum Frankfurt, Nunnerich-Asmus Verlag et Media, 2022, p 55.

[2] Aumassip (G.), Préhistoire du Sahara et de ses abords, tome 1, Maisonneuve & Larose, Paris, 2004, p 63.

الحجري اليدوي (handaxe) كأداة نموذجية لِما يُسمّى الثقافة الأشولية (Acheulean culture)، كانت هذه الأداة أكثر تعقيدًا من الأدوات الحجرية السابقة وغالبًا ما كانت تُصنع من حجر البازلت.

وفي إفريقيا، قام العالمان ماري ولويس ليكي (Mary & Louis Leakey) بأول حفريات أثرية علمية حديثة لثقافة الأشولي في موقع أولورجيسايلي (Olorgesailie) خلال الأعوام 1947–1943، وتلت ذلك أبحاث أخرى في مواقع مثل وادي أولدوفاي (Olduvai Gorge)، وشلالات كالامبو (Kalambo Falls)، وبنينج [1](Peninj) .

وتعود بدايات الحضارة الأشولية إلى 1.76 مليون سنة في موقع ستاركوفونتان في جنوبي إفريقيا، وموقع كوكيسيلي 4 Kokiselei في غرب توركانا بكينيا، وكونسو-غاردولا Konso'Gardula وقونا Gona في إثيوبيا، كما تم العثور على أدوات أشولية في موقع بنينج (Peninj) قرب بحيرة ناترون (Lake Natron) في تنزانيا، ويعود تاريخها إلى فترة تتراوح بين 1.5و1.1 مليون سنة، وبحلول نهاية العصر الجليدي الأوسط، أي حوالي 130ألف سنة مضت، كانت هذه الصناعة منتشرة في غربي آسيا جنوب السلاسل الجبلية، بما في ذلك الهند، أما أول الفؤوس الحجرية (handaxes) التي اكتُشفت خارج إفريقيا، فقد وُجدت في موقع عبيدية (Ubeidiya') في فلسطين، ويعود تاريخها إلى نحو 1.4مليون سنة قبل الحاضر[2].

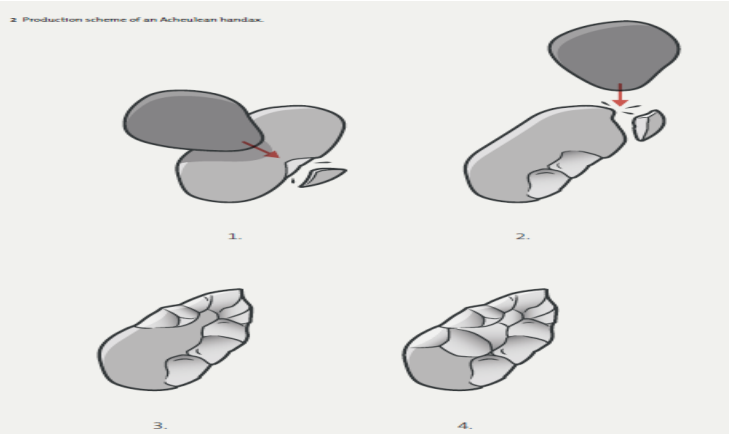
وفي أوربا فأقدم موقع لها هو موقع أبفيل الذي يعود 100 ألف سنة، أما في منطقة شمال إفريقيا فتعود لحوالي نصف مليون سنة، إذ يعد موقع تيغنيف بمدينة معسكر أهم المواقع الأشولية في منطقة شمال إفريقيا، والذي تولى دراسته من قبل بول بالاري سنة 1911، وتم الكشف عن أجوات ذات الوجهين، وعلى أدوات ثلاثة الوجه، كما عثر فيه على بقايا حيوانية هامة تشبه تلك الموجودة في السافانا كالفيلة والكركدن وحمار الوحش[3].

ومما سبق، يعرف الباحث ليكي الصناعة الأشولية بالصناعة التي تحتوي على 40% من أدوات ذات الوجهين، أما الباحثين Issac وLeakey فاتفقا على أنها الفاصل بين الألدواني والأشولي، كما يرجعانها إلى الفترة الألدوانية المتطورة التي تزامن ظهورها مع ظهور الشظايا الكبيرة، خلافا لسابقيه فإن الباحث Clark وآخرون يتشاركون فكرة أن الظهور الشظايا الكبيرة مؤشر لصناعة آشولية[4].

[1] Giemsch (L), op-cit, p 55.
[2] Ibid.

[3] لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 131

[4] معروف لطيفة، دراسة تافونومية للمستوى الأثري السفلي للموقع الآشولي، الرايح، سيدي علي، مستغانم، أطروحة دكتوراه في علم الآثار، تخصص الانسان والمحيط، دراسة أثرية وقياسية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2011-2012، ص 15.



الصوررقم 6: كيفية صنع أداة ذات وجهين (أشولية).

Giemsch (L), op-cit, p 56.

2/ مراحل الحضارة الأشولية: يُقسَّم العصر الأشولي (Acheulean) إلى ثلاث مراحل رئيسية:

1. **المرحلة المبكرة:** من نحو 1.76مليون سنة إلى مليون سنة قبل الحاضر.
2. **المرحلة الوسطى:** من نحو مليون سنة إلى 600 ألف سنة قبل الحاضر.
3. **المرحلة المتأخرة:** من نحو 600 ألف سنة إلى 300 ألف سنة قبل الحاضر.

ففي المرحلة الأخيرة من الحضارة الألدوانية ظهرت أولى الفؤوس الحجرية البدائية (proto-handaxes)، التي بشّرت بالانتقال إلى العصر الأشولي. ويبدو أن هذا الانتقال كان سريعًا، إذ لم يُعثر إلا على عدد قليل جدًا من المواقع الانتقالية بين المرحلتين، كانت العمليات الذهنية المرتبطة بتصميم الأدوات الأشولية وتقنيات صنع الفؤوس اليدوية مختلفة تمامًا عن تلك المستخدمة في الأدوات الألدوانية، في حين أن هذه الأخيرة كانت تُنحت عادةً من حصى صغيرة بحجم قبضة اليد، فإن صانعي الأدوات الأشولية كانوا يفضلون اقتطاع شظايا كبيرة جدًا من صخور ضخمة أو نوى حجرية، ليُعيدوا تشكيلها لاحقًا إلى فؤوس يدوية أو معاول أو قواطع.

وقد أظهرت التجارب أن تقنيات النحت في الأشولي كانت تتطلب قوة بدنية أكبر وتنسيقًا عاليًا ودقة كبيرة، إذ كانت القطعة تُثبَّت على سندان حجري أو خشبي أو توضع ببساطة على الأرض أثناء طرقها، بخلاف الأدوات الألدوانية التي كانت تُمسك باليد مباشرة[1].

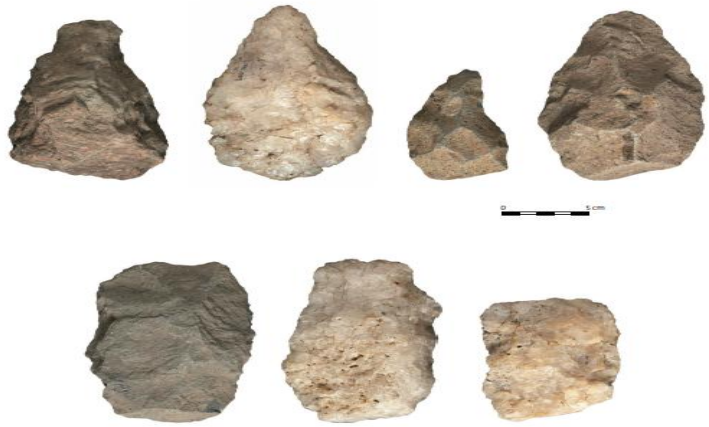
في الأشولي المبكر، كانت الفؤوس تتميز عادةً بـ طرف مستدير سميك وآخر ضيق ومدبب، أما المرحلة الوسطى، فليست محددة بوضوح من الناحيتين الزمنية والتقنية، ولكن الأدوات أصبحت أكثر دقة، وبدأ يظهر اهتمام أكبر بـ التناظر والتوازن في شكل الفؤوس، التي أصبحت بيضاوية أو مثلثة الشكل.

[1] Semaw (S), Rogers (MJ), Stout (D), The Oldowan- Acheulian Transition: is there a 'Developed Oldowan' artifact tradition? In Sourcebook of Paleolithic Transitions: methods, theories, and interpretations (eds M Camps, P Chauhan), pp. 173–193. New York, NY: Springer, 2009, pp



الصورة رقم 7: أدوات أشولية تعود للمرحلة الوسطى .Giemsch (L), op-cit, p 57

أما الأشولي المتأخر، الممتد في إفريقيا بين 600 إلى 300 ألف سنة مضت (أي حتى بداية العصر الحجري الأوسط)، أصبحت الفؤوس أرفع وأكثر تناظرًا، ويُعتقد أن ذلك كان ممكنًا بفضل إدخال تقنية الطرق اللين (soft hammer technique)، وفي هذه التقنية الجديدة، استُبدل المطرقة الحجرية الصلبة بـ مطرقة عضوية مصنوعة من قرن الوعل أو العظام، مما أتاح نحت رقائق أنحف بكثير وصنع أدوات أدق وأكثر إتقانًا[1].



الصورة رقم 8: كيفية أدوات أشولية تعود للمرحلة المتأخرة .Giemsch (L), op-cit, p 58

3/ خصائص الوجه الثقافي الأشولي:

يتميّز الوجه الثقافي الأشولي عن الثقافة الألدوانية بجملة من الخصائص التقنية والصناعية الجديدة، رغم كون الحضارة الأشولية تُعدّ امتدادًا وتطورًا للثقافة الألدوانية. فقد عرفت هذه المرحلة ظهور تقنيات أكثر تطورًا في صناعة الأدوات الحجرية، إلى جانب بداية تقلّص حجم الأدوات مقارنة بنظيراتها الألدوانية. ويُعزى ذلك أساسًا إلى اعتماد الإنسان الأشولي على صناعة الأدوات انطلاقًا من الشظايا بدل الحصى، إضافة إلى اكتسابه تقنيات جديدة مكّنته من تطوير الصناعة الحجرية وتحسين فعاليتها.

وعمومًا، يمكن تلخيص أبرز خصائص الحضارة الأشولية فيما يلي:

[1] Giemsch (L), op-cit, p 56-57.

- ظهور أدوات حجرية جديدة تُعد السمة المميزة لهذه الحضارة، وعلى رأسها الأدوات ذات الوجهين والفؤوس اليدوية الإفريقية.
- معظم الأدوات الحجرية مصنوعة من الشظايا.
- تطور تقنيات الصنع واكتساب الإنسان للقدرة على تخيل الأدوات قبل صنعها وهي التقنية المسماة بالتقنية اللافلوازية "التقصيب".
- من أهم الأدوات المصنوعة خلال الحضارة الآشولية هي: ذات الوجهين، الفؤوس الأفريقية، الشظايا بمختلف أنواعها، المحكات والمكاشط[1].
- اكتشاف النار، الأمر الذي أسهم في إضفاء تغيير على مستوى الحياة الاجتماعية، وكذا تطور في تصنيع الأدوات الحجرية بتعريض المادة الأولية للحرارة ومنه سهولة التعامل معها.

4/ <u>الصناعة الحجرية عند الأشوليين</u>: الصناعة الأشولية تتركب من عناصر عديدة ومختلفة الشكل، الحجم، التقنية، ويمكن إجمال خصائصها الصناعية فيما يلي:

- تُعدّ الفؤوس الإفريقية (Hachereaux) من الأدوات المميزة للحضارة الأشولية، وهي تشبه الأدوات ذات الوجهين، غير أنها تتميز بقاطع عرضي مستقيم بدل النهاية المدببة، وتكون في الغالب أصغر حجمًا وأكثر تخصصًا من حيث الوظيفة .
- أما أداة ذات الوجهين(Biface) ، فتُعتبر من أبرز السمات التقنية للحضارة الأشولية، وقد سُمّيت بهذا الاسم لأنها تُشذّب من الجهتين، وتتكون عادة من وجهين متناظرين نسبيًا، مع طرف مدبب في الجزء البعيد وقاعدة أو عقب في الجزء القريب، إضافة إلى حافتين قاطعتين على الجانبين،وقد اتخذت هذه الأدوات أشكالًا متعددة، من بينها الشكل القلبي واللوزي والمثلثي والمستطيل والدائري، وهو ما يعكس تطور القدرات التقنية لدى الإنسان الأشولي[2] .
- وتُعد التقنية اللفلوازية من أهم الابتكارات التقنية التي ظهرت خلال هذه المرحلة، وقد سُمّيت نسبة إلى موقع لوفالوا بفرنسا، حيث تم التعرف عليها لأول مرة. ويعود ظهورها إلى حوالي 500 ألف سنة، وتقوم على مبدأ التخطيط المسبق لشكل الأداة قبل إنجازها، من خلال إعداد النواة وفق تقنية دقيقة. إذ يعمد الصانع إلى تهيئة سطح طرق على الحصاة، ثم يقوم بتقصيبها بشكل عمودي على هذا السطح، قبل توجيه ضربة نهائية أفقية على الجزء المنتفخ، فتنتج عنها شظية مفضلة تُحوَّل لاحقًا إلى أداة حجرية جاهزة للاستعمال .

[1] كلود براهيمي، المرجع السابق، ص ص 22-23.

[2] De la torre Ignacio, The origins of the Acheulean: past and present perspectives on a major transition in human evolution. Phil. Trans. R. Soc. B, 2016, pp 1-2.

- أما البليطات، فهي أدوات حجرية ذات حواف مستعرضة تتخذ اتجاهًا عموديًا على المحور الطولي للقطعة. ويتم إعدادها عبر نزع عدد من الشظايا من الحصاة وفق اتجاهات تنطلق من المركز، ثم فصل شظية كبيرة تُشكّل البليطة. ويتكوّن الحرف المستعرض نتيجة التقاء السطح العلوي بالسطح السفلي للأداة. ويعتمد إعداد البليطات على تصور مسبق لشكلها النهائي، بحيث تسمح الضربة الأخيرة بالحصول على أداة صالحة للاستعمال مباشرة. وتشير الأدلة الأثرية إلى أن هذه الأدوات الكبيرة استُعملت بفعالية في تقطيع جثث الحيوانات الضخمة، مثل الفيلة ووحيدات القرن، كما استُخدمت أيضًا في الحفر وأعمال الخشب[1].

5/ إنسان الحضارة الأشولية: يُعتبر هومو إرغاستر Homo Ergaster صانع الحضارة الأشولية في إفريقيا، وهو النوع الذي اقترحه الباحث برنارد وود سنة 1991، ويؤرخ وجوده ما بين 1.8 و1 مليون سنة. ويمثل هذا النوع الإنسان الإفريقي المعتدل القامة، وقد عُثر على بقاياه في عدد من المواقع الإفريقية، من أبرزها أولدوفاي بتنزانيا، إضافة إلى موقع ناكاتومي في كينيا، حيث اكتشف ريتشارد ليكي سنة 1971 جمجمة الطفل الشهيرة المعروفة بـ .KNM-ER 992 كما تم العثور على مكتشفات أخرى تعود لهذا النوع في مواقع مالكا كونتوري بإثيوبيا، وندوتو بتنزانيا، وأولورغسايلي بكينيا.

ويرى معظم الباحثين أن الحضارة الأشولية تطورت لاحقًا على يد هومو إيريكتوس، الذي انتشر خاصة في آسيا، حيث أظهر خصائص إقليمية دفعت الباحثين إلى تقسيمه إلى مجموعات فرعية استنادًا إلى السمات المورفولوجية والانتشار الجغرافي. وقد اكتُشف هذا النوع لأول مرة في جاوة بإندونيسيا، ويتميز بسعة دماغية تصل إلى نحو 1050 سنتيمترًا مكعبًا.

أما أتلانتروبيس موريطانيكوس Atlantropus mauritanicus ، المعروف أيضًا بإنسان الأطلس، فقد عُثر على بقاياه في موقع تيغنيف، المعروف سابقًا باسم باليكاو، بولاية معسكر، ويؤرخ بحوالي 600 إلى 700 ألف سنة قبل الميلاد. وتتمثل هذه المكتشفات في ثلاثة فكوك سفلية، أحدها شبه كامل، إضافة إلى عدد من الأضراس المنعزلة، وتتميّز جميعها بضخامتها. كما تم العثور على بقايا بشرية أخرى بالمغرب، من بينها جمجمة تفتقر إلى الجبهة في موقع سيدي عبد الرحمان، وقوس جمجمة مع فك علوي في موقع صالي.

6/ مواقع الأشولية في شمال إفريقيا

تعود أقدم شواهد الحضارة الأشولية إلى شرق إفريقيا، وتؤرخ بحوالي مليون ونص سنة وترتبط بالإنسان المعتدل، حيث أن أقدم نماذجه موجودة هناك، ومن أهم مواقعه نجد أولدوفاي بتنزانيا في الطبقتين الثانية والثالثة، وكذلك وموقع مالكا كونتوري بكينيا، أما في المغرب القديم نجد بالمغرب الأقصى عدة مواقع بالقرب من الدار البيضاء، مثل مغارة الدببة بموقع سيدي عبد الرحمان (0,6 مليون سنة) وموقع محجرة توما (1,4 -

[1] Giemsch (L), op-cit, p 60.

1 م/س) وموقع ولاد حميدة (1 م/ س) أين اكتشفت مغارة وحيد القرن التي تحتوي على مستوي أثري للأشولي المتوسط[1].

أما في الجزائر فنجد كل من موقع تغنيف قرب معسكر الذي اكتشف سنة 1872، من قبل أرامبورغ الذي أجرى سلسلة من الحفريات الأثرية سنة 1954، فضلا عن موقع الرايح بنفس المنطقة، وموقع بحيرة كيرار الذي تم الكشف فيه عن فؤوس يدوية مصنوعة من الكوارتز والصوان، إضافة إلى بعض الشظايا الحادة، أما في موقع عين كرمان بسهل الشلف فقد تم الكشف عن بليطات أشولية وفؤوس بيفاسية صغيرة الحجم مصنوعة من الكوارتز الرمادي، كما نجد موقع الماء الأبيض جنوب تبسة، الذي اكتشفه ديبروج Debruge عام 1909م، ويُعدّ هذا الموقع استثناءً، إذ بخلاف معظم المواقع الرسوبية التي لا تعطي سوى عدد محدود من الأدوات، فقد قدّم أكثر من ألف قطعة حجرية ذات جودة عالية، وهي قصيرة، رقيقة، مستقيمة الحواف، ذات نهاية مدببة وقاعدة مستديرة، ولم يُعثر فيه على أدوات من نوع الفؤوس الصغيرة(hachereaux) .

اما موقع شامبلان الذي درسه كل من كستلاني Castellani وجلود Gelaud وبالو Balou فقد عثر فيه على فؤوس يدوية ذات لمسة أشولية، وفي موقع أوزيدان شمال شرقي تلمسان فقد كشف بالاري على أدوات أشولية تعود للمرحلة المتطورة، غالبيتها مصنوعة من الكوارتز، وبحيرة سفيان بنقاوس شمال باتنة[2]، حيث تبيّن وجود عدة مساحات سكنية مرتبطة بينابيع مياه ظاهرة، تختلط فيها العظام مع الفؤوس اليدوية.

ومن أهم المواقع الصحراوية نذكر موقعي وادي تين مات في إن كير ويتضمن حجارة مشذبة إلى جانب حجارة ذات وجهين، وشظايا ذات حجم كبير[3]، وفي موقع أمقيد شمال غربي الهوقار تم الكشف بقايا أشولية تعود للمرحلة المتطورة[4]، وفي الطاسيلي تم الكشف عن أدوات أشولية في موقع تاوريرت تان أفلا قرب إليزي، وموقع إهاران، وفي هذا الأخير عثر على فؤوس يدوية مع بعض الشظايا، فضلا عن موقع أخرى مثل إن أفالاله، أنو أوا ليلوا بعرق أدمر، أدرار إجاله، أواكاروز، تيهوداين (Tihodaïne)[5].

ينسب موقع تيهوداين إلى نهاية المرحلة الأشولية الوسطى، وقد أُشير إليه في الصحراء منذ عام 1864على يد دوفيريه (H. Duveyrier) الذي نقل عن روايات شفهية وجود بقايا ثدييات ضخمة على أطراف جبال الهوقار (Ahaggar)، ولم يُستكمل اكتشاف الموقع فعليًا إلا بعد زمن طويل، في عام 1933، حيث تبيّن أنه أهم موقع في الصحراء الوسطى، وقد جمع م. ريغاس (M. Reygasse) من ذلك المكان كمية كبيرة من الفؤوس اليدوية

[1] محمد سحنوني، المرجع السابق، ص 101.

[2] محمد الصغير غانم، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003، ص ص 24-40.

[3] لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 134.

[4] Pierre Rognon Et Aut., Ahaggar ,In: Enc. Ber., V. 3., Aix-En-Provence, Edisud, 1986, p 31.

[5] لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص ص 135-137.

والأدوات المشابهة للفؤوس الصغيرة (hachereaux)، وكانت مبعثرة في الكثبان الرملية على ضفاف بحيرة قديمة[1].

في منطقة بسكرة، جمع الأب بويطو (R.P. Poyto) خلال عامي 1962-1963 نحو مئة قطعة من منخفض صغير شبه مغطى بالرمال، كما وُجدت أدوات أخرى مبعثرة فوق الهضبة والمنحدرات المحيطة تضم؛ نحو أربعين فأسا صغيرا، بعضها مسطح، أخرى بيضوية الشكل أو قرصية، تُشبه أحيانًا السمك المفلطح وكانت مرتبطة بأدوات ناتجة عن التقنية اللوفلوازية، وصُنعت الغالبية العظمى من هذه الأدوات من صخر الريولايت (rhyolithe)، الذي يوجد عِرق منه على بعد 15 كلم، مما يشير إلى اختيار متعمّد للمادة الخام، إذ على الرغم من توافر الكوارتز في عِرق قريب، فقد استعمل بدرجة محدودة جدا، كما تبيّن أن الفؤوس اليدوية كانت كبيرة الحجم، وقد أظهرت دراسة أجراها أوصديق (O. Oussedik) قبل نحو عشرين عامًا تجانسا قويا على هذه الأدوات، وبالتوازي مع ذلك، قادت ملاحظات توماس (H. Thomas) حول الوفرة الحيوانية في الموقع إلى تصنيفه ضمن الفترة ما قبل الجليدية الأخيرة (فورم)، والتي تُقدّر بين 400,000 و350,000 سنة قبل الحاضر.

أما موقع ورقلة فهو ينتمي للأشولية الوسطى، وبخاصة في موقع عرق الطوارق، حيث صُنعت الفؤوس اليدوية من كتل العقيق الأبيض (calcédoine)، أما في وادي الساورة، الذي يضم العديد من المواقع، فقد ازدهرت التقنية اللوفلوازية (Levallois) هناك، مع ظهور خصائص محلية منحت الأدوات الحجرية في هذه المنطقة طابعًا خاصًا.

في الصحراء الكبرى دائما، ينتشر الأشولي المتأخر على نطاق واسع داخل الكثبان الرملية، وقد لاحظ عدد من الباحثين وجوده بالقرب من مستنقعات قديمة، حيث تُكتشف أحيانًا بعض الأدوات المطمورة فيها، وتيمكن ملاحظة هذه الظاهرة بوجه خاص في عرق آدمر(Admer) ، الذي يضم مواقع مثل: إن أفاللیه، أنو وَا لليوة، أدرار إدجليه، ووَكاروزا، وقد كشفت هذه المواقع مجتمعة عن نحو مئتي قطعة، أغلبها فؤوس يدوية وفؤوس صغيرة.

ويُعدّ أحمد بابا من أوائل من درسوا موقع وكاروزا (Ouakarouza) في جنوب شرق العرق، حيث عثر على أدوات مثل الفؤوس اليدوية، الفؤوس الصغيرة، والنوى (nucléus) والمحكات، وهي متناثرة على الأرض بالقرب من تشكيلات مائية قديمة، وقد صُنعت في الغالب من صخور بركانية محلية، بينما كان استخدام التقنية اللوفلوازية محدودًا جدًا. وفي أطراف منطقة الأطاكور (Atakor)، عُثر على الأشولي النهائي داخل رواسب الأنهار العليا أو ضمن طبقات من الحصى، التي تكونت بعد تلك الرواسب، وفي الطاسيلي نآجر (Tassili n'Ajjer)،

[1] Aumassip (G.). op-cit, p 30.

وخصوصًا في تين هناكتن (Tin Hanakaten)، تبيّن وجود مستويين جيولوجيين ناتجين عن دورتين مناخيتين متتاليتين: يحتوي الأعلى منهما على فؤوس قديمة، والسفلي على فؤوس أحدث[1].

وفي منطقة تيميمون، مكّن موقع زاوية سيدي الحاج بلقاسم على هضبة المقيدم (Méguidem)، الباحث فرحات (N. Ferhat) من دراسة مجموعة صناعية تضم أكثر من مئة فأس يدوية إلى جانب بعض النوى والمحكات ذات النمط اللوفلوازي، وقد أظهرت الفؤوس خصائص مزدوجة: بعضها متطور ذو شكل قلبي، وبعضها الآخر بدائي ذو نهاية مسطحة تشبه الملعقة، وفي وادي الساورة، لاحظ شافيون (J. Chavaillon) أن الأشولي المتأخر يتركز في المناطق التي كانت بحيرات قديمة، وأنه بلغ مرحلة ازدهار كبيرة ، وتظهر بها تقنية التقصيب اللوفلوازي، وأصبحت الفؤوس أكثر تسطّحا، بينما تكثر نسبة الفؤوس الصغيرة (hachereaux)، إلى جانب العديد من الكاشطات .

وفي منطقة فيض تاجنغيت (Feidj de Tachenghit)، أشار شامبو (B. Champault) إلى وجود عدد كبير من الفؤوس اليدوية المصحوبة بفؤوس صغيرة وكاشطات، كثير منها ذات قاعدة رقيقة، وتظهر الخصائص نفسها في عرق جمل (erg Djemel) وبني يخلف (Beni Ikhlef)، في هذه الأخيرة عُثر على أدواتها ضمن الرمال الصفراء التي تملأ المنخفضات القديمة، مما يدل على أن الإنسان عاش في هذه المنطقة خلال مرحلة مناخية جافة[2].

وفي الأخير، تُعَدُّ الحضارة الأشولية (Acheulean) ربما أطولَ التقاليد التكنولوجية عمرًا في تاريخ البشرية، ففي إفريقيا، امتدّت هذه الثقافة من نحو 1.7 مليون سنة إلى 0.3 مليون سنة مضت، وهي تُطابق تقريبًا الفترة التي عاش فيها الإنسان المنتصب Homo erectus أوHomo ergaster في تلك المناطق الإفريقية، وبخلاف التكنولوجيا الألدوانية الأقدم كانت الأدوات الأشولية -وهي في الغالب فؤوس يدوية ومكاشط ومعاول- تُصنع من حجارة ضخمة أو رقائق حجرية كبيرة الحجم، وأصبحت مع مرور الزمن أكثر انتظامًا وتوحيدًا في الشكل والمعايير.

إنَّ الاستمرار الطويل للأشولي لأكثر من 1.4 مليون سنة يُعدّ دليلًا على نجاح هذه التكنولوجيا في مواطن بيئية وارتفاعات ومناخات متنوعة، كما يعكس أيضًا طابعها المحافظ والثابت، إذ تمّ نقل تقاليدها عبر جماعات بشرية متنقلة صغيرة العدد على مدى آلاف الأجيال. ورغم وجود اختلافات بين المراحل المبكرة والمتأخرة من الصناعة الأشولية، يرى عدد من الباحثين أن هناك نوعًا من الجمود أو الركود التقني في تكنولوجيا الأدوات الحجرية الأشولية، وهو ما ميّز أيضًا ثقافة الألدوانية السابقة.

[1] Ibid, p 32.
[2] Ibid, p 33-34.

ومع ذلك، فقد شهد صانعوا هذه الأدوات تغيّرات كبرى من خلال استخدام مواد وتقنيات جديدة مثل الخشب والعظام والنار، وكذلك من خلال تطور طرق استغلال الأراضي وأنماط الحياة مثل حجم الجماعات البشرية وتنظيمها وطبيعة نقل المعرفة والثقافة، وعلى الرغم من أن التطور التقني ظلّ شبه ثابت، فإن التناظر والدقة المعيارية في الأدوات الأشولية شكّلا الأساس الذي مهد لاحقًا لظهور الفكر الرمزي واللغة.

المحاضرة الرابعة: انسان الأطلس الموريطاني وسيدي عبد الرحمان

تشير الدراسات الأثرية إلى أن شمال إفريقيا شكّل موطنًا للحضارات الإنسانية منذ أقدم عصور ما قبل التاريخ، إذ كشفت الأبحاث عن عدد من المواقع الأثرية الرئيسة التي مكّنت من تتبع التطور المورفولوجي والثقافي للإنسان القديم في هذه المنطقة. وعلى الرغم من أن العصور الجليدية التي شهدتها أوروبا خلال العصر البلايستوسين لم تؤثر في شمال إفريقيا إلا بدرجة محدودة، فإن العامل البيئي الأكثر تأثيرًا في تحركات الإنسان والحيوان تمثّل في تشكّل الصحراء الكبرى واتساعها الدوري عبر الزمن.

وقد جعل الثراء الكبير الذي تزخر به المنطقة من حيث المكتشفات الأثرية والأنثروبولوجية شمال إفريقيا مجالًا أساسيًا لفهم المراحل الكبرى التي ارتبطت بظهور الإنسان وتطوره. كما أسفرت الأبحاث الميدانية المتعلقة بفترة ما قبل التاريخ عن اكتشافات مهمة تخص السلالات البشرية التي استوطنت المنطقة، حيث تُعد هذه المكتشفات نماذج مرجعية على الصعيد العالمي لدراسة الأنواع البشرية التي تعود إلى مختلف مراحل وحقب ما قبل التاريخ، بمختلف خصائصها وتنوعاتها السلالية.

أولا/ الانسان المعتدل أو المنتصب Homo erectus: ينتمي كل من انسان الأطلس الموريطاني المكتشف بموقع تيغنيف بالجزائر وانسان سيدي عبد الرحمان بالمغرب إلى سلالة الانسان المعتدل (المنتصب).

1/ اكتشافه: اكتُشف هومو إيريكتوس في عدة مناطق من العالم منذ أواخر القرن التاسع عشر، حيث عُثر على أول نموذج لهذا النوع البشري في إندونيسيا، قبل أن تتوالى الاكتشافات لاحقًا في شرق إفريقيا وجنوبها، وأوروبا، وشرق آسيا، إضافة إلى بلدان المغرب العربي. وقد تم العثور على أول بقايا للإنسان المنتصب (Homo erectus) في جزيرة جاوة قرب قرية ترينيل، وذلك على يد الطبيب الهولندي يوجين دوبوا (Eugène Dubois)، الذي نشر نتائج اكتشافه سنة 1894 وأطلق عليه اسم" بيتيكانثروبوس إريكتوس" (Pithecanthropus erectus).

ومنذ ذلك الحين، توالت الاكتشافات المتعلقة بهذا النوع البشري في مختلف مناطق العالم القديم؛ ففي جاوة وجنوب وشرق إفريقيا عُثر على بقايا أخرى مشابهة للبيتيكانثروبوس، بينما تم في الصين اكتشاف ما عُرف بـ سينانثروبوس، وفي أوروبا كُشف عن بقايا تُنسب إلى أسلاف النياندرتال (Anténéandertaliens) أما في بلدان المغرب العربي، فقد تزايد الاهتمام بهذا النوع خاصة بعد اكتشاف أتلانتروبيس موريطانيكوس (Atlanthropus mauritanicus) ، المعروف أيضًا باسم الإنسان الأطلسي الموريطاني أو الأتلانثروب، ورغم ما يظهره الإنسان المنتصب من تجانس عام في خصائصه الفيزيولوجية، فإنه يحمل في الوقت نفسه بعض السمات ذات الطابع الجغرافي والإقليمي، وهو ما يفسّره الباحثون بتأثير العوامل البيئية والتغيرات الجغرافية على تطور هذا النوع البشري وانتشاره.

2/ أنواعه (أصنافه): صنف المختصون هذا الانسان إلى عدد من تحت الأنواع، كل تحت نوع يرجع إلى منطقة جغرافية كبرى، وفيما يخص شمال إفريقيا نجد كل من؛

2-1/ إنسان الأطلس الموريطاني Atlanthropus Mauritanicus

يُعدّ أتلانتروبيس موريطانيكوس، المعروف بإنسان الأطلس، أحد أنواع الإنسان المعتدل الخاصة ببلدان المغرب العربي. وقد ارتبطت أولى اكتشافاته بموقع تيغنيف بولاية معسكر منذ أواخر القرن التاسع عشر، حيث بدأت أعمال التنقيب بالموقع سنة 1872م. ويتمثل الموقع في هضبة رملية بيضاء اللون تضم عددًا من الأضرحة المحاطة بمجموعة من المقابر[1].

وقد أدرك مالك الأرض، بالافوان (Balavoine)، منذ البداية أهمية هذا الاكتشاف، ليلتحق به لاحقًا عدد من العلماء، من بينهم توماسيني (Tommasini) بوميل (Pomel) وبالاري Pallary، الذي أجرى حفريات بالموقع سنة 1886م، وكشف عن نتائجها خلال مؤتمر عُقد سنة 1888م. غير أن الفضل الأكبر في دراسة الموقع يعود إلى الباحث كامي أرامبورغ Arambourg ، الذي تولى أعمال التنقيب ابتداءً من سنة 1931، ثم أشرف على حفريات أخرى ما بين 1954 و1956، أسفرت عن اكتشافات مهمة.

وقد تمثلت هذه المكتشفات في العثور على أكثر من ألف قطعة أثرية، أغلبها أدوات حجرية من الحضارة الأشولية، من بينها الفؤوس اليدوية ذات الوجهين(bifaces) ، والأدوات ثلاثية الوجوه(trièdres) ، وأدوات شبيهة بالفؤوس الصغيرة(hachereaux) ، بالإضافة إلى رقائق حجرية كبيرة من النمط الكلاكتوني. كما تم العثور على كمية كبيرة من البقايا العظمية الحيوانية، إلى جانب بقايا بشرية تعود إلى حوالي 700 ألف سنة، تتمثل أساسًا في فكوك سفلية، أحدها شبه كامل، وعدد من الأضراس المنعزلة[2]، وقد جعلت هذه الاكتشافات من موقع تيغنيف واحدًا من أبرز مواقع ما قبل التاريخ على المستوى العالمي، بالنظر إلى أهميته في دراسة تطور الإنسان القديم بشمال إفريقيا.

تتميّز البقايا العظمية الخاصة بـ أتلانتروبيس موريطانيكوس بضخامتها الواضحة، إذ تتصف الفكوك بارتفاعها وعرضها الكبيرين، مع غياب الذقن، كما تُظهر الأضراس تشابهًا مع أضراس سينانثروبوس، خاصة من خلال النمط المحفور على شكل حرف (Y) في الأخاديد الفاصلة بين نتوءات الأضراس. وتُعد هذه الخصائص من السمات البدائية التي لا تظهر لدى المجموعات البشرية المعاصرة، بما في ذلك النياندرتال.

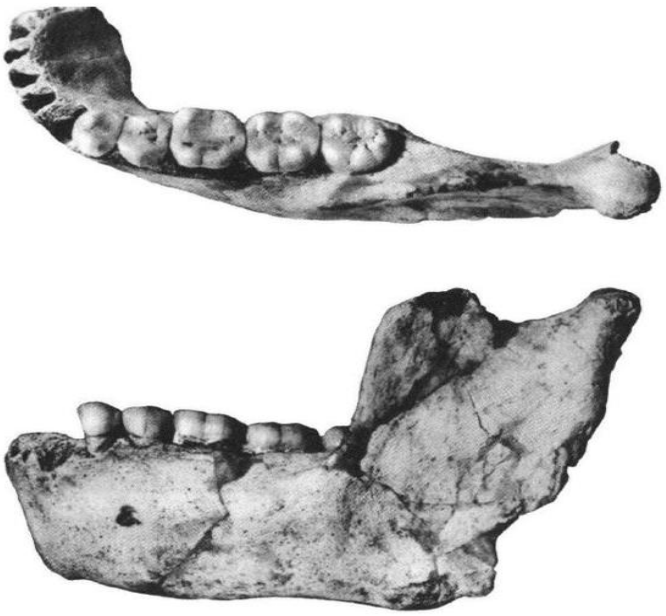
---

[1] ليونال بالو، الجزائر فيما قبل التاريخ، المرجع السابق، ص ص 32-40.

[2] Aumassip (G.). 1. L'Atlanthrope, le plus vieil Algérien connu In : L'Algérie des premiers hommes [en ligne]. Paris : Éditions de la Maison des sciences de l'homme, 2001, p 24. Disponible sur : https://books.openedition.org/editionsmsh/6573?lang=fr.; Arambourg (C.), Le gisement de Ternifine et l'Atlanthropus. In: Bulletin de la Société préhistorique de France, tome 52, n°1-2, 1955, pp 94-95.

كما يتميّز الجزء الأمامي من الفك، المعروف تشريحيًا باسم التحام الارتفاق(Symphyse) ، بانحداره نحو الخلف، الأمر الذي يمنح هذه البقايا مظهرًا بدائيًا وخشنًا. وتُظهر هذه الخصائص تقاربًا مع مواصفات إنسان هايدلبرغ وبيتيكانثروبوس إريكتوس المكتشف في جاوة، وكذلك مكتشفات أولدوفاي بتنزانيا، من حيث الجمجمة المستطيلة والمسطحة، وبروز الحجاج العيني، إضافة إلى الفك السفلي والأسنان الضخمة والعميقة.

ويُعتبر هذا النوع أحد الأسلاف البشرية التي انتشرت في شمال إفريقيا، وقد ارتبط بعدد كبير من الأدوات الحجرية المنتمية إلى الحضارة الأشولية، والتي اكتُشفت في مواقع ساحلية وداخلية متعددة، مما يدل على استعماله لها في مختلف أنشطته اليومية. وتشير المعطيات الأثرية إلى أن انتشار هذا النوع البشري وحضارته شمل معظم مناطق بلاد المغرب[1].



الصورة رقم 9: بقايا انسان الأطلس الموريطاني المكتشفة بموقع تيغنيف.

Arambourg (C.), op-cit, p 95.

2/ **انسان سيدي عبد الرحمان**: تم التعرف على هذا النوع البشري من خلال بقايا عظمية اكتُشفت في موقع صالي، حيث عُثر على جمجمة تتميز بغياب الجبهة، ويُقدَّر حجم الدماغ فيها بحوالي 950 سم[3]. وقد أُرِّخت هذه البقايا بنحو 120 ألف سنة، وهي تتكون من مجموعة غير مكتملة من العظام، شملت حوالي 23 قطعة جمجمة بشرية مرتبطة بشكل غير جيد، إضافة إلى الجزء الأيسر من الفك العلوي، ونابًا معزولًا مرتبطًا ببعض القطع السابقة، وعددًا من الأضراس على الجانب الأيسر، فضلًا عن فك سفلي[2].

[1] محمد سحنوني، المرجع السابق، ص 57.

[2] Vallois (H.V.), 1945. L'homme fossile de Rabat. C. R. Acad. Sci. Paris 221, 1945, pp 669-671.; Ibid, L'Homme de Rabat. Bull. d'Archéologie Marocaine 3, 1958-1959, pp 87-91. ; Saban (R.), Les restes humains de Rabat (Kebibat). Ann. Pal6ontologie 61 (2), 1976, pp 153-207.

ووفقًا للباحث صابان، يُظهر العظم القذالي تباينًا واضحًا بين سطحه الخارجي (exocrânien) الذي يحمل خصائص متقدمة نسبيًا، وسطحه الداخلي (endocrânien) الذي يحتفظ بسمات مورفولوجية بدائية. كما يتميز الفك العلوي والفك السفلي بقوس أسنان طويل نسبيًا مقارنة بالإنسان الحديث، مع انتظام شبه عرضي للقواطع والأنياب، إضافة إلى شكل منحني ومنخفض يذكّر ببعض سمات النياندرتال .أما الأسنان، سواء العلوية أو السفلية، فتبدو قوية وكبيرة الحجم بشكل ملحوظ.

ومن حيث التصنيف، يشير الباحث ديبيناث إلى صعوبة تحديد الانتماء الدقيق لهذا النوع، إذ يجمع بين خصائص تقرّبه من مجموعة بيتيكانثروبوس ومن النياندرتال، كما يُظهر تقاربًا مع بعض الأنواع البشرية الأوروبية التي سبقت ظهور النياندرتال[1].

أدّى استغلال محاجر سيدي عبد الرحمن بمدينة الدار البيضاء إلى اكتشاف بقايا بشرية سنة 1955 من طرف الباحثين بيبرس وكامي أرامبورغ، وذلك ضمن سياق صناعي حجري يعود إلى المرحلة الأشولية القديمة. وتتمثل هذه البقايا في قطعتين من الفك السفلي، تتميز أسنانهما بضخامة واضحة، مع مؤشرات مورفولوجية تُقارب بقايا أتلانتروبيس موريطانيكوس المكتشفة في تيغنيف[2]، وقد أشار أرامبورغ في هذا السياق إلى أن هذه البقايا تنتمي على الأرجح إلى نوع Pithecanthropien، وهي قريبة جدًا من إنسان الأطلس الموريطاني، مع وجود بعض التشابه في الأسنان مع إنسان الرباط رغم اختلاف خصائص الفك، كما تم العثور في أحد المحاجر الرملية القريبة من الرباط على بقايا قوس جمجمة، إضافة إلى جزء من فك علوي وفك سفلي شبه كامل[3].

ويُعد موقع طوما 1 الواقع جنوب الرباط من أهم المواقع التي أسفرت عن اكتشافات بشرية مرتبطة بما يُعرف بإنسان الرباط المعتدل المنتمي إلى سلالة الإنسان المنتصب. فقد تم سنة 1965 الكشف عن بقايا بشرية تعود للإنسان المنتصب القامة[4]، بينما أسفرت الأبحاث بين 1969 و2009 عن استخراج ست بقايا إضافية، تُظهر بعض الاختلافات الطفيفة مقارنة بمكتشفات تيغنيف بالجزائر[5].

وفي سنة 2008، تم الكشف عن فك سفلي أيسر داخل سياق أدوات حجرية أشولية، يعود لطفل يتراوح عمره بين 2 و3 سنوات[6]، ويتميّز هذا النصف من الفك بغياب الذقن وغياب الجزء العلوي من الفرع الصاعد، مع

---

[1] Debénath (A), Le peuplement préhistorique du Maroc : données récentes et problèmes, Anthropologie, 104, 2000, p 133.

[2] Biberson (P.), Le gisement de l'Atlanthrope de Sidi Abderrhaman (Casablanca). Bull. d'Archéologie Marocaine I , 1956, pp 39-91.

[3] كاود براهيمي، تمهيد لما قبل التاريخ في الجزائر، تر: البشير شنيتي، رشيد بوروينة، ص 26.

[4] Ferembach (D), Les hommes du Paléolithique supérieur autour du Bassin méditerranéen, L'Anthropologie, Paris, 90 (3), (1986), pp 579–587

[5] Debénath (A), op-cit, p 133.

[6] Raynal (J-P), et Al., Préhistoire ancienne au Maroc atlantique : Bilan et perspectives régionales, Bulletin d'Archéologie marocaine, Tome 21, 2009, pp. 9-54. ; Ennouchi (E.), Présence d'un enfant néanderthalien au Jebel Irhoud (Maroc). Annales de Paléontologie (Vertébrés), LV, 2, 1969, pp. 251-265. ; Ibid, Un nouvel Archanthropien au Maroc. Annales de Paléontologie des Vertébrés 56, 1970, pp 95-107., Ibid, Nouvelle découverte d'un Archanthropien au Maroc. C. R. Acad. Sc., Paris

طول وقوة بنيوية واضحة رغم انخفاض ارتفاعه النسبي، كما لا يُظهر النتوء الداخلي للفك. أما الأسنان المحفوظة فهي كبيرة الحجم وتُظهر درجة تآكل متوسطة. ويُظهر هذا الفك تشابهًا ملحوظًا مع فك إنسان تيغنيف، ما يعزز فرضية القرب المورفولوجي بين المجموعتين[1].

يرجع وجود هومو إيريكتوس (الإنسان المنتصب Homo erectus) على السواحل المغربية إلى الفترة الممتدة ما بين 400,000 و200,000 سنة قبل الحاضر، حيث يُعتقد أن هذه الجماعات كانت أكثر تطورًا من نظيراتها المكتشفة في تيغنيف، إذ أظهرت ملامح متزايدة القرب من هومو سابينس Homo sapiens، وهي سمات أخذت في الظهور بشكل أوضح مع مرور الزمن. ويمثل هذا النوع شكلًا انتقاليًا بين الإنسان المنتصب النموذجي في تيغنيف وبين الإنسان العاقل البدائي.

فعلى سبيل المثال، تُظهر جمجمة إنسان سلا مزيجًا واضحًا من السمات البدائية والحديثة في آن واحد. ومن بين الخصائص البدائية يمكن الإشارة إلى:

- سعة دماغية محدودة نسبيًا تُقدّر بحوالي 940 سم³، مع اتساع قبة الجمجمة واستمرار بروز الحافة الجبهية (carène frontale) .
- صغر حجم النتوء القذالي (torus occipital) .
- سماكة واضحة في عظام الجمجمة .
- ضيق في محاجر العينين (post-orbitaire). [2]

أما السمات الحديثة فتشمل:

- استقامة وانحناء أكثر وضوحًا للعظم الجبهي، مع تطور في شكل العظم القذالي .
- اتساع واستدارة أكبر في العظام الجدارية مقارنة بجماجم الإنسان المنتصب الآسيوي[3] .

ثانيا/ المميزات العامة لإنسان الأطلس "المعتدل" وأصوله:

تتميّز بقايا هذه الجماعات البشرية بعدد من الخصائص المورفولوجية، من بينها سعة دماغية تتراوح بين 930 و940 سم³، إضافة إلى فكوك كبيرة وقوية، مع نظام أسنان يشبه ما وُجد لدى إنسان الصين القديم، حيث تتسم الأسنان بضخامتها وعمق جذورها، خصوصًا الأضراس، كما تُظهر الجماجم شكلاً مستطيلاً ومفلطحًا نسبيًا، مع بروز واضح في محاجر العينين تحيط به عظام قوية ومتينة.

274, 1972, pp 3088-3090.

[1] Debénath (A), op-cit, p 134.

[2] Aouraghe (H), Histoire du peuplement paléolithique de l'Afrique du Nord et dynamique des interactions entre l'homme et son environnement, Palevol, 5, 2006, pp 240-241.

[3] Hublin (J-J), Recent human evolution in northwestern Africa, Philos. Trans. R. Soc. Lond. B Biol. Sci. 337 (1280) (1992) 185–191.; Ibid, L'émergence des Homo sapiens archaïques : Afrique du Nord-Ouest et Europe occidentale, thèse d'État, université Bordeaux-1, 1991.

وفيما يتعلق بأصل هذه الأنواع البشرية، فقد ظلّ محلّ جدل علمي واسع. إذ طرحت في البداية فرضية تُرجع سكان شمال إفريقيا في تلك الفترة إلى أصول آسيوية، استنادًا إلى بعض أوجه التشابه مع سينانثروبوس، غير أن هذه الفرضية فقدت تدريجيًا قوتها التفسيرية. كما ظهرت فرضية أخرى تقترح أصلًا أوروبيًا، يفترض هجرات قادمة من إسبانيا أو إيطاليا عبر صقلية خلال الفترات الجليدية التي ساعدت على تقليص المسافات البحرية، إلا أنها بدورها لم تحظَ بإجماع علمي.

في المقابل، تعززت فرضية الأصل المحلي للإنسان المنتصب في شمال إفريقيا، خاصة بعد اكتشاف أدوات حجرية محلية أكثر بدائية من تلك المصاحبة لبقايا هومو إيريكتوس، مما يدعم فكرة تطور محلي مستقل لهذه الجماعات البشرية القديمة. ويُرجع الباحثون الاختلافات الفيزيولوجية بين هذه الأنواع إلى تأثيرات التغيرات المناخية والجغرافية عبر الزمن[1].

يقدّم اكتشاف أتلانتروبيس موريطانيكوس إجابة مهمة لطالما سعى إليها الباحثون في مجال عصور ما قبل التاريخ، والمتعلقة بهوية الكائنات التي قامت بصناعة الفؤوس اليدوية. فقد تبيّن أن هذه الكائنات تنتمي إلى مجموعة البيتيكانتروبيين (Pithécanthropiens)، كما أن ارتباطها المباشر بصناعة حجرية مميزة يعزز الطابع الإنساني لهذه الكائنات، وهو ما كان محل نقاش وشكّ لدى بعض الباحثين سابقًا.

كما أن وجود هذا النوع في إفريقيا يجعل من القارة الإفريقية المجال الوحيد الذي يحتفظ، وفق هذا التصور، بكامل السلسلة المتتابعة لمراحل التطور البشري، بدءًا من الأوسترالوبيثيسينيين (Australopithécinés)، مرورًا بالبيتيكانتروبيين (Pithécanthropiens) والنياندرتاليين (Néanderthaliens)، وصولًا إلى الإنسان العاقل هومو سابينس .ويُعدّ هذا التسلسل دليلًا داعمًا للرأي الذي يؤكد، خلافًا لبعض النظريات السائدة في ذلك الوقت، الدور المحوري للقارة الإفريقية في التاريخ التطوري للإنسان ودراسة أصوله[2].

[1] Aumassip (G.). op-cit, p 26.
[2] Arambourg (C.), op-cit, p 95.

المحاضرة الخامسة: حضارات العصر الحجري القديم الأوسط

يبدأ العصر الحجري القديم الأوسط في بلاد المغرب منذ حوالي 250,000 سنة قبل الحاضر، وينتهي في حدود 20,000 سنة قبل الحاضر. ومن الناحية الجغرافية، تمتد المواقع الموستيرية والعاترية ضمن مجال واسع يشمل معظم بلدان شمال إفريقيا وشمال الساحل الإفريقي، حيث تنتشر من سواحل المحيط الأطلسي غربًا إلى الضفة الغربية لوادي النيل شرقًا، ومن مناطق شمال النيجر ومالي جنوبًا إلى الساحل المتوسطي لبلاد المغرب شمالًا، ويعكس هذا الانتشار الواسع تنوعًا كبيرًا في أنماط الاستيطان والبيئات التي استغلها الإنسان خلال هذه الفترة.

وتتوزع هذه المواقع على أشكال مختلفة، تشمل مواقع ساحلية مثل تمارة وبيرار والرأس الأبيض وهوافتيح، ومواقع جبلية مثل تافوغالت ورطايمية وكهف الدببة، إضافة إلى مواقع سهلية مثل واد جبانة وعين مترشم وعين فريطيسة، وكذلك مواقع صحراوية مثل الأزرق وأدرار بوس وتيوريرين وكبانية.

وتُظهر المعطيات الأثرية أن المواقع السطحية تمثل نسبة مهمة من مجموع المواقع، خاصة في المناطق الاستبسية والصحراوية، في حين توجد نسبة معتبرة من الاستيطان داخل الكهوف، والتي تتركز أساسًا في المغرب الأقصى، مثل تمارة وغفاس وتافوغالت وإفري نعمار، إضافة إلى مواقع في الأطلس التلي الجزائري مثل رطايمية وكهف الدببة.

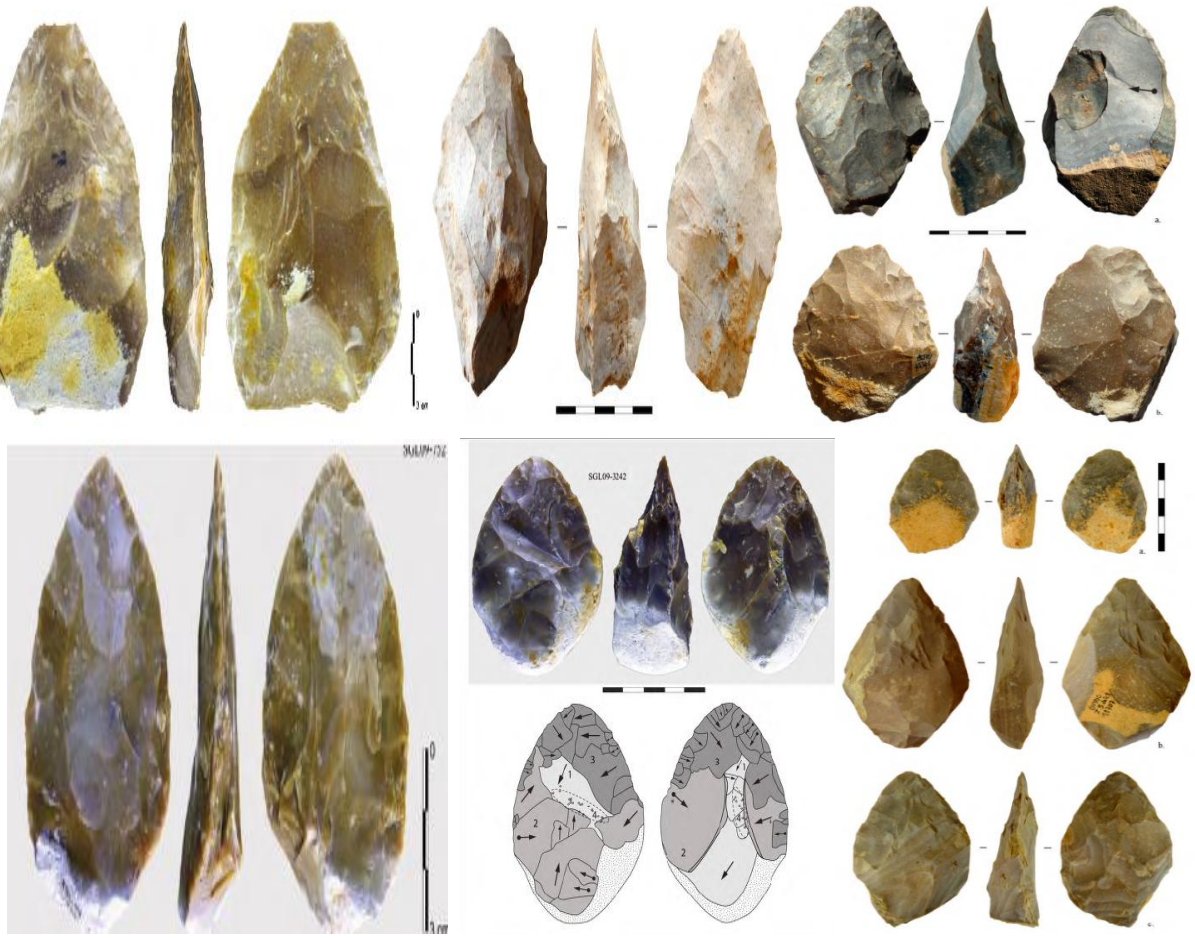
أولا/ الحضارة الموستيرية

1/ تعريفها: هي إحدى حضارات العصر الحجري القديم الأوسط، وتنسب لموقعها النموذجي موستييي Le Moustier بقرية بالدوردون، وهي قرية تقع في جنوب غربي فرنسا، ظهرت في النصف الأول من الحقبة الجليدية الأخيرة، أي ما بين 250000 سنة و 35000 سنة، حيث أطلق الباحث Gabriel Mortillet سنة 1869 هذه التسمية[1]،يعد اول من وضع الأسس الأولى لطريقة دراسة الأدوات الحجرية في عصور ما قبل التاريخ، ففي سنة 1869 اقترح تسلسلا ومنيا يعتمد على تصنيف صناعي، ورفع لكل فترة نوعا محددا من الأدوات إلى مرتبة "الحفرية الدالة Fossile derecteur"، وهو يشير إلى نوع من الحفريات المميزة التي تُمكّن من تحديد طبقات جيولوجية معينة بفضل خصائصها التشخيصية، ومنذ أولى منشوراته، ظهرت لأول مرة تسمية "عصر الموستيير" l'époque du Moustier، الذي يجمع الصناعات الحجرية من نوع سانت أشول (Saint-Acheul)، وهي التي تضم الفؤوس الحجرية (bifaces) والرؤوس المصنوعة من الصوان[2]pointes en silex .

[1] Otte (M), Ulris-Closset (M), Carciumaru (M), Comportements techniques au Moustérien de l Pestera Cioarei, Olténie, Anthropologie et Préhistoire, N° 107, 1996, pp 37-44.

[2] Deschamps (M), La diversité culturelle au paléolithique moyen récent : le vasconien et sa Signification au sein des faciès mousteriens. Thèse de Doctorat, Archéologie et Préhistoire. Université Toulouse le Mirail - Toulouse II, 2014, p 15.

تُعدّ الثقافة الموستيرية من أهم حضارات العصر الحجري القديم الأوسط، حيث تعود بداياتها في أوروبا إلى حوالي 200 ألف سنة قبل الحاضر في بعض المناطق، بينما يُقدَّر انتشارها في نطاق أوسع ما بين 130 ألفًا و110 آلاف سنة، واستمر وجودها إلى حدود 40 ألف سنة قبل الحاضر، مما يجعلها تغطي مجمل فترة العصر الحجري القديم الأوسط. وقد تزامنت نشأتها مع المرحلة المناخية الواقعة بين الفترتين الجليديتين «ريس–فورم» واستمرت خلال الجليدية «فورم». أما في شمال إفريقيا، فقد ظهرت الموستيرية في فترة لاحقة نسبيًا، إذ يُؤرَّخ انتشارها ما بين 80 ألفًا و50 ألف سنة قبل الحاضر، مما يدل على تأخرها مقارنة بنظيرتها الأوروبية[1].



صوررقم 10: أدوات موستيرية من مو اقع فرنسية مختلفة

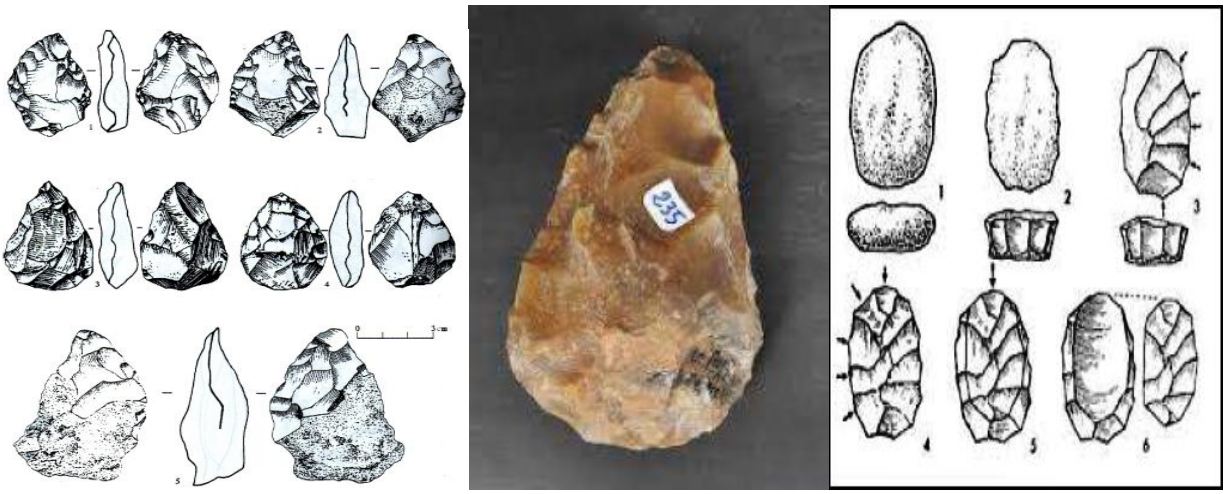
Deschamps (M), La diversité…, op-cit, pp 147-225.

تقوم الثقافة الموستيرية أساسًا على صناعة الأدوات الحجرية المستخرجة من الشظايا، وذلك باستخدام تقنية اللفلوازية، وهي تقنية تتميز بدقة نسبية مقارنة بالصناعات الأشولية السابقة. وعلى الرغم من ذلك، فإن الأدوات ذات الوجهين لم تختفِ بشكل كامل، لكنها تراجعت تدريجيًا أمام انتشار الصناعة الشظوية التي أصبحت أكثر حضورًا، وتشمل رؤوس السهام، والمكاشط، والمحكات، والمسننات، والنصال، إضافة إلى ظهور بعض الأدوات العظمية.

[1] لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 139.

ومع بداية هذه المرحلة، وخاصة ابتداءً من حوالي 130 ألف سنة قبل الحاضر، تراجعت الأدوات الحجرية ذات الوجهين بشكل واضح، لتحل محلها الشظايا المشذبة وغير المشذبة، في سياق مرتبط ببداية المرحلة ما بين الجليدية «فورم» ضمن العصر الجليدي الأوسط، وقد شهدت هذه الفترة أيضًا تطورًا مهمًا على المستوى البشري، حيث ظهر النياندرتال، الذي يُعد من أهم المجموعات البشرية المرتبطة بهذه المرحلة، ويُنظر إليه في بعض الدراسات باعتباره من الأسلاف البعيدين للإنسان الحديث.

أما في شمال إفريقيا، فلا تزال معالم هذه المرحلة أقل وضوحًا من الناحية الأثرية مقارنة بأوروبا، رغم حضورها عبر أدوات شظوية بشكل أساسي[1]، ويشير الباحث "مارسيل أوتي M. Otte" إلى أن أبرز ما يميز الأدوات الموستيرية هو بساطتها النسبية من حيث الشكل، مع نهايات طوبولوجية قليلة ومستقيمة وغير محددة بدقة، ما يعكس طابعًا وظيفيًا يهدف إلى تسهيل الاستعمال، حيث غالبًا ما تكون الحواف قاسية، كما تظهر الأدوات المركبة بشكل واضح ضمن هذه الصناعة"[2].



صوررقم 11: صناعة موستيرية من مو اقع جز ائرية

2/ مراحلها: لقد أنتج انسان نياندرتال عدة أشكال من الأدوات الحجرية، وتنوعت تلك الصناعات حسب مراحلها الزمنية، وعلى هذا الأساس صنف العلماء الحضارة الموستيرية إلى أنماط مختلفة تقوم على خصائص ثقافية محضة ومع اعتماد نموذج كرونولوجي مع توظيف الجانب المرفو-تكنولوجي للصناعة الحجرية والجانب الستراتيغرافي، ففي سنة 1920 اقترح دوني بيروني D. Peyrony التمييز بين ما سماه "الموستيري من التقليد الأشولي MTA عن باقي الأنماط الموستيرية الكلاسيكية التي يغلب عليها وجود المكاشط والرؤوس المدببة[3]،

[1] Nick Drake (A) et aut., Ancient watercourses and biogeography of the Sahara explain the peopling of the desert, PNAS, 11, vol. 108, n° 2, 2011, p 457-459.
[2] Marcel Otte, La Préhistoire, 3 éd, de poch université ,2005, p 60.
[3] Peyrony (D), Le Moustérien - ses faciès. Association Française pour l'avancement des Sciences, 44° session, Strasbourg, 1920, pp 1-2.

ولاحقا قسم كل من بوردس .Bordes F وبورقون Bourgon الموستيرية إلى خمسة مراحل بعد دراستهما لموقع بيروغورد Périgord وحوض السين الفرنسي[1]، وهي:

2-1/ الموستيري ذو الثقافة الأشولية: يتميز هذا النمط باستمرار حضور الفؤوس اليدوية، خاصة ذات الشكل القلبي، إلى جانب ارتفاع نسب الفؤوس والمحكات والنصال والشفرات. ومع تطوره، يُلاحظ تراجع تدريجي في نسب الفؤوس والمكاشط لصالح أدوات أخرى أكثر تنوعًا[2].

2-2/ الموستيري النموذجي: يُعرف بندرة أو غياب الفؤوس اليدوية والقطع ذات الظهر، ويعتمد أساسًا على تقنية اللفلوازية أو تقنيات مشابهة. وتُعد الأدوات الكلاسيكية مثل الحراب والمقاحف من أبرز مكوناته، مع تغيّر ملحوظ في نسب المكاشط.[3]

2-3/ الموستيري المسنن: يتسم هذا النمط بغياب أو ندرة معظم أنواع الأدوات، باستثناء المسننات التي تشكل العنصر الغالب فيه.

2-4/ الموستيري ذو النمط كينا: سُمّي بهذا الاسم نسبة إلى موقع كينا في الجنوب الغربي لفرنسا، حيث اكتُشف لأول مرة بجوار بقايا النياندرتال، يتميز هذا النمط بغياب تقنية التقصيب اللفلوازي، وبشظايا قصيرة وسميكة، مع ندرة النصال. كما يبرز فيه ارتفاع نسبة المكاشط ذات الأطراف المنحنية والسميكة، وغياب الفؤوس اليدوية، مع قلة المسننات.

2-5/ الموستيري ذو النمط فراسي: يعود اسمه إلى موقع فراسي جنوب غرب فرنسا، ويشبه إلى حد كبير نمط كينا من حيث التركيب الصناعي، مع اختلاف يتمثل في اعتماد تقصيب لفلوازي أكثر وضوحًا. ويتميز بارتفاع نسبة المكاشط، وغياب الفؤوس اليدوية، مع ندرة المسننات.[4]

يشير عدد من الباحثين إلى أن الثقافة الموستيرية لم تكن موحدة، بل ظهرت لها مراحل ثانوية أو أشكال محلية مختلفة بحسب المناطق التي انتشرت فيها. ففي شمال إفريقيا، يُطلق عليها أحيانًا اسم "اللوفلوازية"، وذلك لتقاربها مع الصناعة المرتبطة بموقع لافلوا في فرنسا خلال العصر الحجري القديم الأوسط. كما أن الطابع العام للموستيرية في شمال إفريقيا يُظهر تشابهًا مع النمط الفراسي، ما يعكس تقاربًا تكنولوجيًا بين هذه المظاهر الصناعية.

---

[1] Borde (F.), Bourgon (M.), Le complexe moustérien : Moustériens, Levalloisien et Tayacien. *L'Anthropologie,* 55, 1951, p. 1-23.

[2] Marie Soressi. Le Moustérien de tradition acheuléenne du sud-ouest de la France. Discussion sur la signification du faciès à partir de l'étude comparée de quatre sites : Pech-de-l'Azé I, Le Moustier, La Rochette et la Grotte XVI. Sciences de l'Homme et Société. Université Bordeaux I, 2002.

[3] فرنسيس أور، حضارات العصر الحجري القديم، ص 106.

[4] محمد سحنوني، المرجع السابق، ص ص 104-105.

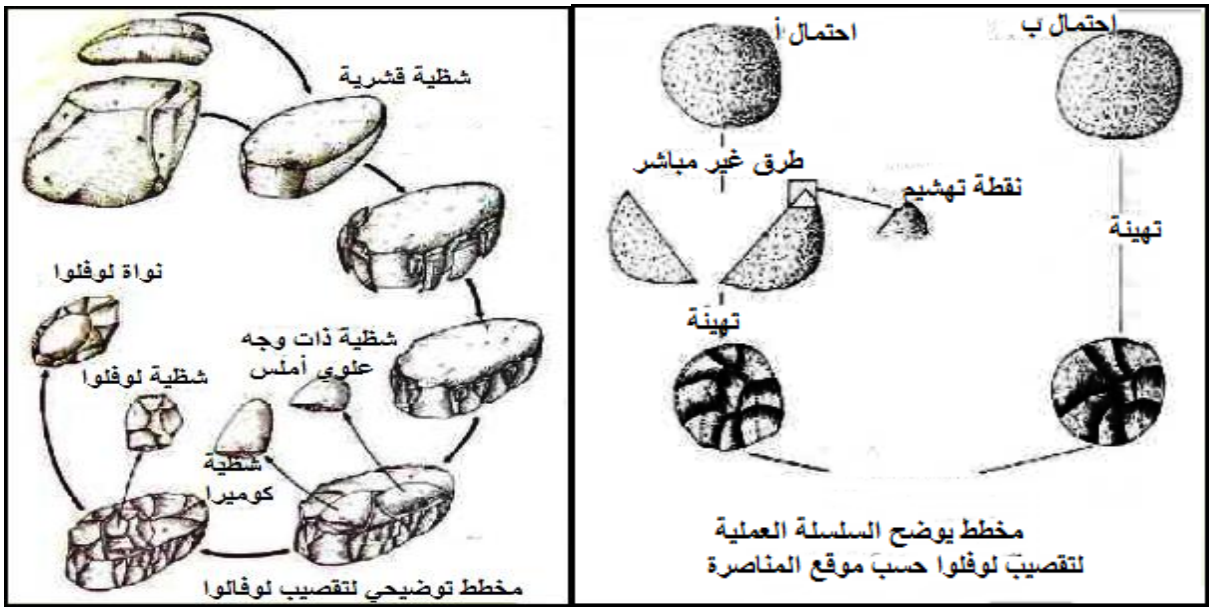
وفي المقابل، يرى بعض الباحثين أن هذه الصناعة لا تشكل ثقافة مستقلة تمامًا في بلاد المغرب، معتبرين أنها لا تختلف بشكل واضح عن الثقافة العاترية .غير أن دراسات لاحقة أثبتت وجود تمايز فعلي، سواء على مستوى الأدوات الحجرية أو على المستوى الأنثروبولوجي، مما يؤكد استقلالية نسبية لكل منهما.

وقد كان للباحث أستورج دور مهم في توضيح هذا التمييز، من خلال اكتشافه لموقع بريزينة في منطقة الأطلس الصحراوي. ويضم هذا الموقع مستويين أثريين يفصل بينهما شريط من الرمال الخشنة والحصى؛ حيث يحتوي المستوى السفلي على صناعة شظوية خشنة بتقنية لفلوازية مع وجود حجارة مشذبة، بينما يتميز المستوى العلوي بصناعة تنتمي إلى الثقافة العاترية.[1]

3/ <u>خصائص الحضارة الموستيرية</u>: تتميز الموستيرية بمجموعة من الخصائص بالرغم من كونها تطور للحضارة الآشولية، إلا أنها شهدت ازدهارا في جميع الأصعدة وبالأخص في الجانب العقائدي الديني.

<u>3-1/ الخصائص الصناعية الموستيرية</u>:

- شهدت التقنية اللوفلوازية أوج تطورها وتوسع نطاق استعمالها.
- توسع انتاج الأدوات الحجرية انطلاقا من الشظايا بدل الحصى.
- بداية ظهور التقصيب الشفيري، أي اتجاه الانسان إلى استخراج شظايا متطاولة.
- بداية مرحلة تثبيت الأدوات الحجرية على قطع خشبية بدليل اكتشاف بعض المواد الشبيه بالصمغ على الأدوات الحجرية.
- ظهور الصناعة العظمية الحقيقية.
- تتضمن أدواتها شظايا كبيرة تشبه النصال الكبيرة، إلى جانب أدوات خشنة لكنها لا تصل إلى حجم الأشولية.



صوررقم 12: مخطط يوضح السلسلة العملية لتقصيب لوفلوا حسب موقع المناصرة بالجزائر.

[1] لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص ص 141-142.

2-3/ نمط المعيشة للحضارة الموستيرية:

لا يختلف نمط المعيشة عند الإنسان الموستيري عن مثيله الأشولي باستثناء بعض الأمور، حيث خلال الحضارة الموستيرية اعتاد العيش في المناطق الأكثر قسوة من الناحية المناخية "الجليديات" بفضل قدرته على التحكم في النار، وبالتالي استيطان المغارات العميقة والعتمة، مع الحفاظ على بناء المستوطنات على شكل أكواخ مصنوعة من الخشب والجلد الحيواني أو من الجلد وعظام الحيوانات، وفيما يخص البيئة التي عاش فيها فقد تميزت بغطاء نباتي متوسطي بوجود أشجار الصنوبر والعرعار، وبوجود بعض الحيوانات التي تتناسب مع هذا المناخ والغطاء النباتي مثل الدببة والآيلات والغزلان والبقر الوحشي ووحيد القرن والجاموس العتيق[1].

أما من ناحية استعمال الأدوات فقد أثبتت الأبحاث أن استعمال الفؤوس اليدوية كان الهدف منه هو استخلاص اللحم لاستهلاكه، وأيضا لاسترجاع الجلد والأوتار وبعض العظام لأغراض مختلفة، فقد استعملت هذه الأدوات الحجرية في عمليات السلخ، نزع اللحم، فصل المفاصل، واقتطاع الأوتار، ويتم تنفيذ ذلك بالضرب المباشر باستخدام فؤوس يدوية إما ممسوكة باليد مباشرة أو مركبة في مقابض خشبية، كما استخدمت بعض الفؤوس اليدوية في العمل على الخشب، سواء في تشكيل مقابض خشبية أو لقطع جذوع صغيرة وألياف الخشب ولحائها، وبالتالي تُظهر هذه التجارب التي قام بها بعض الباحثون أن إنسان ما قبل التاريخ ربما استخدم الفؤوس الحجرية في أنشطة مختلفة من النجارة (كالقطع، الكشط، التشكيل)، وأن طريقة تثبيت الأداة (emmanchement) ونوع الخشب لهما تأثير مباشر على الفعالية والآثار الناتجة عن الاستعمال[2].



[1] عزيز طارق ساحد، الجزائر عبر عصور فيما قبل لتاريخ، شركة الصالة للنشر، الجزائر، ص 159.

[2] Deschamps (M), La diversité…, op-cit, pp 129-139.



صوررقم 13: مجالات استخدام الأدوات الحجرية من نوع الشظايا.

Deschamps (M), La diversité…, op-cit, p 130, 132, 136.

3-3/ الجانب العقائدي للموستيرية

مع المرحلة الموستيرية يبدأ أولى الارهاصات المتعلقة بمفهوم الحياة الثانية أو ظهور بعض المعتقدات اتجاه الحيوانات، وظهور مفهوم الدفن، بدليل العثور على العديد من الأدلة التي تثبت ذلك، كبعض المقابر الفردية والجماعية بالرغم من كونها موجودة ضمن المنطقة السكنية، ففي موقع لاشابيل أوسان La Chaplle-au-Sainte بفرنسا، تم العثور على جثة مدفونة بوضع منقبض داخل حفرة محفورة.

هذا بالإضافة إلى العثور على بعض الأدلة الدالة على القيام بالطقوس الجنائزية، كما هو الحال عليه في موقع شنيدار بالعراق، حيث عثر على قبر به بقايا عظمية إنسانية إلى جانب بقايا حبوب الطلع الخاصة بالأزهار، مما فُسر على أنه دفن مصحوب بتقدمة رمزية، ضف إلى ذلك الأدلة التي تظهر بداية بعض المعتقدات بدليل العثور في موقع تابون Tabun وقافزة Gafeza بفلسطين على قبر به بقايا عظمية إنسانية إلى جانب قرون ظبي، وأدوات حجرية، مواد عضوية، ما يشير إلى طقوس جنائزية رمزية تعبّر عن احترام الموتى.

كما عُثر في مواقع أخرى على أحجار ملوّنة وبلّورات وأصداف مثقوبة لا تُظهر وظيفة عملية مباشرة، مما يدل على وجود حس جمالي وروحي لدى الإنسان الموستيري، وربما استعمال هذه العناصر كرموز أو تمائم ذات دلالة اجتماعية أو سحرية. ويُضاف إلى ذلك استخدام الصباغة الحمراء (المغرة) في بعض السياقات، والتي يُحتمل أن تكون استُعملت لأغراض طقسية أو تزيينية ذات معنى رمزي.

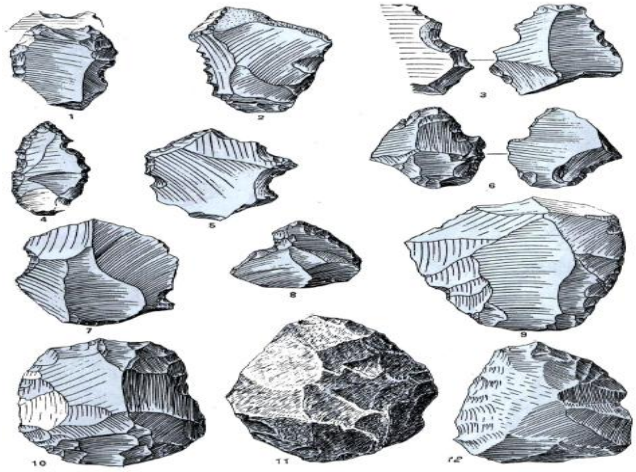
4/- **انتشارها في شمال إفريقيا**

انتشرت الحضارة الموستيرية في مختلف أنحاء العالم لكن بنسب مختلفة، ومنها منطقة شمال إفريقيا، ومن أهم المواقع التي انتشرت فيها هذه الاخيرة نذكر ما يلي:

من أهم المواقع التونسية سيدي الزين قرب مدينة الكاف، وعين محروسة بالقيروان، وعين مثرشم بجبل الشعامبي غرب تونس، ووادي العكاريت على الساحل بقابس[1]، ففي موقع عين مترشم عثر على مسننات مهذبة

[1] محمد سحنوني، المرجع السابق، ص 105.

إلى جانب مسننات ليفالوازية غير مهذبة، كاشطات بسيطة منها المقعرة والمحدبة، وكاشطات ذات الاتجاه الواحد وكاشطات منحرفة، وأخرى بالشكل العرضي، وذات تهذيب منحدر، فضلا عن أزاميل نموذجية، ثمانية مخارز، خنجر واحد، مجرفة صغيرة وقاطع من نوع شوبر، 48 نوية منها 38 نصف اسطوانية و10 ليفالوازية وبيفاسي قلبي الشكل[1].



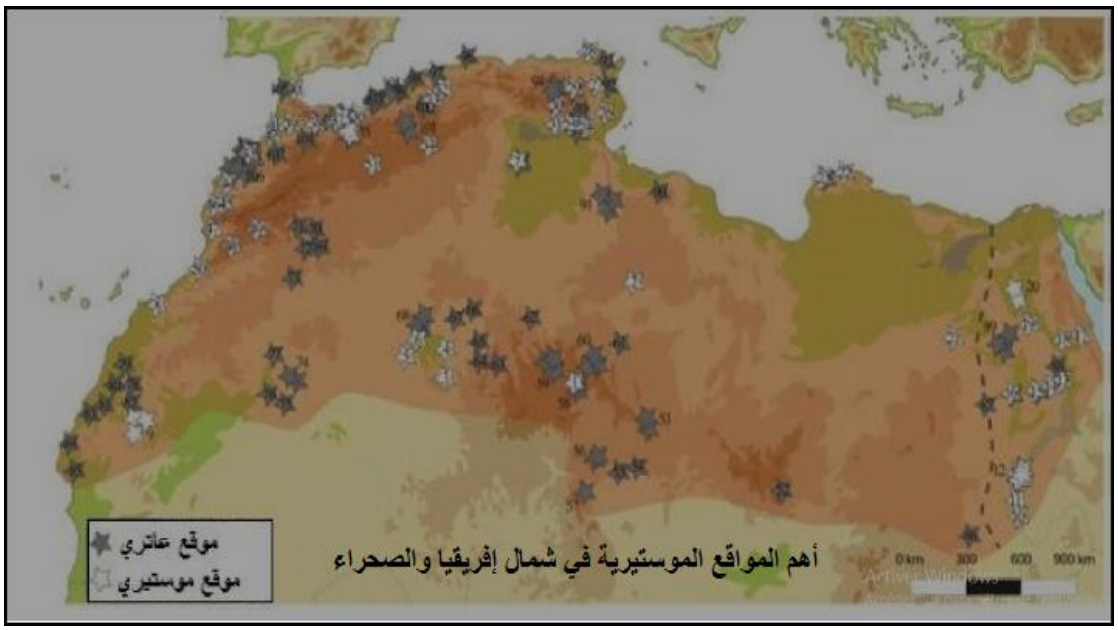
صوررقم 14: صناعة موستيرية من موقع عين مترشم (تونس)

كما نجد موقعي سيدي منصور والقطار بقفصة، وفي هذا الأخير تم الكشف عن أداوت صناعية تنتمي إلى الموستيرية المتطورة، تصاحبها علامات ليفالوازية منوعة، كاشطاتها وفيرة ومسنناتها كلها تقريبا ليفالوازية، هذا وعثر أيضا على ركام حصى مخروطي الشكل يتكون من دوائر صيوانية مشذبة وشظايا عظمية وأسنان، فوقها مسننات طويلة، بالإضافة إلى أكثر من 4000 قطعة من شظايا وأنوية عظمية.

أما أهم المواقع المغربية فنذكر تافوغالت قرب مدينة وجدة، وكيفان بلغوماري بالقرب من تازة، وجبل إرحود جنوب شرقي سافي والمشهور ببقاياه العظمية البشرية، فضلا عن موقع هوافتيح بليبيا الذي تؤرخ فيه الموستيرية بحوالي 80 ألف سنة قبل الحاضر[2].

أما في الجزائر فإن مواقعها نادرة جدا وتتمثل في بريزينة في منطقة الأطلس الصحراوي، وتيبازة ورأس تنس والرثايمية قرب الشلف، ففي موقع الرتايمية نجد أدوات موستيرية خالصة[3]، وهي تشبه مثيلاتها بالقطار، حيث بها علامات ليفالوازية، وليفالوازية نموذجية وشارونتية Charentien[4].

[1] Vaufrey (R), préhistoire de l'Afrique, T1, Ed. Masson, Paris, 1955, pp 110-112.
[2] Camps (G), Tableau chronologique de la Préhistoire récente du Nord de l'Afrique. Deuxième synthèse des datations obtenues par le carbone 14, Bulletin de la Société préhistorique Française, N° 71-1, 1974, pp 161-162, 165.
[3] Dalloni (M.), La station moustérienne de Retaïmia près d'Inkermann (Algérie). Actes 2e Congr, Panaf. de Préhist., Alger (1955), pp. 419-427.
[4] Camps (G), les civilisations…, op-cit, p 25.



خريطة رقم 3: أهم المو اقع الموستيرية والعاترية في شمال إفريقيا والصحراء.

أما أهم مواقعها في الصحراء نذكر موقع إنيكير وإيسلسكين في الهوقار، هذا الأخير اكتشفه هنري لوت سنة 1943 واحتوى على أدوات أشولية بيفاسية وأقراص بجوارها مع العديد من المسننات الموستيرية والكاشطات والشفرات الموستيرية[1]، وموقع منيت، تين هيناكتن وموقع تيورينين بالطاسيلي وموقع، وموقع آخر قرب متليلي بغرداية، وفي تقرت يوجد منجم برز بفعل تعرية الرياح مساحته حوالي 1000م[2] بحيث اتخذت الأدوات المعثور عليها على عمق 2م و3م اللون الأصفر، وصنعت الأدوات من مادة "حجر البيمان Calcédoine"، وبلغ عدد الأدوات المحصل عليها 1022 قطعة، أغلبها بيفاسية ونواة حجرية كروية عليها آثار الطرق بالقادح، إلى جانب 788 قطعة ليفالوازية ذات تهذيبات، و234 بيفاس، كما سجل وجود رؤوس سهام وكاشطات ومحكاة ومخارز وآزاميل وخناجر ومسننات، فضلا عن قطع مهذبة وحصى مشذب، وفي معظمها ذات ملامح ليفالوازية موستيرية قريبة جدا من العاترية[2].

أما في موقع حاسي أوشطاط فقد تم الكشف عن 2000 قطع حجرية أغلبها من الكوارتز، شملت أزاميل ومخارز وخناجر ذات الظهر، ومسننات من الريوليت والكوارتز البني الداكن ومن الصيوان، فضلا عن شظايا وشفرات ليفالوازية مسننة، قطع ذات تهذيبات بيفاسية، قطع مذنبة، وشظايا وشفرات ليفالوازية مذنبة، ويظهر أن النماذج الموستيرية تطورت إلى أشكال مذنبة كخصائص للعاتري، والظاهر أنها هي نفسها تطورت في الصحراء بدون واسطة، إلى أن أصبحت مصنوعات للعصر النيوليتي، كما نجد تشابه بين الأدوات الموستيرية

[1] محمد رشدي جراية، السمات الحضارية للعصر الحجري القديم الأوسط في بلاد المغرب، مجلة البحوث والدراسات، ع 13، 2013، ص 277.

[2] Aumassip (G), Amorsi (F), et Aut., Touggourt Algérie, Un gisement moustérien de tradition acheuléenne dans le Sahara, Libyca, T. 35, C.R.E.P.E. ? Alger, 1998, pp 57-67.

والعاترية، حيث كانت تصنع المكاشط والمخارز من خلال تناول حافة أو اثنتين من الشظية، أما المحك فيصنع بطرقات شبه عمودية تعطيه شكل قوس في نهاية الشظية.[1]

ثانيا/ الحضارة العاترية:

1/ التسمية وتاريخ الأبحاث: يرجع اكتشاف الصناعة ذات العنق لأول مرة للباحث "فريديريك مورو" سنة 1887 الذي عثر على أدوات مذنبة على ضفاف وادي سلجة بالجنوب الغربي لقفصة بتونس، وصنفها كأدوات نيوليتية، وفي موقع بوليغون بالغرب الجزائري تعرف "كاريير Carière" في سنة 1886 على أدوات مدببة، ومحكات ونصال مقصبة من جهة واحدة، ومهذبة على الجوانب والبعض منها تحتوي على عنق، ولكنه اعتبرها بأنها موستيرية محضة[2].

صنف بول بلاري سنة 1892 تلك الأدوات المكتشفة في موقع بوليغون بوهران ضمن أدوات العصر الحجري الحديث، وفي سنة 1909 صنف كل الصناعات المشابهة لها ضمن حضارة لاحقة للنيوليتي سماها "النيوليتي البربري Néolithique Berbère"، وفي نفس السنة اكتشف "لاتابي Latapie" بعض الأدوات في منطقة تبسة فأرسلها إلى ديبروج الذي اعتبرها صناعة قائمة بذاتها وتختلف عن تلك الأدوات السهمية النيوليتية، واقترح تسميتها "باللوبيري"[3]، نسبة للمنطقة التي وجدت بها، إلا أنه تراجع على تلك التسمية، وقد اختلف الباحثين على كيفية تسمية هذه الصناعة، إلى غاية سنة 1922 في مؤتمر مونبلييه، وفيها تأكيد تسمية العاترية نسبة لموقعها النموذجي بئر العاتر بالقرب من مدينة تبسة، ويعود الفضل تسميتها للأستاذ موريس ريقاس Maurice Reygasse حيث أجرى أبحاثا أثرية في موقع وادي الجبانة قرب بئر العاتر بتبسة منذ سنة 1918، وذلك لتمييز الصناعات المشتملة على أدوات ذات عنق وفصلها بصفة دائمة عن الصناعات الموستيرية دون عنق[4]، ويعتبر مصطلح العاترية الوحيد الذي لقي قبولا من طرف المجتمع العلمي والذي تواصل استعماله إلى اليوم بالنسبة لهذا الوجه الثقافي.

هذا واهتم الكثير من الباحثين بمواقع أخرى جزائرية تعود للحضارة العاترية، مثل موقع خروبة بساحل مستغانم والذي درس من قبل الباحثان مارشان Marchand وأيمي Aymé سنة 1955م[5]، إذ اعتقدا أنها صناعة متطورة من الصناعة الموستيرية، وفي سنة 1956 قام الباحث دولامونت De Lamenthe بدراسة موقع برار،

---

[1] محمد رشدي جراية، المرجع السابق، ص 279.

[2] Carrière (G), « Quelques stations préhistoriques de la Province d'Oran ». Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie de la Province d'Oran, T. VI, 1886, pp. 136-154.

[3] Doumergue (F), « Contributions au préhistorique de la province d'Oran ». XXVIIe Congrès de l'A.F.A.S., Nantes, 1898, pp.574-583.

[4] Reygass (M), Note au sujet de deux civilisations préhistoriques africaines pour les quelles deux termes nouveaux me paraissent devoir être employés, in: XLVIème session de l'Association française pour l'avancement des Sciences, Montpellier, 1922, pp. 467-472.

[5] Marchand (DH), Aymé (A), « Recherche stratigraphique sur l'atérien». Bulletin de la Société d'Histoire Naturelle de l'Afrique du Nord, T.XXVII, 1935, pp 333-343.

حيث وجد أدوات حجرية من الصيوان[1]، وهذا الموقع كان محل دراسة سابقة من قبل فرقة أمريكية سنة 1949 وفي ضواحي منطقة تيبازة، أين اكتشفت أكثر من 20 أداة ذات عنق بأشكال متعددة وفي أعلى الطبقة وجدت صناعة إيبيرومغربية، في حين تكفل بالو[2] وكامبس بالمواقع الغربية من خروبة وموقع آرزيو.[3]

من بين الدراسات الأثرية حول المواقع الصحراوية نجد أعمال هوجو سنة 1953 في عدة مواقع مثل تيديكلت، أولف، وفي سنة 1956 نشر بوبو نتائج أبحاثه الأثرية الصحراوية، خاصة تلك المواقع الواقعة على الحدود الجزائرية الليبية.

أما خارج الجزائر فقد نشر باولو غرازيوزي بحثا حول العاترية في منطقة فزان بليبيا سنة 1943، وبعد بسنوات نشر الباحث الإيطالي دالوني تقريرا عن الصناعة العاترية في نفس المنطقة أيضا وذلك سنة 1948م، أما عن مصر فقد نشرت الإنجليزية كاتون طومسون سنة 1946 دراسة حول المواقع العاترية خاصة عن تلك الأدوات المكتشفة في الواحات الداخلة والخارجة.

2/ تعريفها: اقترح **تيكسي** أول تعريف للصناعة العاترية حيث قال "إن العاترية وجه موستيري ذو تقصيب لوفالوازي، كثيرا ما يكون نصالي مع نسبة كبيرة من الأعقاب المصفحة ونسبة محكات أعلى مما يميز باقي الأوجه الموستيرية. يتألف جزء من الأدوات من قطع تظهر في طرفها الأبعد عنقا مشذبا على وجهيه في أغلب الأحيان"[4]، ويعرفها بالو: " بأنها موستيرية مضاف إليها عنق"[5]، أما مصطفى نامي فيعرفها بقوله أنها: "مركب تقني ذو تغيرية جهوية واسعة تقتصر طرق التقصيب فيه على التقصيب اللوفالوزي والتقصيب القرصي والتقصيب النصالي والتقصيب الكيفي، كما يتميز بتركيبة تنميطية متنوعة حسب المواقع تضم المعدات المميزة للباليوليتي الأوسط مع وجود عناصر مرتبطة بالباليوليتي الأعلى نظرا للتمكن من التقصيب النصالي. وتعد ظاهرة تعنيق الأدوات ووجود القطع الورقية الوجهينية ظواهر تظهر وتختفي وفقا لظروف نوعية"[6].

أما الإطار الزماني للعاترية، فقد امتدت زمنيا ما بين 45 ألف سنة و20 ألف سنة، في حين يرى كامبس أن بدايتها كان في حدود 40 ألف سنة، ولعلها تزامنت مع العديد من الحضارات الأوربية كحضارة شتال بيرني

[1] Flamand (G. B. M), Laquiére (E), « Nouvelle recherche sur le préhistorique dans le Sahara et dans le haut pays oranais». Revue africaine, T. L, n° 261/262, 1906, pp. 204-241.
[2] Balout (L), Prise de date pour divers gisements situés dans la région du littoral algérien ». Bulletin de la Société Préhistorique Française, T.XLIII, 1946, pp. 282-264.
[3] Camps (G), Gisement atérien en relation stratigraphique directe avec un Strombus bubonius L.K. au Camp Franchet-d'Esperey près d'Arzew ». Bulletin de la Société d'Histoire Naturelle de l'Afrique du Nord, T. XV, 1954, pp. 59-97.
[4] Aumassip (G.), Préhistoire du Sahara et de ses abords, tome 1, Maisonneuve & Larose, Paris, 2004, p 154.
[5] Balout (L), Préhistoire de l'Afrique du Nord, arts et Métiers graphique, Paris, 1965, p 269.
[6] Nami (M.), & Moser (J.), La grotte d'Ifri n'Ammar, Tome 2: le paléolithique moyen, Forschungen zur Archäologie Außereuropäischer Kulturen 9. Wiesbaden: Reichert Verlag, 2010.

Châtelperronien والحضارة الأورغناسية Aurignacien والبيروغوردية، وربما نهايتها تزامنت مع بداية السوليتيرية الأوربية.[1]

3/ مراحل الحضارة العاترية: تنقسم الصناعات العاترية بناء على أدواتها وتقنية صنعها إلى ثلاث مراحل، وهي:

أ- **العاترية القديمة:** وتتميز بصناعتها الشبيهة بالصناعة الموستيرية بل تعتبر امتدادا لها، وذات تقصيب لوفالوازي، ويلاحظ أنه في هذه المرحلة قلة الأدوات ذات العنق، مما جعل الباحث كامبس يعتقد أنها ولدت من رحم الموستيرية[2]، أما نوع الحجارة فهي من الكوارتيزيت والحجارة البركانية والجيرية مع نسب قليلة من الصيوان، ومن المرجح أن الأدوات الموستيرية ضلت موجودة في هذه المرحلة بشكل كبير خاصة الأوتاد المثقوبة والحجارة ذات الوجهين، وهي تتواجد في المواقع الساحلية والمناطق القريبة منها، ومن أهم المواقع التي عثر فيها على هذه الأدوات نذكر موقع الحنك ودار لسلطان وكهف الخنزيرة بالمغرب، وفي الخروبة وبيرار بالجزائر، والرأس الأبيض والمنستير بتونس[3].

ب- **العاترية النموذجية:** تتميز بصناعة ذات تقصيب لوفالوازي بأعقاب متعددة الأوجه ونسبة من الصناعة تحتوي على عنق "ذنب"، ومن أهم أدواتها المحكات وخاصة منها المشكلة على رؤوس النصال، والمكاشط والأدوات ذات الساق المهذبة من الوجهين، ومن أهم مواقعها نذكر موقع وادي الجبانة، وكذلك وادي الجوف والشعاع بالشرق الجزائري، واستمر حضورها إلى غاية العصر الحجري الحديث[4].

ت- **العاترية العليا:** وتتميز أدواتها المهذبة والدقيقة، وتغلب عليها رؤوس السهام المزودة بساق في قاعدتها، وتنتشر في مغارة العالية شمال طنجة وموقع الخنزيرة بالمغرب الأقصى، ومن أهم مواقعها الصحراوية نذكر تيهودين، تين هناكتن، تقرت، جانت، منيت، تاجموت، حاسي الخنق، أسريول، وادي الساورة، كما تواجد في عدة مواقع شمال مالي والنيجر[5].

4/ خصائص الصناعة العاترية

- إن الصناعة العاترية قائمة على أساس التقصيب اللافلوازي، أي أن الانسان العاتري يعتمد في عملية التقصيب على تقنية لوفالوا، شأنه في ذلك شأن الانسان النياندرتالي "الموستيري".
- من أهم الأدوات العاترية نجد المكاشط والمسننات ورؤوس السهام المزودة بساق، فضلا عن سكاكين ومحكات وشظايا على الطريقة اللوفالوازية.

---

[1] لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص ص 145-146.

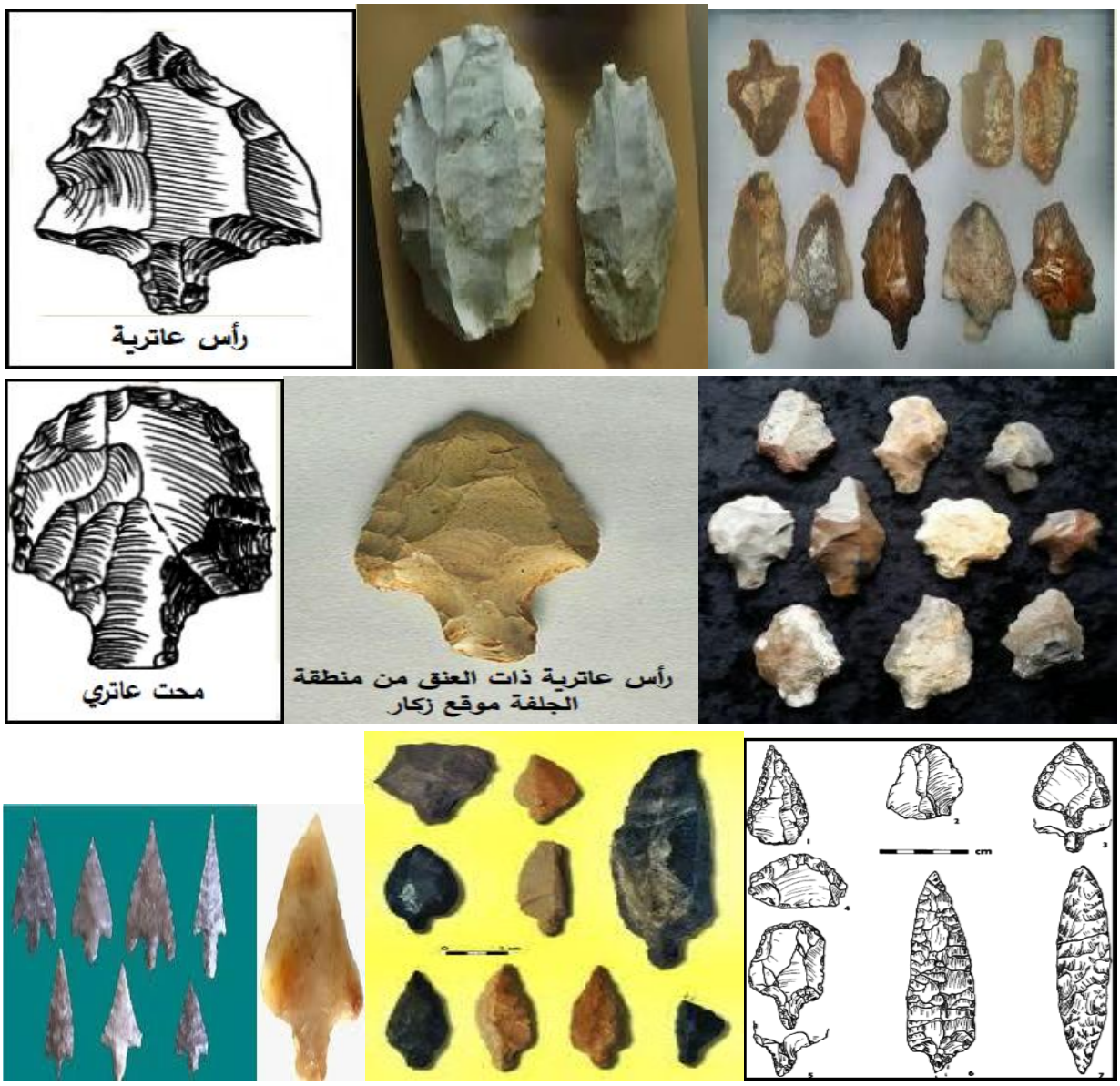
[2] Camps (G), les civilisations…, op-cit, p 30.

[3] محمد الصغير غانم، مواقع وحضارات...، المرجع السابق، ص 62.

[4] Balout (L), op-cit, p 229.

[5] Camps (G), op-cit, p 30. ; Aumassip (G.), op-cit, p 153.

- تعتبر الصناعة العاترية تطور للصناعة الموستيرية، خاصة فيما يخص التقصيب اللافلوازي.
- تتشكل العاترية بما يصطلح عليه العنق، أي في الجزء السميك من الأداة، حيث يتم التقصيب من الجهة البطنية وحده أو من الجهة الظهرية أو من الجهات الأربعة في نفس الوقت.



صوررقم 15: أدوات عاترية من مختلف المو اقع الجز ائرية.

إن ظهور العنق المشكل على الأدوات العاترية يعد أحد سمات التجديد في نمط المعيشة ونقصد بذلك تأثيرات هذا الاكتشاف على حياة الانسان العاتري والمتمثل في؛ ظهور مفهوم الصيد عن بعد، بدليل وجود الرؤوس العاترية التي تشكل في الجزء الأقرب بعنق، هذا الأخير يساعد على تثبيت الأداة على قطعة خشبية، مما يمكن الانسان من الصيد عن بعد ويتجنب المواجهة عن قرب، والتحكم في الأداة اكثر وتمكنه من مسك القطعة بإحكام.

- فيما يخص الصناعة العظمية فهي قليلة بالمواقع المغاربية، كما وظف الانسان العاتري بعض المواد الملونة والقواقع المثقوبة من الرخويات البحرية، ربما استخدمت كحلي للزينة.

5/ التوزيع الجغرافي للحضارة الموستيرية

فيما يخص المكان الأصلي للعاترية واتجاهها، فإن الباحثين قد اختلفوا في ذلك، حيث يرى الباحث بالو أن كل المعطيات تؤكد أصلها المغربي، ولا يستبعد أن تكون قد ظهرت في بداية الأمر في مغارة تافوغالت وبقية المواقع المغربية التي وجدت مختلطة بالأدوات الموستيرية، ثم زحفت بعد ذلك إلى السواحل الجزائرية، أما موقعها النموذجي في منطقة بئر العاتر والمواقع التونسية فقد ظهرت فيها فيما بعد، ثم توجهت بعد ذلك نحو الشرق[1]، في حين ترى طومسون أن العاترية قد نشأت في منطقة آسيا وبالضبط في فلسطين وشبه الجزيرة العربية، ثم هاجرت إلى شمال إفريقيا، على اعتبار وجود أدوات شبيهة بالعاترية[2]، ومن جهته حاول أن يجد التقارب الموجود بين الصناعة الموستيرية ذات التقاليد اللوفلوازية في فلسطين والعاترية في بلاد المغرب القديم، وخلص إلى أن التقارب الأنثروبولوجي الموجود بين انسان نياندرتال الفلسطين وهوافتيح الليبي، مؤشرات تؤكد العلاقات بين جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا، ولا يهم اتجاه العاترية شرقا أو غربا أو العكس[3]، ولتتبع المواقع العاترية في توزيعها الجغرافي لابد أن ننطلق من المغرب الأقصى الذي يمكن أن يكون الموستيريين قد هاجروا إليه من أوربا عبر مضيق جبل طبق لا سيما بعد الزحف الجليدي خلال مرحلة الفورم.

من المواقع المغربية نذكر محطة كهف تافورالت غرب وجدة، التي كشفت لنا عن أدوات موستيرية وعاترية ذات تقصيب لوفلوازي، أهمها قطع مذنبة ومكاشط وبيفاسات صغيرة ونويات، كما نجد موقع دار السلطان والذي احتوى على أدوات العاترية القديمة في الأسفل وأدوات العاترية العليا في الوسط، ثم طبقة فوقية تعود إلى الفترة النيوليتية، أما موقع كهف الخنزيرة فيحتوي على طبقة سفلية تنتمي إلى الباليوليتي الأوسط، وتمثلت مخلفاتها في نويات من الحجم الصغير وشظايا مستطيلة متفاوتة التهذيب، كاشطات، ومسننات مذنبة كثيرة ومتنوعة[4].

أما المواقع الجزائرية فهي كثيرة وتوزعت في كل المناطق تقريبا؛ حيث نجد موقع بيرار الذي نقبت فيه الباحثة ف. إ. روبي وأرخت أدواته بـ 29850 سنة ق.م، وموقع أزريو في الغرب الجزائري الذي نقب فيه كامبس، ومحطة كدية بوغرارة بالقرب من تيارت، الذي اكتشفه الباحث ب. كادنة سنة 1938، ومحطة الخروبة شمال مستغانم، التي اكتشفت ودرست من قبل بول بلاري.

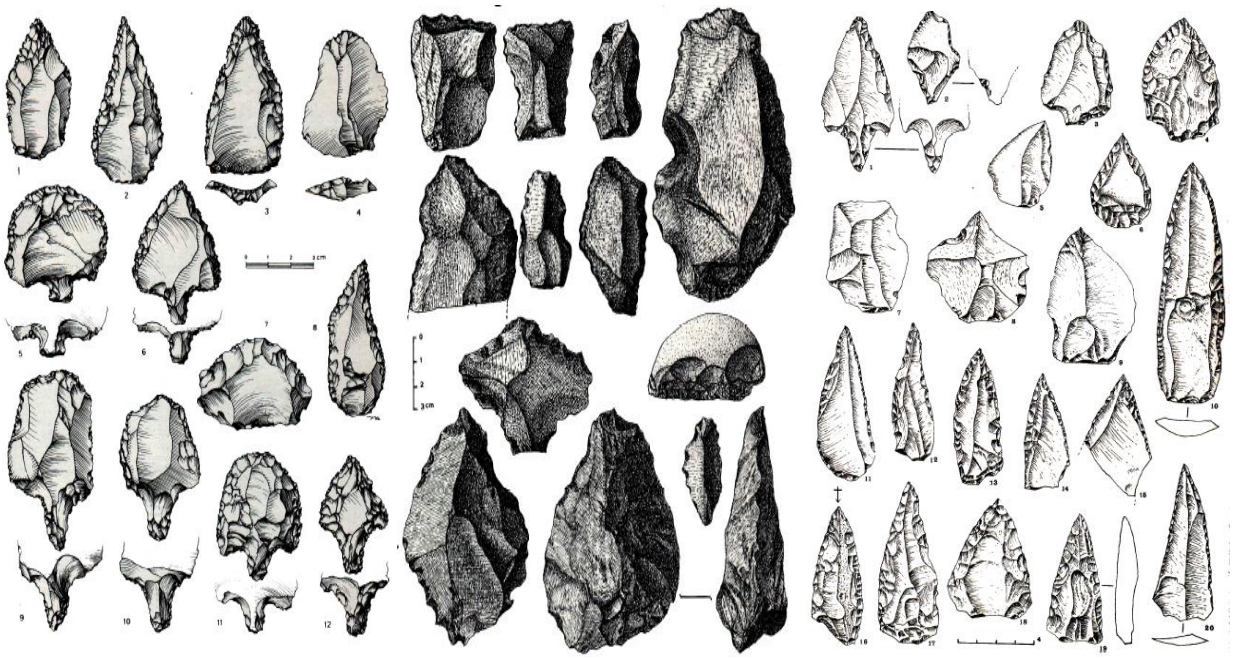
---

[1] Balout (L), op-cit, p 334.

[2] محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 68.

[3] رشيد الناضوري، المغرب الكبير، ج1، الدار القومية للطباعة ولنشر، القاهرة، 1966، ص ص 98-99.

[4] Camps (G), op-cit, pp 30, 34. ; Alimen (H), préhistoire de l'Afrique, éd. N. Boubé et Cie, Paris,1955, pp 62-63.



صوررقم 16: أدوات عاترية من مو اقع المنصورة، آرزيو، بئرالعاتر

وإلى الشرق نجد عدة مواقع بمنطقة القالة، منها محطة الحجر الرملي الديناري غرب ميناء القالة، الرتاب الأحمر لشرم المقصبة الكبيرة، فج العلق جنوب القالة، محطة مشتة لكليبة، حيث تم الكشف عن 38 قطعة مذنبة و20 قطعة ورقية الشكل ذات وجهين، كاشطتان، 9 محكات، 7 مسننات لوفالوازية، 4 شفرات ليفالوازية، 5 شظايا لوفالوازية، شظيتان لا ملمح لها و4 قطع بقي منها الساق والحاشية.[1]

أما محطة وادي جبانة ببئر العاتر فهي تنتمي إلى المرحلة العاترية النموذجية، واعتبرها ريغاس من المواقع التي اكتملت فيها الشروط التقنية اللوفلوازية للشظايا الصيوانية، كما اكتشف محطة عين المنصورة جنوب شرق تبسة، وعثر بها على العديد من الأدوات منها شفرات حادة وبعض المسننات الموستيرية (محكات وكاشظات ومخارز)، وحوالي 81 قطعة لوفالوازية، 1029 قطعة ذات ساق وأدوات أخرى متنوعة ذات ذنب وبيفاسات ورقية الشكل[2].

وفي تونس نجد موقع عين مترشم وأدواتها ذات تقصيب لوفالوازي شبيهة بالموستيرية وبالتالي فهي تنتمي للعاترية القديمة، وموقع سيدي منصور وترجع أدواته إلى العاترية القديمة، إذ يحتوي على أربع سويات؛ تحتوي السفلى على صخور، ثم تليها سوية بها أدوات موستيرية قديمة، ثم سوية بها أدوات موستيرية نموذجية وأخيرا سوية رابعة تحتوي على أداوت عاترية وموستيرية[3].

أما في ليبيا فنجد موقعي الحاج كريم وكهف هوافتيح، وفي هذا الأخير تظهر البقايا العاترية، وقد أرخت بقاياه بما بين 43300 (+ - 1300) و47000 (+- 3200 قبل الحاضر)، حيث عثر به على 117 أداة و17 نواة

---

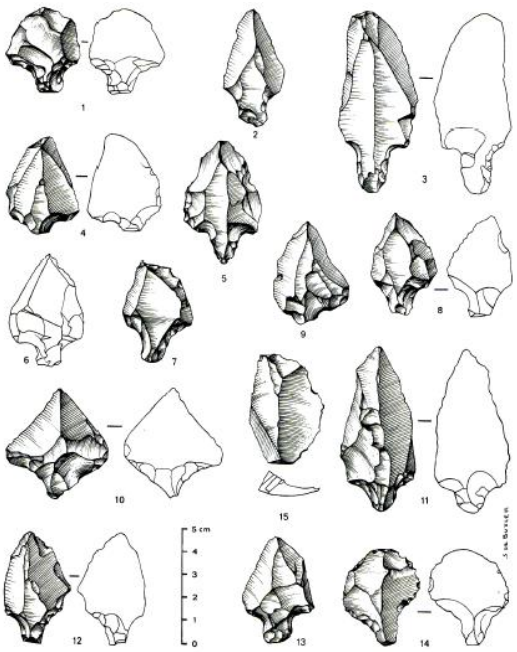
[1] عزالدين مجاني، المرجع السابق، ص ص 290-291.

[2] نفسه.

[3] Alimen (H), op-cit, pp 59-60.

وتتميز معظمها بوجود الساق في قاعدتها، أما مغارة المال بفزان فقد عثر بها على صناعة أشولية، وقطع عاترية كثيرة منها قطع مذنبة، وكاشطات ومسننات بسيطة، فضلا عن محطات باب منكوسة، بئر الكلب، ويراك[1].

فيما يخص المواقع الصحراوية يلخص هيجو في كتابه "الصحراء قبل التصحر" امتداد العاترية في قوله: "عرفت العاترية انتشارا وامتدادا كبيرين، بحيث غطت كامل الصحراء الكبرى تقريبا، فبعد إفريقيا الشمالية نجدها في واحات الخارجة بمصر السفلى، والصحراء الغربية (الاسبانية)، على ضفاف وديان التشاد، في باماكو، وفي موريطانيا، وجدنا بقاياها حيثما حللنا بالصحراء، عثرنا عليها بين الصخور في الهقار، وفي وسط الطمي بالمويدير، كما عثرنا عليها بين أسنان الممشاط rateau في رق تيديكلت وفي المرتفعات آير بالنيجر يوجد موقع احتوى على صناعة عاترية نموذجية".



صورة رقم 17: أدوات عاترية من بئر العاتر.

حيث اتجه العاتريون نحو الطاسيلي والهوقار في فترة مبكرة، أما الصحراء الجنوبية ومنطقة الساحل الحالية فاتجهوا إليها بعد حلول الجفاف في الصحراء في حوالي 20 ألف سنة ق.ح، وفيما يخص الزمن الذي انتقل فيه العاتريون إلى الصحراء فإن هوجو يرى أنهم انتقلوا من الجنوب القسنطيني في حوالي 30 ألف سنة، وخلال العاترية الوسطى كانت الصحراء الوسطى والساورة عامرة، وخلال العاترية النهائية استقرت بحواف البحيرات الجنوبية، حيث وجدت أدواتهم في المستويات السفلى.

وقد كشفت أبحاث كل من هوجو وأرامبورغ وكامبس على عدة مواقع منها تين هناكتن، تيورين، الإيميدر، ومنيت، وفي التيديكلت نجد موقع كبير بوادي أسريول وعرق آدمر وتيهوداين، وفي وادي الساورة تم الكشف عن 3413 أداة منها أنوية ومسننات موستيرية، وقطع وشظايا وأزاميل مخارز، محكات، كاشطات أغلبها عاترية[2].

ويلخص كامبس خصائص العاترية في الصحراء في النقاط التالية:

- في الصحراء الشمالية ووادي الساورة العاترية القديمة جدا مثلما هو الحال ف بقية بلاد المغرب.
- في نفس المناطق صناعات الباليوليتي المتأخر محشورة كرونولوجيا وتناضديا بين العاترية والموستيرية.
- أقدم الآفاق النيوليتية بالصحراء الوسطى لا تحمل أية سمات ولا ملامح تذكر بالعاترية (غياب قطع مذنبة، وندرة في التهذيبات البياسية).

[1] عزالدين مجاني، المرجع السابق، ص ص 293-294.

[2] لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص ص 249-251.؛ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص ص 74-75.

- ندرة صناعة الباليوليتي المتأخر في كل الصحراء، وربما يرجع ذلك إلى وجود فترة جافة تخللت عصر الفورم المتزامن مع العاترية.
- لا يوجد أي دليل يؤكد أن العاترية بقيت موجودة خلال الألفية الثامكنة والسابعة في هذا القسم أو ذاك في الصحراء.

وفي هذا يرى بن بوزيد بأنه بغض النظر عما أصاب الصحراء من جفاف بعد الحضارة العاترية، فإن منطقة الهوقار والطاسيلي ضلت تتمتع بأفضلية مناخية بسبب ارتفاعها موقعها الجغرافي، بالإضافة إلى أن هذه المنطقة كانت تحصل على تأثيرات مناخية قادمة إلها من المناطق الاستوائية، وهو ما يجعلنا نرجح أن أناس الحضارة العاترية ربما صمدوا هناك إلى بداية الهولوسان، وقد شكل وجودهم هناك قاعدة حضارة سمحت بظهور مراطز ثقافية في البلايستوسينالنهائي والهلوسان المبكر[1].

ثالثا/ العلاقة بين الموستيرية والعاترية: قبل الاعتراف بالوجه الثقافي العاتري من قبل موريس ريغاس، كان معظم الباحثون يعتبرون الأدوات الشظوية ذات العنق بأنها مرحلة متطورة عن الموستيرية، وصنف بول بلاري سنة 1892 تلك الأدوات المكتشفة في موقع بوليغون بوهران ضمن أدوات العصر الحجري الحديث، وفي سنة 1909 صنف كل الصناعات المشابهة لها ضمن حضارة لاحقة للنيوليتي سماها "النيوليتي البربري Néolithique Berbère"، وفي سنة 1910 نشر آرثور ديبروغ نتائج أبحاثه في موقع اللوبيرة على الحدود التونسية الجزائرية، والتي تكشف عن أدوات ذات عنق في طبقة ستراتيغرافية أسفل طبقة رمادية قفصية[2]، وصفها ضمن صناعات العصر الحجري القديم، ثم بعض بضع سنوات ينشر ريغاس نتائج أبحاثه بواد جبانة -بئر العاتر- بتبسة، وأكد طابعها الباليوليتي، وأطلق عليها اسم "العاترية"، بحيث فصلها عن الحضارة الموستيرية الغير مشتملة على عنق، وبالتالي برزت من جديد العلاقة بين الحضارتين[3].

ترى النظرة الكلاسيكية أن الثقافة العاترية تمثل طورًا تطوريًا متقدمًا عن الثقافة الموستيرية[4]، وهي خاصة أساسًا بشمال إفريقيا، مما يجعلها أحدث زمنًا، مع احتمال تزامنها جزئيًا مع بعض الأشكال المتطورة من الموستيرية، ووفق هذا التصور، فإن الانتقال من الموستيرية إلى العاترية تم تدريجيًا، عبر تحول في أشكال الأدوات الموستيرية نحو أدوات عاترية، من خلال تطوير تقنية تشذيب خاصة، وتغير تدريجي في البنية

[1] لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 255.

[2] نادية باهرة، الموستيرية والعاترية في شمال إفريقيا، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 6، ع 1، جوان 2020، ص ص 310-311.

[3] Reygasse (M), Observations sur les techniques paléolithiques du Nord-Africain. Recueil des notices et mémoires de la Société Archéologique de Constantine, T. 51, 1917-1918, p280. ; Ibid, Etudes de palethnologie maghrébine. (Nouvelle série). Recueil des notices et mémoires de la Société Archéologique de Constantine, T. 52, 1919-1920, pp 550-557.

[4] Camps (C), Les civilisations préhistoriques d'Afrique du Nord et du Sahara, éd. DOIN, Paris, 1974, p 29.

التنميطية للصناعة الحجرية. ويظهر هذا التحول من خلال انخفاض مؤشر المكاشط، مقابل تزايد أدوات تنتمي إلى تقاليد العصر الحجري القديم الأعلى والمجموعة العاترية.

ومع ذلك، وبالرغم من أن بعض الصناعات الخالية من أدوات العنق قد تعود إلى تواريخ أقدم من الصناعات العاترية، فإن تضاؤل الفارق الزمني بين الموستيرية والعاترية دفع الباحثين إلى إعادة النظر في هذا التفسير، مما أدى إلى ظهور اتجاهات تفسيرية جديدة يمكن تلخيصها في نظريتين أساسيتين حول طبيعة العلاقة بينهما.

النظرة الكلاسيكية: تجمع هذه النظرية كلا من الحضارتين في وجه ثقافي واحد يتميز بالتنوع التكنولوجي والتنميطي، وتنتقد هذه النظرية ما يلاحظ من تصنيف الصناعات ضمن الوجه الثقافي العاتري بمجرد وجود أدوات ذات العنق، وبالتالي يعتبر العاترية وجه ثقافي موستيري اكتسب وطور تقنية جديدة للأنصاب تم استعمالها عند الضرورة وليس بصفة دائمة وشاملة[1].

وقد دعمت هذه النظرة أفكارها بحجج تستند إلى دلائل ستراتيغيرافية وتنميطية وكرونولوجية؛ فمن الناحية السراتيغرافية أي توالي الطبقات، ويتم نسب المستويات الأثرية إلى أحد الوجهين، من خلال وجود أو غياب الأدوات ذات العنق، فقد اتخذ بعض الباحثون من نتائج المحصل عليها في مواقع كل من عين مترشم بتونس وتافوغالت وغافس ومحطة الأرصاد الجوية، هذه المواقع كشفت عن طبقة دنيا ذات صناعة موستيرية، تعلوها طبقة لصناعة ممهدة للعاترية، ثم طبقة أخرى علوية لصناعة عاترية[2].

ومن الجانب الكرونولوجي "التأريخي" فقد أرخت المواقع العاترية باستعمال طريقة الكربون 14، وأعطى أرقام تؤرخها بـ 40 ألف سنة، في حين الصناعة الموستيرية أرخت بما قبل الفورم. أما الحجة الثالثة التي استند إليها أنصار الأصل الموستيري للعاترية فهي المؤشرات التقنية والتنميطية لثماني عشر مجموعة صناعية مأخوذة من الجزائر وتونس والمغرب لتبيان الفروق بينهما، كما اقترحوا مصطلحات تدعم ذلك مثل موستيرية، عاترية، ممهدة للعاترية، وركزوا في ذلك على تغير نسب الأدوات ذات العنق والقطع الوجهينية، بالإضافة إلى نسبة المكاشط ومجموعة أدوات الباليوليتي الأعلى، دون الأخذ بعين الاعتبار المعطيات الستراتيغرافية.

ولتأكيد هذا الطرح دعم أنصار هذا الاتجاه وجهة نظرهم وأبحاثهم بالأدلة الأنثروبولوجية، واقترحوا وجود مجموعتين بشريتين متباينتين خلال الباليوليتي الأوسط، بحيث أنتجت كل واحدة منهما صناعة مختلفة، بحيث نُسِبت الصناعة الموستيرية لأشباه نياندرتال التي تم الكشف عن بقاياه في موقع جبل إيغود بالمغرب

[1] Camps (G), op-cit, pp 32-34.

[2] نادية باهرة، المرجع الأسبق، ص 312.

وموقع هوافتيح بليبيا، في حين البقايا البشرية المرتبطة بالصناعة العاترية قد اكتشفت جلها في ضواحي الرباط -خاصة ما تعلق بجمجمة دار السلطان 2- وصنفت ضمن نوع الانسان العاقل[1].

النظرة الحديثة: تعتبر الموستيرية المغاربية والعاترية وجهين ثقافيين متعاصرين وان كانت بصفة مستقلة عن بعضهما البعض طوال الحجري القديم الأوسط، وبالتالي يكون هذا الأخير في شمال إفريقيا قد عرف مسارين حضاريين متوازيين في نفس الوقت، مسار تحولت فيها الصناعة الموستيرية إلى صناعة عاترية، ومسار بقيت فيها الصناعة الموستيرية دون تجديد تكنولوجي ملحوظ، ويستند كذلك أصحاب هذا الاتجاه إلى مجموعة من الدلائل العلمية الأثرية، منها ما تعلق بالجانب التأريخي، حيث تم استخدام طرق تزمين أخرى غير طريقة الكربون 14، فأظهرت أقدمية المواقع العاترية، وكان أهمها موقع إفرينعمار بالمغرب الذي يعتبر أقدم تأريخ لمستويات بأدوات ذات عنق والمقدرة بـ 145000 سنة ق. ح، وباقي مواقع المغرب وليبيا تتراوح بما بين 60000 و90000 سنة ق. ح، كما قدم مقع سيدي سعيد بالجزائر معطيات أثرية تعارض نظرية وجود مرحلة انتقالية تم من خلالها تحول القاعد الصناعية الموستيرية إلى العاترية. أما من الناحية الستراتيغرافية، فقد أظهرت الدراسات المعاصرة أن مستويات عين مترشم متراصفة، بل ومتقابلة على جانبي أخدود بحيث يصعب تحديد قدم أي طبقة عن الأخرى، والشيء نفسه تم تأكيده في موقع تافوغالت من قبل الباحث الأثري "روحلمان Ruhlmann"، فضلا عن نتائج الأبحاث في كل من موقعي سيدي سعيد وعين القطار وواد بوسمان بتبسة، أكدت تعارض وجود مرحلة انتقالية محددة ووحيدة تحولت فيه الصناعة الموستيرية إلى عاترية.

ومن الجانب الأنثروبولوجي بينت الدراسات الحديثة أن البقايا البشرية المنسوبة لأشباه نياندرتال في شمال لإفريقيا هي في الحقيقة من نوع الانسان العاقل العتيق Homo sapiens archaïque، وتعتبر بقايا جبل إيغود الممثلة لهذا الصنف البشري وأقدمها، بتاريخ يقدر بـ 300 ألف سنة، وبالتالي، فندت المعطيات الحالية اعتبار النياندرتال صانع المجموعات الموستيرية، وانما تؤكد أن صانعي الموستيرية والعاترية تجتمعان في خانة واحدة.

أما من الناحية الصناعية التنميطية، فقد ركزت الدراسات الحديثة على المناهج التكنولوجية والتكنواقتصادية وحتى الوظيفية، وقد ساعدت هذه الدراسات في رسم صورة أوضح عن أنماط التقصيب الموظفة في الثقافتين من لوفالوا وقرصي نصالي وتقصيب من الشظايا[2].

ومما سبق، نلاحظ وجود رأيين مختلفين، الأول يدافع عن فكرة أن الموستيرية والعاترية وجها ثقافيا واحدا يتميز بالتنوع التكنولوجي والتنميطي، ويرفض أصحاب هذا الرأي وجود وجه ثقافي عاتري بمجرد وجود أدوات ذات عنق، وبالتالي فالعاترية وجه ثقافي موستيري اكتسب وطور تقنية جديدة للأنصاب، تم استعمالها عند الضرورة وليس بصفة دائمة ومستمرة. أما الرأي الثاني، فيعتبر أن الموستيرية والعاترية وجهين ثقافيين

[1] نفسه، ص ص 312-314.

[2] نفسه، ص ص 314-318.

متعاصرين ينموان بصفة مستقلة عن بعضهما البعض خلال العصر الحجري القديم الأوسط، بحيث وُجد مسارين حضاريين متوازيين، مسار تحولت فيه الموستيرية إلى صناعة عاترية مثلما نلاحظه في موقع غافس بالمغرب، ومسار بقيت فيه الصناعة الموستيرية دون تجديد تكنولوجي ملحوظ إلى غاية الباليوليتي، وتذهب بعض الدراسات الحالية إلى الاعتماد على مؤشرات أخرى مثل توفر المواد الأولية والأنواع الحيوانية والموارد المائية وعوامل بيئية كتقلبات المناخ وأثرها على المحيط، بالإضافة إلى طبيعة المواقع ووظيفتها ونظام تنقل الجماعات البشرية بينها، كمعايير لتغيرية الأوجه الثقافية للباليوليتي الأوسط، وفي خضم هذا، تقترح مجموعة من لباحثين دمع المركبات الصناعية الموستيرية والعاترية تحت تسمية موحدة وهي "العاتر موستيرية Atero-Mousterian".

المحاضرة السادسة: إنسان جبل أرحود "إيغود" ودار السلطان

تم العثور على مجموعة من البقايا العظمية في شمال إفريقيا تُظهر خصائص بشرية حديثة Homo sapiens morphologiquement modernes، وتعود إلى العصر الحجري القديم الأوسط، أي في الفترة الممتدة تقريبًا بين 100 ألف و25 ألف سنة قبل الحاضر. كما تشير المعطيات الأثرية إلى استمرار وجود الإنسان العاقل البدائي (Homo sapiens archaïque)، خلال هذه المرحلة، إلى جانب أشكال بشرية ذات سمات انتقالية.

وقد صُنِّفت بعض هذه البقايا ضمن ما يُعرف بسلالة النياندرتال، مع احتمال كبير لارتباطها بصُنّاع الحضارتين الموستيرية والعاترية .كما تم العثور على بقايا بشرية في عدة مواقع مغربية وجزائرية، من بينها موقع جبل إيغود، ومغارة العاليا، وتافوغالت، إضافة إلى موقع قرب وادي السعيدة بالجزائر.

وتُظهر هذه البقايا في مجملها خصائص قريبة من الإنسان النياندرتالي، مع تقاطعات واضحة مع الإنسان العاقل، وهو ما دفع بعض الباحثين إلى استخدام تعبير "الإنسان النياندرتالي العاقل" لوصف هذه الأشكال الانتقالية. ومع ذلك، فإن بقايا موقعي جبل إيغود ودار السلطان تبرز بشكل خاص من حيث أهميتها الأنثروبولوجية، لما تقدمه من معطيات مهمة حول تطور الإنسان الحديث في شمال إفريقيا.

أولا/ إنسان جبل أرحود

1/ التعريف به: سُمّي هذا النوع البشري بـ النياندرتال بعد اكتشاف أولى بقاياه في ألمانيا، وقد عاش تقريبًا ما بين 200 ألف و35 ألف سنة قبل الحاضر. ويُنظر إليه عمومًا على أنه أكثر تطورًا من هومو إيريكتوس، كما تُشير بعض الدراسات إلى أن فرنسا تُعد من أهم مناطق استقراره وانتشاره حسب المعطيات الأثرية المعروفة[1].

أما في شمال إفريقيا، فلا تشير المعطيات الحالية إلى العثور على بقايا نياندرتالية واضحة، في حين تم اكتشاف بقايا بشرية أخرى تعود إلى الفترة نفسها تقريبًا، أبرزها ما يُعرف بـ إنسان جبل إيغود، الذي اكتُشف في موقع يقع جنوب شرق مدينة آسفي، وليس قرب الرباط كما يُعتقد أحيانًا. وتُعد هذه الاكتشافات من أهم الأدلة التي تُبرز وجود أشكال بشرية قديمة في المغرب خلال تلك المرحلة الزمنية، مع اختلافها عن النموذج النياندرتالي الأوروبي[2].

[1] Anne-Marie Tillier, Les plus anciens Homo sapiens (sapiens). Perspectives biologique, chronologique et taxinomique. Naissance de la pensée symbolique et du langage. Numéro spécial à l'occasion du XVe Congrès de l'UISPP, Unesco, Paris., Diogène, n°214, 2006, pp.132-146.

[2] Collège de France, Une équipe internationale découvre les plus anciens Homo sapiens à Jebel Irhoud au Maroc, La lettre du Collège de France 42-43, 2016-2017, p 32.



الصورة رقم 18: موقع جبل أرحود بالمغرب

كثير من الباحثين صنفوا انسان جبل أرحود ضمن انسان نياندرتال في البداية ومن بينهم كلود براهيمي، وإلى غاية سنة 1986م كان الكثير من المهتمين بالتطور البشري في المغرب، يذهبون إلى نفس الاعتقاد، منذ اكتشاف "إنسان جبل أرحود" سنة 1962م[1]، وذلك من حيث تجويف الجمجمة الدماغي، فهو أقل صغرا في النوعين، مع وجود حزام فوق الحاجبين وهو أقل ضخامة، والوجه بارز وليس مرتفع، وجبهته أكثر اعتدالا مقارنة بالنياندرتال الأوربي[2].

2/ بقاياه العظمية المكتشفة: تُعدّ البقايا المكتشفة في جبل إيغود من أهم الاكتشافات الأثرية في دراسة أصول الإنسان العاقل، حيث تتمثل في جمجمتين، وجزء من فك سفلي لأفراد بالغين، إضافة إلى فك سفلي وعظم عضد لطفل. ويُقدَّر تاريخ هذه البقايا بما بين 160 ألف و106 آلاف سنة قبل الحاضر، وقد اعتُبرت في بعض الدراسات من أقدم المخلفات المعروفة للإنسان العاقل هومو سابينس، إلى جانب ما وُجد معها من بقايا عظمية حيوانية وأدوات حجرية، في سياق بيئي اتسم بمناخ حار ورطب وغنى طبيعي ملحوظ.

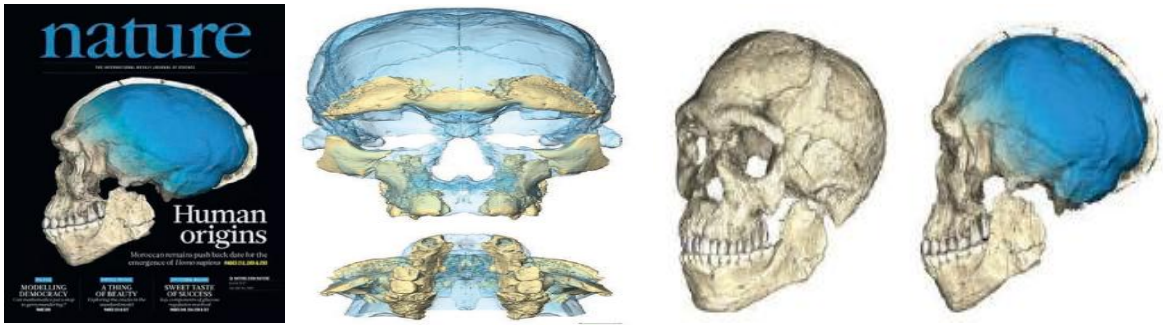
غير أن التحاليل والدراسات التي أُجريت على هذه البقايا، خاصة في متحف التاريخ الطبيعي بباريس، أوضحت أن إنسان جبل إيغود لا يرتبط مباشرة بالنياندرتال النياندرتال، سواء من الناحية الفيزيولوجية أو من حيث التنظيم الاجتماعي، ووفق هذا التصور، فإن هذا الإنسان يجمع بين خصائص بدائية قريبة من هومو إيريكتوس، وسمات حديثة تقترب من الإنسان العاقل، مما يجعله شكلًا وسيطًا بين المرحلتين.

وقد دعم الباحث هوبلان هذا الطرح من خلال دراساته، مشيرًا إلى وجود اختلافات واضحة تنفي أي انتماء مباشر للنياندرتال، حيث تُظهر جماجم جبل إيغود خصائص بدائية تشبه بعض سمات أتلانتروبيس

[1] Ennouchi (E.), Un néanderthalien : l'homme de Jebel Irhoud (Maroc). L'Anthropologie, 66, 3-4, 1962, pp. 279-299. ; Ibid, Sur quelques pièces paléontologiques. Bull, de la Soc. des Se. Nat. et Phys. du Maroc, t. 45, pp. 1-12, 1965. ; Ibid, Essai de datation du gisement du Jebel Irhoud (Maroc). C.R. somm. de la Soc. Géol. de Fr., PP. 405-406, 1966. ; Ibid, Le deuxième crâne de l'homme d'Irhoud. Annales de Paléontologie (Vertébrés), LIV, 1, pp. 117-128, 1968. ; Ibid, Présence d'un enfant néanderthalien au Jebel Irhoud (Maroc). Annales de Paléontologie (Vertébrés), LV, 2, 1969, pp. 251-265.

[2] Hublin (J.-J.) et Tillier (A.-M.), The mousterian juvenile mandible from Irhoud (Morocco) : a phylogenetic interpretation. In Aspects of Human Evolution, C.B. Stringer éd., Taylor and Francis LTD, Londres,1981, pp. 167-185.

موريطانيكوس، إلى جانب سمات متطورة تشبه ما نجده في البشر اللاحقين، مما يعزز فكرة كونه حلقة انتقالية مهمة في تطور الإنسان العاقل.



صوررقم 19: جمجمة انسان جبل أرحود.

يُعدّ الخلاف العلمي حول أصول الإنسان العاقل هومو سابينس أكثر وضوحًا بعد الاكتشافات الحديثة في موقع جبل إيغود، حيث تم العثور في صيف 2017 على بقايا بشرية يُقدَّر عمرها بحوالي 300 ألف سنة. ويُعد هذا التاريخ أقدم بحوالي 100 ألف سنة من أقدم بقايا الإنسان العاقل المكتشفة سابقًا في موقع أومو بإثيوبيا، والتي تُؤرخ بنحو 195 ألف سنة[1].

وتُظهر هذه البقايا سمات قريبة بشكل كبير من الإنسان الحديث، وهو ما دفع العديد من الباحثين إلى إعادة النظر في التسلسل الزمني لنشأة الإنسان العاقل وانتشاره. وقد نُشرت نتائج هذا الاكتشاف في مجلات علمية مرموقة مثل ScienceوNature، ما يعكس أهميته في الأوساط العلمية العالمية.

وفي هذا السياق، يشير الباحث دانيال ريختر إلى أن المواقع الإفريقية المؤرخة بدقة لفترة ظهور الإنسان العاقل نادرة جدًا، مؤكدًا أن موقع جبل إيغود حافظ على عدد كبير من قطع الصوان المحروقة، وهو ما سمح بتطبيق تقنية التألق الحراري (Thermoluminescence) من أجل بناء تسلسل زمني دقيق لكل من البقايا البشرية والطبقات الجيولوجية المرتبطة بها.[2]

3/ **<u>مميزات انسان جبل أرحود:</u>** تُظهر الخصائص التشريحية لجمجمة إنسان جبل إيغود مزيجًا واضحًا من السمات البدائية والحديثة، وهو ما يعكس طابعه الانتقالي في تطور الإنسان العاقل هومو سابينس.

من أبرز هذه الخصائص أنه يتميز بجمجمة قصيرة ومستديرة نسبيًا، مع حجم دماغ يقارب 1500 سم^3، وهو أقل قليلًا من نظيره في بعض العينات الأوروبية. كما تُظهر محاجر العينين حجمًا كبيرًا وشكلًا مستديرًا مع تباعد ملحوظ بينها، في حين يبدو الفك العلوي متقدمًا إلى الأمام.

[1] Hublin (J-J), et Al., New fossils from Jebel Irhoud, Morocco and the pan-African origin of Homo sapiens. Nature, 546 (7657). 2017, pp. 289-292
[2] Collège de France, op-cit, p 33.

ويُلاحظ أيضًا أن الفص الدماغي الخلفي يتميز بالانبساط والاستطالة، مع وجود بروز عظمي سميك يحدد منطقة ارتكاز عضلات القفا. أما الجبهة فتبدو أكثر اعتدالًا مقارنة بجبهة النياندرتال، كما أن الحاجبين لا يشكلان بروزًا عظميًا ضخمًا، في حين تبدو قبة الجمجمة مفلطحة نسبيًا مع تجاويف أقل تطورًا.

وفيما يخص الأسنان، فهي تتسم بالضخامة وببنية عريضة ومنخفضة نسبيًا، مع وجود درجة من تمايز الذقن، ما يعكس مزيجًا بين صفات بدائية وأخرى أقرب إلى الإنسان الحديث، ويؤكد الطابع الانتقالي المهم لهذا النوع في فهم تطور الإنسان في شمال إفريقيا[1].

تكتسي بقايا إنسان جبل إيغود أهمية بالغة في دراسة تطور الإنسان في شمال إفريقيا، إذ يُنظر إليها باعتبارها حلقة أساسية تُكمل التسلسل التطوري من أشكال بشرية أقدم مثل أتلانتروبيس موريطانيكوس وصولًا إلى هومو سابينس .فهو من جهة يُظهر سمات بدائية تقرّبه من إنسان الأطلس، مثل خشونة البنية العظمية، بروز الحاجبين، ضخامة الأسنان، واتساع الوجه وانخفاضه، ومن جهة أخرى يحمل صفات متطورة مثل غياب بروز الفك، وتمايز الذقن، وخصائص مميزة للعظم القذالي والجبهوي.

وبهذا المعنى، يُعد هذا الإنسان عنصرًا أساسيًا في فهم الأساس الأنثروبولوجي لشمال إفريقيا خلال عصور ما قبل التاريخ. وفي هذا السياق، يرى الباحث ج. ل. هايم أن الخصائص المميزة لإنسان جبل إيغود تعكس استقلالية واضحة في التطور البشري داخل هذه المنطقة، مما يرجّح فرضية التطور المحلي بدلًا من افتراض قدومه من أوروبا أو مناطق إفريقية أخرى، مؤكّدًا بذلك فكرة التطور المحلي المستقل.[2]

أما من حيث الصناعة الحجرية المكتشفة في الموقع بالتزامن مع البقايا العظمية، فيشير الباحث شانون ماكفيرون (Shannon McPherron) إلى أن الأدوات الحجرية في جبل إيغود تتشابه إلى حد كبير مع تلك المكتشفة في مواقع ذات نفس العمر في شرق إفريقيا وجنوبها، مرجحًا أن الابتكارات التقنية التي ميّزت العصر الحجري الأوسط ارتبطت بظهور الإنسان العاقل. كما يعتبر أن انتشار هذا النوع البشري عبر إفريقيا قبل نحو 300 ألف سنة كان نتيجة تحولات بيولوجية وسلوكية متزامنة[3].

ثانيا/ انسان دار السلطان 2:

1/ بقاياه المكتشفة: تم الكشف في موقع دار السلطان عن جمجمة غير مكتملة تضم العظم الجبهي ومعظم العظمين الجداريين، إضافة إلى الجزء الأيسر من الوجه، ونصف الفك السفلي الأيسر الذي احتفظ بثلاثة أضراس والضاحك الثاني وجزء من الناب، كما لم يُحفظ من الفك العلوي إلا جزء من الضرس الأول والضرس الثاني الذي يبدو شديد التآكل.

[1] Hublin (J-J), Tillier (A-M), Tixier (J.), L'humérus d'enfant moustérien (Homo 4) du Djebel Irhoud (Maroc) dans son contexte archéologique. In: Bulletins et Mémoires de la Société d'anthropologie de Paris, XIV° Série. Tome 4 fascicule 2, 1987. pp. 115-141.
[2] Ibid, pp 136-127.
[3] Collège de France, op-cit, p 33.

كما تم العثور على فك سفلي آخر يفتقر إلى الفروع الصاعدة، لكنه يحتفظ بالأضراس والأنياب والضاحك الأول والقاطع الجانبي الأيمن، وقد ارتبطت به قطعة من الفك العلوي، وإلى جانب ذلك، وُجدت قبة جمجمة (calvaria)غير مكتملة.[1]

وتعود هذه البقايا إلى فرد بالغ يُقدَّر عمره بحوالي خمسين سنة، يتميز ببنية عظمية قوية وحجم كبير نسبيًا، كما يُلاحظ أن الوجه قصير وعريض، مع بروزات عظمية واضحة المعالم، وهي سمات تُسهم في فهم التنوع البشري القديم في شمال إفريقيا خلال فترات ما قبل التاريخ.

2/ خصائصه التشريحية

تُعدّ البقايا البشرية المكتشفة في موقع دار السلطان (القطعة 2) مرجعًا مهمًا في دراسة خصائص الإنسان العاقل خلال عصور ما قبل التاريخ، وذلك نظرًا لاحتفاظها بعدد كبير من أجزاء الجمجمة، ما يسمح بتحليل دقيق لسماته التشريحية.

تتميز هذه البقايا بجمجمة ضخمة وبنية عظمية خشنة، مع وجه منخفض وعريض يتسم بملامح بارزة. كما تظهر الحواجب على شكل بروزات عظمية عريضة وممتدة، منخفضة نسبيًا، تعلوها أقواس حاجبية قوية وبارزة، لكنها ليست مستقيمة، بل تتخذ انحناءً تدريجيًا يضعف باتجاه المنطقة الجبهية بين الحاجبين. ويبدو الوجه أطول نسبيًا، مع بروز واضح في حافة الأنف والجبهة الواقعة أسفل منتصف محاجر العينين، إضافة إلى تقاطع في بنية الفكوك.

وتتميز محاجر العينين باتساعها وانخفاضها النسبي، مع شكل مستطيل يعلوه قوس حاجبي قوي. كما تُعد زاوية التقاء العظم الوجني مع العظم الفكي العلوي من السمات التشريحية المميزة لهذه الجمجمة، وتُسهم في تمييزها عن جماجم النياندرتال .أما الفتحة الأنفية، فتأخذ شكلًا كمثريًا بحافة سفلية حادة، في حين تبدو صفيحة العظم الصدغي منخفضة وممتدة.

وفيما يتعلق بالفك السفلي، فهو شديد المتانة، ذو جسم سميك ومنخفض نسبيًا عند مستوى الضرس الثالث، مع ازدياد في الارتفاع عند منطقة الناب. ويظهر الثقب الذقني عريضًا وعميقًا، ويتموضع تقريبًا أسفل الضاحك الثاني وفي منتصف ارتفاع جسم الفك. كما يتميز الفرع الصاعد للفك بعرض وارتفاع كبيرين، مع آثار واضحة لارتكاز العضلات، خاصة عضلة الجناحية الداخلية، في حين لا تُظهر زاوية الفك انفتاحًا خارجيًا، بخلاف ما يُلاحظ في بعض المجموعات البشرية اللاحقة، على غرار الانسان الايبرومغربي.

يُظهر دار السلطان سمات بشرية قديمة تتسم بقدر من الخشونة والبدائية مقارنة ببعض المجموعات اللاحقة، حيث يتميز بملامح عظمية قوية ومقاسات عمودية أكبر، إضافة إلى أقواس حاجبية بارزة بشكل

[1] Férembach (D), Les restes humains de la grotte de Dar-es-Soltane II (Maroc), campagne 1975. Bull.s et MEmoires de la SociEtE d'Anthropologie de Paris 3, 1976, pp 183-193.

واضح. كما يتقاسم هذا الإنسان عددًا من الخصائص مع الإنسان المشتوي، مما دفع بعض الباحثين إلى اعتباره حلقة وسيطة تربط بين إنسان إنسان جبل إيغود والإنسان المشتوي الذي ستتم دراسته لاحقًا.

في المقابل، يرى الباحث فِرمباخ (Ferembach) أن هذا النوع يمكن تصنيفه ضمن هومو سابينس Homo sapiens sapiens ، مع اختلافات تقتصر أساسًا على تضخيم بعض السمات الشكلية مثل الأبعاد العرضية للجمجمة وبروز الأقواس الحاجبية. وبذلك، يُظهر هذا الإنسان مظهرًا أكثر بدائية من الناحية الشكلية وأكثر متانة من حيث البنية العامة، وانطلاقًا من هذه الخصائص، لا يستبعد بعض الباحثين اعتباره سلفًا محتملاً للمجموعات الإيبيرو-مغربية، نظرًا لما يجمعه من صفات انتقالية بين الأشكال البشرية القديمة والحديثة في منطقة شمال إفريقيا[1].

بموقع الحرحورة، أسفرت أعمال تنقيب طويلة سنة 1977، تحت إشراف الفرقة الأثرية بالرباط، عن اكتشاف فك سفلي مجزأ يتميز بمتانة واضحة وبنية عظمية قوية، إضافة إلى ارتفاع في حجم الفك ووجود بروز ذقني، بينما تُظهر الأسنان حجمًا كبيرًا نسبيًا[2].

وفي دراسة للباحثة باهرة، تم الكشف أيضًا عن بقايا بشرية تعود إلى العصر الحجري القديم الأوسط في موقع هوافتيح، حيث عُثر على فكّين سفليين يعود أحدهما لفرد بالغ والآخر لمراهق. وتتميز هذه البقايا بسمات مزدوجة تجمع بين الخصائص البدائية والحديثة، على غرار ما وُجد في جبل إيغود، وقد صُنّفت في البداية ضمن مجموعة أشباه النياندرتال، قبل أن يُعاد إدراجها لاحقًا ضمن الإنسان العاقل القديم.

كما تم العثور على بقايا أخرى في منطقة تمارة قرب الرباط، تنتمي إلى نفس المجموعة البشرية، من بينها فك سفلي اكتُشف سنة 1956، ويشبه في خصائصه الفكوك المكتشفة في دار السلطان وكهف الحرحورة .وقد تميز هذا الفك بمتانته، واستقامة الجزء الأمامي، وكبر حجم الأسنان. وقد نسبه الباحث هنري فالويس في البداية إلى إنسان الأطلس الموريطاني أتلانتروبيس موريطانيكوس[3]، بينما صنّفه لاحقًا الباحث ديبيناث ضمن الإنسان العاقل، خاصة بعد اكتشافات سنة 1975 التي قدّمها كل من روش وتيكسير، والتي شملت أجزاء من جمجمة (عظم القذال، والعظام الجدارية، وجزء من الجبهة اليمنى)، والتي يُرجّح أنها تعود إلى الفرد نفسه.

تُعدّ البقايا البشرية المكتشفة في مغارة العالية من أهم الاكتشافات في شمال إفريقيا، وهي تقع على بعد حوالي 15 كلم جنوب مدينة طنجة. وقد قام الباحث كون بحفريات بالموقع سنة 1939، أسفرت عن العثور على شظايا عظمية بشرية، من بينها جزء أوسطي من الفك العلوي الأيسر يحتوي على الضرس اللبني الرابع والناب والضرس الثالث الدائم.

[1] Souville (G), Ferembach (D), « Dar es-Soltane », *Encyclopédie berbère*, 15, 1995, pp 2228-2229.
[2] Debénath (A), op-cit, p 136.
[3] Vallois (H.V.), Roche (J.), 1958. La mandibule acheuléenne de Témara. C. R. Acad. Sci. Paris 246, 1958, pp 3113-3116.

وقد قُدِّر عمر هذه البقايا بحوالي 30 ألف سنة باستخدام تقنية الكربون المشع على الفحم، مما يجعلها من بين البقايا المتأخرة نسبيًا في تسلسل ما قبل التاريخ بالمنطقة. ورغم وجود بعض أوجه التشابه بين رواسب مغارة العالية وكل من دار السلطان وكهف الحرحورة، فإن تحديد علاقة زمنية دقيقة بينها يبقى صعبًا في ظل المعطيات الحالية، خاصة مع اختلاف السياقات الطبقية.

وفي هذا الإطار، اقترح الباحث سينشيرِك (Senyiurek) تصنيف هذه البقايا، اعتمادًا على شكل الفك العلوي، ضمن هومو سابينس نياندرتالنسيس، مما يعكس استمرار الجدل العلمي حول تصنيف هذه المجموعات البشرية في شمال إفريقيا خلال أواخر العصر الحجري القديم[1] Homo sapiens neanderthalensis.

تتباين الآراء العلمية حول أصول الإنسان العاقل هومو سابينس بين اتجاهين رئيسيين: اتجاه يقول بالأصل الإفريقي الواحد، وآخر يرجّح تعدد الأصول، فوفق الطرح الأول، يُعتبر الإنسان العاقل قد نشأ في إفريقيا، خاصة شرقها، ثم انتشر لاحقًا نحو مختلف مناطق العالم. ويُفهم من هذا التصور أن هناك مركزًا واحدًا للتطور البشري الحديث، انطلقت منه الهجرات البشرية الكبرى.

أما الاتجاه الثاني فيؤكد فكرة الأصول المتعددة، حيث يرى أن الإنسان العاقل قد ظهر عبر تطور سلالات محلية مختلفة من الإنسان القديم في عدة مناطق، وليس من أصل واحد فقط. وضمن هذا التصور، يُطرح أن بعض أشكال الإنسان القديم في شمال إفريقيا، مثل إنسان جبل إيغود، قد تكون ناتجة عن تطور محلي انطلاقًا من سلالات أقدم مثل أتلانتروبيس موريطانيكوس، مع إمكانية امتدادها إلى أشكال مرتبطة بموقع عين الحنش.

كما يبرز ضمن هذا السياق مفهوم استقلالية التطور في شمال إفريقيا، حيث يُعتقد أن بعض المجموعات البشرية القديمة، خاصة أشباه النياندرتال في المنطقة، لم تتطور نتيجة تأثير مباشر من نظيراتها في أوروبا أو المشرق أو مناطق إفريقية أخرى، بل عبر مسار محلي مستقل. ووفق هذا الرأي، فإن بعض هذه السلالات قد تكون امتدادًا أو تطورًا محليًا لسكان أقدم في المنطقة، مما يجعل شمال إفريقيا مجالًا مهمًا لفهم تنوع وتعدد مسارات تطور الإنسان القديم[2].

[1] Coon (C.S.), Fossil Man in Tangier. Papers of the Peabody Museum, In Senytirek M.S., 1940), 13, 1940, pp vii-viii.; Debénath (A), op-cit, p 135.

[2] نادية باهرة، المرجع السابق، ص 58.؛ محمد سحنوني، المرجع السابق، ص ص 63-64.

المحاضرة السابعة: حضارات العصر الحجري القديم الأعلى

يتفق معظم المتخصصين في آثار ما قبل التاريخ بشمال إفريقيا على أن التسلسل الثقافي في بلاد المغرب يختلف عن نظيره في أوروبا، خاصة فيما يتعلق بامتداد العصر الحجري القديم وغياب مرحلة واضحة مماثلة لـ"الميزوليتي" الأوروبي العصر الحجري الوسيط.

ويُسجَّل في هذا السياق مجموعة من الخصائص المميزة لهذه المنطقة، من أهمها:

- غياب صناعات حجرية في بلاد المغرب تقابل ما يُعرف بالعصر الحجري القديم الأعلى في أوروبا، الذي يمتد تقريبًا بين 32 ألف و9 آلاف سنة قبل الحاضر .
- استمرار الطابع التقني الموستيري والعاتري في شمال إفريقيا، مع وجود بعض التقنيات النصلية والقزمية، وهي خصائص تُشبه ما يُنسب إلى العصر الحجري الوسيط في أوروبا، مما يجعل "الوسيط" في المغرب امتدادًا للعصر الحجري القديم الأوسط أكثر منه مرحلة مستقلة .
- التأخر النسبي في حدوث التحول التقني الواضح، حيث لا يظهر تغيير جذري في الصناعة الحجرية إلا مع بدايات حضارات ما بعد العصر الحجري القديم، وهو ما رافقه اختفاء كل من الموستيرية والعاترية بشكل تدريجي .
- وبذلك، يُفهم أن التطور الثقافي في شمال إفريقيا اتخذ مسارًا خاصًا، يختلف عن التسلسل الأوروبي التقليدي، مع استمرار طويل لبعض التقاليد التقنية القديمة قبل الانتقال إلى أنماط أكثر حداثة[1].

أولا/ الحضارة الايبيرومغربية Ibéromaurusien

1/ التسمية: أطلقت هذه التسمية لاعتقاد بعض الباحثين الذين درسوا صناعاتها أن مرتبطة بحضارات العصر الحجري القديم الأعلى بشبه جزيرة إيبيريا، ويعود الفضل في اكتشافها إلى الأستاذ بول بالاري Pallary الذي قام بمجموعة من الحفريات في موقع عين المويلح سنة 1899 بالغرب الجزائري، الواقع على بعد 5 كلم شمال مغنية، وأطلق عليها هذه التسمية سنة 1909، معتقدا -عن خطأ- أنها متأثرة بالصناعات الميكروليتية الأيبيرية (جنوب شرق اسبانيا) كما وصفها ل. سيري Serit سنة 1893[2].

كما قام ستيفان قزال Gsell بالتنقيب في موقع المويلح سنة 1910، ولاحقا، تم اقتراح تسميات بديلة عن الايبيرومغربية، حيث أراد كل من جوبير E.G. Gobert وفوفري R. Vaufrey[3] وبروي Brueil تسمية هذه الحضارة

[1] Camps (G), Épipaléolithique, In: Enc. Ber., n°17, Douiret – Eropaei, Aix-En-Provence, Edisud, 1996.
[2] Sari (L), L'ibéromaurusien, Culture du paléolithique supérieur tardif approche technologique des productions lithiques taillées de Tamarahat, Rassel et Columnata (ALGÉRIE). T. de doctorat Archéologie et Préhistoire. Université de Paris X Nanterre, 2012, p 16.
[3] GOBERT (E.G.), VAUFREY (R.), « Deux gisements extrêmes d'Ibéromaurusien », *L'Anthropologie*, 27 (1/2), 1932, pp 449-490.

بالحضارة الوهرانية والمويلحية[1]، ذي الدلالة الإقليمية، إلا أنهما لم يفلحا في ذلك. وكذلك مصطلح "الوهراني الغربي" الذي يمثل الفرع الغربي من "الوهراني الشرقي" المعرَّف في موقع "هوافتيح" بليبيا، وفي السنوات الأخيرة اقترح ن. إ بارتون N.E. Barton وزملاؤه مصطلح "الوجهة الافريقية الشمالية الغربية للعصر الحجري المتأخر"، وهو مصطلح يجمع بين الإطارين الزمني والجغرافي لهذه الثقافة[2]، وفي النهاية، تم الإبقاء على مصطلح "الإيبيروموريزي" أو "الايبيرومغربي" بوصفه التسمية العلمية المعتمدة لهذه الثقافة.

وقد أثبتت الحفريات والأبحاث التي أجري خلال القرن الماضي أنه لا وجود لتقارب أو تأثيرات حضارية تربط بين شبه جزيرة أيبيريا وبلدان شمال افريقيا، وتتميز هذه الحضارة بأدواتها الهندسية التي تطورت فيما بعد في القفصية[3]، وهي حضارة ساحلية انتشرت في شمال إفريقيا من ليبيا شرقا إلى المغرب غربا، لكنها امتدت في بعض المناطق إلى أعتاب الصحراء.

2/ تعريفها

قدم بول بلاري منذ اكتشافاته الأولى بموقع المويلح تعريفا لهذه الحضارة في قوله: "أن الصناعة الإيبيرومغربية تتميز بوفرة الشظايا الصغيرة ذات الحافة المنحدرة (lamelles à bord abattu)، وبندرة الأدوات الميكروليتية الهندسية، أما الصناعة العظمية فضعيفة التمثيل، في حين أن المواد الحجرية الضخمة غير المشذبة ومنها الرحى الملوّنة بالمغرة الحمراء (meules ocrées) تصنع عادة من الكوارتزيت أو من صخور بركانية، أما الممارسات الفنية والرمزية فهي نادرة، وفي موضع آخر يضيف: "إن ما يميز هذه الصناعة هو الأدوات الحجرية الميكروليتية (الصغيرة جدًّا)، المكوّنة من شظايا على شكل هلال ممدود ذات ظهر مشذّب ونقطة حادة للغاية، وقد عُثر على آلاف النماذج منها، أما الأدوات الهندسية الحقيقية فهي نادرة للغاية، لا تتجاوز ثلاثة لكل ألف قطعة تقريبًا"[4].

أما جوبير فيرى أنها "تشمل جميع الصناعات ذات الشظايا الحجرية الصغيرة (الصفائح)، التي سبقت انتشار الثقافة النيوليتية في شمال إفريقيا، والتي تشترك مع صناعة موقع المويلح في صِغَر حجم أدواتها الحجرية"[5]، ومن جهته يرى بالو أن :"كل صناعة ما قبل العصر الحجري الحديث (النيوليتي) في بلاد المغرب، حيث تشكل الشظايا أكثر من 80٪ من مجموع الأدوات، في حين تكون الأدوات الميكروليتية الهندسية نادرة جدًا، حتى وإن وُجدت النصال الدقيقة (microburins)، سواء كانت في قفصة أو في بوسعادة، تُنسب إلى

[1] BREUIL H. (1930), « L'Afrique préhistorique », *Cahiers d'art*, 8-9, p. 449-500.
[2] Sari (L), op-cit, p 16.
[3] Aumassip (G), L'Algérie Des Premiers Hommes, Les Editions de la Maison des Sciences de l'Homme MSH, paris, 2001.
[4] Pallary (P), Note sur un gisement paléolithique de la province d'Oran, Bulletin du Comité des Travaux Historiques et Scientifiques, 1909, p 9.
[5] Gobert (E.G), Capsien et Ibéromaurusien, Libyca, 1954, p 443.

الإيبيرومغربي"[1]، إن الإيبيرومغربية -إذا افترضنا الإبقاء مؤقتًا على هذا المفهوم- ليس ثقافة جامدة منغلقة على تخصصها المفرط (النسبة العالية جدًا من النصال ذات الظهر)، بل هو مركّب ثقافي متعدّد الأشكال ومفعم بالحيوية والتطور".[2]

3/ تاريخ الأبحاث حول الايبيرومغربية: في سنة 1909م قدم بالاري وصفا للثقافة الايبيرومغربية استنادا إلى المجموعات الأثرية المكتشفة بمنطقة وهران، خاصة في موقع المويلح، وهو الموقع المرجعي في الجزائر، وبعد سنتين، قدم بالاري أيضا وصفا أكثر تفصيلا لصناعة الأدوات الحجرية المشذبة، مشيرا إلى وجود أداوت طحن، صناعة عظمية، مواد ملونة، أدوات للزينة، وقد نسبت هذه الصناعة إلى العصر الحجري الأعلى استنادا إلى البيانات الحيوانية والأدوات المكتشفة.

ثم بعد ذلك نشر كل من "بيتي Bitie" سنة 1914م نتائج أبحاثه عن مواقع "غوتيتير Goutitir"، والباحث "كومباردو" عن موقع "كيفان بلغوماري سنة 1917، أما المناطق الساحلية الشرقية الجزائرية فقد اهتم بها "مارشان" سنة 1931، واختص أرامبورغ بالجبال الشمالية لسلسلة البابور سنة 1934، ثم تظهر مساهمات كل من "هنري بروي" سنة 1930، و"هوجو أوبيرماير Obermaier" و"ريغاس 1931 " و"فوفري Vaufrey" سنة 1932.

هذا وتبرز أعمال كل من كاستاني Castany وجوبير Gobert وهاو Hawe سنة 1952 في موقع سيدي منصور قرب قفصة بتونس، وأبحاث "مورال Morel" سنة 1953 في موقعي جمنة الحسن وكهف أم التويزة، وأعمال كادنة في موقع كوليمناطة بتيارت سنة 1956م، وكذلك أعمال "Estroges" في موقع الحويطة الواقع على الضفة اليمنى لمدينة الأغواط، فضلا عن أعمال "أنطوان Antoine" في موقعي "الخنزيرة وبوسكورة" بالمغرب سنة 1952[3].

وخلال ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، أجريت حفريات علمية دقيقة تأخذ بعين الاعتبار القراءة الستراتيغرافية في عدد من المغارات الساحلية الايبيرومغربية، منها: تافوغالت التي درسها روش سنة 1963، رشقون والتي نقب فيها كامبس سنة 1966، وواد القتار سنة 1974، تنس من قبل "لورسان" سنتي 1961-1962، موقع "راسل" من قبل "رولان وبراهيمي سنة 1970، وتامرهات من طرف براهيمي سنة 1969، كما نفذت حفريات في بعض الموقع المكشوفة مثل: غرب جيجل من قبل رامووندو 1965، وإلى داخل البلاد، عند السهول العليا للجزائر الغربية، استأنف كلود براهيمي سنة 1972 حفريات كادنة في موقع كوليمناطة، أما في الأطلس الصحراوي، فقد أتاحت حفريات ج. أوماسيب Aumassip في الحويطة، ثم وسع "إستورج وآخرون سنة 1969 مجال الامتداد الجغرافي للصناعة الايبيرومغربية حتى أقصى الجنوب.

---

[1] Balout (L), op-cit, p 10.
[2] Brahimi (C), Deux campagnes de fouilles à Columnata (1969 et 1971), Libyca, 20, 1972, p 100.
[3] Sari (L), op-cit, pp 57-68.

وفي الثمانينيات من القرن الماضي تزايدت الأبحاث حول الايبيرومغربية في شمال افريقيا باعتبارها مجموعة ثقافية تتميز بخصائص محلية وإقليمية متنوعة، فبرزت أعمال غراغب Gragueb سنة 1983 حول الدراسة النمطية typologique لمجموعات الأدوات الحجرية التي جمعها جوبير من مواقع مكشوفة تحت عنوان "الايبيرومغربية في شمال غرب تونس والصناعات النصلية في الجنوب التونسي"، وفي الجزائر نفذت حملتان رئيسيتان للحفريات بشكل متقطع قبل أن تتوقف الأعمال الميدانية في التسعينات لسباب أمنية، وهاتان الحملتان هنا: مغارة أفالوبورمل من قبل حاشي سليمان وآخرون، وكهف تازة الذي لا يزال جزء كبير من محتوياته غير منشور، وفي سنة 1985 تواصلت الأبحاث بالتعاون مع باحثين أجانب في مختلف مناطق المغرب، خاصة في الريف الشرقي وشمال المغرب، وكذلك على الواجهة الأطلسية مثل كهف الحرحورة 2، تافورالت، إفرينعمار وإفري البلود، أما في ليبيا، فقد تم منذ تسعينيات القرن العشرين بالكشف عن العديد من مواقع الاستيطان البشري العائدة إلى العصر الحجري القديم الأعلى المتأخر، وذلك خلال الحفريات التي أجريت في الجبل الغربي تحت اشراف "باريش Barich"، وفي هوافتيح من طرف غارسيا Garcea وباريش[1].

4/ مراحل الحضارة الايبيرومغربية:

استنادا إلى تاريخ الأبحاث الماضية التي أجريت على مواقع شمال إفريقيا والمنتمية لهذه الثقافة، فإن الباحثون اقرحوا عدة تقسيمات بناء على مجموعة معايير؛ نمطية وشكلية، ستراتيغرافية وكرونولوجية، وتطور الأدوات الحجرية والعظمية.

4-1/ تقسيم أنطوان

استنادا إلى ظهور أدوات ميكروليتية (microlithiques) ونصال دقيقة (microburins) قد قسّم أنطوان الإيبيرومغربية[2] إلى مرحلتين:

- **مرحلة قديمة :(I)** تتميز بقلة الأدوات الميكروليتية وغياب الشظايا الدقيقة (مثل موقع كهف الخنزيرة)،
- **مرحلة حديثة :(II)** تتميز بوفرة الأدوات الميكروليثية والشظايا الدقيقة (مثل موقع بوسكورة).

4-2/ تقسيم موريل

أما ج. موريل (J. Morel)[3] فقد اقترح ثلاث مراحل لتطور الإيبيرومغربية استنادًا إلى بعض السلاسل الحجرية التي عُثر عليها في المواقع الرملية المكشوفة شمال شرقي الجزائر:

[1] Ibid, pp 60-68.
[2] Antoine (M),), Les grandes lignes de la Préhistoire marocaine. in Actes du 2ème Congrès Panafricain de Préhistoire, Paris, éd. Arts et Métiers Graphiques, 1952.
[3] Morel (J), L'outillage lithique de la station Kef Oum Touiza dans l'Est constantinois, *Libyca*, 1, 1953, p 177.

- **مرحلة قديمة** يغلب عليها الطابع اللفلوازي-العاتري) (Levalloiso-atérienne) مثل موقع دمنة الحسن.
- **مرحلة وسطى** ذات تقاليد لفلوازية-عاترية ضعيفة مثل كيف أم تويزة.
- **مرحلة متطورة ميكروليثية** مثل موقع المويلح.

3-4/ تقسيم بالو: ومن جهته قدم بالو تقسيما قائما على إدماج الصناعة العظمية ضمن دراسته، وميّز ثلاث مراحل متتالية اعتمادًا أساسًا على وجود هذه الصناعة أو غيابها:

المرحلة الأولى "القديمة": تتّسم بقلة الأدوات الميكروليتية، ووجود شظايا حجرية من التقليد اللوفالوازي-الموستيري مع عدد قليل من النصال الدقيقة، وغياب تام للصناعة المصقولة[1]، مع كبر حجم أدواتها مثل المحكات وقلة الأزاميل والنصال المضروبة الظهر، كما يلاحظ في هذه المرحلة ندرة الأدوات ذات المقاييس الهندسية مثل المثلث والمنحرف وبقية الأشكال الأخرى[2]، وقد ترسبت أدوات هذه المرحلة في السويات التاسعة حتى السادسة في موقع تافورالت، وكذلك في الطبقة السفلى في موقع راسل بجبل شنوة بالقرب من شرشال وتمرهات بخليج بجاية، بالإضافة إلى موقع المقطع بالقرب من قفصة بتونس[3]، وفيما يخص تاريخ هذه المرحلة فهي تمتد من منتصف الألف الرابع عشر حتى الألف العاشرة قبل الميلاد.

المرحلة الثانية المتوسطة": تمتد ما بين 10 آلاف و9 آلاف سنة قبل الميلاد، تتميز بوفرة الرقائق ذات الحواف المقطوعة والنصال الدقيقة، مع استمرار بعض الأشكال القديمة، بينما تقتصر الصناعة العظمية فيها على بعض المخارز والإبر، وجدت أدواتها ابتداء من السوية الخامسة من موقع تافورالت، وفي موقع الخنزيرة وموقعي الهامل وكوليمناطة بالجزائر ووشتاتة بتونس.

المرحلة الثالثة (المتطورة): تتضمّن صناعة ميكروليتية متطورة، تتميز بأدوات حجرية دقيقة الصنع مثل النصال المضروبة الظهر وكثرتها، وأدوات عظمية متنوعة[4]، وقد تمّ العثور على هذه المرحلة فقط في كوليمانطة (Columnata)والهامل والحويطة، بالإضافة إلى موقع جيجل الغربي، وفي مواقع المغرب الأطلسية مثل تمارا وبوسكورة[5].

5/ الانتشار والامتداد الجغرافي: تعود بدايات الحضارة الإيبرومغربية إلى حوالي 22000 ق.م واستمرت إلى غاية 8000 ق.م، وتمتد من السواحل الأطلسية المغربية حتى السواحل المتوسطية الشرقية، أي عند سواحل

[1] Balout (L), Préhistoire…, op-cit, p 10.

[2] محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 87.

[3] Camps (G), op-cit, p 72.

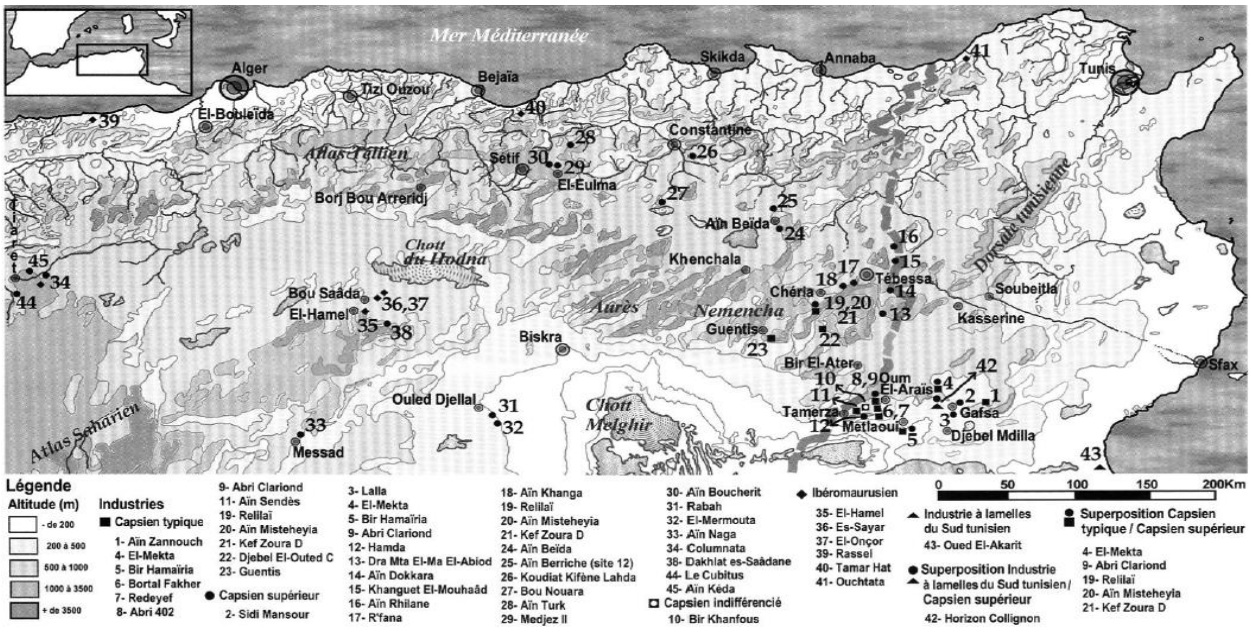
[4] Sari (L), « Particularismes régionaux et adaptations territoriales au cours de l'Ibéromaurusien. Apport des productions lithiques de Tamar Hat, Rassel et Columnata (Algérie)», *PALEO* [En ligne], Hors-série, 2023, pp 283-286.

[5] محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص ص 87-88.

برقة بليبيا شرقا، غير أنها تبدو غائبة على السواحل المتوسطية المغربية ونادرة جدا بالسواحل الشرقية التونسية[1]، كما تنسب لها بعض المواقع الداخلية، ومن أهم مواقعها بالمغرب الأقصى نذكر؛ تافورالت الذي يعتبره الباحثون أقدم موقع مثّل الصناعة الايبيرومغربية، خاصة السوية 11، 12، فضلا عن موقع كيفان بلغوماري شمال مدينة وجدة وعين الرومان وبوسكورة والخنزيرة، إفرينعمار وإفري البلود[2].

تمتد المواقع الأثرية المرتبطة بالفترة ما قبل التاريخ في الجزائر من منطقة المويلح غربًا إلى جبل إيدوغ شرقًا، مع تركّز معظم هذه المواقع في البيئات الساحلية والتلية. ومن أبرز هذه المواقع :كلوميناطة بتيارت، والهامل، ومغارات تمارهات، وأفالو بورمل، إضافة إلى مواقع علي باشا قرب بجاية، وجيجل، ومغارة راسل، إلى جانب بونوارة وكاف أم التويزة بالجزائر العاصمة[3].

وفي البداية، ساد الاعتقاد بأن ما يُعرف بالحضارة الإيبرومغربية حضارة ساحلية بالأساس، غير أن هذا التصور تم تجاوزه لاحقًا بعد اكتشاف مواقع داخلية وصحراوية تؤكد انتشارها الواسع داخل البلاد. فقد وُجدت مواقع في المناطق الجنوبية للأطلس الصحراوي بالجزائر، مثل الحويطة والهامل، كما ظهرت مواقع أخرى في الأطلس الأوسط بالمغرب الأقصى، خاصة في المناطق المرتفعة التي تتجاوز 2000 متر، حيث تتوفر منابع المياه والعيون، وهو ما يوضح أن الاستيطان البشري لم يكن محصورًا في السواحل فقط، بل شمل أيضًا المجالات الداخلية والجبلية. أما بتنوس فمواقعها قليلة نجد منها؛ وادي العكاريت بخليج قابس ووشتاتة، وفي ليبيا، نجد موقع الجبل الغربي، وهوافتيح .



خريطة رقم 4: توضح انتشار مو اقع الحضارة الايبرومغربية

Rahmani (N), op-cit, p 346.

[1] محمد سحنوني، المرجع السابق، ص 117.

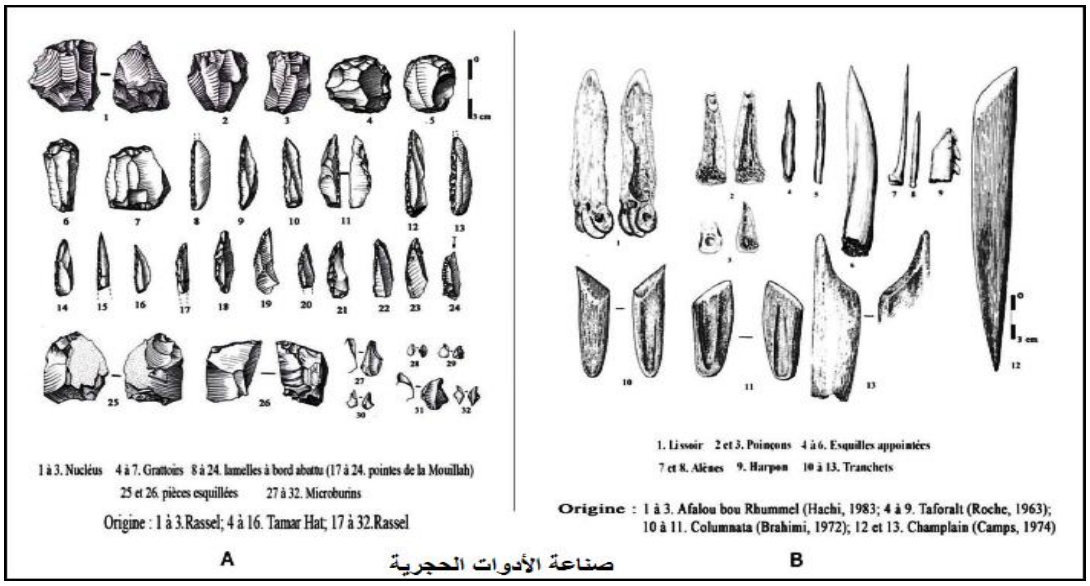
[2] Balout (L), Préhistoire…, op-cit, p 373.

[3] محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص ص 89-90.

6/ الخصائص العامة للحضارة الايبيرومغربية

6-1/ الصناعة الحجرية لهذه الحضارة:

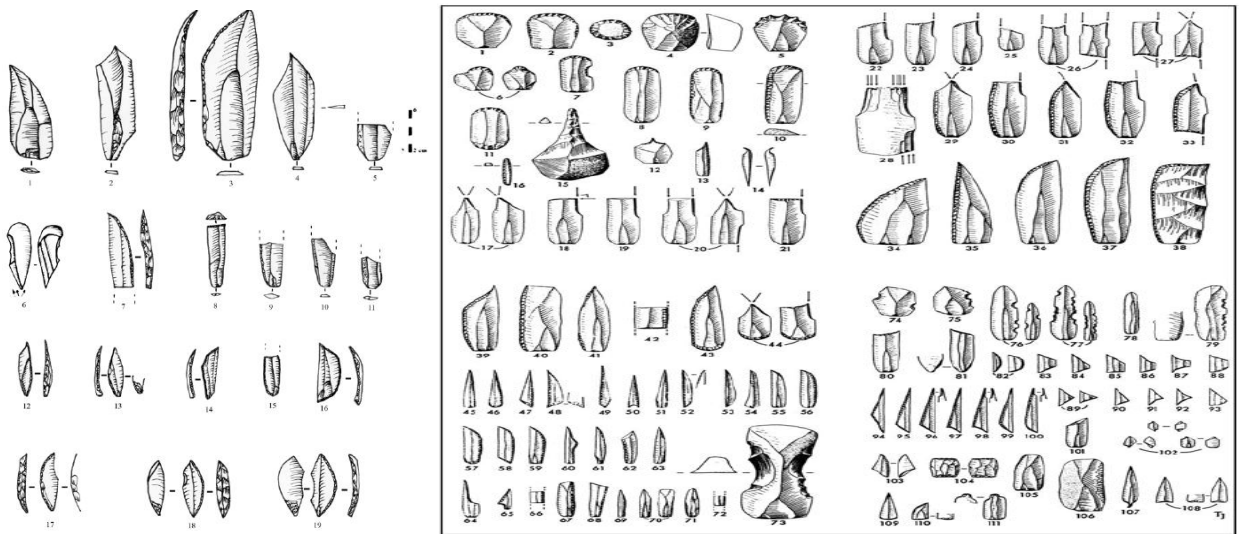
- تُعرَّف الحضارة الإيبيرومغربية اعتمادًا على خصائصها التقنية والنمطية (techno-typologique) في الصناعة الحجرية، حيث يغلب عليها الطابع النَّصيلي. وتتميز هذه الصناعة بوجود أدوات قزمية تعتمد أساسًا على النصيلات ذات الظهر، والتي يتم تهذيبها بطريقة مباشرة ومنظمة.
- كما تضم هذه الحضارة مجموعة من الأدوات المتخصصة، مثل رؤوس المويلح، والنصيلات ذات الظهر المحدب، إضافة إلى نصيلات من نوع "وشتاتة" التي تتميز بتهذيب متباعد وغير منتظم نسبيًا[1].
- ومن جهة أخرى، تُصنع المحكات غالبًا انطلاقًا من شظايا سميكة أو قطع ذات طبيعة نوياتية، في حين تُعد الأزاميل أقل شيوعًا، وغالبًا ما تُنجز على كسور حجرية. أما الأزاميل القزمية فهي نادرة الوجود.
- وتُلاحظ كذلك سمة تقنية مهمة تتمثل في كون عملية التشظية سطحية، وتُطبّق عادة على حصى صغيرة من حجر الصوان، ونادرًا ما تُستخدم مواد أخرى مثل الكوارتز أو الحجر الرملي، مما يعكس اختيارًا تقنيًا دقيقًا للمواد الأولية وطرق التصنيع في هذه الحضارة.



صوررقم 20: أدوات قزمية ايبرومغربية من مو اقع مغاربية.

- تحتوي بعض المواقع الإيبيرومغربية على بقايا رحى من الحجارة تضمنت أثر لملونات عضوية ومعدنية غالبا ما جلبت من مواقع بعيدة نوعا ما من المناطق السكنية للإنسان[2].

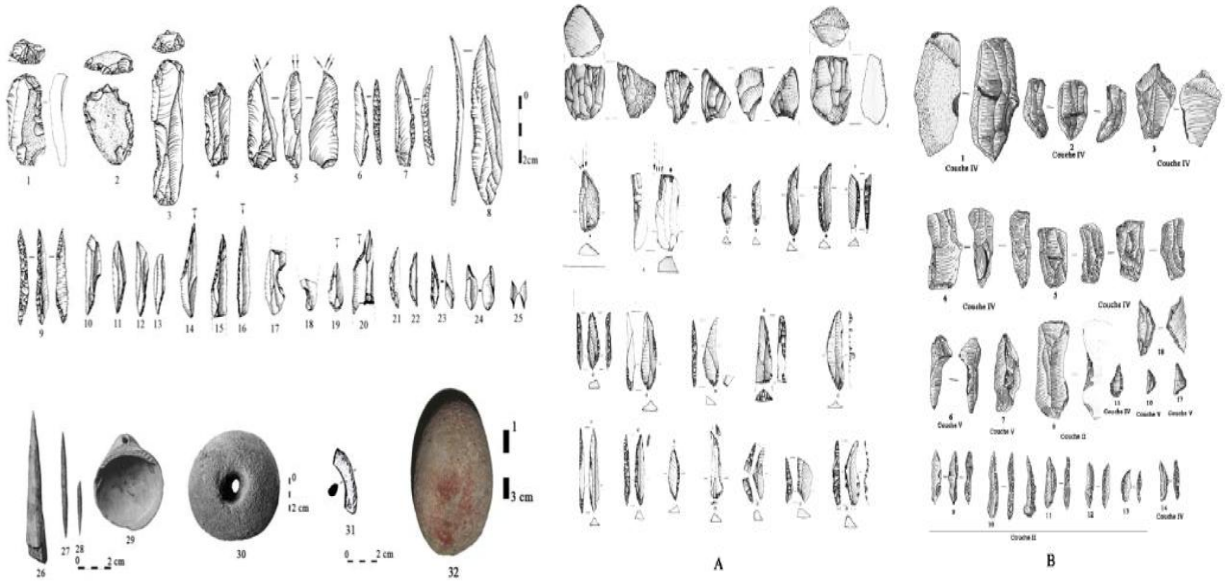
[1] Bellin (L), Réflexions sur l'lbéromaurusien. In: Bulletin de la Société préhistorique de France, tome 51, n°9-10, 1954, p 429.
[2] Sari (L), op-cit, pp 36-37.



الصوررقم 21 : صناعة ايبرومغربية من مختلف المو اقع في شمال افريقيا

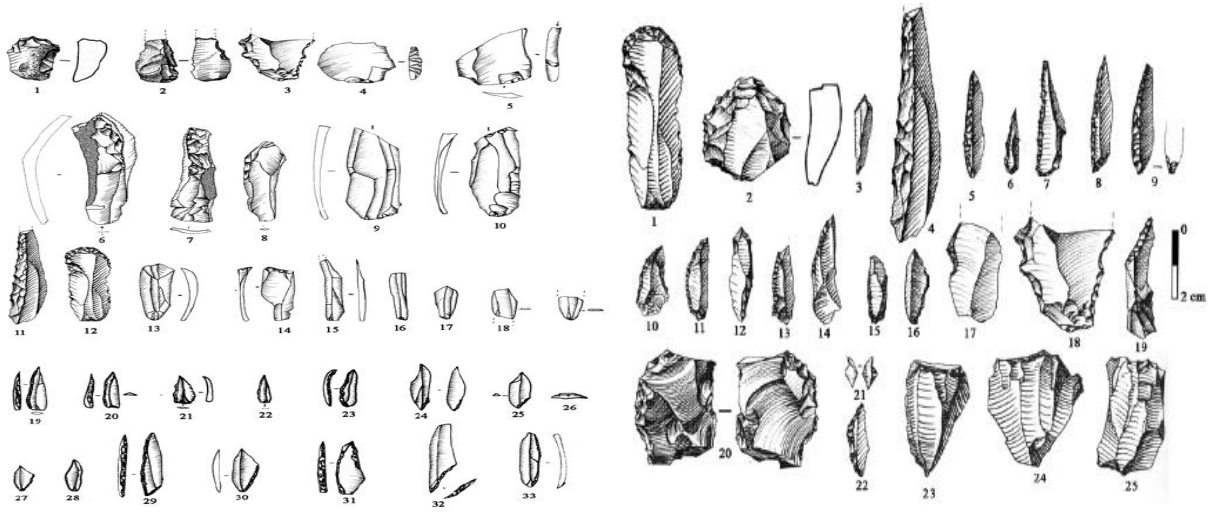
Sari (L), op-cit, pp 35-38 .

- تتضمن المواقع الإيبيرومغربية بعض حجارة وحصى مختلفة غير مشظاة جلبت إلى المواقع السكنية للإنسان، منها أدوات كروية الشكل وأخرى حصى مثقوبة اختلف الباحثون في تفسير جدواها، تم اكتشفتها في موقع تمرحات، ترى الباحثة كامبس فابرير في هذا الصدد أنها قد تكون استعملت للصيد أو كأداة مسكت بها الشباك أو كأداة استعملت في طقوس عقائدية، أو مغازل وحتى أدوات حفر دوارة.[1]



صناعة ايبرومغربية: (A) موقع افري نعمار. (B) أفالوبورمل صناعة حجرية من موقع تامرهات

[1] Camps-Fabrer (H), Parures des temps préhistoriques en Afrique du Nord, *Libyca*, 8, 1960, p 111.



صناعة ايبرومغربية من موقع راسل موقع راسل 1

صوررقم 22: أدوات من الصناعة الايبرومغربية

2-6/ الصناعة العظمية في هذه الحضارة:

تعذر اعتبار الصناعة العظمية كمؤشر للحضارة الإيبيرومغربية، حيث تصدرت الباحثة كامبس فابرير الدارسات التي أجريت على المجموعات الصناعية العظمية، حيث بادرت هذه الأخيرة بدراسة تنميطية وعاينت من خلالها 24 نموذجا منها المجموعات القاطعة (6 أنواع)، والمجموعات الثاقبة (14 أنواع) وأخرى استعمل في صناعة الحلي (نوع واحد)، فضلا عن أدوات أخرى مثل المخارز، الشفرات العظمية أو السكاكين الصغيرة، أدوات الصقل، رؤوس الرماح، الخطاطيف المستقيمة، بينما تعد المجاديف الصغيرة، والحراب والأدوات الزخرفية نادر جدا، أما الشفرات العظمية فهي شائعة جدا في المواقع الغربية بالجزائر.

صنعت الأدوات العظمية بنسب متفاوتة من الدقة بحيث أظهرت بعض الأدوات اكتشفت في موقع افالو بورمل تقنية واتقان في الإنجاز، بينما هيئت أدوات أخرى عن طريق الحرق بأقل دقة وكأن الإنسان لم يعتني بإتقان صنعها بحيث أنها لاتزال تحافظ على أجزاء تشريحية لعظم الحيوان[1].

3-6/ نمط معيشة الايبيرومغربيين وأشكال المسكن

كان الإيبيرومغاربة يشغلون الملاجئ الصخرية والمواقع المكشوفة على الساحل، في حين كانت المواقع المكشوفة وحدها سائدة في المناطق الداخلية الجنوبية، وفيما يتعلق بالمواقع الساحلية المكشوفة، كان الإنسان ما قبل التاريخ يستقرّ إمّا على الكثبان الرملية المثبّتة مثل راشقون وأوشتاتة، أو على مدرّجات التعرية الرسوبية حيث تسود الرمال، كما في موقع زموري ببومرداس[2]، وفي هذه الحالات، يرى كامبس أنّ وجود سياجٍ أو سورٍ من الأغصان والقصب قد يكون جزءًا من بنية الاستيطان[3].

[1] Sari (L), op-cit, p 38.
[2] Ibid, p 43.
[3] Camps (C), Les civilisations…, op-cit, p 92.

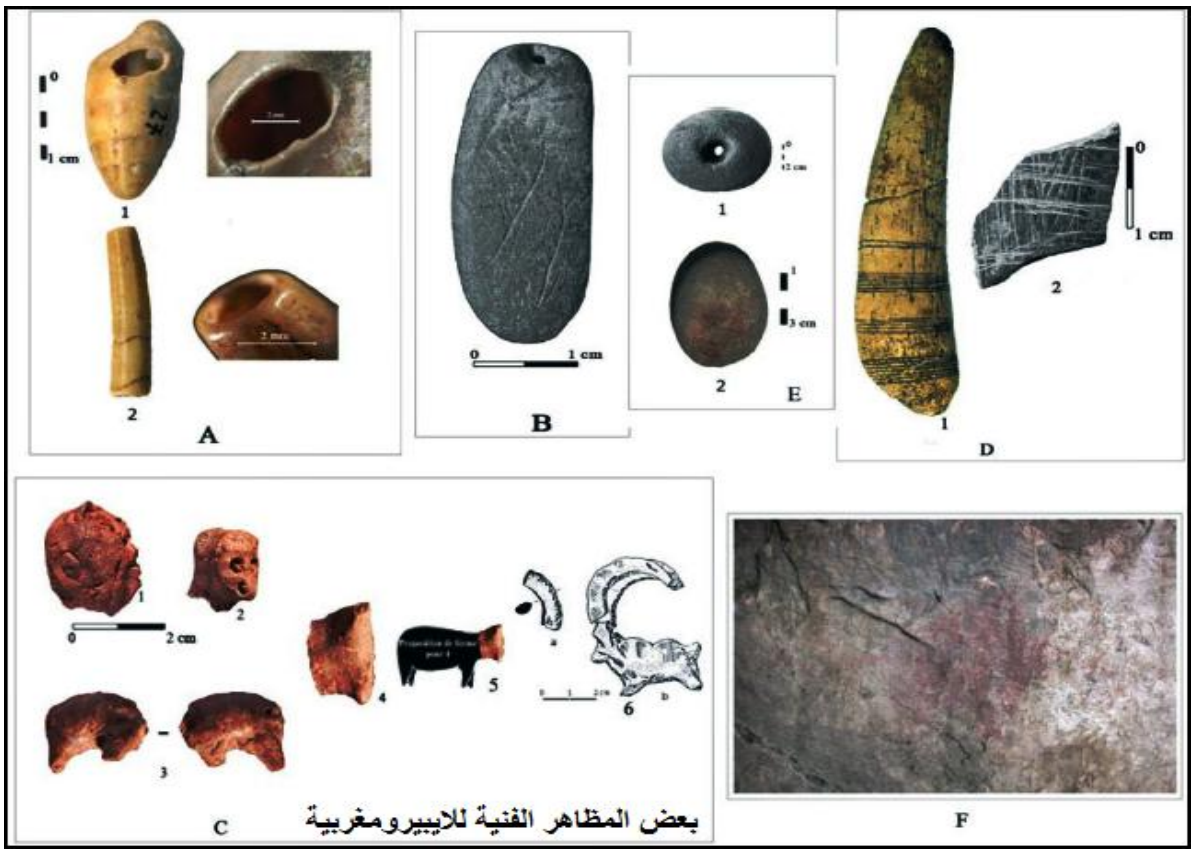
في موقع زموري، تمّ تفسير حفرة كبيرة على أنّها موقد واسع ذو شكل بيضوي يبلغ قطره نحو 3 × 5م، وعمقه 50 سم، أما في مأوى تامرهات، فإن الطبقات الرمادية التي وصفها ساكسون بأنها مواقد، وهي مرتبطة في الغالب بثقوب أعمدة مرتبة على شكل حرف "L"، كما تمّ الكشف في مأوى أفالو بورمال عن أرضيةٍ اعتُبرت مساحةً سكنيةً منظَّمة،إذ وُجدت عدة مواقد مصطفّة على شكل نصف دائرة مرتبطة بـ تكديس حجري يبدو أنه جزء من مواقد طهي، وتؤكّد التراكمات الرسوبية الكبيرة في الملاجئ الصخرية مثل تامراهات، أفالو، وتازة أنّ هذه المواقع كانت تُشغَل بشكل متكرّر ومنتظم على مدى طويل، بفعل أنشطة بشرية مستمرة، وعلى النقيض من ذلك، يُمثّل موقع الحويطة مثالًا على موقع مكشوف محدود المساحة، يُفسَّر حسب أوماسّيب بأنه مكان توقّف قصير المدى.

ويرى بعض الباحثين أنّ التغيّرات المناخية كانت عاملًا رئيسيًا في تحديد نمط الإقامة، حيث كان الإيبيرومغربيين يفضّلون الإقامة في الكهوف والملاجئ الصخرية خلال الفترات المناخية القاسية، في حين كانت المواقع المكشوفة تُستغلّ في ظروف مناخية أكثر اعتدالًا، ومع ذلك، فإنّ تكاثر مواقع الإقامة المحمية حتى خلال المرحلة الدافئة من أواخر العصر الجليدي "فورم" يُظهر أنّ هذا النمط لا يمكن تعميمه بشكل مطلق[1].

6-4/ <u>الفن الإيبرو-مغربي</u>: تعود أقدم المظاهر الفنية بمنطقة شمال إفريقيا إلى الحضارة الإيبرومغربية، حيث تم الكشف عن أدوات للزينة، ومن بين هذه الأدوات الصداف البحرية التي تعد أكثر تمثيلا، غالبا ما تكون مثقوبة طبيعيا، وأخرى يتم ثقبها باستخدام مثقاب أو بالاحتكاك.

كما أحصت كامبس-فابر عدداً من الخرزات الدائرية (rondelles d'enfilage) المصنوعة من شظايا قشر بيض النعام غير منقوشة وذلك في المستويات العليا من مواقع تافورالت والمويلح وكوليمناطة[2]، وعثر ج. لورسان على شظية من بيضة نعام في الطبقة الخامسة من الكهف السفلي للفنار في رأس تنس[3] وسجّل براهيمي وجود ثلاث شظايا من قشر البيض، اثنتان منها متفحمتان، في المستوى السفلي من موقع راسل[4]، وأشار حاشي سليمان إلى اكتشاف شظية من بيضة نعام مزخرفة في المستويات العليا من موقع أفالو بورومل.

[1] Sari (L), op-cit, p 44. ; Camps (C), op-cit, p 92.
[2] Camps-Fabrer (H), Parures…, op-cit, p 120.
[3] Lorcin (J), La station préhistorique du cap Ténès, Lybica, 9 (10), pp1961-1962, 9-58.
[4] Brahimi (C.), L'Ibéromaurusien du littoral de la région d'Alger, Mémoire du C.R.A.P.E., 23,1970, p 70.



صوررقم 23: بعض الأشكال والمظاهر الفنية الايبيرومغربية

Sari (L), op-cit, p 41.

كما تم العُثور على عدة تماثيل صغيرة بشرية وحيوانية مصنوعة من الطين المشوي (كبش وماعز)، وكذلك على منحوتات فنية ذات أشكال بشرية وحيوانية مصنوعة من حجارة، كتلك المكتشفة في موقع تامرحات من قبل ساكسون أو في موقع أفالو بورمل من طرف حاشي سليمان، كما تم العثور على صفائح صخرية منقوشة بخطوط هندسية منحنية وأخرى مقعرة مثل تلك التي عثر عليها بالاري في موقع المويلح، كما عُثر في تافوغالت على صخور تحمل صور حيوانية وإن كانت منقوشة بشكل رديء كالفيلة والأروية، كما كانوا يصنعون الحلي من الحجارة والقواقع، ومن بقايا قشور بيض النعام بعد تزيينها، وتلوينها بالمغرة وبعض المستخلصات النباتية والحيوانية، لكن الفن سيعرف ازدهار كبيرا خلال الحضارة القفصية والعصر الحجري الحديث[1].

5-6/ <u>المعتقدات الدينية لدى الشعوب الإيبيرومغربية</u>

تتميز المعتقدات الايبرومغربية بالندرة وكثيرا ما يشوبها الغموض، ومن أهمها:

إن بداية ظهور أولى الممارسات الجنائزية تبقى مسألة غير محسومة بوضوح، فالعثور على جمجمة امرأة في المستوى الأوسط من موقع تازة، والمؤرّخة بـ 16,100 (1,400 ±) سنة قبل الحاضر، لا يقدّم معلومات كافية عن السياق الأثري الذي وُجدت فيه، وعلى النقيض من ذلك، فإن مستوى الدفن الثاني المكتشف في الطبقة

[1] Sari (L), op-cit, pp 38-42.

X من موقع أفالوب ورمال من المحتمل أنه يؤرخ بـ 14,910 (± 180) سنة قبل الحاضر) ويُعدّ دليلًا فريدًا على وجود طقس جنائزي مميّز عن ذلك الذي يميّز الطبقات العليا[1].

عادة قلع بعض القواطع العليا عند الرجال والنساء، وفي حالات تم قلع قاطعة واحدة أو اثنين حتى أربعة عند الايبرومغربيين، ففي موقع رشقون ثبت قلع القواطع المركزية العلوية (H1, H2, H4)، وقلع القواطع المركزية والجانبية معا (H3)، وفي الحالات القليلة هناك قلع القواطع السفلية الأربعة (موقع راسل الموقد الأعلى الأسمر)، وقلع المركزية العلوية والسفلية (موقع كوليمناطة H10)[2]، وفيما يخص أعمار هؤلاء فموقع رشقون قدم بقايا لأفراد بأعمار بـ25 سنة و12 سنة، موقع كوليمناطة أكثر من 20 سنة، موقع كف أم تويزة بقسنطينة تعود لذكر راشد أقل من 30 سنة[3]، ولا يعرف السبب الحقيقي لهذه العادة الغريبة، وقد نُسبت لهذه الإزالة الطقوسية عدة دلالات من قبل الباحثين، مثل كونها طقسًا دينيًا، أو علامة تمييز لمجموعة معينة، أو شكلًا من أشكال الزينة، أو طقس عبور إلى مرحلة البلوغ - الانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة المراهقة والرشد-، أو مرتبطًا بالزواج أو الحداد، ومع ذلك، تبقى محاولة تحديد معنى دقيق لفعلٍ قامت به مجموعات بشرية من الماضي أمرًا محفوفًا بالمخاطر على حد تعبير عاودية[4]، وهي عادة معروفة لدى بعض المجتمعات الإفريقية الحالية.

في موقع أفالو بورمل، أظهرت الدراسات الأنثروبولوجية مجموعة من المعطيات المهمة المتعلقة بالبقايا البشرية والسلوك الجنائزي. فقد تم العثور على جماجم لأفراد في أعمار مختلفة، من بينهم أطفال ومراهقون وبالغون، مع ملاحظات دقيقة حول حالة الأسنان وتطورها.

فقد وُجد أن بعض الأفراد الذين تتراوح أعمارهم بين 12 و16 سنة لم تكن قواطعهم الدائمة قد بُزغت بعد، في حين سُجلت حالات أخرى لقلع القواطع الدائمة المركزية لدى مراهقين وشابة في عمر 18 سنة. كما عُثر على جمجمة لطفل يبلغ نحو 5 سنوات فقد القاطعة العلوية اليسرى المؤقتة، مع التحام كامل للعظم السنخي، ووجود السن الدائم داخل العظم، وهو ما يُحتمل أن يكون نتيجة فقدان عرضي أو قلع متعمد[5].

أما من الناحية الجنائزية، فقد أظهرت المعطيات تنوعًا في طقوس الدفن، حيث وُجدت الجثث في وضعيات مختلفة: إما في وضعية القرفصاء (وضع الجنين) على الجنب أو الظهر، أو في حالات أخرى على شكل عظام غير مرتبة، ما قد يشير إلى إعادة دفن بعد تحلل الجثة أو ممارسات دفن غير مباشرة.

---

[1] Ibid, p 43.

[2] فريدة أوزاني، القلع الطقوسي للأسنان عند سكان بلاد المغرب خلال العصر الحجري القديم المتأخر والعصر الحجري الحديث، مجلة أفكار وآفاق، مج 11، ع 2، 2023، ص241.

[3] المرجع نفسه، ص 240.

[4] Aoudia-Chouakri (L.), Pratiques funéraires complexes : réévaluation archéo-anthropologique des contextes ibéromaurusiens et capsiens (paléolithique supérieur et épipaléolithique, Afrique du Nord-Ouest). Bordeaux : Sciences agricoles. Université Sciences et Technologie, 2013, pp 57-58.

[5] فريدة أوزاني، المرجع السابق، ص 242.

كما تم العثور على طفل مدفون في وضعية مقلوبة، إضافة إلى هيكل عظمي لرجل ممدد على الظهر، بأطراف متوازية ورأس موجه نحو الشرق. وقد وُضعت بجانبه مواد ملونة مثل المغرة، وأداة عظمية (مخرز)، إلى جانب حصى صوانية متنوعة الأشكال[1]. وتثير هذه المعطيات تساؤلات حول دلالات هذه الممارسات، وهل تعكس مجرد سلوك رمزي مرتبط بالدفن، أم تشير إلى اعتقاد مبكر بفكرة الحياة بعد الموت ووجود أثاث جنائزي مخصص للعالم الآخر[2].



الصور رقم 24: وضعيات الدفن عند المشتويين وما قبل المتوسطيين

A أفالوبورمل، b تافورالت، c مجاز II، c فايد الصيوار

المرجع: Aoudia-Chouakri (L), Pratiques..., pp 105, 140, 295, 375

[1] Aoudia-Chouakri (L.), Pratiques…, op-cit, pp 105-140. ; Hamil (S), Lieux de sépultures et pratiques rituelles Épipaléolithiques en Algérie, TAFZA, revue des études historiques et archéologiques Vol. 03 Num. 03, 2023, Pp 62 – 77.

[2] سليمان حاشي، في أصول الفنون البدائية بشمال إفريقيا، تر: إسماعيل أدير وآخرون، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ، الجزائر، 2010، ص ص 28-29.



الصورة رقم 25: هيكل لفرد يحمل في يده سكين من عظم.

Sari (L), op-cit, p 45.

واكتشفت مقتنيات داخل القبر ضمن عظام المدفون منها سكين من العظم وضع تحت رأس الميت، وفي نفس الموقع تم الكشف عن سكين من العظم في يد شخص مدفون وآخر دفن ماسكا في ذراعيه قرد من نوع مكاك[1].

كان للشعوب الإبيرومغربية عادات جنائزية مختلفة، شهدت عليها تلك المدافن الجماعية التي تم اكتشافها في العديد من المواقع اين لوحظت مقابر ضمت عشرات الأفراد، مثل تلك المكتشفة في "موقع تافورالت، كوليمناطة، أفالوبورمل"، كما وجدت مدافن فردية ولكنها نادرة "موقعي قومبيتا وإفري"، أرخت هذه المدافن في كهف تافورالت بـ 10,935 (40 ± قبل الحاضر)، وغار كحال بتاريخ 9,470 (±50 قبل الحاضر)، أما البقايا البشرية المكتشفة في الطبقات العليا في موقع أفالوبورمل فيبدو أنها تنتمي إلى سياق دفن حقيقي، يُؤرّخ هذه الممارسة من خلال الطبقة (III) بـ 11,450 (230 ±) سنة قبل الحاضر، أما الطبقة (VII) فتؤرخ بـ 14,910 (± 180) سنة قبل الحاضر، أما أقدم دفنٍ مكتشف في موقع إفري نْعَمّار بالمغرب فهو مؤرخ بـ 133 ± 12,290سنة قبل الحاضر.

<u>7/ انسان الحضارة الايبيرومغربية</u>: أظهرت الحفريات المتتالية في المدافن الجماعية بمواقع أفالو بورمل، وكلوموناطة، وتافوغالت، عددًا كبيرًا من البقايا العظمية البشرية، وقد مكّنت هذه الدراسات من توضيح الخصائص التشريحية لسكان شمال إفريقيا خلال نهاية العصر الجليدي الأعلى.

وقد ميز الباحثون بين مجموعتين رئيسيتين من الإنسان العاقل العاقل، تختلفان من الناحية المورفولوجية، عاشتا في بلاد المغرب خلال هذه الفترة، وهما:

1. شعوب مشتى أفالو، الممثلة لما يُعرف بالحضارة الإبيرومغربية .

[1] Aoudia-Chouakra (L), Pratiques funéraires complexes : réévaluation archéoanthropologique des contextes ibéromaurusiens et capsiens (Paléolithique et épipaléolithique de l'Afrique du nord-ouest), Thèse de Doctorat, Université de Bordeaux I, 2012.

2. شعوب ما قبل المتوسطي، المرتبطة بالحضارة القفصية .

وقد تم التعرف على بقايا إنسان مشتى العربي ومشتى أفالو في عدة مواقع بالساحل الشرقي الجزائري، وكان أول تصنيف علمي دقيق لهذا النموذج على يد الباحثين بول وفالويس، حيث أطلقا تسميتهما انطلاقًا من موقعي مشتى العربي بشلغوم العيد (ميلة) ومغارة أفالو بسوق الإثنين (بجاية).

يتميز إنسان مشتى العربي بقامة متوسطة إلى طويلة (حوالي 1.74 م عند الرجال و1.63 م عند النساء)، مع سعة دماغية تصل إلى حوالي 1650 سم^3، وبنية جسدية قوية وعريضة الكتفين، وأطراف طويلة نسبيًا مقارنة ببقية أجزاء الجسم. كما تتسم جمجمته بشكل بيضوي أو خماسي، وجبهة قليلة البروز، وحواجب متصلة، ووجه قصير وعريض، ومحاجر عيون مستطيلة، مع ذقن بارز بشكل واضح.

أما إنسان مشتى أفالو، الذي عاش ما بين 8000 و6000 ق.م، فيتميز بجمجمة ذات سعة دماغية كبيرة، وحواجب قوية ومتباعدة، ووجه عريض متقدم نحو الأمام، وأنف بارز، وفك سفلي ضخم، مع قامة تتراوح بين 1.62 م و1.80 م وأطراف طويلة نسبيًا، وتُظهر هذه الاختلافات أن سكان شمال إفريقيا خلال هذه المرحلة لم يكونوا كتلة بشرية واحدة متجانسة، بل كانوا يمثلون تنوعًا مورفولوجيًا وثقافيًا داخل إطار الإنسان العاقل الحديث.



الصوررقم 26: ظاهرة قلع القواطع عند الايبرومغربيين.

فريدة أوزاني، المرجع السابق، ص ص 233، 242.

ثانيا / الحضارة القفصية

1/ **الاكتشاف وأصل التسمية**: تنتمي القفصية إلى ثقافة من العصر الحجري القديم الأعلى (المتأخر) (Épipaléolithique) في شمال إفريقيا، وتُعد مثالًا مميزًا على تنوّع النماذج الثقافية في تلك الحقبة، سُمّيت هذه الثقافة نسبةً إلى المدينة القديمة قفصة (Capsa) في تونس[1]، وتتخذ المواقع القفصية شكل تلال من الرماد مختلطة بـ حجارة محروقة وأدوات صوانية وأصداف قواقع أرضية، ومن هنا جاءت تسميتها الشائعة بـ

[1] Naanaa (S), Etude paléoanthropologique (morphologie et variabilité architecturale) des cranes protoméditerranéens de l'Algérie orientale, mémoire de Magistère, Ecole doctorale, Université du 8 mai 1945, Guelma, 2011-2012, p 10.

"الحلزونيات (Escargotières)"، وأصل هذه التسمية يعود إلى الباحث كامبو Cambo واعتمده لأول مرة الباحث لاتابي (Latapie) سنة 1905 عند دراسته لمواقع قفصية تحتوي على أكوام من القواقع في وسط مليء بالرماد[1]، ما يلفت الانتباه أولًا عند زيارة هذه المواقع هو وفرة الرماد المختلط بالحجارة المحروقة[2]، هذه الأخيرة كانت تستخدم لغلي السوائل عليها من أجل طهي هذه الحلزونيات.



صوررقم 27: ركام الحلزونيات "الرماديات"

المرجع: Belhouchet (L), Du Capsien..., op-cit, p 3

يرجع الفضل للباحث ديمورقان De Morgane في اكتشاف الموقع الأثري النموذجي بقفصة بتونس سنة 1909م، وذلك في مؤلفه الشهير **"الحضارات الأولى Les premières civilisations"**،حيث قام هو والدكتور كابيتان Capitan بتسمية الرماديات التي احتوت على البقايا الأثرية بالحضارة القفصية، حيث اعتقد ديمورقان أنها تنتمي إلى حضارات العصر الحجري القديم الأعلى وبالتحديد إلى الحضارة الأريغناسية أو إلى الحضارة البيرغوردية في أوربا[3]، وشاطر الباحث ريقاس هذا الرأي مشيدا على التشابه الكبير في المحتوى الأثري للحضارة القفصية مع هاتين الحضارتين وانتسابها إلى حضارات العصر الحجري القديم الأعلى حيث طلب بحذف تسمية القفصة[4]، وقد اقترح الباحث بلاري في نفس السنة -1909م- مصطلح "الجيتولي" للتعبير على هذا الوجه الثقافي الجديد، مستندا في ذلك إلى الصناعة الحجرية التي عثر عليها بموقعي مشتى العربي والرديف، لكن اعتمدت تسمية القفصي في نهاية المطاف[5].

ومن سنة 1910، بدأت أولى منشورات الطبيب إرنست-غوستاف جوبير Ernest-Gustave Gobert حول الحضارة القفصية بالظهور، كان جوبير طبيبًا وباحثًا في عصور ما قبل التاريخ والإثنوغرافيًا، وواصل عمله

[1] Balout (L.), (1955a). Préhistoire de l'Afrique du nord, Essai de chronologie, A.M.G, Paris, 1955, pp 391-398.
[2] Hadjouis (D), Algérie, 2 millions d'années d'histoire, Aux origines d'Homo Sapiens, Catalogue de l'exposition une année de l'Algérie en France, 2003, p 44.
[3] Rahmani (N), Nouvelle interprétation de la chronologie capsienne (Épipaléolithique du Maghreb). In: Bulletin de la Société préhistorique française, tome 101, n°2, 2004, p 348.
[4] Reygasse (M), L'escargotière de Chéria. Recueil des notices et mémoires de la Société Archéologique du Département de Constantine, Sér. 5, 8, 1917-1918.
[5] Grebenart (D), le capsien des régions de Tébessa et d'ouled djellal(Algérie). Aix-en-Provence : Université de Provence, 1976, p 15.

حتى ستينيات القرن الماضي، مركزًا أبحاثه على المراحل الأخيرة من عصور ما قبل التاريخ في بلاد المغرب، انطلاقًا من أعمال ميدانية أجراها بنفسه في تونس[1].

وبعد القيام بأبحاث وتنقيبات جديدة عُثر على أدوات قزمية، فرأى كل من الباحثان فوفري R. Vaufrey وجوبيرG. Gobert بتأكيد التسمية ونشرها في الأوساط العلمية كحضارة تتميز بها الجنوب الغربي التونسي والشرق الجزائري، كما أنها حضارة داخلية ولم تصل مظاهرها إلى السواحل[2].

2/ **نبذة عن أهم الأبحاث الأثرية حول الحضارة القفصية:** جلبت الحضارة القفصية اهتمام الكثير من الباحثين كونها تعتبر مفصلية وتفسر التواصل الحضاري بين العصر الحجري القديم المتأخر والعصر الحجري الحديث، وقد تم نشر الكثير من المقالات والمذكرات والرسائل والتي تم تقسيمها إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى تعتبر مؤسسة للاكتشاف وبالتالي قديمة ما بين سنة 1909 وسنة 1940 والتي خصت كل من الباحث ديمورقان[3] وجوبير[4] وبالاري[5] وريغاس[6] وريمون فوفري (Raymond Vaufrey)، هذا الأخير نشر في ثلاثينيات القرن العشرين (1933) كتابه "ملاحظات حول القفصية"(Notes sur le Capsien) ، حيث حدّد فيه الوجوه المختلفة للحضارة القفصية، مميّزًا بين القفصي النموذجي، والمرحلة الانتقالية بين العصر الحجري المتأخر والنيوليتي (Intergétulo-Néolithique)، والقفصي الأعلى، والنيوليتي ذو التقليد القفصي[7]، كما يمكن أن نذكر أيضا أبحاث أخرى أجريت في منطقة قسنطينة وتبسة ما بين سنوات 1919-1928.

المرحلة الثانية وهي التي أجريت بين سنة 1950 وسنة 1980 والتي خصت كل من الباحث قريبينار[8] وبالوا، مورال[9]Morel وكامبس، حيث أحدثت هذه الأخير تطورا قيما في المعارف الأثرية للحضارة القفصية، حيث أدت

---

[1] Gobert (E.G.), Note préliminaire sur l'évoluton du Capsien. Bull de la Soc Préhit Franç 7, 1910. ; Ibid, Introduction à la Palethnologie tunisienne. Cah Archéol tunisienne 2e Cah., 125-172. ; Belhouchet (L), Du Capsien chasseur au capsien pasteur, pour un modèle régional de Néolithisation, Archaeopress Archaelogy, p VII.

[2] Gobert (E. G.) et Vaufrey (R.), Le Capsien de l'abri 402. Notes et Documents XII, Paris, 1950.

[3] De Morgan (J.), Les premières civilisations : études sur la Préhistoire et l'Histoire jusqu' à la fin de l'Empire macédonien. Paris, 1909. ; De Morgan (J.), Capitan (L.) et Boudy (P.), Étude sur les stations préhistoriques du Sud tunisien. Revue de l'École d'Anthropologie de Paris 20, 1910, pp 105-228.

[4] Gobert (E. G.), Introduction à la Palethnologie tunisienne. Cahiers d'Archéologie Tunisienne 2, 1914, pp 117-172. ; Ibid, Les escargotières, le mot et la chose. Revue Africaine 81, 1937, pp 639-645. ; Ibid, Notions générales acquises sur la préhistoire de la Tunisie, dans Actes du Congrès panafricain de préhistoire, 2e session. Alger, 1951-1952, pp 221-239. ; Ibid, El Mekta, station princeps du Capsien. Karthago III, 1952, pp 3-79. Ibid, La Préhistoire dans la zone littorale de la Tunisie. Quaternaria VI, 1962, 271-307.

[5] Pallary (P), Instructions pour les recherches préhistoriques dans le Nord-ouest de l'Afrique, Mémoires de la Société Historique Algérienne, T. 3, 1990.

[6] Reygasse (M), Etudes de Palethnogique Maghrébine (Nouvelle série, R.M.S.Ar.C., 1919-1920, pp 513-570 . ; Ibid, Etudes de Palethnogique Maghrébine (2è série, R.M.S.Ar.C., 1920-1921, pp 159-204.

[7] Vaufrey (R), Notes sur le Capsien. L'Anthropologie XLIII, 1933, 457-483. ; Ibid, Préhistoire de l'Afrique du Nord. Tome 1 : le Maghreb. Publications de l'Institut des Hautes Etudes de Tunis 4, Paris, 1955.

[8] Grebenart (D.), Le Capsien des régions de Tébessa et d'Ouled Djellal, Algérie. Thèse de doctorat inédite, Université de Provence, 1976. ; Ibid, Capsien. Encyclopédie berbère 12, 1993, pp 1760-1770

[9]Morel (J), 1953. Le Capsien du Khanguet el Mouhâad. Libyca I, 1953, pp 103-119. ; Ibid, La faune de l'escargotière de Dra-Mta-el-Ma-el-Abiod (Sud-Algérien). Ce qu'elle nous apprend de l'alimentation et des

الدراسات الجديدة، خصوصًا ذات الطابع النمطي (typologique)، إلى تقسيم القفصي إلى عدّة وجوه ثقافية، ففي سنة 1974، صدرت دراسة بارزة أحدثت تأثيرًا كبيرًا في الأوساط الأكاديمية: فقد نشر غابرييل كامبس مؤلفه "الحضارات ما قبل التاريخية في شمال إفريقيا والصحراء" الذي سعى من خلاله إلى تنظيم المعطيات المتفرقة وغير المتجانسة من حيث الكمّ والنوع. وبناءً على التشابهات النمطية بين المجموعات الحجرية وغيرها من عناصر الثقافة المادية، قام كامبس بـ إعادة تحديد الحدود الإقليمية لانتشار القفصي، واقترح في النهاية تصنيف المواقع التي تنتمي إلى القفصي الأعلى في ست مجموعات رئيسية، مع إنشاء عدد مماثل من الوجوه الثقافية الفرعية ذات أنماط محلية أو إقليمية régionaux، اعتمادا على تكرار أنواع معينة من الأدوات الحجرية، كما تبرز أعمال الباحثة فابرر كامبس في كل من عين بوشريط والمجاز بسطيف[1]، وأولاد جلال والمسيد ببسكرة على يد غريبينار سنة 1976، أما في المنطقة الغربية، قرب تيارت وعلى حدود الهضاب العليا فقد درسها كادنة Cadenat[2]، هذا دون أن ننسى الأعمال الميدانية التي قامت بها الباحثة شاملا Chamla خاصة في مجال تتبع الأصول العرقية لإنسان ما قبل التاريخ في شمال افريقيا ودراسة الخصائص الأنثروبولوجية له[3].

المرحلة الثالثة فهي تخص الدراسات الحديثة بطرق متطورة وانطلقت منذ سنوات الثمانينات من روادها الباحث لوبال Lubelle[4] الذي أجرى أبحاثه على مواقع بالشرق الجزائري والباحث رحماني الذي أجرى عدة

---

conditions de vie des populations du Capsien supérieur. L'Anthropologie 78-2, 1974, 299-320. ; Ibid, Les Capsiens de la région de Tébessa, sédentaires ou nomades ? Libyca 25, 1977, pp 157-162. ; Ibid, Nouvelles réflexions sur l'alimentation et le mode de vie des Capsiens de Dra-Mta-el-Ma-el-Abiod dans la région to Tébessa (Est algérien), dans Roubet, C., Hugot, H.-J. et Souville, G. (éd.), Préhistoire Africaine : mélanges offerts au doyen Lionel Balout. Paris, 1981, pp 189-194.

[1] Camps-Fabrer (H.), Un gisement du Capsien supérieur. L'escargotière de Medjez II (El Eulma), Département de Sétif, Alger, Algérie. Note prélimnaire. L'Anthropologie 72(5-6), 1968, pp 479-488. ; Ibid,, Un gisement de facies Sétifien: Medjez II. El Eulma (Algérie). Paris: CNRS Edition. 1975. ; Ibid, Culture et Environnement: Capsien du Maghreb et Natoufien du Procheorient. In: Centre national de recherches préhistoriques aeh, editor. L'homme maghrebin et son environnement depuis 100000 ans. Maghnia. 1978, p 201-220.

[2] Cadenat (P.) 1962, Sur l'extention de la civilisation capsienne vers l'Ouest (Tiaret, Algerie). Bull de la Soc Préhit Franç(59):27-32. ; Cadenat (P.) 1968, Deux gisements inédits du Capsien dans la région de Tiaret. Libyca 16(103-112). Cadenat (P.) 1969, Les gisements préhistoriques de Mesguida Tiaret (Algérie). Bulletin de la Société préhistorique française 66(5):151-154. Cadenat (P.) 1970, Le Columnatien, industrie épipaléolithique d'Algérie. Bulletin de la Société d'Études et de Recherches Préhistoriques 20, pp 40-50.

[3] Chamla (M.C.), Note sur les restes humains (H4) découverts à Rachgoun en février 1964. Libyca (14), 1966, pp 182-188. ; Ibid, Les Hommes épipaléolithiques de Columnata (Algérie oxidentale) Etude Anthropologique. In: Edition A, editor. Mémoire du CRAPE. Paris, 1970, p 132., Ibid, Etude Athropologique de l'homme Capsien de l'Aïn Dokkara. Libyca 21, 1973, pp 9-53., Ibid, Les Algériens et els populations arabo-berbères du nord de l'Afrique : étude anthropologique. Alger: SNED. 1974, 139p., Ibid, La diversité des types humains dans les gisements capsiens. In: C.N.R.S E, editor. In Camps-Fabrer H: Un gisement capsien de faciès sétifien, Medjez II, El Eulma Algerie. Paris, 1975, p 373-376.

[4] Lubell (D.), 1984. Paleoenvironments and Epi-Palaeolithic economies in the Maghreb (ca. 20,000 to 5000 B.P.), dans Clark, J. D. et Brandt, S. A. (éd.), From Hunters to Farmers. The Causes and Consequences of Food Production in Africa. Los Angeles, 1984, pp 41-56. ; Ibid, Continuité et changements dans l'Épipaléolithique du Maghreb, dans Sahnouni, M. (éd.), Le Paléolithique en Afrique : l'histoire la plus longue. Paris, 2005, pp205-226.; Lubell, D. (éd.) Holocene Prehistory in the Télidjène Basin, Eastern Algeria. Capsian occupations at Kef Zoura D and Aïn Misteheyia. Archaeopress Archaeology, Oxford.

دراسات لمواقع بتونس والجزائر[1]، حاول من خلال تحليل النتائج التي استقاها منها أن يبرز الحدود الكرونو-ثقافية بين القفصي النموذجي والقفصي الأعلى، أما الباحث الإيطالي ميلازاني[2] وكذا الباحث بلهوشات[3] ركزا أبحاثهما على المواقع التونسية أبرزها موقع هرقلة.

كما اهتمت الباحثة عاودية Aoudia[4] بجانب الطقوس الجنائزية للحضارة القفصية حيث درست بعض المواقع بالجزائر أهمها موقع فايد الصوار وعيون بريش، مشتى العربي ومجاز II وكوليمناطة سنة 2013، في

2016.; Lubell, D., Ballais, J.-L., Gautier, A. et Hassan, F. A.,The prehistoric cultural ecology of Capsian escargotières. Preliminary results of an interdisciplinary investigation in the Chéria-Télidjène Region (1972-1973). Libyca 23, 1975, pp 44-121.; Lubell, D., Gautier, A., Leventhal, E. T., Thompson, M., Schwarcz, H. P. et Skinner, M. The prehistoric cultural ecology of Capsian escargotières. Part II : Report on investigations conducted during 1976 in the Bahiret Télidjène, Tébessa Wilaya, Algeria. Libyca 30-31, 1982-1983, 60-143.

[1] Rahmani (N.), 2003. Le Capsien typique et le Capsien supérieur : évolution ou contemporanéité ; les données technologiques. Thèse de doctorat inédite, Université de Bordeaux I, 2003. ; Ibid, Nouvelle interprétation de la chronologie capsienne (Épipaléolithique du Maghreb). Bulletin de la Société Préhistorique Française 101, 2004, pp 345-360.85. ; Rahmani, N. et Lubell, D., Dessine-moi une autruche. La gravure de Kef Zoura D et la représentation de l'autruche au Maghreb. Sahara 16, 2005, pp 39-54.

[2] Muzzolini, A. L'art rupestre préhistorique des massifs centraux sahariens. British Archaeological Reports International Series 318, Oxford, 1986. ; Mulazzani, S. (éd) 2013. Le Capsien de Hergla (Tunisie). Culture, environnement et économie. Reports in African Archaeology 4, Francfort, 2013. ; Mulazzani, S. 2014. Le site de SHM-1 (Hergla, Tunisie) entre le VIIe et le VIe millénaire Cal B.C. : prémices d'une transition du Capsien supérieur vers le Néolithique, dans Perrin, T., Manen, C. et Guilaine, J. (éd.), La transition néolithique en Méditerranée. Paris, 2014, pp 453-461. Mulazzani, S. et Sidéra, I. en collaboration avec Monthel, G. et Oboukhoff, S. 2012. Technological and typological study of the Upper Capsian bone assemblage from SHM-1, Tunisia. Journal of African Archaeology 10-1, 2012, pp 45-57. ; Mulazzani, S., Belhouchet, L. et Jeddi, Z., Aspects techno-typologiques de l'industrie lithique des chasseurs-pêcheurs-cueilleurs de SHM-1 (Hergla-Tunisie). Le premier niveau d'occupation durant le VIIème millénaire cal BC. Africa 64, 3-4, 2009, pp 458-473. ; Mulazzani, S., Cavulli, F., Azzara, V., Scaruffi, S. et Boussoffara, R. 2009. Structures d'habitat nord-africaines : la fouille de la rammadiya côtière holocène de SHM-1 (Hergla, Tunisie), dans Cavulli, F. (éd.), Defining a Methodological Approach to Interpret Structural Evidence, Session WS28. Actes du XV Congrès Mondial de l'Union Internationale des Sciences Préhistoriques et Protohistoriques (Lisbonne, 4-8 septembre 2006), vol. 32. British Archaeological Reports International Series 2045, Oxford, 2009, 31-42. ; Mulazzani, S., Le Bourdonnec, F.-X., Belhouchet, L., Poupeau, G., Zoughlami, J., Dubernet, S., Tufano, E., Lefrais, Y. et Khedhaier, R.; Obsidian from the Epipaleolithic and Neolithic eastern Maghreb. A view from the Hergla context (Tunisia). Journal of Archaeological Science 37 (10), 2010, pp 2529-2537.; Mulazzani, S. Belhouchet, L., Salanova, L., Aouadi, N., Dridi, Y., Eddargach W., Morales, J., Tombret, O., Zazzo, A. et Zoughlami, J., The emergence of the Neolithic in North Africa: A new model for the Eastern Maghreb. Quaternary International 410, 2016, pp 123-143.

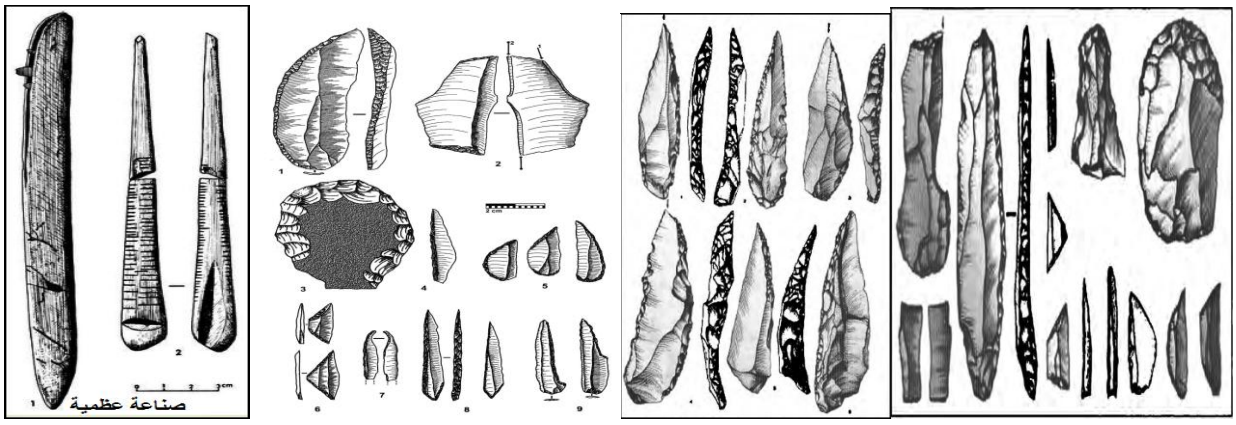
[3] Belhouchet (L), Le Moustérien d'Oued El Akarit. Diplôme d'études approfondies inédit (DEA), Université de Provence, 1999. ; Ibid, Aspects de la production lithique dans le Néolithique de Tajera (Mednine). *Africa* XXI, 2007, 5-18. ; Ibid, Les gravures sur coquilles d'oeufs d'autruche en Afrique du Nord : interprétation des décors géométriques. *Sahara 19, 2008, pp* 77-84. ; Ibid, OEuf d'autruche. *Encyclopédie berbère* 35, 2013, p 5715. ; Belhouchet, L., Mulazzani, S. et Jeddi, Z. 2013. Les techno-complexes lithiques de SHM-1, dans Mulazzani, S. (éd.), *Le Capsien de Hergla (Tunisie). Culture, environnement et économie.* Reports in African Archaeology 4, Francfort , 2013, pp 156-220. ; Belhouchet, L., Mulazzani, S. et Pelegrin, J., Evolution of a 9th-8th mill. cal B.P. Upper Capsian site: the techno-typological study of the bladelet production at SHM-1 (Hergla, Tunisia). *Quaternary International* 320, 2014, pp 28-42.

[4] Aoudia-Chouakri (L), Pratiques funéraires complexes : réévaluation archéo-anthropologique des contextes ibéromaurusiens et capsiens. Paléolithique supérieur et épipaléolithique, Afrique du Nord-Ouest. Thèse de doctorat inédite, Université de Bordeaux 1, 2013.

حين ركزت الباحثة مرزوق[1] على ابراز جانب البيئة القديمة وعلاقتها بالغطاء الحيواني لكل من الحضارة الإبيرومغربية والحضارة القفصية وذلك من خلال الدارسات التي خصت بها موقع تازة وموقع مجاز بالجزائر.

3/ الأدوات القفصية: تمثلت أغلب الأدوات القفصية في الشفرات والرؤوس ذات الظهر والمحكات والنصال المصنوعة من حجر الصوان، وتميزت هذه الأدوات بالتنوع والدقة والجمال، كما صنعوا المخارز والإبر والسكاكين من عظام الحيوانات، واستغلوا بيض النعام كأكواب وقوارير، أما القشور المهشمة فقد صنعوا منها بعض الحلي للزينة.

كما تعد الصناعة العظمية من بين النشاطات الكثيرة التي مارسها الإنسان القفصي، وهي متواجدة بأنواع وأعداد متفاوتة في المواقع حسب الأطر الكرونو-ثقافية للحضارة القفصية، حيث تعد جد ضئيلة في الطابق الذي يحتوي على مرحلة القفصي النموذجي متمثلة في حوالي ستة أنواع منها؛ أربعة أنواع من المثاقب وأداة واحدة للخرز وأداة للتمليس، أما في القفصي العلوي فقد وجدت 5 مجموعات وهي أدوات عظمية قاطعة، المثاقب، أدوات عظمية للتمليس، المخارز، المناجل، صنارات وخناجر ومزاريق، منها خنجر مصقول ومشكل على عظم شظيّة بشرية يبلغ طوله 26 سم[2].



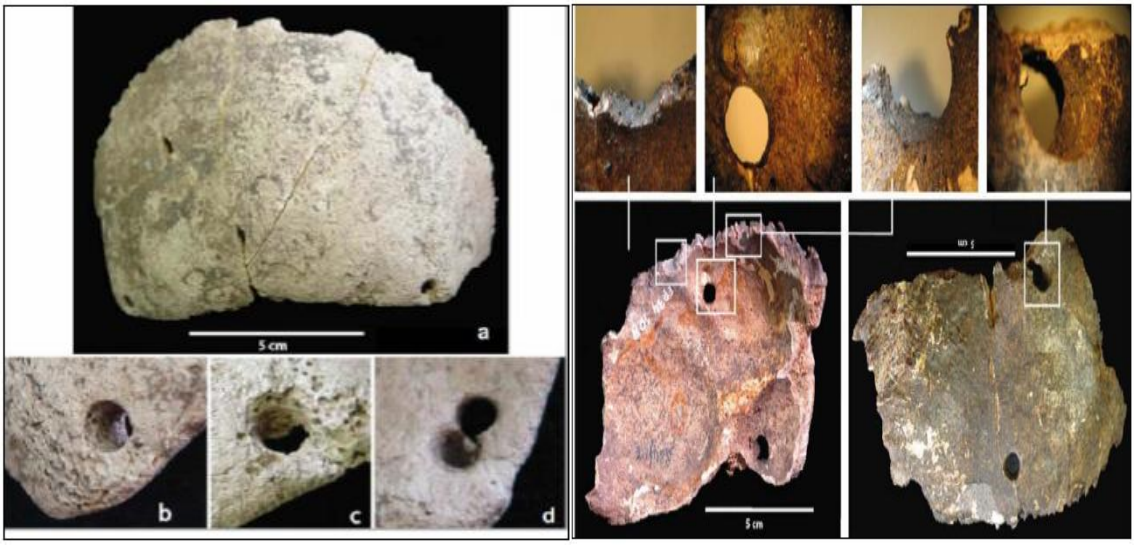
صور رقم 28: أدوات قفصية من مو اقع جز ائرية مختلفة.

محمد الصغيرغانم، مو اقع...، المرجع السابق، ص ص 101-102.

[1] Merzoug (S), Faunal Remains from Medjez II (Epipalaeolithic, Algeria): Evidence of ostrich consumption and interpretation of Capsian subsistence behaviors, dans Jousse, H. et Lesur, J. (éd.), *People and Animals in Holocene Africa*: *Recent Advances in Archaeozoology*. Reports in African Archaeology 2, Francfort, 2011, pp 123-131. ; Ibid, Les comportements de subsistance en Afrique du Nord-Ouest durant la transition Pléistocène supérieur/Holocène : entre homogénéité et variations stratégiques. *L'Anthropologie* 121 (1-2), 2013, 189-203. ; Merzoug, S., Aoudia, L., Aouimeur, S., Belambri, R., Eddargach, W. et Fergui, A., L'escargotière de Medjez I (El Eulma, Algérie) : résultats préliminaires d'une opération archéologique pluridisciplinaire, dans Sahnouni, M., Semaw, S. et Rios Garaizar J. (éd.), *Proceedings of the II Meeting of African Prehistory* (Burgos, 15-16 April 2015). Burgos, 2017, pp 377-412.

[2] وهيبة عبد الوهاب، التعمير البشري خلال عصور ما قبل التاريخ وفترة فجر التاريخ بمنطقة ميلة (الشرق الجزائري): دراسة أثرية، أطروحة دكتوراه علوم تخصص آثار ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2020-2021، ص 59.

إضافة إلى استغلال العظام البشرية في صناعة بعض الحلي للزينة والدلايات المشكّلة على عظم الجبهة والعظم القذالي، وصفائح حجرية تحمل حزوز وقشور بيض النعام وأدوات مبهمة وغيرها.



صوررقم 29: أجزاء من العظم القذالي الأيسروالجبهي لموقع مشتى العربي تحمل ثقوب

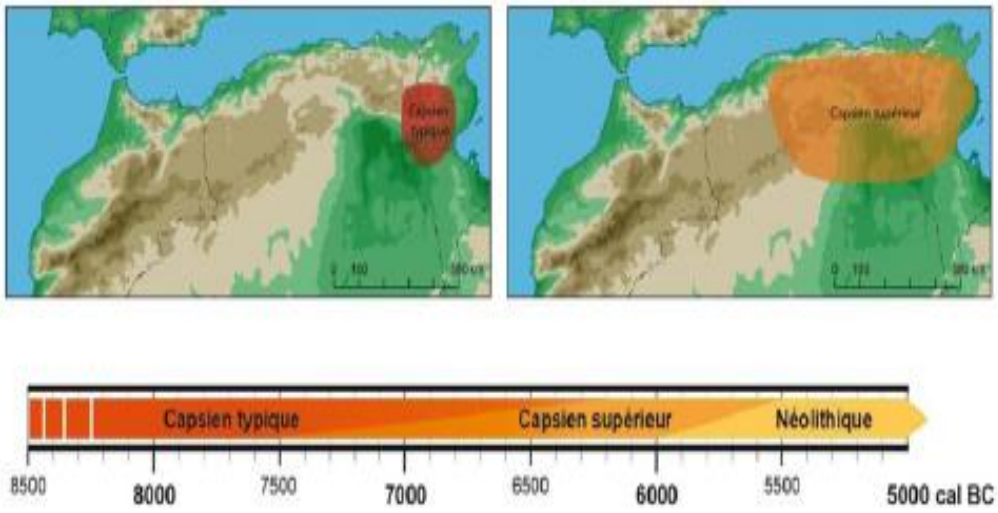
المرجع: Aoudia-Chouakri L., op-cit, pp 281, 283

4/ مراحل الحضارة القفصية

منذ أن صاغ دي مورغان هذا المصطلح سنة 1909، خضعت الحضارة القفصية لعدة تصنيفات قَسَمتها أساسًا إلى مرحلتين رئيسيتين، ويُعَدّ تصنيف فوفري خلاصة لهذه المحاولات، وهي الأكثر قبولًا حتى اليوم منذ سنة 1933، وأُقيمت أساساً على المعايير النمطية، وبشكل خاص على تكرار أنواع الأدوات الحجرية[1]، وهكذا، فإن الوجه الثقافي القفصي يقسم إلى ما يلي:

- **القفصي النموذجي Capsien typique**: يتميز بوجود شفرات ذات حافة مشذبة، ومقاحف (مخارز) جانبية (burins latéraux)، وكاشطات سميكة، إلى جانب أدوات ميكروليتية متمثلة في شظايا ذات ظهر وأدوات مكروليتية ذات لمسات هندسية، وتُعَدّ القطع الهلالية (segments) أكثرها عددًا[2]، وما يميز أدواتها بشكل عام هو كثرة المحكات، النصال، الأزاميل، شفراتها عبارة عن نصال عريضة مزودة بحافة[3]، أما الصناعة العظمية فهي فقيرة ومجزأة، في حين تظهر صناعة الحلي لأول مرة، متمثلة في خرز مصنوع من قشر بيض النعام وأصداف بحرية مثقوبة[4].

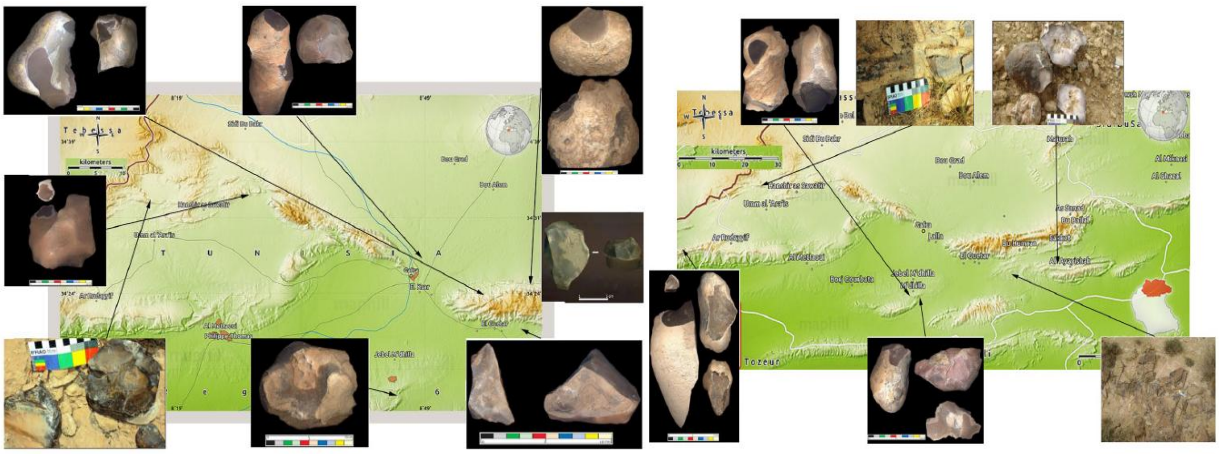
[1] Rahmani (N), Nouvelle interprétation de la chronologie capsienne (Épipaléolithique du Maghreb). In: Bulletin de la Société préhistorique française, tome 101, n°2, 2004, p 347.
[2] Ibid.
[3] محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 97.
[4] Belhouchet (L), Du Capsien chasseur…, op-cit, pp 12-13.



خريطة رقم 5: توضح مراحل انتشار الوجه الثقافي القفصي

Belhouchet (L), Du Capsien…, p 10 .

كان موقع ردّيف قرب قفصة أول موقع ينسب إلى القفصي النموذجي، وقد أعطت تحاليل الكربون المشع المطبقة على عينات من الفحم الخشبي نتيجتين هما 6930 (200 ±) سنة قبل الحاضر و 7600 (200 ±)، أما موقع العويد (El-Outed) بمنطقة تبسة)والمنسوب إلى القبصي النموذجي، فقد زوّدنا بأربع تواريخ كربونية على الفحم الخشبي وهي: 7850 (± 170)، 7850 (±170)، 7400 (±170)، 6700 (±170)، في حين قدم موقع كهف رليلاي (Relilai) قرب تبسة، الأرقام التالية:7760 (±180)، 8180 (±180)، 7850 (±150)، 8100 (±150)، 7950 (150±)، 8380 (±150)، 8380 (±150)، 8180 (±150)، 8840 (±160).



صوررقم 30: أدوات قفصية تعود للمرحلة النموذجية من موقع قفصة

Belhouchet (L), Du Capsien…, pp 14-15.

وقد سمحت الحفريات المنفذة في موقعي عين مستحية (Aïn Misteheyia) وكاف الزورة (Kef Zoura)، بمنطقة الشريعة جنوب شرق تبسة[1]، بإظهار علاقتين طبقيتين وزمنيتين واضحتين بين القفصي النموذجي والقفصي

[1] محمد بوغرارة، حكيمة طواهري، مظاهر الحضارة القفصية في منطقة الشريعة -ولاية تبسة- موقع عين المستحية أنموذج، مجلة المعيار، مج 29، ع 1، 2024، ص ص 518-529.

الأعلى، ففي عين مستحية أُجريت التحاليل على عينات من أصداف الحلزون، وكانت كما يلي: 7990 (±125)، 8835 (±140)، 8125 (±125)، 9280 (± 135)، 9430 (±150)، 9615 (±155)، 9130 (±150)، 9805 (±160)، 9590 (±155)، أما تواريخ القفصي النموذجي في كاف الزورة فقد استند فيها إلى الفحم الخشبي وقدم الأرقام التالية: 8390 (±170)، 8580 (±150)، 9390 (±130)، والرابعة على أصداف الحلزون وأرخت بـ 9100 (±130).[1]

- **القفصي الأعلى Capsien supérieur:** يتميز بانخفاض عدد الأدوات الكبيرة، ويغلب على الصناعة وجود الأدوات الميكروليتية الهندسية مثل المثلثات القائمة والمستديرة وشبه المنحرفة والشفرات الموازية الأضلاع، إلى جانب أنواع الشظايا ذات الظهر المشذب[2]، هذا وأصبحت الصناعة العظمية في هذه المرحلة غنية ومتنوعة، وإن كانت غالبًا مجزأة[3].

وفيما يخص تاريخ القفصي الأعلى فقد تم الحصول على أولى التواريخ في بداية خمسينيات القرن الماضي من موقع المقطع في منطقة قفصة، حيث أُجريت القياسات على عينة من الفحم الخشبي مأخوذة من الموقع، وقد أُعطيت نتيجة قدرها 8400 (400 ±) سنة قبل الحاضر، أما موقع "خنقة الموعاد" بتبسة فقد أعطت التحاليل على الفحم الخشبي، تاريخ يُقدّر بـ 7170 (80 ±) سنة قبل الحاضر، أما العينة الفحمية الثانية من نفس الموقع فقد قدمت تاريخًا قدره 7300(± 200) سنة قبل الحاضر، ويُثبت أن القفصي الأعلى في هذا الموقع يعود إلى نهاية الألفية الثامنة قبل الحاضر.

أما بالنسبة لموقع الماء الأبيض، فقد قدم سلسلة من التواريخ، منها؛ واحدة أُنجزت سنة 1952 على عينات من الفحم الخشبي مأخوذة من قاعدة المقطع، وأعطت نتيجة قدرها 7000 (200 ±) سنة قبل الحاضر، أما التواريخ الأخرى، فقد أُجريت لاحقًا، وجميعها اعتمدت على الفحم الخشبي وجاءت على النحو الآتي: 7090 (± 110)، 7070 (±120)، 7000 (±110)، 7280 (± 120)، 7090 (±110). بشكل عام، تُظهر هذه التواريخ اتساقًا ملحوظًا، مما يسمح بالاستنتاج بأن القفصي الأعلى يعود إلى نهاية الألفية الثامنة قبل الحاضر، وأن الاستيطان القفصي في هذا الموقع كان قصير المدى، لا يتعدى بضعة قرون فقط[4].

في حين قدمت الدراسات الحديثة تواريخ أخرى أكثر دقة، نفذت على موقع عين الدكارة وهو ينتمي إلى القفصي الأعلى، من بين هذه التواريخ، ثمانية أُجريت على قواقع الحلزون وواحدة فقط على الفحم الخشبي، وقد جاءت على النحو التالي (من أعلى إلى أسفل السلسلة الطبقية): 7260 (120 ±)، 7280 (120 ±)، 7485 (±100) ، 7570 (120 ±) ، 8030 (120 ±)، 8345 (120 ±)، 7990 ± (±100)، 7090 (100 ±)، و8530 (±

[1] Rahmani (N), op-cit, p 353.
[2] Vaufrey (R), Notes sur…, op-cit, p 477.
[3] Belhouchet (L), op-cit, p 13.
[4] Rahmani (N), op-cit, p 354.

100)، أما التاريخ الثامن (7090 ± 100 BP) أُجري على الفحم الخشبي 7090 (100 ±)، وبالمقابل قدم موقع عين مستحية بتبسة التواريخ التالية: 7280 (±115)، 7640 (±115)، 7725 (±120)، وفي موقع كديّة كيفان لحدّة قرب عين مليلة، وعلى الهضاب العليا الواقعة بين جبال الأوراس والأطلس التلي المنتمية للقفصي الأعلى، فقد أُجري تاريخ وحيد على فحم خشبي أعطى تاريخ 8050 (150 ±).

وإلى الجنوب قليلا قدم موقع رباح بأولاد جلال، عدة تواريخ مأخوذة من خمسة مستويات للموقع؛ الأول قدم تاريخ 7300 (±300) المنفذة على قشرة بيض النعام، والأخرى على قواقع حلزون أعطت تاريخ 9180 (±300)، المستوى الثاني قدم 7000 (±275) منفذة على قشرة بيض نعام، والمستوى الثالث قدم تاريخ 7920 (±100) و7850 (±170) منفذة على قواقع حلزون، أما المستوى الخامس فقدم التواريخ التالية؛ 7270 (±164)، 6450 (±300)، 6300 (±150)، مما يؤكد أن أوائل الجماعات القَفصِيّة العليا استقرت في موقع رَبّاح نحو نهاية الألفية الثامنة قبل الحاضر، بينما آخر استيطان يعود إلى نهاية الألفية السابعة قبل الحاضر أي أن مدة احتلال الموقع تمتد تقريبًا على نحو ألف سنة، وهو ما يُظهر استمرارية سكنية طويلة نسبيًا ضمن المرحلة القَفصِيّة العليا في هذه المنطقة من الصحراء الشمالية الجزائرية[1].

على بُعد نحو 150كلم من أولاد جلال، يوجد الموقع القفصي الأكثر عمقا في الجنوب، وهو موقع عين الناقة في منطقة مسعد، وقد وفّر هذا الموقع ثلاث تواريخ، منها اثنان على قواقع حلزونية؛ 8900 (280 ±)، 9300 (± 300)، وتاريخ ثالث على فحم خشبي 9170 (± 200)[2].

إضافة إلى القفصي النموذجي والأعلى اقترح تصنيفا نموذجًا تطوريًا وتوسعيًا آخر يرى أن القفصي النموذجي، الذي نشأ في منطقة قفصة–تبسة، قد تطور تدريجيًا إلى القفصي الأعلى، الذي انتشر كبقعة زيت من مركزه الأصلي لينتشر في مناطق أخرى مثل قسنطينة، وسطيف، وأولاد جلال، وحتى تيارت، ويتجلى هذا التطور في الصناعة الحجرية من خلال انخفاض الأدوات ذات الحجم الكبير، إلى الانتشار الواسع والتنوع الملحوظ للأدوات الميكروليتية الهندسية، كما يظهر أيضًا في الصناعة العظمية، التي كانت فقيرة وبسيطة في القفصي النموذجي، ثم أصبحت أكثر تنوعا في القفصي الأعلى[3].

وقد تم إثبات هذا التطور طبقيًا في مواقع الرليلاي (Relilaï) والمقطع وبئر الخنفوس (Bir El-Khanfous)، وقد دعم هذا الرأي "بالو" في قوله: "يظهر الانتقال من القفصي النموذجي إلى القفصي الأعلى من خلال تقليص الأدوات الكبيرة (باستثناء الكاشطات) لصالح الأدوات الدقيقة، مع تزايد وتنوع الأدوات الميكروليتية الهندسية[4]".

---

[1] Ibid, p 355.
[2] Ibid, p 356.
[3] Rahmani (N), op-cit, p 348.
[4] Balout (L), Préhistoire…, op-cit, p 405.

ثم بعد ذلك قدّم كامبس طرحاً بديلاً يقوم على فكرة التطور المتشعّب لصناعات العصر الحجري القديم المتأخر (Épipaléolithiques)، وعلى التزامن الزمني بين القفصي النموذجي والقفصي الأعلى، اللذين لا يُمثلان -وفق هذا النموذج- سوى وجهين جغرافيين مختلفين لثقافة واحدة، وبحسب هذا التصور، لم يعد القفصي الأعلى مجرد تطورٍ للقفصي النموذجي أو شكلاً مخففاً منه خالياً من الأدوات الكبيرة؛ بل أصبح كياناً موازياً له زمنياً، وربما أقدم منه في بعض المناطق مثل مجاز الثاني (Medjez II) بسطيف وعين ناقة، ونتيجة لذلك، فإن الحالات النادرة التي تظهر فيها طبقات القفصي النموذجي فوق طبقات القفصي الأعلى في التسلسل الطبقي أصبحت تُعدّ قليلة الأهمية وغير حاسمة في دعم الفرضية التطورية القديمة[1].

5/ الانتشار والامتداد الجغرافي: لم تستغرق الحضارة القفصية إلا فترة زمنية قصيرة مقارنة بحضارات أخرى، وتعود أولى أدواتها للألف الثامنة قبل الميلاد إلى غاية الألف الخامسة قبل الميلاد، وقد أحصى بالو المواقع القفصية وقدم الأرقام التالية؛ تونس 11 موقعًا، المغرب 38، الجزائر 99 في الشمال وفي الصحراء الجزائرية نجد 36موقعا، وفي موريتانيا 14[2]. ومن أهم مواقع في تونس نذكر الموقع النموذجي قفصة والقصرين وسيدي بوزيد والرديف عين زنوش، أبري 402، وفريانة والمتلوي وأم العرائس والقطار وعين متهرشم وعين سندس وبئر حمايرية وبئر أم علي، ويلاحظ أنها لم تنتشر شرق تونس، أما في ليبيا فيشير ماك بيرني إلى وجود آثار الحضارة القفصية في الطبقة العاشرة من موقع هوافتيح، ويعود تاريخها إلى 9000 و7000 سنة قبل الميلاد، وتتناقض أدواتها كلما غصنا داخل الموقع، حيث توجد أدوات الحضارة الايبيرومغربية في أساسها، ونفس النتائج أعطتها بعثة كامبريدج وفقا لتحاليل كاربون 14، كما اختلطت في هذا الموقع الصناعة القفصية الحجرية بالصناعة العظمية وقشور بيض النعام[3].

أما في الجزائر، فنذكر موقع الجبانة وقلعة المحاد وعين الذكارة وارفانة بتبسة، بحيث كان التجمع السكاني القفصي كثيفًا في مناطق الشريعة، وتليجين، ورأس العش، إذ تغطي هذه المناطق مساحة تُقدّر بـ 2000كلم²، وقد تم مراجعة أو اكتشاف 233 موقعًا أثريًا فيها[4].

ومع تطور الأبحاث الأثرية، تم تحديد وجود الحضارة القفصية بعيدًا عن مركزها الأولي: نحو الغرب، إلا أنها لم تتجاوز حدود تيارت، ويُعزى الفضل في التعرّف على وجود الحضارة القفصية في منطقة تيارت أساسًا إلى أعمال كادنة فقد تم رصدها أولًا في ثلاث محطات هي: كوبيتوس (Cubitus)، كاف طوراد (Kef-Torad)،

---

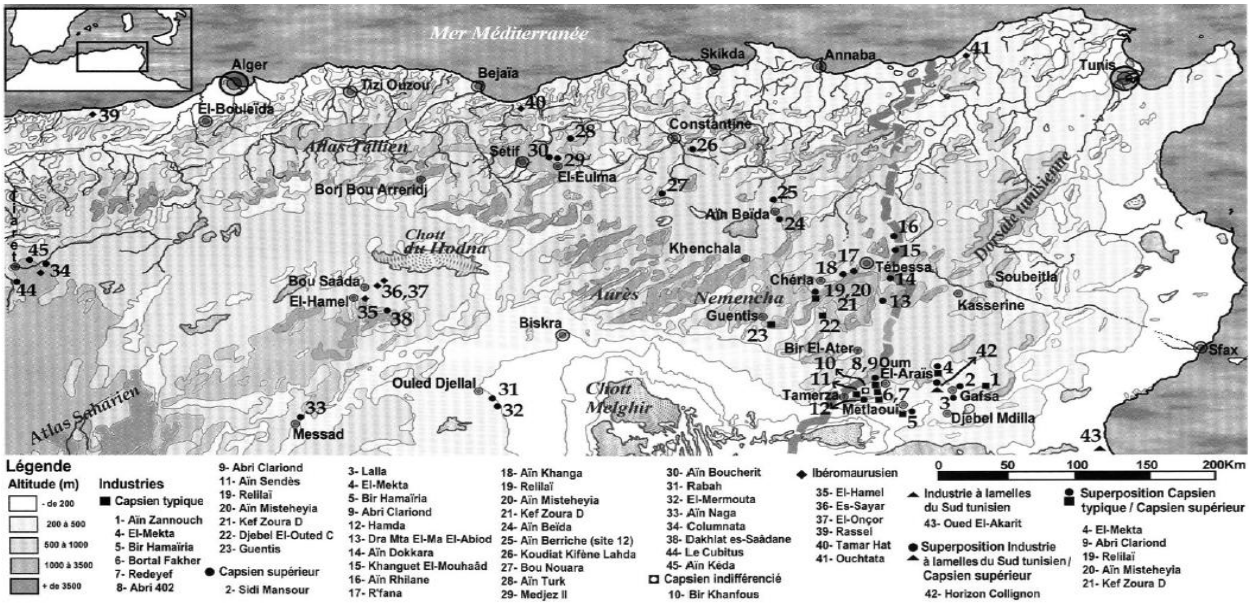
[1] Rahmani (N), op-cit, p 348.

[2] Balout (L), L'homme préhistorique et la Méditerranée occidentale. In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°3, 1967. P 17.

[3] محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ض 104.

[4] Grebenart (D), Le Capsien des régions de Tébessa et de l'Ouled Djellal. Algérie,Travaux de laboratoire d'anthropologie et de préhistoire et d'ethnologie des pays de la Méditerranée occidentale, 1972, p37. ; Lakhdar (F), Considérations anthropologiques sur les Capsiens, peuple épipaléolithique du Maghreb oriental, Dialogue Méditerranéen, n ° 3-4, 2012, p 4 .

وعين شريطة (Aïn-Chérita)، ثم لاحقًا في كوليمناطة، كما يُعتقد أن موقع عين كَيدا (Aïn-Keda)، الذي قام R. de Bayle des Hermens بالتنقيب فيه، ينتمي أيضًا إلى الحضارة القفصية[1]، ويُعتقد بوجودها حول منطقة الحضنة، حيث توجد العديد من مكبات أصداف الحلزونيات، أما جبال الأوراس، فيبدو أنها لم تكن مأهولة بالسكان القفصيين، وقد أشار بالو Balout إلى انتشار القفصي بين نقرين وبسكرة، وأكدت ذلك رحماني خاصة موقعي مرموطة والرباح[2]، وواد بوسعادة وحاسي المويلح وعين الناقة قرب مسعد، وبفضل أعمال بوبو Boboومورال Morel، تم التعرف على نمطٍ مميّزٍ من الحضارة القفصية في منطقة الوادي[3].



خريطة رقم 6: مو اقع انتشار الحضارة القفصية

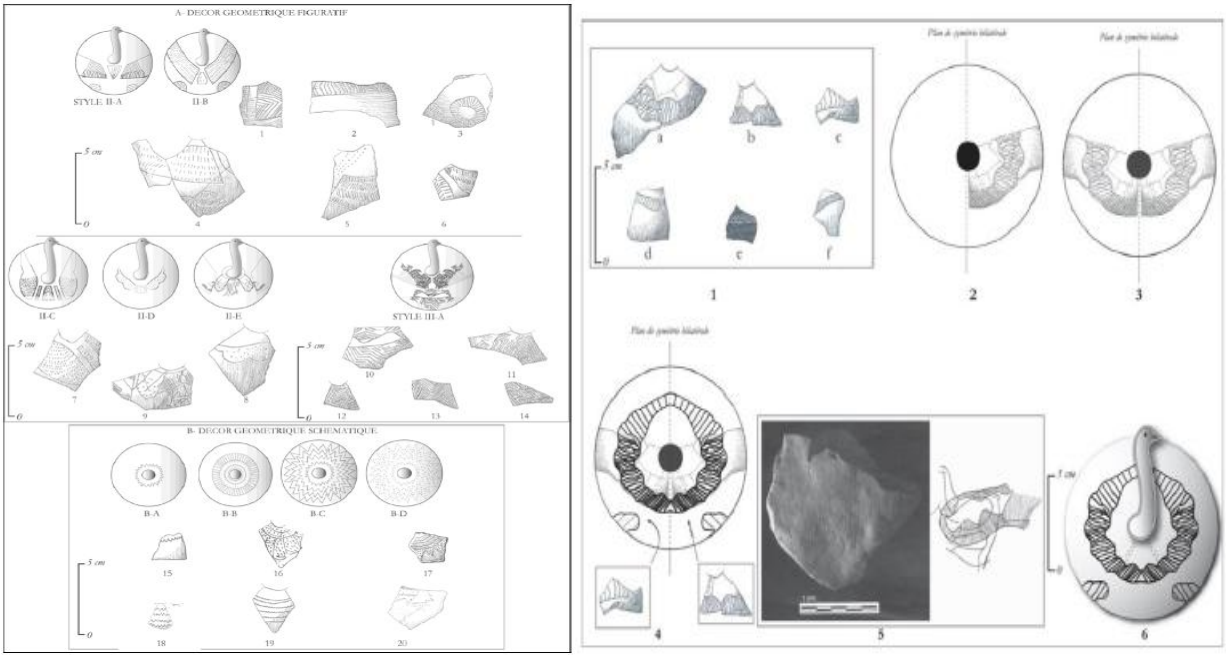
Rahmani (N), op-cit, p 346.

كما انتشرت أيضا في الهضاب العليا السطايفية والسهول القسنطينية مثل المجاز 2 وعين بوشريط وتينار، العلمة بسطيف وكدية كيفان بعين مليلة، ويلاحظ من خلال هذه المواقع تمركزها في وسط غربي تونس وشرق الجزائر حتى تيارت. كما توغلت لمنطقة شمال الصحراء ويتضح ذلك في مجموعة من المواقع في تقرت ووادي سوف تؤرخ بحوالي 6650 ق.م، وموقع الحجار بورقلة ويؤرخ بحوالي 5350 ق.م.

المظاهر الفنية للحضارة القفصية: تجلّت مساهمة الإنسان القَفصِي في تطوّر الحضارات ما قبل التاريخية في مجالٍ مميّز، هو مجال الفن، ومع أن من الصعب تحديد الحدّ الفاصل بين ما هو أداة نفعية وما هو قطعة ذات وظيفة جمالية، فإننا نستطيع القول إن الأداة النفعية (كالسلاح أو الأداة) تُستخدم لغرض عملي واضح، في حين أن وظيفة القطع الأخرى لا تظهر بوضوح مباشر.

[1] Lakhdar (F), Op-cit, p 5.
[2] Rahmani (N), op-cit, p 355.
[3] Morel (J), Le Capsien de Khanguet-el-Mouhaâd (commune mixte de Morsott, département de Constantine), Libyca, t. 1, 1953, p. 103- 119. ; Ibid, L'industrie lithique de l'escargotière de Dra-Mtael- Ma-el-Abiod dans le Sud-Est algérien. Sa composition. Son évolution, L'Anthropologie, t. 72, nc 2, 1978, p. 335-372.

لقد مارس الإنسان القفصي نشاطات عبر من خلالها فنيا، واقتصر ممارسته للفن على ثلاثة دعائم مختلفة؛ الأولى بيض النعام والثانية زخرفة الأواني الفخارية والثالثة اللوحات الحجرية المنقوشة، كلها متواجدة في المواقع القفصية بصفة متباينة، لكن يعتبرها الباحثين مؤشرا ثقافيا يساعد في تحديد الوجه الثقافي بدقة، بحيث استعمل الإنسان القفصي بيض النعام في حياته اليومية على غرار استعماله الأدوات الحجرية والأدوات العظمية واعتبرها مادة مميزة فصنعوا منها قوارير وحاويات للمواد السائلة وأواني، كما تفنن الانسان في تفصيله لتحقيق الأشكال التي أراد صنعها، ونخص بالذكر استعماله للقشور الصغيرة والتي وظفها للزينة كالحلي المشكلة من الدوائر الصغيرة مثلا، وصنعوا منه عقودا، كما زخرفوا البيض بخطوط هندسية مائلة أو متوازية ورسوم حيوانات، فضلا عن استخدام الفنان القفصي للمغرة الحمراء في طلي الوجه الداخلي للقطعة.



صوررقم 31: إعادة تصورلبيض النعام وزخارفها الهندسية مأخوذة من عدة مو اقع قفصية

Belhouchet (L), op-cit, pp 50-51.

وفي المجمل نرى أن: النعامة كانت حيوانًا مألوفًا لدى الإنسان القفصي، إذ عاش القَفصِيّون معها في نفس المجال الجغرافي لآلاف السنين، كما استعملوا بيض النعام بشكلٍ منهجي ومنتظم، فوفرة قشور بيض النعام في الرماديات تُعدّ «ظاهرة حضارية» بحسب كامبس-فابر، ومن المرجّح أنهم كانوا يضعون ريش النعام لأغراض رمزية أي بهدف التماهي مع هذا الحيوان أو اكتساب قوّته الرمزية. بالمقابل، فإن عظام النعام نادرة جدًا في المواقع القَفصِيّة، وقد كانت المواقع القليلة التي وُجدت فيها عظام نعام محلَّ نقاش علمي سواء من حيث التأريخ الطبقي مثل موقع مجاز II بسطيف أو من حيث التأريخ الزمني مثل مأوى كلاريون[1].

[1] Camps-Fabrer, H. 1966. *Matière et art mobilier dans la préhistoire nord-africaine et saharienne*. Mémoires du Centre de recherches anthropologiques, préhistoriques et ethnographiques 5, Paris

إن تحليل عدد كبير من قشور البيض المنقوشة أتاح تكوين فكرة دقيقة عمّا أبدعه القَفصِيّون من مظاهر فنية على قواقع بيض النعام. وتُظهر النتائج المستخلصة من إعادة البناء الرسومي للزخارف، وأن الزخارف الهندسية على بيض النعام كانت رمزية وتصويرية بالكامل، إذ استُغلت القوقعة في شكلٍ مجسَّم لحفر صورة النعامة نفسها[1].

كما رسم القفصيون الحيوان كالبقر والماعز والثعلب أو طائر، فضلا عن صور بشرية أو حيوانية أو هندسية على الجوانب الصخرية والحجارة الكبيرة، ويجدر بنا أن نشير هنا إلى حالة استثنائية تتعلّق بـ بيضة نعام مزخرفة تم العثور عليها في موقع وادي منقوب (قرب أولاد جلال جنوب شرق تبسة)، وكذلك في موقع مجازII ، وفي هذا المثال الفريد، قام الفنان أولًا بدهن الوجه الداخلي لقطعة كبيرة من قشرة البيضة باللون الأحمر المصنوع من المغرة (الطين الملوَّن)، ثم رسم الخط الجانبي لحيوان يُرجَّح أنه من فصيلة الأبقار، بعد ذلك، أزال اللون عن داخل الشكل بالحكّ، بحيث لم يبقَ من هذا العمل المدهش سوى شظايا تُظهر الساق الخلفية، والمؤخرة، والبطن، والذيل لهذا الحيوان[2].

كما عُثر على بعض المثاقب والمخارز المصنوعة من العظم المصقول تحمل نقوشًا على شكل خطوط متوازية أو عمودية أو مائلة، فضلا عن اهتمام القفصيون بنحت تماثيل صغيرة لبشر وحيوانات، منها ثلاثون منحوتة بموقع المقطع بالقرب من قفصة أغلبها مصنوع من الكلس الناعم، فضلا عن الأقنعة البشرية ذات الدلالات الديني[3].

وفيما يخص الزينة الجسدية، فقد زيّن القفصيون أجسادهم بالطلاء أو بالوشم، وقاموا أيضًا بتزيينها بأدوات زينة يتّسم أغلبها بوجود نظام تعليق - كالثقوب أو الأخاديد - يتيح ارتداءها أو تعليقها على الجسد، وقد استخدموا في ذلك أصدافًا بحرية متنوعة، قاموا بثقبها أو تشكيلها، إلى جانب أحجارٍ وقطعٍ عظميةٍ صغيرة. كما صنعوا قلائد من خرزٍ تم نحته من شظايا قشر بيض النعام، وهو ما يدل على براعتهم التقنية وذوقهم الجمالي.

وقد استعمل الإنسان القفصي اللون الأحمر (الأمغر) على نطاقٍ واسع، كما تشهد على ذلك آثار هذا الصباغ على أدوات الطحن أو على الجمجمة التي لاتابي سنة 1912 عند مدخل المأوى الصخري، ويُرجّح أن الرأس طُلي بالأمغر بعد الوفاة، إذ تلوَّن العظم بالصباغ بعد تحلّل اللحم.

وظهرت أنواع جديدة من الحُلي، مثل الأنابيب المصنوعة من العظام المصقولة، التي ربما كانت تُستخدم لحفظ الأصباغ، والقلائد المصنوعة من صفائح عظمية مستخرجة من دروع السلاحف البرية، والتي تتميز

[1] Belhouchet (L), op-cit, pp 56-57.
[2] Fadel (L), op-cit, p 15.
[3] Lubell (D.), et Aut., The prehistoric cultural ecology of Capsian escargotieres. Libyca, 23 (43), 1975, pp 43-121.

بأسلوب تقني متقن جدًا، ممثَّلة في معلّقَين كاملين وثلاث صفائح صدرية نُزعت منها الأجزاء المثقوبة المخصّصة للتعليق[1].

ويعتقد الكثير من الباحثين ومنهم هوجو أن القفصيون مسؤولون عن الفن الصخري في الأطلس الصحراوي، وهو ما يقره هنري لوت بالنسبة لجانب من الفن في الطاسيلي أيضا، بينما يعارض بالو هذا الطرح، غير أن بعض الباحثين مثل مليكة حشيد يعتقدون أن القفصيون بالفعل يمثلون جانب من الفن الصخري بالأطلس الصحراوي والطاسيلي، والجدير بالذكر أن بعض مواقع هذه الحضارة وجدت قرب مواقع للفن الصخري خاصة في الأطلس الصحراوي مما يدل على ارتباط واضح بين القفصيين والفن الصخري[2].

6/ <u>نمط معيشة القفصيين</u>

كان المناخ في شمال إفريقيا خلال الحضارة القفصية كان مثاليا على العموم، حيث عاشت واستقرت المجموعات البشرية القفصية في الفترة الممتدة بين الألفية الثامنة والألفية الخامسة على نمط معيشي قائما أساسا على القطف والصيد، مع وجود مؤشرات لممارسة الزراعة النباتية البدائية والرعي.

6-1/ الحلزون: احتوت جل المواقع الأثرية على غرار تلك التي نجدها في الجنوب القسنطيني والجنوب التونسي على توضعات أثرية تميزت بكثافة الرماد وتراكم الحجارة المحروقة وكثرة الحلزونيات، حيث عرفت بتسمية الرماديات أو كما سماها الباحثين بالحلزونيات، كما أنها تحتوي كذلك على بقايا الطبخ ممزوجة ببقايا الفحم، حيث تمثل بقايا الحلزونيات المتنوعة نسبة 40% من مجموع البقايا الأثرية الأخرى، ففي موقع الماء الأبيض، الواقع على بُعد 26 كم جنوب تبسة، وُجدت كومة متوسطة الحجم تحتوي على نحو 200م^3 من الأصداف، أي ما يعادل 75 إلى 80 مليون قوقعة، بينما تحتوي كومة خنقة الموحاد القريبة من الحدود التونسية، على حوالي 3000م^3 من الأصداف، أي ما يعادل 300 إلى 320 مليون قوقعة[3].

ومن بين أنواع الحلزون المستهلك، تم العثور على بقايا لخمسة عشر نوعًا، أما الأنواع الأكثر شيوعا هي: Helicogena melanostoma، وOtala constantinae، وCryptomphalus aspersa، و Leucochroa candidissima، وCernuella sitifiensis،[4] والأكثر توفرا في المواقع القفصية هو النوع الأول أي "مالانوستوما"، تُعد الحلزونات غذاء صحيا، فهي فقيرة بالدهون (0.8 إلى 1٪)، لكنها غنية بالبروتينات (بمتوسط 15٪) وبالأملاح المعدنية، كما أن قيمتها الحرارية متوسطة (حوالي 90 حريرة).

---

[1] Brahimi (C), Initiation à la préhistoire de l'Algérie, S.N.E.D, Alger, 1979, p62. ; Camps(G), les civilisations..., op-cit, p179. ; Camps-Fabrer (H), Op-Cit., p 2202.

[2] لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 163.

[3] Camps (G), op-cit, p168.

[4] Camps (G), Morel (J-P), et Auts., 1986, Alimentations, encyclopédie Berbère, N° 4, p 473

يتساءل كامبس عن طريقة استهلاك الحلزون من قبل القفصيون؟ خاصة وأن الحلزونات عندما تكون حية يكون من الصعب جدًا استخراجها من قواقعها دون كسرها، ومع ذلك وجدت القواقع في هذه المواقع سليمة وكاملة (ما لم تكن قد تحطمت بفعل الدوس المتكرر)، لذلك فمن المرجح أنها طُبخت أو غُمرت في الماء حتى تموت، ومن غير المحتمل أنها شُويت مباشرة فوق الجمر، رغم أن القفصيون كانوا يملكون الجمر بكثرة؛ إذ إن القواقع في الغالب غير متكلسة أو محترقة .ففي موقع ذراع الماء الأبيض مثلًا، لا تتجاوز القواقع المتكلسة ٪3، وهي نسبة قريبة جدًا من نسبة قطع الصيوان التي احترقت عرضًا والمقدرة بـ ٪2.6.

ومن المرجح أنها سُلِقت في الماء، وبما أن القفصيين لم يكونوا يعرفون صناعة الفخار، فمن المحتمل أنهم استعملوا أوعية محفورة في الخشب أو مصنوعة من الجلد أو الأغشية الحيوانية أو الألياف النباتية، وكان الماء يُسخَّن إما بتعريض الوعاء للنار، أو بإسقاط حجارة مسخنة مسبقًا فيه، وربما استُخدم جزء من الحجارة المختلطة بالرماد لهذا الغرض، ومن المثير للدهشة -يضيف كامبس- أنهم فضّلوا طريقة تحضير أطول وأكثر تعقيدًا بكثير بدلًا من الطريقة الأسهل والأسرع، وهي الشواء المباشر فوق الجمر[1].

كما أوضحت الدراسات التي قام بها لوبال في العديد من المواقع القفصية أن الإنسان القفصي كان يعمر تلك المواقع بصفة فصلية ثم يهجرها، أين تتوضع تلك الركام الرمادية الهشة بفعل العوامل المناخية وتكون طبقة صلبة متماسكة، بالإضافة إلى التعرية التي تسببها بعض الحيوانات الصغير والنباتات[2]، وعلى غرار أسلافهم المشتويون، كان القفصيون يجمعون النباتات والجذور والثمار البرّية الصالحة للأكل، ويعتمدون على الصيد وجمع المحار أو القواقع البرية، ويُكملون وجباتهم بـ الأغذية النباتية البرية[3].

6-2/ الحيوانات الفقارية: إن تواجد بقايا عظمية لحيوانات آكلة للأعشاب في المواقع الأثرية تأكد أن الحلزونات لم تكن الغذاء الوحيد والأساسي للقفصيين، فقد تم العثور في مكبات الحلزون على عدد كبير من بقايا عظام الفقاريات، وتنتمي هذه البقايا إلى 28نوعًا، منها:

-**من المجترات**: وتم العثور على: الهرتبيست أو العلند (نوع من الظباء العملاقة)، والثور البدائي، وغزال دوركاس، وغزال كوفييه(*Gazella cuvieri*) ، ونوع آخر من الغزلان، والمفلون(*Ammotragus lervia*) ، والنوّ (*Gorgon taurinus prognu*)، وعدد نادر من الآيل البربر (*Cervus elaphus barbarus*).

-**من الخيليات**: وجد نوع من الخيل الموريطاني (*Equus mauritanicus*) .

-**من اللواحم:** وجد عظام للضبع المرقط(*Hyaena crocuta*) ، والأسد(*Felis leo*) ، والقط البري الموريتاني (*Felis ocrata mauritanica*)، وابن آوى (*Canis anthus*)، والثعلب الأطلسي(*Vulpes vulpes atlantica*) .

[1] Camps (G), Morel (J-P), op-cit, p 473.
[2] Ibid.
[3] Morel (J), La faune de…, op-cit, pp 212-213.

-**من القوارض**: القنفذ (*Erinaceus algirus*) ، والجربوع (*Jaculus*)، والجربوع (*Gerbillus shawi*)، وأرنب الرأس الطيب (*Lepus capensis kabilicus*) ، والنيص(*Hystrix cristata*) .

-من الطيور: النعامة (*Struthio camelus*)، والحبارى الصغيرة (*Otis tetrax*)، والحجل البربري (*Alectoris barbara barbara*)، وطائر الكوروِيت (*Curserius gallicus*)، والكوروِيت الأشقر (*C. cursor*)، والنسر الملتحي (*Gypaetus barbatus*) .

-**من الزواحف**: السلحفاة الموريتانية (*Testudo mauritanica*) ، (*Lacerta sp.*) وهي نوع من السحالي[1].

ومعظم هذه الأنواع لا تزال تعيش في المنطقة، مع انقراض البعض منها مثل: الهرتبيست، والحصان الموريتاني والثور البري، والأسد، والنوّ.

وقد تم التعرف خلال الحفريات على بعض منها على غرار البقر والغزلان والأروية والأحصنة ويعتبر الظبي النموذج الأكثر تواجدا في المواقع القفصية، بحيث تم الكشف عن بقاياه في 27 موقعا بشمال إفريقيا، ففي موقع مجاز 2 بسطيف على سبيل المثال تصل نسبة استهلاك الظبي 52% من مجموع العظام المكتشفة في الموقع، مع غياب عظام اللواحم والقوارض، أما في موقع الماء الأبيض بتبسة قدرت نسبة استهلاكه بـ 69%.

اعتقد الباحث مورال أن الإنسان القفصي مارس سلوكا انتقائيا خلال اصطياده لبعض الحيوانات التي أظهرت بقاياها العظمية حداثة سنها، ويرى الباحث في هذا الصدد أن هذا الانتقاء قد يكون بغرض الإبقاء على وفرة القطيع وذلك بالسماح له بالتكاثر[2]، ويرى الباحث هيغز (E. Higgs) أن الاختيار المتعمد للحيوانات الفتية يعدّ دليلًا على تدجين هذا النوع، ويمكن دعم هذه الفرضية أيضًا بحقيقة أن جميع أجزاء الهيكل العظمي ممثَّلة في مكبات الحلزون، بما في ذلك الأضلاع وعظام الحوض، مما يدل على أن الحيوان كان يُقطَّع كاملًا في موقع السك[3]، بينما يرى الباحث لوبال أن كثرة بقايا الظباء في المواقع قد يكون أولا لوفرتها وثانيا لأنها أسهل للاصطياد مقارنتا مع غيرها من الحيوانات الآكلة للأعشاب الأخرى.

أما بقايا الثور الكبير (*Bos primigenius*) فقد تم العثور عليه في 22 موقعا قفصيا، وفي موقع مجاز 2 شكّلت عظام البقريات بأنواعها *Bos primigenius* و *Bos ibericus* و(*Homoïoceras antiquus* أكثر من 15٪ من مجموع بقايا العظام المكتشفة، وتبقى بقايا الثور الصغير لا تظهر بكثرة أبدًا؛ إذ لم يُعرف إلا في ستة مواقع قفصية فقط، وفيما يخص الجاموس الكبير العتيق (*Homoïoceras antiquus*) فهو أندر من ذلك، إذ لم يتم التعرف عليه إلا في 3 أو 4 مواقع، غير أنه يُحتمل أن تكون بعض هذه البقايا قد اختلطت أحيانًا مع بقايا الثور الكبير.

[1] Brahimi (C), Op-Cit., p 58.
[2] Camps (G), Morel (J-P), et Auts., op-cit, pp 476-477.
[3] Ibid.

هذا وتم العثور على عظام الخيليات، ولا سيما ذلك النوع القريب من الكواجا الذي أُطلق عليه اسم الحصان الموريتاني (*Equus mauritanicus*)، في نحو عشرين موقعًا قفصيا، غير أن وجوده في المواقع غير منتظم وغير متكافئ؛ فبعض المواقع أعطت كميات كبيرة من عظام هذا النوع مثل موقع كوليمانطة Columnata بتيارت، بينما لم تسفر مواقع أخرى إلا عن بقايا قليلة جدًا، وبما أن الحصان الموريتاني وُجد في جميع المناطق، من الساحل إلى أطراف الصحراء، فلا يمكن تفسير هذه الاختلافات إلا بعوامل بشرية، مثل اختيار متعمد لنوع الطرائد أو التخصص في أساليب معينة للصيد[1].

يظهر الكبش الجبلي (*Ammotragus lervia*) تقريبًا بنفس تواتر الحصان الموريتاني، إذ تم التعرف عليه في 17 موقعًا أثريًا، كما أن انتشاره لا يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالمناطق الجبلية؛ فقد عُثر عليه في السهول أيضًا، مثل مشتى العربي (Mechta el-Arbi) ومجاز وكوليمانطة، وكذلك في الرليلاي (Relilaï) والرديف (Redeyef).

الحيوان الآخر الأكثر حضورا بالمواقع القفصية خاصة المناطق السهبية هي الغزلان، وتم العثور على بقاياها في 14 موقعًا قفصيا من أصل 35 موقعًا تم فحصها، وقد أعطت بقايا عظام تعود إلى غزال كوفييه (Gazella cuvieri) أو غزال دوركاس (Gazella dorcas)، ويبدو جليًا أن الإنسان في العصر الحجري القديم المتأخر كان يفضّل صيد الحيوانات العاشبة الكبيرة، التي توفر كمية لحم أكبر مقابل مجهود قليل، أما نُدرة الخنزير البري فهي مفاجئة للغاية، فقد وجدت بقاياه في أربع مواقع، ثلاثة منها على حدود منطقة التل وهي: كوليمناطة، مشتى العربي ومجاز 2، والموقع الرابع يقع إلى الجنوب وهو الرديف بتونس، وندرة وجوده في هذه المواقع القفصية لا تُفسَّر بعوامل بيئية، بل بعوامل بشرية.

كما يجب أيضًا ذكر الأرانب، التي تم التعرف عليها في نحو اثني عشر موقعا ضمن الحلزونيات، وكذلك النيص والقنفذ، أما ابن آوى والثعلب فوجودهما كان قليلا، في حين كان عدد بقايا السنوريات قليلة جدًا من حيث العدد، لكنها متنوعة من حيث الصنف، إذ تشمل: الأسد، والفهد والنمر، والفهد الصياد والسيرفال، والوشق، والقط البري.

3-6/ الحيوانات الطائرة: لاحظ الباحثون غياب شبه كلي لعظام الحيوانات الطائرة، علما أن بيض النعام كان واسع الاستعمال من طرف القفصيين وفي شتى حاجيات الحياة اليومية لهؤلاء على غرار الأواني ومعدات الزينة، إلا أن الباحثة مرزوق اكتشفت بعض أجزاء لعظام طير النعام وسط ركام عظمية لجزارة، وبينت عملية معاينة هذه العظام آثار للقطع من جراء عملية الجزارة، مؤكدتا أن هذا الطائر قد تم استهلاكه غذائيا من طرف المجموعات البشرية للقفصيين.

كما تم التعرف على أنواع عديدة من الطيور مثل :الحبارى، والحمام، والحجل، وكذلك بعض الطيور الجارحة مثل: الصقر، والحدأة، والبومة، فإلى جانب لحمها، كانت لهذه الطيور ميزة أخرى في نظر الإنسان

[1] Ibid, pp 477-478.

القفصي، إذ إن عظامها المجوفة كانت تسمح بصنع خرزات أنبوبية وأوعية أسطوانية صغيرة تُستعمل لحفظ مسحوق المغرة الحمراء أو الإثمد، أما ريشها فكان مطلوبًا أيضًا للزينة.

وقد أظهرت المقارنة بين بعض المواقع القفصية -مثل داموس الأحمر (Damous-el-Ahmar) في تبسة وكهف كابيليتي (Capelleti) في جبال الأوراس - تشابهًا كبيرًا في بقايا الطعام المكتشفة في كليهما، ومن ذلك خلصت الباحثة كريستيان روبيه (C. Roubet) إلى أن الإنسان القفصي كان يمارس الصيد في الغابات المحيطة بالموقع وكذلك في الهضاب والسهول القريبة، وأنه كان على الأرجح يربّي الماعز والأغنام في الوقت نفسه، مما ساهم في ظهور نمط من الحياة الرعوية في جبال تبسة، أما سكان الملاجئ الصخرية في داموس الأحمر، فيبدو أنهم كانوا رعاة شبه رحّل، يمتلكون قطعانًا صغيرة من الأغنام والماعز المدجّنة، وكانوا يعيشون على غرار الرعاة الأوراسيين في الألف الرابع قبل الميلاد، إذ كانوا يحتلون ملاجئهم الصخرية بشكل موسمي ويقومون بعد أمطار الربيع والخريف بجمع أعداد هائلة من الرخويات الأرضية (الحلزونات) التي كانت منتشرة بكثرة في تلك المواقع[1].

وفي موقع عين مستحية، توصل لوبيل إلى أن القفصيين كانوا رحلًا صغارًا، تتحرك تنقلاتهم وفقًا للفصول وبحسب الفرص التي يوفرها كل موقع في كل موسم، بالفعل، طبيعة ووفرة الموارد الغذائية تتغير مع تغير الفصول، ففي السهل التبسي الأعلى، تكثر الحلزونات، وخصوصًا الحلزونات الكبيرة من نوع: Otala constantinae Cryptomphalus aspersa, Helicogena melanostoma في فصل الربيع؛ بينما تظهر الأنواع الصغيرة مثل: Leucochroa candidissima, Cernuella sitifiensis في فصل الصيف وبداية الخريف، في حين تصبح الكبيرة نادرة؛ وتختفي كلتا المجموعتين تقريبًا في الشتاء.

وهو الأمر نفسه في شمال إفريقيا كلها، ولم يكن القفصيون قادرين على زيادة إمكانيات الجمع بتحريك مواقعهم، خلال الأشهر الباردة، حيث تختفي العديد من اللافقاريات اللينة (يرقات، ديدان حرشفية، جراد...) مع اختفاء الحلزونات؛ وتختبئ سلحفاة موريتانيا، وتغادر الغزلان السهول غالبًا المغطاة بالثلوج في مواقع الماء الأبيض وشريعة إلى هوامش الكثبان الشرقية، لكن هذا لا يعني بالضرورة أن القفصيين قد تركوا المنطقة، إذ كان بإمكانهم استبدال موارد الربيع والصيف (الحلزونات، اللافقاريات اللينة، السلاحف، المجترات المهاجرة، إلخ) بموارد أخرى مثل بذور وفواكه الخريف، الجذور في الشتاء، واللحم من الحيوانات المقيمة.

6-4/ النباتات البقولية: نلاحظ مما سبق أن الحلزونات وبيض النعام وغيره من الطيور، وكذلك لحوم الحيوانات المصطادة أو المأسورة في الفخاخ، والأعشاب المختلفة، والنباتات البصلية، والبراعم، والثمار البرية

[1] Roubet (Ch), Économie pastorale pré-agricole en Algérie orientale. Le Néolithique de tradition capsienne. Exemple : l'Aurès. Paris: Éditions du Centre National de la Recherche Scientifique, 1979. ; Camps-Fabrer (H), 1994, « Damous-el-Ahmar », Encyclopédie Berbère, XIV, Paris, p 2202.

كانت تؤمّن جزءًا مهمًا من الغذاء بالإنسان للإنسان القفصي، غير أن المورد الرئيسي كان على الأرجح بذور النباتات البقولية، والتي كانت تمتاز بإمكانية حفظها وتخزينها لمدة طويلة.

يلخص إيرو (J. Erroux) جملة النباتات البقولية البرية والنجيلية التي كان من الممكن أن يتغذى عليها القفصيون فيما يلي: نبات الثمام المنتفخ Panicum turgidum، وأنواعًا مختلفة من الدخن Pennisetum، وكذلك Phalaris أي ما يعرف بشعير الفأر، وكذلك شعير الرمال Elymus، والذرة الرفيعة التي تعود أصول أصنافها المزروعة إلى إفريقيا.

أما القمح فليس نباتًا بريًا في شمال إفريقيا؛ لكن بالمقابل يوجد Hordeum spontaneum، أي الشعير البري، في قورينائية (Cyrenaïque)، وربما قام القفصيون بجمعه، ومن بين النباتات البقولية، يجدر التذكير بأن الفول والبازلاء البرية (Pisus elatius) والجلبان أو اللاثيروس (Lathyrus) تنمو طبيعيًا في أراضي المغرب الكبير، بالإضافة إلى Bunium incrassatum ويعرف حاليا في الأوساط الشعبية بالتارغودا، وهي من الفصيلة الخيمية، تمتلك درنات ذات قيمة غذائية معتبرة، ويمكن أن نضيف الخرشوف البري وجذور نبات سكوليم الإسباني (Scolyme d'Espagne).

على الرغم من أن المعلومات المستخلصة من الدراسات تبقى ناقصة بطبيعتها، إلا أن المعطيات التي جُمعت أثناء الحفريات الأثرية تُظهر بوضوح أن الإنسان القفصي خلال العصر الحجري القديم المتأخر قد أسّس اقتصاده على صيد الفقاريات وجمع الموارد الطبيعية، لقد كانت لحوم الفقاريات - على الأقل تلك التي عُثر على بقاياها في الطبقات الأثرية - لا تمثل سوى جزءٍ من مواردهم الغذائية، إذ لا يمكن أن تكون المصدر الوحيد لغذائهم اليومي، ومن المحتمل أن القفصيين كانوا يعيشون حياة مستقرة (شبه مستقرة) في بعض المناطق، كما يُحتمل أيضًا أن ضرورات الصيد وجمع الثمار قد فرضت على بعضهم القيام بتنقلات موسمية داخل مجال جغرافي محدد، وهو مجال لم تُحدَّد حدوده بدقة حتى الآن[1]

7/ المدافن والطقوس الجنائزية

إنَّ المعطيات المتنوعة التي تم جمعها من مواقع الأصداف أو الرماديات تسمح لنا بإعادة تصور بعض العادات الجنائزية لدى القفصيين، فكما هو الحال عند الإيبرومغربيين، كان القفصيون يدفنون موتاهم؛ إذ تُظهر الهياكل العظمية التي عُثر عليها في هذه المواقع أنها كانت غالبًا مدفونة بالكامل وفي وضع تشريحي سليم، وأحيانًا مطلية بالمغرة الحمراء، وغالبًا ما يكون الجسد مثنيًا على أحد الجانبين. لكن من المألوف أيضًا العثور على عظام بشرية متفرقة وغير مرتبة، ما يدل على أن بعض الدفنات كانت ثانوية، أي أُعيد دفنها بعد فترة من الدفن الأولي.

[1] Camps (G), Morel (J-P), et Auts., op-cit. p 480.

كما تحتوي مواقع الرماديات في كثير من الأحيان على بقايا بشرية، وفي بعض الحالات -مثل بكارية، مشتى العربي ومجاز 2، مجاز 1، عين الدكارة، دخلة سعدان- فإن عدد الأفراد الذين تم التعرف عليهم خلال الحفريات يبرر استخدام مصطلح مقبرة (nécropole) لوصف هذه المواقع، ويُفسَّر هذا التكرار الكبير للدفنات البشرية بكون الدفن كان يتم داخل أماكن السكن نفسها، أي أن الموتى كانوا يُدفنون حيث عاشوا. بحيث لا توجد ممارسة جنائزية موحدة أو طقس ثابت يُطبق في جميع المدافن القفصية، إذ تختلف أوضاع الدفن من موقع إلى آخر، بل وحتى داخل الموقع نفسه، كما كانت الجثث تطوى أو تحزم مستلقية على الظهر أو في وضعية جانبية، وتكون الأعضاء مطوية بشدة، كما كان يتم التعرية من اللحم، وأحيانا كانت عظام متناثرة عشوائيا فوق الجثة، مما يدل على انه يتم دفن أكثر من شخص في القبر الواحد، وكان القفصيون يفككون عظام موتاهم فيضعون الأيادي على الصدر[1]، وفي بعض الحالات، تُوضع إحدى اليدين تحت الوجه أو تُقرّب نحو الفم أو تُمدّان بمحاذاة الجسم. كذلك، فإن اتجاه الجثث عند الدفن يختلف هو الآخر بقدر اختلاف أوضاعها، فلا يوجد نمط موحد في التوجه أو الوضع.

أما شكل القبور فقد حفر القفصيون قبور حقيقية داخل الطبقات الغرَينية المتماسكة، كما هو الحال في موقع مجاز 1، وفي موقع دخلة السعدان، وُضع جثمان مقطوع الرأس داخل حفرة بسيطة في الأرض، ثم غُطي بطبقة من التراب المنقول وفوقها صفّ من نحو خمس عشرة حجارة، وفي غياب الشواهد الحجرية أو القبور الركامية أو أي علامة أخرى في مواقع الرماديات يوحي بأن القفصيين كانوا يدفنون موتاهم تحت أكواخهم المصنوعة من الأغصان[2].

فيما يخص تقديم القرابين الجنائزية فكان عادة أكثر انتظامًا، وأبرزها وضع كمية من مسحوق المغرة الحمراء، غالبًا بالقرب من الرأس. وفي موقع مجاز 2، لاحظت كامبس فابرر أن رأس ووجه طفل قد تم تغطيتهما بالمغرة، ومن المؤكد أن هذه الصباغة وُضعت على الجسد نفسه قبل تحلله، وليس على العظام العارية[3]، وفي أحيان أخرى، كانت المغرة تُوضع بشكل متصل أو شبه متصل فوق الجثمان بعد دفنه. ففي مواقع مثل عين كيدا بتيارت، ودخلة سعدان، وبكارية، تم اكتشاف ترسّبات من المغرة داخل القبور على شكل كتل خامة، أو أقلام مصقولة ومجهزة، أو مساحيق تزيينية مُحضّرة بعد تعريضها للنار، فهذا الاستخدام المكثف للمغرة من طرف السكان القَفصيين اعتبره الباحث جوبير (E. G. Gobert) طقسًا شعائريًا بحد ذاته، وقد ربط بين اللون الأحمر والدم كمصدر للحياة، مشيرًا إلى أن شعوبًا معاصرة مثل الإسكيمو والأستراليين الأصليين ما زالوا يستخدمون المغرة الحمراء في ممارساتهم الرمزية والشعائرية حتى اليوم[4].

[1] Camps (G), Aux origines de la Berbérie, Monuments et Rites funéraires, protohistoriques, Édition AMG, Paris, 1961, p 464,
[2] Fadel (L), op-cit, p 17.
[3] Camps (G), Les escargotières…, op-cit, 2689.
[4] Fadel (L), op-cit, p 17.

ومن أغرب الخصائص التي تميزت بها الثقافة القفصية هي إعادة استخدام العظام البشرية بعد الموت، فقد كشفت الحفريات في عدة مواقع عن عظامٍ بشرية خضعت لتعديلات صناعية بعد وفاة أصحابها، نذكر منها؛ في كوليمناطة عثر على فك سفلي قُطعت فروعه الصاعدة، وفي مشتى العربي وُجدت شظايا من الجمجمة (الجبهي والقذالي) تم نشرها وصقلها وثقبها، وفي نفس الموقع عُثر على عظمة ساق (الشظية) تم صقلها وتحويلها إلى خنجر، أما في مجاز 2 تم العثور على عظم قذالي منشور ومصقول، هذا ووُجدت أسنان بشرية تحمل أخاديد محفورة حول الجذر[1]، إلى جانب طقوس مدفنية أخرى فقد وجدت جثث بدون رأس في موقع رمادية فايد السوار 2 بأم البواقي[2]، هذه الممارسات تدل على أن العظام البشرية كانت تُعامل أحيانًا كمواد رمزية أو طقسية، وربما كانت تُستخدم لأغراض شعائرية تعبّر عن علاقة خاصة بين الأحياء والموتى في المجتمع القفصي.

كما عرف القفصيون عادات غريبة تمثلت في قلع القواطع المركزية السفلية والعلوية، مثل ما تم الكشف عنه في موقع مشتى العربي، وقلع القواطع المركزية والجانبية العلوية والسفلية من خلال بقايا موقع عيون بريش، وهناك حالة فريدة تمثلت في قلع القواطع الأربعة العلوية والقواطع السفلية والأنياب السفلية، وهذا من خلال ما عثر عليه في موقع خنقة الموحد، وما ميز القفصين أن هذا القلع كان يخص النساء دون الرجال في الغالب، إلا في حالة واحدة وجدت في عيون بريش، أين عثر على رجل واحد منزوع القواطع الثمانية[3].

[1] Fadel (L), op-cit, p 15.; Brahimi (C), Op-Cit., p 59.

[2] لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 161.

[3] فريدة أوزاني، المرجع السابق، ص 242.

المحاضرة الثامنة: الإنسان العاقل المغربي

أُجريت الدراسات المتعلّقة بالبقايا البشرية المنسوبة إلى الثقافتين الايبرومغربية والقفصية في فترةٍ كانت فيها البحوث الأنثروبولوجية منفصلة تماماً عن علم الآثار، فلم يهتمّ الأنثروبولوجيون بالسياق الأثري للاكتشاف، ولا بمشكلات نسبة الهياكل العظمية إلى مستوى ثقافي محدّد، وكان المُنقّب، وهو أحياناً غير مختصّ في علم الآثار، هو من يتولى نقل السياق الأثري للبقايا البشرية المكتشفة. ونتيجةً لذلك، كانت البقايا البشرية المكتشفة دون علاقة تشريحية واضحة، فلم يكن يتمّ وصف التجميع أو تصويره، وفي بعض الحالات لم يكن يُستخرج أصلا، كان عمل الأنثروبولوجيين في ذلك الوقت موجهاً حصراً نحو تحديد النمط المورفولوجي للهياكل العظمية المنتمية إلى سياق ثقافي واحد، والبحث عن أوجُه التشابه مع سكان أوروبا. واعتمدت التحاليل بشكلٍ حصري تقريباً على أخذ القياسات، ومعظمها قحفية، إضافة إلى عددٍ قليل من القياسات المستقلة عن القحف، وفيما يتعلق بالبقايا البشرية الخاصة بالثقافتين الايبرومغربية والقفصية، فإنّ لدينا اليوم سلسلة طويلة من القياسات والصفات المورفولوجية

دلت بعض الدراسات التي أقيمت من طرف باحثين أمثال الباحثة شاملا Chamla وكامبس Camps وبالو Ballu في عدة مواقع بشمال إفريقيا على وجود سلالتين رئيسيتين في شمال إفريقيا تعودان إلى العصر الحجري القديم المتأخر[1]، حيث ساد شمال إفريقيا الانسان الايبيرومغربي الذي ينتمي إلى مشتى العربي، حيث يتواصل وجوده خلال فترة العصر الحجري الحديث في التل والسواحل صانع الفخار المخدد، أما النوع الخشن الآخر من نمط الشبه متوسطي، سمحت الدراسات بالتعرف على هذه الشعوب في الفترة المؤرخة ما بين الألفية السادسة والثالثة قبل الميلاد[2].

أولا/ الانسان المشتوي

1/ تعريفه

كان الإنسان الإيبيرومغربي أول إنسان ما قبل التاريخ يُكتشف في شمال غرب إفريقيا، فقد كانت مغارة علي باشا ببجاية، التي نقّب فيها ديبروغ (Debruge) بين سنتي 1901-1902 ثم سنة 1906، أول موقع يعطي بقايا بشرية من هذا النوع، ثم بين عامي 1912 و1930، أجرى الأثري نفسه العديد من الحفريات في موقع مشتى العربي، المنسوبة إلى القَفصي الأعلى، ومنذ ذلك الحين، اكتُشف عدد كبير من البقايا البشرية بلغ أكثر من ثلاثين فردا.

[1] Camps (G) & Camps-Fabrer (H), L'Epipaléolithique récent et le passage au Néolithique dans le nord de l'Afrique, Fundamenta (A/3), t. 7, 1972, p 55.
[2] Chamla (M.C), Les hommes des sépultures protohistoriques et puniques d'Afrique du Nord (Algérie Et Tunisie), L'Anthropologie, T. 79, 1975, p 659.

ثم قدمت الحفريات المتتالية للمدافن الجماعية لمواقع افالو بورمال وموقع كلمناطة، واد القطار، التروغلوديت، مغارة المالح بوهران، وموقع تافورالت، دار السلطان 1، 2، المناصرة، الصخيرات، عدد كبير من البقايا العظمية للإنسان[1]، والتي يزيد عددها عن 700 فرد، فهذه الدراسات التي أجريت على هذه الأخيرة وضحت الصورة لتحديد الخصائص التشريحية لشعوب هذه الحضارة، ولاحظ الباحثون نوعين من نوع الإنسان العاقل العاقل، وهما مختلفين مورفولوجيا، وقد عمروا بلاد المغرب خلال فترة نهاية البلايستوسين الأعلى وهما: شعوب مشتى أفالو رائد الحضارة الإبيرومغربية وشعوب ما قبل المتوسطي رائد الحضارة القفصية.

2/ مو اقع اكتشافه

تم العثور على بقايا انسان مشتى العربي ومشتى أفالوا في العديد من المواقع في الساحل الشرقي الجزائري، بالإضافة إلى أزيد 25 موقعا آخر، وأول تشخيص دقيق لهذا النموذج قام به الباحثان بول وفالوا وأطلق حينها تسميته على نمط موقعان عثر على نماذج منه فيها، هما قرية مشتى العربي بشلغوم العيد بميلة ومغارة أفالو بسوق الإثنين ببجاية، فضلا عن مواقع أخرى مثل الداموس الأحمر، جبل الفرطاس.

تم التعرف على أزيد من 30 هيكل شتوي في موقع مشتى العربي ما بين سطيف وقسنطينة قرب شلغوم العيد، وفي ريو سلادو غرب وهران تم الكشف عن عدة بقايا عظمية لنوع المشتى، وفي تروقلوديت غرب وهران أيضا تم التعرف على هيكل لإمرأة شابة اكتشفت سنة 1886، أما موقع عين قادة فقد قدم بقايا إنسانية كثيرة وفي حالة حفظ سيئة، وهي تمثل ثلاث مجموعات متباينة لأشخاص من نوع مشتى العربي، وفي موقع شمبلان قم التعرف على بقايا عظام مختلفة ومبعثرة وجماجم تعود للإنسان المشتوي، رشقون تم اكتشاف أربعة هياكل عظمية لأشخاص، ثلاثة منه تنتمي على نوع مشتى العربي، وفي المغارة المنخفضة للمنار عند مرتفعات تنس بين وهران والجزائر تم الكشف عن أكبر عدد من البقايا العظمية الإنسانية، مما يوحي إلى وجود مقبرة، إلا أنه لم يتمكن من تحديدها، وفي مغارة راسل غرب تيبازة تم استخراج بقايا إنسانية، منها هيكل لذكر عمره حوالي 40 سنة، ونلاحظ فيه ظاهرة قلع القواطع الأمامية السفلية، أما في كاف أم التويزة بقسنطينة فقط تم التعرف على هيكل داخل طبقة أرضية طينية رملية سوداء، وهي مكونة من 11 فقرة، ضلع، منكبان، كعبرتين، عظم اليد والفخذ، وعظم الساق الأكبر، شظية، وهي تنتمي للإنسان المشتوي ذو مميزات نحيفة[2].

أما في كوليمناطة فعدد البقايا يفوق 100 شخص، من بينها بقايا عظمية تنتمي للأطفال، وهي عبارة عن مقبرة لمدافن فردية، ووضعية الأشخاص مختلفة منها وضعية الاستلقاء الجانبية والظهرية، والرجلين

[1] Chamla (M. C), Les hommes néolithique de l'Afrique, Ed. L'homme, son évolution, sa diversité, Doin, Paris, 1986, p 282.

[2] فريدة أوزاني، البقايا الإنسانية للعصر الحجري القديم الأعلى والعصر الحجري الحديث في بلاد المغرب، جرد ووصف أولي للعينات الموجودة بمركز البحث CNAPAH والمتحف العمومي الباردو (الجزائر العاصمة)، مجلة آثار، مج 14، ع 2، 2016، ص ص 29-49.

مطويتين، وهي الأكثر رواجا، غير أن البقايا البشرية في مقبرة كوليمناطة، تعتبر أحدث من بقايا أفالوا بو رومال وتافورالت، وحددت الباحثة شاملة ذلك التطور في ميّل الهياكل العظمية للمشتوي نحو النحافة؛ وقصر في الطول، وزيادة في الفارق الجنسي، وفي النهاية تحول أكثر وضوحًا إلى شكل الرأس، وفسرت هذه التغيرات مبدئيًا إما بالاختلاط العرقي أو بظاهرة داخلية في المجموعة المدروسة، ولكنها ترفض الاحتمال الأول، ذلك لأنه لو حدث الاختلاط العرقي مع شعوب ما قبل المتوسطية، لكان من الطبيعي ظهور سمات جديدة متوسطية في سكان كوليمناطة، وهذا لم يحدث لدى سكان تافورالت أو أفالوا، وهي بذلك مجرد تعديل للسمات المشتقة من المشتوي، وهذه النحافة وما يرافقها من ظواهر يتفق مع نتائج تطور داخلي[1].

وفي المغرب الأقصى تم العثور على هيكل عظمي شبه كامل، وهيكل عظمي شديد التجزؤ، وكلاهما في حالة حفظ سيئة، الهيكل الأول هو الوحيد الذي تم العثور عليه في دار السلطان 2 وقد دُفن في وضعية الاستلقاء على الجانب الأيسر وفي وضعية الجنين، كان الذراع الأيسر ممدودًا بمحاذاة الجسم، واليد عند مستوى القدمين، بينما كانت اليد اليمنى تحت الخد الأيسر، ولم يكن هناك أي مرفقات جنائزية بجانب الجثة، باستثناء حجر دائري له سطح مقعر يظهر عليه آثار صباغة، بالإضافة إلى فك سفلي مجزأ يتميز بارتفاعه الملحوظ، مع أسنان كبيرة الحجم بشكل استثنائي، وتُظهر هذه القطعة بوضوح السمات المميزة للفكوك من النمط المشتوي، هذا فضلا عن اكتشاف هيكل عظمي في حالة حفظ سيئة يعود لذكر شاب يبلغ حوالي العشرين من العمر عند وفاته، يتميز بجمجمة طويلة الشكل، وبطول قامة يقارب 1.70م[2].

في موقع دار السطان I تُظهر البقايا التي اكتشفها روحلمان (Ruhlmann) سماتٍ انسان سلالة مشتى[3]، وفي موقع الحرحورة II اكتشف هيكل عظمي موضوع في اتجاه جنوب شرقي – شمال غربي، مع توجيه الرأس نحو الشمال الغربي، وهيكل عظمي ثانٍ موضوع بشكل متعامد على الأول، في اتجاه شمال شرقي – جنوب غربي، ورأسه موجه نحو الجنوب الغربي، أما موقع الكيفان، جنوب الدار البيضاء، فقد قدم عظام بشرية في حالة حفظ سيئة جدًا، وقد أظهرت دراسة حديثة للجماجم المجزأة المحفوظة تتعلق بالسلسلة الأنثوية من نوع مشتى العربي التابعة للإيبيرومغربيين في تافورالت[4].

---

[1] Chamla (M. C), Les hommes néolithique de l'Afrique…, op-cit, pp 183-186. ; Camps (G), L'homme de Mechta El-Arabi et sa civilisation, contribution a l'étude des origines Guaches, Anuario de estudios Atlantoos, N° 16, 1969, pp 171-172.

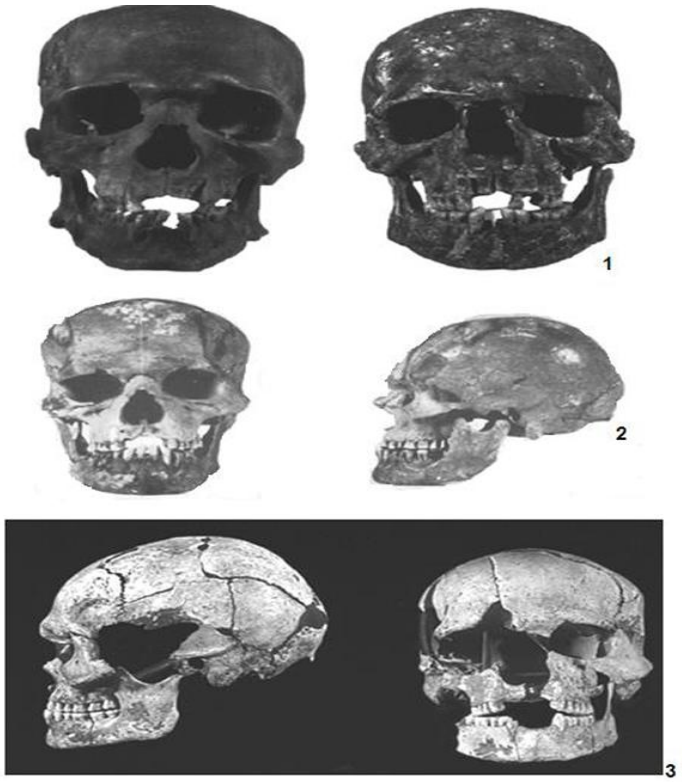
[2] Debénath (A), op-cit, p 138.

[3] Ruhlmann (A.), 1951. La grotte pr6historique de Dar es-Soltan, Hespéris 11, 1951.

[4] Lacombe (J.P.), La nécropole néolithique de Rouazi-Skhirat dans le contexte anthropologique holocène du Maroc atlantique. In: Colloque international, L'Homme de Témara et ses contemporains du bassin mEditerranEen depuis 100 000 ans, Témara 1992, résumé des communications. ; Lacombe (J.P.), Daugas (J.P.), Sbihi-Alaoui (EZ.), La nécropole néolithique de Rouazi-Skhirat (Maroc). Présentation de l'Etude des sépultures. Bull. et Mém. de la Soc. d'Anthrop, de Paris 2 (nouvelle série), 1990, 55-60. Lacombe (J.P.), Elhajraoui (M.A.), Daugas (J.P.), étude anthropologique préliminaire des sepultures néolithiques de la

3/ الخصائص التشريحية للإنسان المشتوي

يتميز إنسان مشتى العربي بقامة تصل 1.74 م عند الرجال، و1.63م عند النساء، وتصل سعته الدماغية إلى حوالي 1650 سم^3، ويبدو أنه كان قوي البنية والخشونة، عريض الكتفين، له سواعد وسيقان طويلة مقارنة مع العضد والفخذ واليد، والأرجل طويلة نوعا ما، أما الجمجمة ذات شكل بيضوي أو خماسي، وهي ذات طول أكثر من العرض في نموذج أفالو وتافوغالت، أما الجبهة فقليلة البروز ومتراجعة نسبيا، وأقواس الحواجب متصلة، أما الوجه فيتميز بالقصر والعرض، أما محاجر العيون فمستطيلة الشكل والذقن بارز جدا، شكل الأنف بارز ومحدب[1]، أما زاويتا



صوررقم 32: جماجم تعود للإنسان المشتوي

الفك الأسفل الداخلية والخارجية فكثيرا ما تكونان منحرفتين، ويمتاز بأنف طويل ورقيق، وتبدو القمم تحت الخشائية كبيرة، أما النتوء الوجني أو العارضي ضخم، أما سقف خده واسع وقوس من الأسنان المتباعدة أو المتنافرة، الحاجبين متباعدين ولهما شكل المستطيل والأقواس الحاجبية قوبة، الوجه متدفق نحو الأمام والأنف بارز، الفك السفلي ضخم والقواطع مبتورة، والهيكل العظمي على العموم ضخم والأطراف سواء العلوية أو السفلية فهي طويلة[2].

4/ أصول الانسان المشتوي

طرحت العديد من الاقتراحات حول أصول الانسان المشتوي، استنادا إلى الخصائص التشريحية ونوعية الأدوات الصناعية لحضارة هذا النوع البشري، فمنذ أول دراسة أنثروبولوجية تناولت البقايا الإيبيرومغربية

---

grotte d'El Mnasra (Témara, Maroc). Bull. de la Soc. d'Anthrop, du Sud-Ouest, Bordeaux, 26, 1991,163-176.

[1] سميرة هميل، العصر الحجري الحديث التلي بالساحل الغربي للجزائر (وهران انموذجا)، أطروحة دكتوراه في آثار ما قبل التاريخ، معهد الأثار، جامعة الجزائر 2، 2017-2018، ص 50.

[2] محمد سحنوني، المرجع السابق، ص 68.

كانت بقايا مغارة علي باشا، وأجراها ديليسِل سنة 1902م[1]، وقد أسفرت النتائج عن رفض فكرة القرابة مع النياندرتال التي اقترحها ديبروغ في البداية[2]، خلصت الدراسة إلى أن الجمجمة تتميز بالمتانة والانحناء العام الذي يشبه كرو-مانيون، وأن هياكل علي باشا البشرية تنتمي إلى النوع البربري المحلي.

لاحقاً، أعادت سلسلة الدراسات الأنثروبولوجية للبقايا المكتشفة في موقع مشتى العربي التأكيد على الانطباع الأول لديبروغ، الذي ربط هذا النوع البشري بالنياندرتال إلى جانب بقايا علي باشا، ومن هنا، انفتح جدل طويل بين مؤيدي نظرية انتماء هذه البقايا إلى نوع النياندرتال ومن رفضوا أي صلة قرابة مع النياندرتال ورأوا أنه محلي أصيل[3].

هذا واقترح آخرون أن أصله من النيل أو من الشرق الأدنى، وقد طُرحت منذ زمن طويل فرضية أن الإيبرومغربيين يعودون إلى أصل شرق أوسطي[4] أو أصل جنوب سوداني[5]، غير أن الباحثة "صاري" ترى أن ذلك يتعارض مع قِدم الإيبرومغريين في المنطقة، حيث يُظهر التسلسل الزمني للصناعة والأدوات الحجرية أنهم موجودون منذ فترة طويلة في شمال إفريقيا، كما الدراسات الأنثروبولوجية القديمة (paléanthropologique)، والتي تشمل دراسات الشكل السني، تحليلات الحمض النووي (ADN) ، تشير إلى وجود اختلافات واضحة بين الإيبرومغربيين وسكان السودان المعاصرين لهم، ما يقلّل من احتمال ارتباطهم بأصول شرق أوسطية أو سودانية جنوبية[6].

ومن جهته يقترح ماك بيرني (McBurney) بدوره أصلًا شرقيا للإيبرومغربيين استنادا إلى ثقافة الدابيّين (Dabbéen) في هوافتيح وكهف الدببة بليبيا[7]، لكن هذا الأصل الشرقي محل جدل بسبب مشكلات الطبقات الستراتيغرافية في موقع هوافتيح، كما أن الأبحاث الحديثة في جبل الأخضر شمال غرب ليبيا التي قام بها باريش وفريقه، قد كشفت عن صناعات حجرية من نوع الشفرات التي تنتمي إلى العصر الحجري الأدنى المتأخر أي تعود لفترة الدابيّين، والتي تؤرخ بحوالي 30,000 سنة، وهي ما تزال غير مفهومة جيدًا حتى الآن[8].

---

[1] Delisle (F.) 1902, Note sur les ossements humains de la grotte "Ali Bacha". Assoc Fr pour l'avancement des sciences 2, 1902, 882-885. ; Ibid, Deuxième note sur les ossements humains préhistoriques de la grotte Ali Bacha (fouilles de M. Debruge). Recueil de la Société Archéologique de Constantine 40, 1906, 197-200.

[2] Debruge (A.), Fouilles de la grotte d'Ali-Bacha. In: sciences Afplad, editor. 31eme session Congrès de Montauban. Montauban, 1902, p 866-883.

[3] Aoudia-Chouakri (L), Pratiques…, op-cit, p 54.

[4] غبريال كامبس، البربر، الذاكرة والهوية، تر: عبد الرحيم حزل، دار إفريقيا، الدار البيضاء، 2010، ص 74.

[5] Tixier (J), Les apports de la stratigraphie et de la typologie aux problèmes des origines de l'Homme moderne, in Origines de l'homme moderne, Actes du Colloque de Paris, UNESCO, 1972, pp. 121- 127.

[6] Sari (L), op-cit, p 48.

[7] Mcburney (C.M.B), The Haua Fteah (Cyrrenaica) and the stone age of the South East Mediterranean, Cambridge university press, p 404.

[8] Sari (L), op-cit, p 49.

من المحتمل أن يكون هناك أصل مشترك بين الانسان العاقل الأوربي المعروف بكرومانيون إفريقيا وأوروبا[1]، وأن كلاهما قد ينحدران من أصول إفريقيا القديمة، بحيث أن العاتريون الأواخر قد هاجروا إلى أوربا وهم من الفروع المعروفة بالكومانيون، وإنسان مشتى العربي يختفي شيئا فشيئا تحت موجة من هجرات إنسانية أسيوية اجتاحت بعد الفترة الجليدية الأخيرة "فورم"، وتواجده ينحصر في نطاق محدود في المغرب الأقصى وجزر الكناري في أواخر النيوليتي[2].

استعرض كامبس أصول مشتى العربي التي درج الباحثون على الاعتقاد بها؛ من خلال التشابه الكبير الموجود بينه وبين إنسان كرومانيون وجزر الكناري، وبالتالي فأصول مشتى العربي خارجية، فقد خيل للبعض أنه جاء من أوربا، عبر اسبانيا ومضيق جبل طارق، والرأي الثاني انه جاء من المشرق وانحدر من الانسان العاقل الذي ظهر في فلسطين، وأن من هذا الموطن خرج فرعان؛ فرع أوربي، نشأ عنه إنسان كرومانيون، وفرع إفريقي، نشأ عنه إنسان مشتى العربي[3].

ثم بعد ذلك يرفض كامبس الرأيين معا، ويقدم حجج في ذلك، ويقول في هذا الشأن :"ومما يؤسف أن الأطروحتان تعانيان اثنتاهما من عيوب ونواقص تجعل من الصعب القبول بهما، فلا سبيل إلى ترسيم هجرة كرومانيون عبر اسبانيا، وليس الأمر يقف عند هذا الحد؛ بل إن الجماجم التي تعود للعصر الحجري الأعلى في أوربا تبين عن خصائص أقل بروزا من تلك المميزة لجماجم من يقال إنهم أحفادهم المغاربيون، ويمكن أن نسوق الحجج نفسها في رد الفرضية القائلة إن مشتى العربي يعود بأصله إلى المشرق الأدنى فليس هناك وثيقة إناسية واحدة من المنطقة ما بين فلسطين وتونس من شأنها أن تدعم هذه الفرضية، ثم إننا نعرف بسكان الشرق الأدنى في أواخر العصر الحجري الأعلى، فهم النطوفيون Natoufiens من النوع ما قبلي المتوسطي، وهو نوع يختلف عن نوع مشتى العربي...، وفي السنوات الأخيرة، كشفت الحفريات في بلاد النوبة شمال سد أسوان عن مقبرة قرب جبل صحابة، حيث أظهرت البقايا البشرية تشابهًا كبيرًا مع إنسان مشتى العربي، وبالتالي البحث عن أصل جنوبي يساعد على تتبع انتشار هذا النمط البشري من المنطقة السورية-الفلسطينية، لكن هذا الأمل تبين أنه غير مؤسس، إذ إن رجال صحابة أحدثون من أقدم أفراد مشتى، ويختلفون عنهم مورفولوجيًا بعدة سمات: وجه أعلى بكثير، مؤشر قحفي أقل، مع بروز فكّي واضح، ولا يمارسون عادة قلع القواطع على الإطلاق، وبالتالي، لا يمكننا حتى الآن تحديد أصل إنسان مشطة العربي بشكل دقيق"[4].

---

[1] Ferembach (D), Les cromagoides de l'Afrique du Nord. 1868-1968. L'Homme de Cromagnon. "Antropoloigie et Archeologie", A. M. G. Paris, pp. 81-91

[2] Chamla (M. C), Les hommes néolithique…, op-cit, 286.

[3] Camps (G), L'homme de Mechta El-Arabi …, op-cit, pp 257-272..74 غابريال كامبس، المرجع السابق، ص

[4] Camps (G), op-cit, pp 270-271.

وفي اطار الأصل الأوربي دائما، حيث لاحظ بعض الباحثين وجود تشابهات نمطية بين صناعات بلدان المغرب وإسبانيا، خاصة فيما يتعلق بـ الشفرات ذات الحافة المستقيمة، وهو ما يُعتبر حجةً مؤيدة لافتراض عبور محتمل نحو المغرب، كما أن الرماح المكتشفة في تافورالت من قبل روش في الطبقة الثالثة والمؤرخة بـ 10 آلاف سنة قبل الميلاد يُعدّ أيضًا دليلًا على احتمال تواصل الإيبرومغربيين مع صيادي الماجداليينين المتأخرين عبر مضيق جبل طارق[1]، أما بالنسبة للأدلة الجينية فهي تشير إلى أن السكان المغاربة يشتركون مع الإسبان في نسبة كبيرة من الأنماط الوراثية، والتي يبدو أنها أقدم في شبه الجزيرة الإيبيرية، بينما ظهرت مؤخرًا في المغرب، وهي مؤرخة بما بين 11,959 و9,497 ق.م، هذا يشير إلى أن عبور مضيق جبل طارق (14.4 كم) كان ممكنًا بواسطة المجداليينين نحو السواحل المغربية خلال فترة العصر الجليدي الأخير، ومن جهة أخرى، أظهرت دراسة أخرى أجريت سنة 2005 أن هناك مكونًا وراثيًا شمال أفريقيًا مستمرًا حتى 12,000ق.م، بينما المكون الأوروبي ظهر لاحقًا نتيجة تدفق هجرات لاحقة. هذا يضع أصل السكان الإيبرومغربيين في سياق مركب، يجمع بين مكون محلي شمال إفريقي قديم وتأثيرات أوروبية لاحقة عبر مضيق جبل طارق[2].

هذا وتم اقتراح فرضية بديلة تنص على أن صانعي الأدوات الميكروليتية، أصلهم من جنوب إيطاليا، هاجروا عبر البرزخ الصقلي-التونسي خلال انخفاض مستوى البحر في نحو 25,000 ق.م، ووصلوا إلى رأس الطيب في تونس، ووفق هذه الفرضية، فإن ثقافات الغرافتيين كانت أقدم من الصناعات الحجرية الصغيرة في المغرب العربي، غير أن الدليل الثقافي لا يؤكد هذه الفرضية، إذ أن المراكز الأقرب للغرافتيين موجودة في حوض الأدرياتيك وليس في صقلية، ومع ذلك، فإن الحجج الأنثروبولوجية تدعم الفرضية، إذ تم ملاحظة تقارب شكلي بين رجال مشتى أفالو، خصوصًا في تافورالت، وبعض شعوب العصر الحجري القديم المتأخر الأوروبيين[3].

أمام تعارض المقترحات السابقة ذات الأصل المشرقي والأوربي، يبقى لنا إذا الأصل المحلي -حسب كامبس-؛ وهي الفرضية الأبسط، ولربما تكون بساطتها هي التي منعت من الأخذ بها، لكنها اليوم قد صارت الأكثر بداهة؛ منذ ان وقع اكتشاف الانسان العاتري، ويسلم اليوم علماء الإناسة المتخصصون في منطقة شمال إفريقيا أمثال فيريمباخ Ferembach وشاملا Chamla بوجود نسب مباشر وموصول بين النياندرتاليين في منطقة شمال إفريقيا ومثالهم إنسان جبل أرحود وأشباه الكرومانيون ومن جملتهم إنسان مشتى العربي، ولا يبعد أن يكون الانسان العاتري المكتشف في دار السلطان هو الوسيط بينهما، لكن بعد أن اكتسب خصائص الانسان العاقل الأول[4].

---

[1] Roche (J), La grotte de Taforalt », L'Anthropologie, 57, 1953, pp 375-380. ; Ibid, L'Epipaléolithique marocain, Livraria Bertrand, Lisboa, 1963, p 80.
[2] Sari (L), op-cit, p 50.
[3] Ibid, pp 50-51.
[4] Chamla (M-C), L'évaluation du type de Mechta-Afalou en Algérie occidentale. "Comptes Rendus de 1'Académie des Sciences de Paris", t. 167, 1849-1851.

ومن جهة أخرى، يدعم العديد من الباحثين فرضية أن الإيبرومغربيين نشأوا محليا في شمال إفريقيا، استنادًا إلى الدلائل القديمة للبشر (paléoanthropologie) التي تشير إلى استمرارية جينية منذ نهاية العصر البلايستوسيني، حيث يُظهر انسان مشتى أفالو العديد من الصفات المشتركة مع إنسان دار السلطان، صاحب الحضارة العاترية، ذو الخصائص التشريحية القديمة، لكنه من نوع الانسان العاقل، ومما يدعم ذلك نجد؛ الأدلة الثقافية، حيث يرى العديد من الباحثين استمرارية الاستيطان في المغرب العربي دون استبدال، ففي موقع سيدي سعيد، لاحظ بتروني Betrouni تسلسلًا بين الصناعة العاترية ذات العقب وصناعة موستيرية ذات رؤوس السهام، المكاشط، النصال[1]، كما اعتبر حاشي أن هذا يمثل الانتقال الثقافي والتقني من الموستيرية نحو الإيبرومغربية كان نتيجة ضغوط ليتولوجية (خصائص الصخور المحلية)، باستخدام السيليكس الأكثر كفاءة، ما أدى فجأة إلى ظهور أدوات أصغر حجمًا[2]، وفي إفري نعمار، يُعتبر الإيبرومغربي مشتق من العاتري، وأخيرًا، فإن المستويات العُليا للصناعات الخاصة بالعصر الحجري القديم الأوسط، والتي جرى تحديدها أساسًا في القطاعين 1 و2 من موقع تافوغالت، تُظهر صفات انتقالية بين العصر الحجري القديم الأوسط والعصر الحجري القديم الأعلى، غير أن نتائج الدراسات الجارية حاليًا التي يُشرف عليها بوزوغار (A. Bouzouggar) لم تُنشر بعد[3].

5/ أصناف الانسان المشتوي: حسب ما قدمته الباحثة شاملا يمكن تمييز أربعة أنماط من سلالة الانسان المشتوي، تختلف عن بعضها البعض في المواصفات الجسمية، وذلك بعد فحص ودراسة الكثير من البقايا العظمية لها، وهي على النحو التالي:

- النوع الأول: يتميز هذا النمط بجمجمة ضخمة وغير متناسقة مع الوجه وأكثر طولا، وصاقورة منخفضة، وحاجبين مرتفعين وهو الأكثر قدما وقليل التواجد وهو في طريق الانقراض.
- النوع الثاني: يتميز هذا النوع بجمجمة صغيرة الحجم، عالية وضيقة، وغير متناسقة مع الوجه، كما أنها مستطيلة الشكل، والصاقورة من متوسطة إلى مرتفعة، حاجب قليل البروز ومنخفضين، وله وجه طويل وضيق، كما يمتاز بهيكل هزيل جدا.
- **النوع الثالث**: يتميز هذا النوع بقصر الرأس الذي له قمة جمجمة معتدلة الارتفاع وجبهة مستقيمة وعالية، أما محاجر العيون فقليلة الارتفاع، كما يمتاز بأقواس الحاجب قوية ووجه صغير وقصير.

[1] Sari (L), op-cit, p 51.
[2] Hachi (S), Résultats des fouilles récentes d'Afalou Bou Rmel (Bédjaîa, Algérie), in Fullola J.-M., Soler N. (ed.), El Món Mediterrani Despres del Pleniglacial (18.000-12.000 BP), Girona, Museu d'Arqueologia de Catalunya, 1997, pp. 77-92.
[3] Sari (L), op-cit, p 51.

- **النوع الرابع:** يتميز برأس متوسط ومستطيل، ويبدو خشنا، أما قمة جماجمهم مسطحة، وأقواس الحاجب قوية ووجه صغير وقصير، وهو قليل الانتشار ويقال إنه تطور محليا.

يشير كامبس أن المشتويين لم ينقرضوا بانتهاء الحضارة الايبيرومغربية، حيث تواجدوا خلال الحضارة القفصية والعصر النيوليتي من خلال بعض المواقع مثل حاسي الأبيض في مالي، لكن إلى جانب الانسان القفصي، وحتى مرحلة فجر التاريخ والفترة البونية، وكذلك العصر الروماني، ومازال لهم تأثير على ساكنة جزر الكناري، غير أننا لا نستطيع أن نضع هؤلاء في أسلاف البربر مباشرة.

أما إنسان مشتى أفالو فقد مر بالمنطقة في حدود 8000-6000 ق.م ويحظى بمميزات خاصة بحيث يظهر بجمجمة ذات سعة دماغية كبيرة وحاجبين قويان ومتباعدين مع وجه متدفق نحو الأمام وعريض، الأنف بارز وفك سفلي ضخم، تتراوح قامته بين 1,62 م إلى 1,80م، معدل الأطراف طويلة نوعا ما.

ثانيا/ انسان ما قبل المتوسطي Protoméditerranéen

1/ تعريفه

ظهر هذا النوع في حدود الألف الثامنة قبل الميلاد، وهو ينتمي إلى سلالة الانسان العاقل العاقل في بلاد المغرب القديم، حيث وجدت مجموعات على شبه كبير به من الناحية الإناسية في نفس الفترة، أو قبيلها في المشرق وهم النطوفيون بفلسطين، وفي مختلف البلدان المتوسطية، وهي تنحدر فيما يبدو من نوع "كومب كابل Compe-Capelle"، الذي كان يقيم في وسط قارة أوربا ويعرف أيضا بإنسان برنو Brno، وله مميزات مختلفة عن إنسان كرومانيون[1]، فمنذ أن اطّلع فالوا (Vallois) على هيكل عين مترشّم، والهياكل البشرية المدفونة مع الحلزونيات والتي لا تنتمي إلى سلالة مشتى أفالو، طلب حينها فحص المجموعات القفصية المحفوظة في مخابر متحف الباردو، ولاحظ بذلك التشابه الكبير في الصفات المورفولوجية بين هذه المستحاثات[2].

واقترح فالوا تسمية هذا النمط البشري الجديد بـ" فجر المتوسطي أو ما قبل المتوسطي" (Protoméditerranéen)، ومع ذلك، لم يُحسم الجدل إلا في سبعينيات القرن الماضي، إثر اكتشاف هياكل عين دكّارة، فقد أدّى التحليل الأنثروبولوجي لهذه البقايا إلى تحديد السمات التشخيصية لنمط ما قبل المتوسطي، وهكذا جرى التعرف على مجموعة بشرية جديدة باعتبارها صانعة الثقافة القفصية.

وقد انتشر انسان فجر المتوسطي في وسط غرب تونس وشرق الجزائر وهو صاحب الحضارة القفصية، ثاني وآخر حضارات العصر الحجري القديم المتأخر في شمال إفريقيا، إذ نجد أهم مواقع استقرار فجر

[1] غاربيال كامبس، المرجع الأسبق، ص 77.

[2] Vallois (H.V.), Le squelette d'Aïn Méterchem. Atti del 1° Congresso internationale di preistoria e protoistoria Mediterranea. Florence, 1950, pp 102-104.

المتوسطيين في كل من الجزء الشرقي من الأطلس؛ ومن أمثلته إنسان عين دكّارة (وهو النموذج البشري المميز للثقافة القبصية)، وكذلك مواقع عين مترشم، خنق الموحاد، مجاز I ومجازII[1] .

وفي هذه الفترة عرف انسان مشتى العربي الخشن تراجعا تدريجيا خلال العصر النيوليتي والمتزامن مع انتشار نوع الفجر متوسطي، الذي نجد له بقايا تتمركز في بعض المواقع الشرقية للبلاد، فخلال الألفية الرابعة يتراجع نوع مشتى أفالو ليكثر نوع الفجر متوسطي النحيف، كما نميز امتزاج سلالة القفصيين ومشتى العربي خلال فترة النيوليتي القفصي، خاصة في موقع المجاز 2، أين عاش مشتى العربي بالقرب من الانسان القفصي[2].

حيث كشف موقع مجاز II عن بقايا بشرية تعود إلى الألفية التاسعة قبل الميلاد وبالتحديد 300 ± 8480سنة قبل الحاضر، أي ما يعادل 8697 سنة قبل الميلاد، ويتعلق الأمر بأفراد من نوعي مشتى أفالو وفجر المتوسطي مجتمعين في دفن واحد بالموقع، منها هيكل يعود لامرأة (رمز لها بـ H4) تبلغ نحو 35 عامًا، تنتمي إلى المشتويين النحيفين (mechtoïde gracile)، تظهر عليها علامات شيخوخة بسيطة مع عدم بتر الأسنان، وُجد هذا الهيكل في وضعية جانبية منحنية، وفق طقوس الإيبيرومغربيين، وكانت H4 تتشارك الدفن مع أشخاص بالغين آخرين؛ رجلان (H1 وH3) وامرأة واحدة (H2)، جميعهم من نوع ما قبل المتوسطي، بالإضافة إلى سبعة هياكل أطفال حديث الولادة، وبقايا متشابكة لثلاثة بالغين وطفل واحد[3].

يمكننا أن نستنتج أن المنطقة الشرقية استوطن بها الأفراد الفجر متوسطيين إلى جانب المشتوي من نوع أفالو بورمال المتطورين الذين كانوا موجودين سابقًا، مما أتاح لهم فرصة التعايش مع بعضهما البعض، والعيش يوميًا في نفس الموقع، ثم الاختلاط السكاني والمزج، ويؤكد ذلك دفن الأفراد في الرماديات التي تعود إلى قبل منتصف الهولوسين، بعض الأفراد المشتويين استمروا في الدفن بوضعية منحنية، محافظين على الطقوس الجنائزية الإيبيرومغربية التقليدية.

ويمكن تبيان اتجاهين في ظاهرة النحافة النسبية ناتجة عن طريق؛ تراجع الصفات الأصلية غير المتناغمة في المشتويين، وفقدان الصفات الأصلية الرشيقة لدى الفجر متوسطيين، وهذان الاتجاهان يمثلان جانبين من التطور المورفولوجي الناتج عن اختلاط الكائنين البشريين آنذاك، ويظهران خلال المرحلة النيوليتية المبكرة، وبالمعنى الواسع، فإن الاختلاط السكاني ساهم في اكتساب بعض النحافة عند المشتويين، وفي فقدانها لدى ما قبل متوسطيين[4].

---

[1] Roubet (C), Les comportements de subsistance et symboliques des premiers pasteurs néolithiques du Maghreb Oriental Atlasique, Comptes Rendus Palevol , V.5, 2006, p 444.
[2] Ibid, p 442.
[3] Camps-Fabrer (H), Un gisement Capsien de faciès Sétifien. Medjez II, El-Eulma (Algérie), CNRS, Paris, 1975.
[4] Roubet (C), op-cit, pp 445-446.

2/ **خصائصه التشريحية**

- دلت التنقيبات التي أجريت في موقع المجاز II على أن انسان ما قبل المتوسطي يبلغ طول الرجال بحوالي 1,75م والنساء 1,62م.
- حجم المخ يبلغ 1530 سم^3.
- يتميز بجمجمة مستطيلة أكثر تناسقا من جمجمة الانسان المشتوي، والقحف معتدل وصاقورة مرتفعة.
- محاجر العيون يغلب عليها الشكل المربع وأنفه ضيق.
- غياب بروز الذقن السنخي.
- النتوءات العظمية غير بارزة، وزاوية الفك ليست منحرفة إلى الأمام وهي الخاصية الأكثر شيوعا.
- الوجه أكثر استقامة واستدارة، وفي الغالب طويل.
- الجبهة أكثر ارتفاعا، والعظم الفاصل بين محجري العين فيه قليل البروز والفكان أقل قوة.
- مقاسات الأضراس كبيرة.
- على العموم العظام الطويلة تتميز بمقاسات متوسطة وضخامة معتدلة بمقارنتها مع مشتى العربي[1].

أصنافه: يقسم بعض المختصين الانسان فجر المتوسطي إلى نوعين هما:

- **النوع الفرعي الأول** يتميز بصفات قوية البنية، وهو عنصر مستطيل الرأس وضيق ويمتاز بوجه طويل، وصاقورة مرتفعة مع أنف متوسط العرض، وقامة طويلة والأنثى نحيفة، ويمثله إنسان مجاز II الذي يمثل أنثى ثبت عليها عملية قلع القواطع العلوية، وانسان عين دكّارة القريبة من تبسة لرجل من دون قلع الاسنان الأمامية.
- **النوع الفرعي الثاني** يتميز بقدر أكبر من الرشاقة، وهو عنصر مستطيل الرأس ويمتاز بوجه متوسط، وصاقورة منخفضة، وله قامة طويلة والوجه بارز، ويمثله إنسان منطقة عين دكارة، فضلا عن هيكلان

[1] غاربيال كامبس، المرجع الأسبق، ص 78.؛ محمد سحنوني، المرجع الأسبق، ص 69.؛ كلود براهيمي، المرجع السابق، ص 77.

لذكران رقم 1 و3 من مجاز II بدون اقتلاع أسنانهما الأمامية، هيكل امرأة من خنق الموحاد مع اقتلاع القواطع، ويُعدّ هذا النوع البشري الثاني هو الأكثر انتشارًا داخل الثقافة القفصية[1].



صوررقم 33: جمجمة الانسان ما قبل المتوسطي.

ثالثا/ علاقة المشتويين بإنسان ما قبل المتوسطي، علاقة انقطاع أم استمرار؟

يذهب معظم الباحثون إلى أن المشتويين وأوائل المتوسطين كانوا يعيشون في وقت واحد، أي ما بين الألف الثامنة والرابعة قبل الميلاد، غير أن النوع الأول أقدم من الثاني، ومع بداية العصر الحجري الحديث انتشر أوائل المتوسطين في كامل مناطق شمال افريقيا، بينما اتجه المشتويين غربا، وانعزلوا في الجبال والكهوف، لينتهي بهم المطاف في جزر الكناري، ومن الممكن أن يكونوا من أصل مشترك واحد لا سيما وأنهم يتشابهون في طقوس الدفن والطقوس الجنائزية بشكل عام[2].

في حين يستبعد قزال ذلك، خاصة فيما يخص انحدار الانسان الفجر المتوسطي من الانسان المشتوي، كما أن النوع الأول سيخلف الثاني في منطقة شمال إفريقيا بالتدريج، ففي العصر النيوليتي تكثر أعداده في الجهة الغربية، أما الانسان فجر المتوسطي فكان يتواجد أكثر في الجهة الشرقية، إلا أن حاشي سليمان له رأي مغاير، حيث يرى وجود علاقة تطورية من حيث النمط بين الطبقات العليا الإيبيرومغربية في أفالو وبين المرحلة الأولى من مخلفات الرماديات في موقع مجاز II المرتبط بالقفصي الأعلى السطايفي؛ وذلك من خلال وجود رؤوس سهام المويلحية والشفرات المثلثة، إضافة إلى وجود الأدوات الهندسية بكثرة ضمن الأدوات الميكروليتية، كما يلاحظ علاقة أخرى مع الصناعتين A وC في وادي العكاريت بتونس الجنوبية، اللتين تنتميان إلى القفصي الأعلى الجنوبي نظرًا لوجود "المثلثات الصغيرة المائلة" في كلا الموقعين. ويخلص هاشي إلى أنّ: "تشابه الممارسات

[1] Chamla (M. C), Étude anthropologique de l'homme capsien de l'Aïn Dokkara (Algérie orientale), Libyca XXI (1973) 9–56. ; Ibid, Évolution du type de Mechta-Afalou en Algérie occidentale, C. R. Acad. Sci. Paris, Ser. D 267 (1968) 1849– 1851.

[2] غابريال كامبس، المرجع السابق، ص ص 77-78.

الجنائزية -مثل الدفن في وضعية القرفصاء أو حتى المفككة كما في العادات الايبرومغربية من أفالو ومجاز-، ووجود القطع الفنية التصويرية، وبيض النعام المزخرف في أفالو، والاستهلاك المكثف للحلزونيات، والاستخدام الواسع للمواد الملوّنة، وممارسات القلع السني في كلتا الحضارتين، وأخيرًا التعايش بين النوعين البشريين داخل القفصي، كلّها عناصر تؤكّد استمرارية الاستيطان بين العصرين الحجري القديم والعصر الحجري القديم المتأخر"[1].

انطلاقا من الإنتاج الصناعي الحجري، بدأ البحث عن أصل خارجي للثقافة القفصية بمقارنتها بمثيلاتها، ومن منظور تصنيفي مُثِلت مع الصناعة الحجرية للسبيليين في صعيد مصر، وبعد نحو عشر سنوات، وُجدت لها أوجه تشابه مع الصناعة الدقيقة للحجارة في واحة خنغوا، كما تم اقتراح الصناعة المسماة بـ "القفصية الكينية" لتكون مرشحة أيضًا لأصل القفصية[2]، وقد رأى جوبير في الصناعة المعروفة بـ "القفصية النموذجية" في برقة بأن أصلها مشرقي[3]، وهو ما أيده بالو حين تحدث عن "مستوطنين قادمين من الشرق".

وفي سبعينيات القرن الماضي اقترح كامبس الأصل المشرقي أيضا مستدلا بأوجه التشابه الثقافي بين القفصيين والنوطوفيين[4]، وبعد عام، قدمت شاملا حججًا أنثروبولوجية تدعم نظرية الأصل النطوفي للقفصيين. وذكرت أن من بين جميع الشعوب التي حاول الباحثون تقريبها من البشر القفصيين، فإن الما قبل متوسطيين النوطوفيين هم الأكثر ملاءمة، وذلك من العناصر المشتركة التي تجمعهما مثل؛ الطول وقوة البنية العامة لدى الرجال، سعة مخ كبيرة، رأس طويل أو متوسّط مرتبط بوجه ضيق أو متوسط العرض، بروز فكّي متوسط وعرضي أحيانًا، تطور كبير للفك السفلي، كما أضافت شاملا عناصر ثقافية مثل ممارسة خلع الأسنان، رغم أنها أقل شيوعًا لدى النوطوفيين، وانخفاض معدل تسوس الأسنان الذي سجل لدى كلتا المجموعتين[5].

لاحقًا، أدت الإشارة إلى وجود خصائص مشتوية لدى مجموعات بشرية في جزر الكناري وفي صحراء مالي، مما أدى إلى تدعم فرضية فيريمباخ، التي ترى أيضًا أن القفصيين يعودون أصلاً إلى الشرق الأدنى، وخلال العصر النيوليتي، يُفترض أن هؤلاء القفصيين طردوا المشتويين الذين لجأوا إلى المناطق الجبلية، ثم نحو

[1] Hachi (S), Aux origines des arts premiers en Afrique du Nord : Les figurines et les objets modelés en terre cuites de l'abri-sous-roche préhistorique d'Afalou, Babors, Algérie (18 000 – 11 000 ans BP), Mémoire du Centre National de Recherche Préhistoriques Anthropologiques et Historiques, Nouvelle série n° 6, Alger, 2003, p 225.
[2] Aoudia-Chouakri (L), Pratiques…, op-cit, p 61.
[3] Gobert (E.G.), El Mekta, station princeps du Capsien. *Karthago* 3, 1952, pp 1-79.
[4] Camps (G), les Civilisations…, op-cit, p 193.
[5] Chamla (M.C.), La diversité des types humains dans les gisements capsiens. In: C.N.R.S E, editor. In Camps-Fabrer H: Un gisement capsien de faciès sétifien, Medjez II, El Eulma Algerie. Paris, 1975, p 375.

الساحل الأطلسي، حيث عبروا البحر ليستقروا في جزر الكناري، أو منذ فترة الهولوسين المبكر، اتجهوا نحو الجنوب، مع تسجيل وجودهم في صحراء مالي، خصوصًا في المنطقة الشمالية الشرقية[1].

نموذج الاستمرارية: منذ عام 1984، وفي وقت كان فيه جميع الباحثين في علم ما قبل التاريخ والأنثروبولوجيا مقتنعين بالانقطاع الثقافي والأنثروبولوجي بين الحضارتين، وكان أغلبهم يتفق على وضع أصل القفصيين في الشرق الأدنى، ظهرت موجة جديدة من المقترحات المعاكسة تحت قيادة لوبيل، وفي الواقع، قامت هذه المجموعة بدراسة عينة من بقايا بشرية تعود إلى للإيبرومغربيين وقارنتها مع البقايا القفصية المتاحة، وأظهرت نتائجهم أن الأفراد الإيبرومغربيين من الإناث والقفصيين من كلا الجنسين يشكلون عائلة واحدة من الخصائص، وبناءً على ذلك، خلصت هذه المجموعة إلى أنه من غير المجدي محاولة التمييز بين أنواع ضمن جماجم العصر الحجري القديم المتأخر في المغرب العربي، حيث إن الاختلاف الجنسي يقل ويتغير طبيعته مع مرور الزمن

قدم آيريش سنة 2000 دراسة حديثة استنادا إلى تحليل مسألة الانقطاع أو الاستمرارية بين الإيبرومغربيين والقفصيين. وتناول المؤلف هذه المسألة من خلال سؤالين رئيسيين؛ هل يُعد الإنسان الإيبرومغربي سلفًا لجميع سكان شمال غرب إفريقيا؟ وهل هناك صلة بين الإيبرومغربيين والنوبيين؟ وللإجابة عن هذين السؤالين، ركز آيريش على القياسات والخصائص المورفولوجية الدقيقة للأسنان والفك السفلي لعينة واسعة من السكان ما قبل التاريخ والفترة التاريخية من شمال غرب إفريقيا، وشمال شرق إفريقيا، وجزر الكناري. وقد عالج هذه البيانات باستخدام طرق التحليل متعدد المتغيرات، التي توفر تقديرًا كميًا للتباين البيولوجي بين العينات، وتعتمد هذه الطريقة على درجة التشابه بين الأفراد أو المجموعات بناءً على الصفات الظاهرية، سواء كانت شكلية، جسدية، أو مورفولوجية، دون النظر مباشرة إلى العلاقات الجينية أو التطورية، وتحصل على نتائج مهمة، وهي نفي الفكرة القائلة بأن الإيبرومغريين ليس لهم صلة بأحفاد شمال إفريقيا، مع وجود تباين كبير بين عينة من أفراد أفالو بورمال وعينة تافورالت، باستثناء اشتراكهما في بعض خصائص الجمجمة، والتي قد تعزى إلى عوامل بيئية مشتركة، أما علاقتهم بالنوبيين فهم مختلفون تماما، وهكذا، يدعم آيريش فكرة وجود علاقة معينة بين الإيبرومغربيين والسكان الأكثر حداثة في شمال إفريقياأي ما قبل المتوسطي، وبالتالي، تظهر العينتان أفالو بورمال وتافورالت، بعض درجات الانتماء إلى مجموع السكان الشمال أفريقيين المعاصرين، وهو ما يُستدل عليه من خلال مشاركة عدة خصائص مورفولوجية، ويختتم آيريش تحليله بإدراج بيانات غير منشورة مستخلصة من السكان النوطوفيين في الشرق الأدنى، ويشير إلى غياب أي

[1] Aoudia-Chouakri (L), op-cit, p 62.

قرابة بين العينة القفصية والعينة النوطوفية، على عكس استنتاجات فيريمباخ الذين اعتبروا احتمال وجود علاقة نسل بين هاتين المجموعتين[1].

إن الحديث عن تعمير بلاد المغرب فيما قبل التاريخ لا يزال في بداياته الأولى، وإن الكشف عن الأنواع البشرية التي عمرت المنطقة وخلفت لنا تلك الثقافات الما قبل تاريخية، يحتاج إلى المزيد من الأعمال الميدانية والبحثية، فهذا الموضوع لم يكتب عنه سوى بضع صفحات قليلة، وإن كان تصوره العام قد وُضع بالفعل، باعتبار أن الاستيطان البشري في بلاد المغرب القديم، كان متواصلا دون انقطاع، فكل المناطق من الناحية التعميرية والبقايا الأثرية ذات أهمية بالغة، أما النقائص المتعلقة بالبقايا البشرية ذاتها، فقد بدأت تُسد تدريجيًا، إذ أصبحنا نعرف اليوم الإنسان المعتدل بأنواعه سواء خاصة الأطلسي الموريطاني وإنسان سيدي عبد الرحمان، وكذلك العاتري لكون أكثر دقة، وذلك لأننا بدأنا بالكاد نلمحه من خلال بعض الشواهد المحدودة مثل تلك المكتشفة في دار السلطان، والحرحورة، وتمارة، وهي مواقع رغم شهرتها تبقى من بين الأقل فهمًا بسبب تشتت معطياتها وتجزئها.

ومن خلال هذه الشواهد المتفرقة والمتوزعة على مواقع بلدان المغرب، يمكن مع ذلك تصور تطور محلي متسلسل من الإنسان المنتصب (Homo erectus) إلى الإنسان العاقل العاقل (Homo sapiens sapiens) الحديث، مرورًا بأنماط بدائية مثل تلك التي وُجدت في مشتى العربي، كوليمناطة، دار السلطان، وجبل أرحود ...إلخ، ثم إن تباين الأنماط البشرية في العصر الحجري القديم المتأخر والعصر الحجري الحديث، فمنها ما ينتمي إلى نمط مشتى العربي، ومنها ما يُصنف ضمن النمط ما قبل المتوسطي، يشير إلى أن التنوع السكاني قد حدث في فترة قديمة جدًا، ولكن متى بالتحديد؟ يبقى هذا سؤالًا مفتوحًا بسبب نقص الوثائق. ويبدو أن نمط مشتى أفالو قد استمر لفترة طويلة جدًا، إذ يُمكن على التعرف على سماته المميزة لدى بعض الجماعات التاريخية مثل الأمازيغ (البربر) والغوانش (سكان جزر الكناري الأوائل).

وفيما يخص استمرار النوع القفصي في شمال إفريقيا خلال العصر الحجري الحديث وما بعده، فيرى بالو البربر أن أصولهم قفصية ويستند إلى الطقوس المدفنية التي وجدت البربر فيما بعد وهي تشبه إلى حد كبير طرق الدفن عند الانسان ما قبل المتوسطي[2]، ونظرا لأن هذا الأخير يحمل صفات زنجية حسب ما دلت عليه بعض الخصائص التشريحية لكثير من البقايا العظمية المكتشفة في مواقع قفصية، مما شجع الباحث "جون ديبوا" بأن هناك تشابه بين الانسان القفصي وبين انسان حضارات كينيا ومصر العليا، مما يعني أصول إفريقية[3]، والمرجح أن القفصيون هم أجداد البربر، ومن حيث الأصل القفصي دائما، يدعم محمد العربي

[1] Irish (J.D.), The Iberomaurusian enigma: North African proginitor or dead end? J Hum Evol (39), 2000, pp 394-410.
[2] Balout (L), Préhistoire De L'Afrique Du Nord, op-cit, p 437.
[3] Despois (J), Le peuplement préhistorique de l'Afrique du Nord, d'après M. L. Balout. In: Annales de Géographie 1957, t 66, n°357, 1957, pp 458-459.

عقون ذلك، في حين تذكر حشيد أن أوائل البربر يشبهون المشتاويون من حيث الخصائص الفيزيولوجية، وذلك من حيث طرق الدفن والطقوس المصاحبة لها، مما يوحي بأن الحضارتين ذات أصل مشترك من الناحية البشرية[1].

أما الباحث بن بوزيد فيميل إلى الأصل المتعدد للبربر، فجزء منهم من بقايا المشتاويون الذين سكنوا الجبال بعد قدوم الانسان ما قبل المتوسطي لشمال إفريقيا، بينما جزء آخر ينتمي إلى هؤلاء الوافدون الجدد (القفصيون)، نظرا لوجود دلائل عن استمرار القفصية إلى غاية الألف الثالث قبل الميلاد وربما حتى الفترة التاريخية، أما القسم الثالث فهم خليط من الشعوب التي قدمت من المشرق وهم راكبوا الخيول والعربات والذين عبروا عن فنهم في جبال الأطلس والطاسيلي والهوقار، وصولا إلى التيبستي بالتشاد، حيث اصطلح عليهم اسم الشعوب الليبية البربرية، وإلى جانب ذلك قدمت هجرات أخرى في نهاية العصر النيوليتي من منافذ مختلفة كمضيق جبل طارق وصقلية، وبعضهم قد يكونوا من الهكسوس الذين طردوا من مصر أو من شعوب الذين تحالفوا مع الليبيين ضد المصريين، وقد يكون جزء منهم من الفينيقيين الذين استقروا في شمال إفريقيا وبقوا فيها إلى غاية الاحتلال الروماني للمنطقة.[2]

[1] Hachid (M), L'art rupestre préhistorique en Algérie, in: Al Insan, CRAPE, Alger, 1983, p 20.

[2] لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص ص188-189.

المحاضرة التاسعة: حضارات العصر الحجري الحديث

يعتبر النيوليتي فترة من فترات ما قبل التاريخ، حيث عرفت تغيرات هامة في حياة الإنسان وفي نمط معيشته، وهي آخر الفترات من العصور الحجرية التي شهدت عملية التحول من الصيد وجمع القوت إلى الاستقرار ونشوء القرى الزراعية الأولى، وما ارتبط بذلك من تحولات من الناحية الفكرية، الاقتصادية والاجتماعية، كما أن خلال هذه الفترة حدثت تغيرات كبيرة في المحيط والمناخ والتي أثرت على الإنسان ونشاطه.

تاريخ بداية هذا العصر ونهايته مختلفة باختلاف أجزاء العالم، في آسيا وافريقيا وأوروبا، ويسبق هذا العصر من الناحية الكرونولوجية ببلاد المغرب العصر الحجري القديم المتأخر والذي تطور حسب كرونولوجيا معظم المواقع بين الألفية السابعة والرابعة قبل الميلاد.

أولا: تعريف العصر الحجري الحديث (النيوليتي)

مصطلح النيوليتي الذي يعني العصر الحجري الحديث أو عصر الحجارة الحديثة، ظهر لأول مرة على يد السير جون ليبوك J. Lubbock سنة 1865 لوصف التطورات التي طرأت على تكنولوجيا صناعة الأدوات في نهاية العصر الحجري، وقد أصبح هذا المصطلح لاحقًا مرادفًا إلى حدٍّ كبير لظهور إنتاج الغذاء، ويمثل العصر الحجري الحديث مجموعة من السمات (غالبًا ما تكون مترابطة)، من أبرزها زراعة المحاصيل، وتدجين الحيوان وتربية الماشية، وصناعة الفخار، والاستقرار (السكن الدائم)، وعلى الرغم من أنّ هذه السمات لم تتطور أو تُعتَمَد في الوقت نفسه وفي كل مكان، فإنها تبدو مع ذلك مرتبطة ارتباطًا وثيقًا[1]، وهذا ما ساهم في ظهور ما يطلق عليه بمصطلح "النولتة"، والذي يقصد به تلك المظاهر الحضارية والمعيشية الحديثة، التي صاحبت انتقال هذه المجموعات البشرية من نمط الصيد والقطف، وأصبحت مستقرة بعدما كانت في تنقل دائم، لتصبح منتجة لغذائها، حيث انتهجت الزراعة وتربية الحيوانات[2].

عرف الإنسان خلال مرحلة النيوليتي فترة انتقالية إلى نمط معيشي جديد مكلل بابتكارات حديثة، منها اقامة أولى المجتمعات الفلاحية التي سكنت الشرق الأوسط فيما بين 12.000 و7000 سنة قبل الحالي لتنتشر في كافة بلدان الحوض المتوسط أوروبا وشمال إفريقيا.

يعرفه الباحث شيلد Childe بأنه العصر الذي حدثت فيه الثورة النيوليتية، أي حدوث تغير أو تبديل في أساليب انتاج الانسان لطعامه بالزراعة والرعي، لذا سمي بعصر انتاج الطعام، وهي بمثابة فترة انتقالية من

[1] Kavita (G), Graeme (R.), Anvar (Sh)., The Near-Eastern Roots of the Neolithic in South Asia, PloS ONE 9 (5), 2014, p 10

[2] Haider-Boustani (M.), Le néolithique des Liban dans le contexte Proche- Orientale, Etats des connaissances, Université Saint- Joseph, Beyrouth. Vol. 12- 13, 2001-2002, Tempora (Beyrouth), 2002.

جمع الطعام إلى انتاجه[1]، كما أشار إلى تأثير العامل البيئي والمناخي، واللذان لهما تأثير رئيسي على نمط معيشته، حيث تمتع الانسان خلال المناخ الأمثل بإنتاج الطعام بواسطة زراعة النبات وتربية الحيوانات، كما عرفه "رينفر و باهن Renfrew et Bahn" بأنه "فترة من فترات العصور الحجرية القديمة التي تميزت بظهور الزراعة وازدياد حالات الاستقرار في المجتمع[2]، تطور وفق فترات زمنية في الاقتصاد والعلاقات الاجتماعية والظاهرة الثقافية والتكنولوجية والأيديولوجية في مختلف مناطق العالم[3]، ومن هنا حق تسميته "أسلوب الحياة العصر الحجري الحديث[4]، غير أنّ ما يُطلق عليه عادةً "الثورة النيوليتية" يغطي في الواقع عمليات شديدة التنوّع باختلاف السياقات الثقافية والبيئية[5]، وفي ظل هذا المناقشات ظهر مصطلح حزمة العصر الحجري الحديث"، والذي يستخدم للإشارة إلى الثقافة المادية لتلك الفترة ككل، حيث أسفرت التجمعات البشرية خلال تلك الفترة عن اكتشافات متطابقة تقريبا[6].

أما في نظر "كوفين Cauvin" فهي ناتجة عن التغيرات والتطورات الذهنية والسلوكية لهذه المجتمعات تحدد هذه النولتة، لابد من توفر عدة ركائز أساسية محددة لهذه الثقافة، وتتمثل أساسا بتوفر عدة معايير اقتصادية خاصة مع ظهور الزراعة، الرعي، تدجين الحيوانات، وتطور عدة تقنيات صناعية حديثة في تشكيل الأدوات الصناعية "الصقل"، ضف إليها مظاهر الاستقرار بظهور بوادر أولى المساكن، وصناعة الفخار"[7]، في حين يعتبرها الباحث "هيلمر Helmer" بأنها مجموع الميكانيزمات والآليات والعوامل التاريخية والحضارية والثقافية التي أسهمت في وضع أولى ركائز استقرار المجتمعات البشرية- الرعوية بالشرق الأدنى"[8].

الحدث الهام الذي يميز العصر النيوليتي هو تطور إقامات الإنسان والاستقرار إلى جانب الزراعة واستئناس الحيوانات، صناعة الفخار وتنوع الأدوات العظمية والأدوات المصقولة، فالتعريف بهذه الفترة لا يكون فقط من جانب واحد خاص بالبقايا الأثرية أو الصناعات الحجرية والعظمية وبقايا الفخار، بل يجب التركيز على النمط المعيشي وهو من أحد المعايير التي لها مدلول واضح للتعرف على هذه الفترة بالمقارنة مع المعطيات التي ترتكز على تواجد أو اختفاء أدوات معينة أو باستعمال تقنية ما[9].

---

[1] Childe (VG), The Dawn of European Civilization, Routledge et Kegan paul LTD, London, 1925, p 11. ; Child (G) & Gordon (V), *Bronze age*, Ed Cambridge University, 1930, p 69.

[2] سميرة هميل، المرجع السابق، ص 10.

[3] Thomas (J), Rethinking the Neolithic, Cambridge, Cambridge Univ. Press, 1991, p 11.

[4] Cilingiroglu (C), The concept of Neolithic package, considering its meaning and applicability, Documenta Praehistorica, XXXII, 4 (5), 2005, p 2.

[5] Charpentier (V), The Neolithic /le Néolithique In : 40 ans de coopération Archéologique entre les Emirats Arabes et la France, Unesco, November 2017, p 39.

[6] Cilingiroglu (C), op-cit, p 2.

[7] Cauvin (J), Naissance des divinités. Naissance de l'agriculture, la révolution des symboles au néolithique (Nouvelle édition). C.N.R.S., Paris, 1997.

[8] Helmer (D), La domestication des animaux par les hommes préhistoriques. Paris, Masson, 1992, p 43.

[9] Camps (G), les civilisations…, op-cit, p 216.

بدأت أولى بوادر ظهور هذه الفترة النيوليتية، بقيام الركائز الأولى التي مهدت لبروز مظاهر حياتية ومعيشية حديثة، نتجت عن درجة التطورات التي صاحبت التصورات الذهنية والسلوكية التي اكتسبتها هذه المجتمعات البشرية، فهي لا ترتبط فقط بحضور تقنيات صناعية حديثة كالصقل، وصناعة الفخار،÷ ولكن في ادراكهم التام أنهم يمكنهم التحكم واحداث تغيرات جوهرية في البيئة المحيطة بهم، جملة هذه التغيرات التي أتى بها يمكن التعرف عليها بسهولة، خاصة انتاج الغذاء والتحكم في مصادر القوت واقتناء الغذاء وتنويعها، من خلال الثقافة المادية والصناعية (الصقل، ظهور الفخار)، أو من خلال التعابير الفنية والرمزية"[1].

إنه حضارة فكرية بامتياز، خلال هذه الفترة حدثت تغيرات جذرية في حياة الإنسان، ونمط معيشته، ومما ساعد على حدوث الثورة النيوليتية هو المناخ المناسب في حدود 12000 س ق.م، (فترات الرطوبة الكبرى)، وتختلف التحديدات الزمنية للعصور حسب البيئات الطبيعية، وتتميز حضارة هذا العصر بالتحول من الجمع والصيد إلى إنتاج القوت، وصناعة الفخار (لتخزين الحبوب والسوائل)، ممثلا بالزراعة وتربية الحيوان، وبروز ما اصطلح عليه الثورة النيوليتية، ويُقصد به ذلك الانقلاب المفاجئ والسريع الذي أطاح بنمط اقتصادي-اجتماعي قديم، ليأتي بنمط جديد، تمثّل في مجموعة من الإبداعات الجديدة في مختلف الميادين كالقرى الزراعية التي تتكون من مجموعة من المساكن وتخصيص أماكن لدفن الموتى، مما شكل هناك نظام اجتماعي راق، واعتقد إنسان هذا العصر أن للأرض آلهة للخصب والنماء، وشبهها بالأم حيث رمز إليها بتماثيل في هيئة آدمية على شكل امرأة في غالب الأحيان[2]، وفي المجمل يجيبنا العصر النيوليتي على السؤال التالي: "كيف أصبحنا رعايا مستقرين، نزرع الحبوب ونربي الماشية، تحت سلطة هذه المؤسسة الجديدة التي نعرفها اليوم بالدولة"[3].

ثانيا/ انتشار النيوليتي ومسار تطوره

لم تتطور حضارات النيوليتي في نفس الوقت أو في فترة زمنية واحدة في جميع المناطق، فترات متفاوتة سواء في ظاهرة صناعة الفخار التي تبدو حسب بعض الباحثين ظهرت نتيجة للتغيير في النظام الغذائي لإنسان ما قبل التاريخ والذي يلي استئناس النبات والزراعة، ففي بعض مواقع الشرق الأوسط تبين ان الزراعة تسبق ظهور الفخار، ظاهرة لا تتوافق مع ما نميزه بالصحراء خلال هذه الفترة كما أنها ظاهرة تنتشر أيضا بانتقال الشعوب ومعه ممارسات ونشاطات معينة.

---

[1] Aumassip (G), Préhistoire du Sahara et de ses abords, Maisonneuve & Larose, Paris, 2004.

[2] Zvelebil (M), What's in a nama: The Mesolithic, the Neolithic and Social change at the Mesolithic-Neolithic Transition, In. M. Edmonds and C. Richards (eds), Understanding the Neolithic of North-Western Europe, 1998, pp 1-37.

[3] Scott (J. C.), «Crops, Towns, Government », *London Review of Books* 35 (22), 2013, p 3. En ligne : https://www.lrb.co.uk/the-paper/v35/n22/james-c.-scott/crops-towns-government. ; Hadad (R), Inactualités de la révolution néolithique, Rousseau, l'Anthropocène et les nouveaux riches de la préhistoire, Revue De L'Homme, 234-235, 2020, pp 291-318.

عرف الشرق الأوسط منذ الألفية العاشرة قبل الميلاد ظهور قرى الصيادين والقرى الزراعية الأولى، فقد أرخ موقع "أريحا" شمال غرب القدس بـ 9250 ق.ح، بينما أرخ معبد "قوبكلي تيت Gobekli Tepe" بتركيا بما بين الألف العاشرة والتاسعة قبل الحاضر، هذا فضلا عن موقع تل المريبط شمال سوريا، وفي عدد من المواقع العراقية الشمالية مثل تل حسونة، جرمو، وزاوي شنيدار وكريم شهر تم الكشف عن بقايا أكواخ بنيت جدرانها من الحجارة وعثر بداخلها على رحى وفؤوس يدوية[1]، وفي شمال ووسط أوربا فقد عرفت العصر النيوليتي بين الألفية السادسة والألفية الرابعة قبل الميلاد، ويعتبر ظهور الفخار كميزة من مميزات النيوليتي في أوربا الشرقية والغربية كما ارتبط ذلك بالتحول في الاقتصاد، أما في المناطق الأخرى من العالم فقد صاحب الصيد والجمع المجموعات المستقرة قبل الزراعة أو بالأحرى استخدموا الفخار والصناعات الحجرية دون تطور في نمط الزراعة والرعي[2].

وبالنسبة لمناطق جنوب البحر الأبيض المتوسط والصحراء، فقد ظهر الفخار واستئناس الحيوان قبل زراعة الحبوب، كما ظهرت الاقامات شبه المستقرة قبل التدجين، ذلك أننا نعلم أن الفخار كان موجود في سياقات تُصنَّف عادة ضمن ما بعد الباليوليتي في الأكّاكوس، وفي ريف المغرب الشرقي عند حاسي ونجا، وفي المرحلة القفصية العليا في تونس تم الكشف عن فأس مصقول ذو حجم صغير، أما في الايبرومغربية، فقد تم تطوير تقنية تشكيل التماثيل من الطين المشوي في وقت مبكر جدًا و أحسن الانسان إتقانها، حتى وإن لم تؤد في ذلك العصر إلى إنتاج أواني فخارية، فعندما عرفت المناطق الأخرى تدجين الحيوانات تبنى سكان شمال افريقيا الحياة الرعوية ولم يتحولوا إلى الاستقرار الكامل وبناء الأكواخ والقرى والزراعة، وهذا مرجعه إلى أن البحث في شمال إفريقيا يشهد الجدل العلمي الذي عرفته الدراسات في الشرق الأدنى وأوروبا خلال الخمسين سنة الماضية، فقد حظيت جوانب أخرى - اقتصادية، اجتماعية، بيئية، معرفية- باهتمام كبير في أجزاء كثيرة من العالم باستثناء شمال إفريقيا[3].

وبالنسبة لكامبس، فله رأي آخر، فقد أشار إلى مدى صعوبة تطبيق مثل هذا المعيار من الناحية الأثرية، مع اعتباره مع ذلك "المعيار الوحيد المقبول من منظور إثنولوجي"[4]، أي الاستئناس وممارسة الزراعة كمعيار للعصر النيوليتي، ففي مواقع النيوليتي جنوب الصحراء، وبسبب ظروف الترسيب نفسها، تكون فرص حفظ البذور أو العثور على حبوب اللقاح الخاصة بنباتات مزروعة قليلة إلى الحد الذي يجعل الاستناد إليها إنكارا فعليا لوجود العصر النيوليتي، وينطبق الأمر ذاته على بقايا الحيوانات المستأنسة، ولهذا، يجد عالم ما قبل

[1] لخضر بن بوزيد، ثقافات النيوليتي القديم في الصحراء الوسطى، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج 5، ع 1، 2022، ص 132.

[2] سميرة هميل، المرجع السابق، ص ص 11-12.

[3] Elena A.A. Garcea, An Alternative Way Towards Food Production: The Perspective from the Libyan Sahara, Journal of World Prehistory, June 2004, Vol. 18, N°2, p 110.

[4] Camps (G.), Amekni, Néolithique ancien du Hoggar. Mém. X, C.R.A.P.E., A.M. G., 1969, pp 203-205

التاريخ نفسه مضطراً للاعتماد على معطيات أثرية صرفة، وهو ما أشارت إليه فابرر كامبس اعتبار الفخار دليل على وجود النيوليتي، وجهته يضيف كامبس ما يلي: "يبدو لنا أن الفخار، بغض النظر عما يقوله بعض المؤلفين، تقنية نشأت نتيجة لتغييرات غذائية تلت الزراعة، فقد أظهرت الحفريات في المواقع الشهيرة بالشرق الأوسط أن الزراعة سبقت الفخار، بينما، حسب علمنا، لم يثبت العكس حقًا، لذلك، فإن وفرة الفخار في النيوليتي الصحراوي-السوداني في جنوب الصحراء يعتبر من قبلنا دليلًا غير مباشر على تطور الزراعة"[1].

حركة النيوليتي في شمال إفريقيا مزيج لتيارات شرقية وغربية تنطلق من الشرق الاوسط منذ حوالي 10.000 إلى 8000 سنة ق.م، لتتوسع نحو الغرب عبر شواطئ البحر المتوسط والأنهار كنهر الدانوب في أوروبا، كما يأخذ مكانة في كل من بلاد النوبة، مصر، الصحراء الوسطى والخرطوم كنقطة لانتشار واسع للشعوب النيوليتية نحو الغرب والشمال والجنوب[2].

والوجه الثقافي المعروف بالنيوليتي الصحراوي السوداني والمؤرخ بالألفية السابعة بموقع امكني بالهقار وهو من أهم المواقع الذي يعود إلى النيوليتي القديم، حيث عرف استئناس الخراف والبقر في حوالي 7600 و 6000 سنة ق.م، اما الزراعة عرفت بالصحراء منذ الألفية السادسة بموقع أمكني، أين تم العثور خلال الحفريات على حبات الدخن، وبموقع ادرار اكاكوس، موهجياج، وان افودة، تن هنكاتن وموقع منيات حيث عرفت هذه المواقع استئناس الحيوان والنبات وصناعة الفخار منذ فترات مبكرة[3].

أما فترة النيوليتي الخاصة ببلاد المغرب فقد عرفت مناخ ملائم انتشرت فيه ثقافة النيوليتي التلي ذو التقاليد القفصية بشرق البلاد والأيبرومغربية بالجهة الغربية كموقع كلومناطة، عين قطارة، خنقة سي محمد الطاهر، أشكار التي تؤرخ بحوالي 6500 إلى 4000 سنة ق.م، وتتميز مجمل هذه المواقع ببقايا الفخار المخدد والمضغوط وبقايا قشور بيض النعام حيث كانت لها تأثيرات من الجهة الشمالية عبر شبه الجزيرة الإيبيرية ومن جهة الصحراء عبر الأطلس الصحراوي، المناطق الغربية من شمال افريقيا تعتبر كمناطق استقبال الشعوب ذات الثقافات النيوليتية القديمة موجات آتية من الشرق وتتطور تدريجيا بإدماج الثقافات المحلية[4].

ثالثا/ السمات العامة للنيوليتي

شهدت هذه المرحلة من تطور ما قبل التاريخ في شمال إفريقيا تحولات مهمة، تمثلت في الحفاظ على بعض الأساليب التقنية القديمة في تصنيع الأدوات الحجرية والعظمية، بالتوازي مع ظهور تقنيات جديدة أحدثت نقلة نوعية في نمط عيش الإنسان. وقد ساهمت التغيرات البيئية ووفرة الموارد الطبيعية في بروز أنشطة

[1] Camps (G), op-cit, p 217.

[2] سميرة هميل، المرجع السابق، ص 12.

[3] Aumassip (G), Le Bas-Sahara dans la préhistoire, Éd. du Centre national de la recherche scientifique, Paris, 1986, pp 503-515.

[4] سميرة هميل، المرجع السابق، ص 13.

اقتصادية جديدة، مثل صناعة الفخار، والأدوات المصقولة، وأدوات الطحن، إضافة إلى بدايات استئناس الحيوان والنبات.

1/ الصناعة الحجرية: تتميز الأدوات الحجرية في العصر النيوليتي بشمال إفريقيا بوجود خصائص مشتركة على مستوى واسع، مع استمرار بعض السمات الإقليمية المحلية[1]، وبناءً على الدراسات الأثرية القديمة والحديثة[2]، يظهر أن الشظايا تشكل المكون الأساسي للمجموعات الصناعية في هذه الفترة، مع ارتفاع واضح في نسبة الأدوات مثل المسننات وأدوات الحزّ، وظهور رؤوس السهام بشكل أكثر انتظامًا.

كما تتنوع تقنيات الصناعة بين الطرق المباشر وتقنية الضغط، مع استخدام مواد أولية مختلفة، سواء محلية المصدر أو مستوردة، مما يعكس تطور شبكات التبادل.

ويُميز الباحثون بين عدة تقاليد صناعية خلال هذه الفترة؛ فالنيوليتي المتوسطي يُظهر استمرارية مع التقليد الإيبيرومغربي، لكنه يتميز بتراجع أدوات الصوان مقابل ارتفاع نسبة المحكات والأدوات المسننة، كما هو موثق في بعض المواقع مثل غالدمن، كما تدل المعطيات على وجود تبادلات بين مناطق بعيدة، مثل انتقال مادة الأوبسيديان من جزيرة بنتيلاريا نحو تونس.

أما النيوليتي ذو التقليد القفصي، فقد تطور عبر ثلاث مراحل رئيسية:

- مرحلة بدائية (حوالي 4580 ق.م)، احتفظت بالخصائص القفصية القديمة .
- مرحلة متوسطة (بين 3450 و3000 ق.م)، شهدت ازدياد الأدوات النيوليتية مثل المكاشط والنصال الكبيرة ورؤوس السهام المجنحة .
- مرحلة نهائية (بين 2720 و2390 ق.م)، تميزت بالتخلي التدريجي عن التقاليد القفصية القديمة.[3]

ويعكس هذا التسلسل التطوري انتقال المجتمعات من أنماط عيش تقليدية إلى أخرى أكثر تعقيدًا وتنظيمًا، مع تنوع واضح في التقنيات والعلاقات الثقافية بين مناطق شمال إفريقيا.

تطور النيوليتي الصحراوي بشكل مختلف، حيث نسجل مرحلة قديمة تجسدت في موقع أمكني بالهقار تفتقر إلى الأدوات النيوليتية، ومرحلة حديثة تتميز بظهور الأدوات المصقولة، ومن جهة أخرى يكشف موقع تان أينسيس بتفادست عن صناعة أصلية بتقصيب ثنائي القطب على السندان enclume، وتشهد هذه التقاليد المختلفة من جهة على تطور تقني مشترك ومن جهة أخرى على تكيفات إقليمية ملحوظة.

---

[1] Balout (L.), Préhistoire de l'Afrique…, op-cit, p.544.

[2] Kherbouche (F.), Le néolithique tellien de la grotte de Gueldaman GLD1 (Babors d'Akbou, Algérie, VIII-V millénaire BP) thèse de doctorat, Toulouse, Toulouse Jean Jaurès, 2015, 453 ; Iddir (S.), Peuplement holocène du bas Mertoutek, zone centrale de la chaîne Téfedest, Massif de l'Ahaggar (Algérie). Doctorat, Toulouse le Mirail - Toulouse II, 2013, p 272.

[3] لويزة عاودية وآخرون، المرجع السابق، ص 378.

2/ الصناعة العظمية :تُظهر الصناعة العظمية خلال فترة النيوليتي في شمال إفريقيا تمايزًا إقليميًا واضحًا، يعكس تنوع التقاليد الثقافية والتقنية بين المناطق المختلفة، ففي النيوليتي ذي التقليد القفصي، تتسم الأدوات العظمية بالتنوع والتخصص، حيث تشمل المثاقب، والصنارات، وأدوات القطع الحاد، إضافة إلى حلي دقيقة الصنع تم تشكيلها بالصقل، واستُخدمت فيها مواد متنوعة مثل قشور بيض النعام ودروع السلاحف، مما يدل على تطور في الجانب الجمالي والرمزي إلى جانب الوظيفة.

أما النيوليتي المتوسطي، فيتميز بصناعة عظمية أبسط وأقل تنوعًا، تعتمد أساسًا على أدوات وظيفية مباشرة وبسيطة الاستعمال، دون تطور كبير في الجانب الزخرفي أو التخصص التقني. وفي المقابل، يكشف النيوليتي السوداني عن صناعة عظمية محدودة لكنها تتضمن قطعًا استثنائية، من بينها خنجر يُعرف بـ"أمكاني"، ما يشير إلى وجود تقاليد محلية خاصة.

وتُبرز الدراسات الحديثة أيضًا ظهور أدوات جديدة خلال النيوليتي مثل الملاعق والأنابيب المزخرفة، إلى جانب الاستغلال المنهجي لعظام الحيوانات المستأنسة مثل الأغنام والماعز، حيث كانت تُحوَّل هذه المواد عبر عمليات النشر أو الحزّ أو الطرق، كما تشير التحليلات الوظيفية إلى استخدام أدوات مخصصة، فالمثاقب العظمية استُخدمت في معالجة الجلود، بينما ارتبطت الأدوات المسطحة بصناعة الفخار. وتُظهر بقايا التصنيع والنماذج الأولية للأدوات أن الإنتاج كان محليًا ومندمجًا في الحياة اليومية. وبذلك تعكس هذه الصناعة تطورًا تقنيًا مهمًا لدى مجتمعات النيوليتي، حيث لم تكن مجرد أدوات للاستخدام اليومي، بل أيضًا تعبيرًا عن معرفة تقنية متقدمة وهويات ثقافية متميزة[1].

3/ استمرار الصيد المائي والبري

تُبيّن المعطيات الأثرية والفنية أن الإنسان خلال العصر النيوليتي في شمال إفريقيا عاش في إطار بيئي ملائم اتسم بغنى مناخي واضح وتوفر واسع للمياه السطحية، من أنهار وبحيرات ومستنقعات، وهو ما ساهم في تنوع الأنشطة الاقتصادية وتطور أساليب العيش، كما تعكسه الشواهد الفنية الصخرية التي تعبر عن مستوى متقدم من الإدراك والتنظيم لدى هذه المجتمعات.

وفي هذا الإطار، مارس الإنسان أنماطًا مختلفة من الصيد، شملت الصيد البري والصيد المائي معًا، وتُعد الرسوم الصخرية في مناطق مثل طاسيلي ناجر ووادي درات من أبرز الأدلة على ذلك، حيث تُصوّر شباك صيد الأسماك واستعمال القوارب في التنقل والصيد[2]، إلى جانب سلال يُرجّح أنها استُعملت لتصفية المياه واستخراج الأسماك. ويشير كامبس إلى أن هذه السلال تعود إلى الألف السادس قبل الميلاد[3]، مما يعكس تطورًا

---

[1] نفسه، ص ص 378-379.

[2] Lhote (H), les gravures rupestres de l'ouest djerat (tassili-n-ajjer), T. 1-2, mémoire du centre de recherches anthropologiques préhistoriques et ethnographiques, N° 25, Alger, 1976, p 516.

[3] Camps (G), les civilisations…, op-cit, p 152 .

تقنيًا مهمًا في استغلال الموارد المائية[1]، كما تظهر بعض المناظر الصخرية صيادين يحملون خطاطيف ويستقلون قوارب ذات تصميم انسيابي، إضافة إلى تمثيلات لأسماك مرتبطة بأدوات الصيد، وهو ما يدل على الأهمية الكبيرة للنشاط المائي في اقتصاد تلك الجماعات.

ومن الناحية الأثرية، تم العثور على أدوات عظمية مرتبطة بالصيد في عدة مواقع صحراوية وجنوبية، مثل تاقديت، حيث اكتُشفت خطاطيف عظمية، كما سجّل لوته في منطقة عين قزام بقايا عظمية سمكية مختلطة بالرماد، إلى جانب أدوات مسننة موجهة للصيد، وفي موقع منيات وأمكني، وُجدت كذلك أدوات عظمية مثل الخطاطيف والصنارات والمثاقب، ما يعكس تنوعًا تقنيًا واضحًا في صناعة أدوات الصيد واستعمالها[2].

أما الصيد البري، فقد استمر بشكل واسع، وتؤكده الرسوم والنقوش الصخرية التي تُظهر طرق نصب الفخاخ ومحاصرة الحيوانات، إلى جانب ظهور الكلاب المدجنة واستخدام أدوات وأساليب متعددة، بما في ذلك الأقنعة والأسلحة، وهو ما يعكس تطورًا في المعرفة البيئية والتنظيم الاجتماعي لدى هذه المجتمعات[3].

4/ استئناس الحيوان

تُعد هذه العملية مرحلة انتقالية تدريجية من نمط اقتصادي قائم على الصيد البري والمائي إلى نمط آخر يعتمد أساسًا على الرعي وتربية الحيوانات. وقد ارتبطت بدايات ترويض الحيوانات البرية بسلوكيات بسيطة مارسها الإنسان دون تخطيط مسبق، حيث كان الصيادون يحتجزون الحيوانات المصطادة قرب مساكنهم، ثم يقومون بتزويدها بالغذاء والماء. ومع تكرار هذا السلوك، اعتادت بعض الحيوانات على الإنسان وأبدت نوعًا من الألفة تجاهه، ما فتح المجال أمام الاحتفاظ بها وتربيتها تدريجيًا، دون وعي كامل في البداية بعملية التدجين كمرحلة اقتصادية مستقلة.[4]

وفي هذا السياق، يرى غوتييه Gautier أن ظهور الحيوانات المستأنسة ارتبط بحاجة المجتمعات المتزايدة للغذاء، خاصة مع تراجع مردودية الصيد وازدياد عدد السكان، مما دفع الإنسان إلى البحث عن مصادر غذائية أكثر استقرارًا[5]، في المقابل، يذهب غانم إلى أن عملية التدجين لم تكن اقتصادية فقط، بل حملت أيضًا أبعادًا

---

[1] امحمد وابل، انعكاس مرحلة المناخ الأمثل على ثقافة المجتمعات في الصحراء الوسطى 7000 ق.م إلى غاية 2500 ق.م، مذكرة ماجستير في الحضارات القديمة، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013-2014، ص 68.

[2] نفسه، ص 75.

[3] Le Quellec (J-L), Civrac (M-A), La chasse au filet sur les peintures rupestres du Sahara central et dans l'antiquité, cahiers de L'A.A.R.S., 14, 2010, pp 255-262. ; Hauard (P), Petit (J), les Chasseurs -graveurs du Hoggar, Libyca, T. 13, 1975, pp 133-170.

[4] امحمد وابل، المرجع السابق، ص 124.

[5] Gautier (E-F), Rapport sur une mission au Sahara, comptes-rendus des séances de l'académie des inscriptions et belles lettres, 79, N° 3, 1935, p 113.

دينية ورمزية، ومرت عبر مراحل متتالية تشمل: الأسر، ثم الاعتماد الغذائي على الإنسان، ثم مرحلة الاستغلال، فالترويض، وأخيرًا التدجين الكامل.

ويختلف الباحثون في تحديد ترتيب تدجين الحيوانات، إلا أنهم يتفقون عمومًا على أن الكلب كان أول الحيوانات تدجينًا، تلاه الأبقار ثم الماعز فالأغنام. ويستدل على ذلك من خلال الرسوم الصخرية والتماثيل المكتشفة في شمال إفريقيا، التي تعكس حضور هذه الحيوانات في الحياة اليومية والرمزية للإنسان النيوليتي. كما تشير الدراسات إلى أن عملية الاستئناس بدأت مبكرًا في الشرق الأدنى مقارنة ببقية المناطق، غير أن شمال إفريقيا تُظهر مؤشرات على تطور محلي مهم، خاصة فيما يتعلق بتدجين الأبقار. فقد نشأ هذا النشاط أولًا في مناطق السودان وإثيوبيا والنوبة حوالي 6000 ق.م، ثم امتد إلى مصر (نحو 5500 ق.م)، وليبيا الصحراوية (حوالي 5000 ق.م)، قبل أن ينتشر في الصحراء الوسطى ومناطق أخرى خلال الألف الرابع قبل الميلاد.

وفي الصحراء الجزائرية، تُظهر المعطيات الأثرية تواريخ قريبة، إذ سجل موقع "تن تورها" عند الحدود الليبية الجزائرية دلائل على استئناس الأبقار مؤرخة بحوالي 6470 ق.م، بينما يشير موقع الهقار إلى حوالي 5000 ق.م، وموقع منيات إلى 4350 ق.م، مع مؤشرات أقدم في الحواف الجنوبية تعود إلى حوالي 5800 ق.م[1].

أما الماعز، فقد دُجنت في الأصل في الشرق الأدنى، خاصة هضبة الأناضول، حوالي 9000 ق.م، بينما تظهر في شمال إفريقيا مؤشرات لاحقة تعود إلى حوالي 4000 ق.م، مثل ما تم تسجيله في جنوب الطاسيلي. وفيما يتعلق بالأغنام، فقد ارتبطت بمرحلة النيوليتي الأوسط (5700–4200 ق.م)، مع تزايد واضح في انتشارها خلال النيوليتي الحديث (4200–3500 ق.م)، بينما تؤرخ في بلاد المغرب بحوالي 4600 ق.م[2].

5/ الزراعة

تُعدّ الزراعة من أهم التحولات الكبرى في تاريخ الإنسان خلال العصر الحجري الحديث، إذ مثّلت نقطة فاصلة بين نمط حياة قائم على الصيد والجمع، ونمط جديد قائم على الإنتاج الزراعي. وقد سمح هذا التحول بانتقال الإنسان من مجرد جامع للغذاء إلى منتج له، مما مهّد لقيام الاستقرار البشري وظهور التجمعات السكانية الأولى التي عُرفت بالقرى النيوليتية.

ولإثبات وجود النشاط الزراعي، اعتمد الباحثون على مجموعة من الأدلة المتنوعة، من بينها المعطيات الأثرية، وتحليل الفن الصخري، ودراسة الأدوات الحجرية التي يُعتقد أنها استُخدمت في طحن وسحق الحبوب داخل مواقع الاستقرار. كما ساهمت التحاليل المخبرية في الكشف عن بقايا نباتية مثل الطلع وبذور مزروعة،

[1] امحمد وابل، المرجع السابق، ص 148.

[2] Muzzolini (A), Les premiers moutons sahariens d'apres les figurations rupestres, Archaeozoologia, V. 12, 1987, pp 133-134.

إضافة إلى أدوات الطحن والأواني الفخارية المخصصة لتخزين الحبوب. وتؤرخ أغلب هذه الشواهد إلى الألفين السابع والسادس قبل الميلاد.

ورغم ندرة الأدلة المباشرة على ممارسة الزراعة في بعض المواقع، فإن اكتشافات مهمة تؤكد وجودها منذ الألف السابع قبل الميلاد، مثل العثور على العدس المتفحم في موقع إفري أودادان بالمغرب الأقصى والمؤرخ بحوالي 6740 ± 50 سنة قبل الحاضر، وكذلك وجود قمح النشاء في موقع كاف تحت الغار بتاريخ يقارب 5477 ق.م[1]، كما أظهرت التحاليل الأنثراكولوجية لبقايا نباتية في موقعي مجاز II بسطيف وغلدمان I ببجاية وجود استغلال متنوع للموارد النباتية، يجمع بين زراعة محاصيل مستأنسة مثل القمح والشعير والبقوليات، وبين أنشطة الجمع التقليدية.

6/ الفخار

تُعدّ صناعة الفخار من أبرز المظاهر الحضارية المميزة لفترة العصر الحجري الحديث، كما تمثل أحد المؤشرات الأساسية على تطور المجتمعات النيوليتية في شمال إفريقيا. فقد ارتبط ظهورها ارتباطًا وثيقًا بانتشار الزراعة والاستقرار، إذ ساعد نمط العيش القروي على تطور تقنيات جديدة، من بينها تشكيل الطين وحرقه لإنتاج أوانٍ ذات استعمالات متعددة. ويُرجّح أن المرأة لعبت دورًا مهمًا في هذه الصناعة، باعتبارها جزءًا من الأنشطة المنزلية اليومية داخل التجمعات المستقرة، مما يعكس تطورًا اجتماعيًا واضحًا داخل هذه المجتمعات.

وتُعتبر بعض الاكتشافات في طاسيلي ناجر، خاصة بموقع تين هنانكتن، من بين أقدم الشواهد المرتبطة بالفخار في العالم، حيث أُرخ هذا المعطى بالألف العاشر قبل الحاضر[2]. كما تشير بعض الدراسات إلى أن معالجة الطين قد تعود إلى حوالي 20000 سنة قبل الميلاد، وقد استُخدمت في البداية لصناعة دمى طينية ذات طابع رمزي أو ديني، قبل أن تتطور لاحقًا إلى صناعة الأواني الفخارية المختلفة، والتي يُؤرخ انتشارها الواسع بحوالي 7000 ق.م[3]

ومن حيث التصنيف الزخرفي، اقترحت الباحثة كامبس-فابر Camps-Fabrer تصنيفًا يقسم الفخار النيوليتي إلى خمسة أنماط رئيسية، وهي: الفخار المطبوع (ومن ضمنه الفخار الكرديالي)، الفخار المخدد، الفخار القروي (campaniforme)، الفخار المحزز، والفخار المصقول. وتُظهر هذه الأنماط تباينًا إقليميًا يرتبط بالتيارات الثقافية النيوليتية المختلفة في شمال إفريقيا.

[1] Ballouche (A.) et Marinval (Ph.), « Données palynologiques et carpologiques sur la domestication des plantes et l'agriculture dans le Néolithique ancien du Maroc septentrional (site de Kaf Taht El-Ghar). », Revue d'Archéométrie 27, no 1, 2003 pp. 49-54.

[2] امحمد وابل، المرجع السابق، ص 208.

[3] Aumassip (G), Le Bas-Sahara…, op-cit, pp 282-283. ; Camps-Fabrer (H.), Matières et arts mobiliers dans la préhistoire nord-africaine et saharienne, Art et Métier graphiques, 1966, p 567.

وقد أسهمت الأبحاث الحديثة في المغرب الأقصى في إعادة تقييم هذا التصنيف، حيث تبيّن أن الفخار المخدد والفخار الكرديالي قد لا يكونان منفصلين تمامًا، بل قد يندمجان ضمن نفس التقليد الثقافي في بعض مناطق شمال المغرب الأقصى، مما يعكس تعقيد وتداخل التطورات الثقافية خلال العصر النيوليتي[1].

7/ الفن المنقول

يتنوع الفن المنقول خلال النيوليتي حسب المناطق، فنجد في المناطق الصحراوية سيادة المنحوتات الحجرية البارزة (Ronde Bosse) المصنوعة من الحجارة المصقولة أو المنقوشة، التي جسدت حيوانات بقرية مثل كبش تامنطيت أو أشكال بشرية كرؤوس البووم بتابلبالات المنسوبة إلى فترة البقريات، نجد أيضا منحوتات فخارية صغيرة موقع تين هناكتان 4100 ± 70 ق.ح مطلية أحيانا بالمغرة، في مناطق النيوليتي ذو التقليد القفصي، فضلت المجتمعات النقش على قشور بيض النعام وصفائح كلسية (ثعلب داموس الأحمر - تبسة)، قدم النيوليتي المتوسطي تماثيل فخارية (موقع أشكار- المغرب الأقصى)، وقشور بيض النعام نادرة الزخرفة، تجمع هذه المنتجات بين الوظيفة النفعية والتعبير الرمزي، ما يجسد تقاليد فنية إقليمية متميزة، على الرغم من أنّ تفسيرها لا يزال موضع نقاش[2].

رابعا/ بروز العصر النيوليتي ومميزاته في شمال إفريقيا

من خلال السمات السابقة الذكر للعصر الحجري الحديث، فهو يلي الفترة الايبيرومغربية، وتطور في الجزائر مع الحضارة القفصية المتأخرة "4000-3000 ق.م"، حيث عرف تقنية متطورة للشظايا، أدوات قزمية، وظهور رؤوس السهام مورقة، وفؤوس مصقولة، وشفرات دقيقة، واستخدام الفخار، وتطوير أدوات الطحن خاصة بالهقار، حيث شمل فجر العصر الحجري الحديث كل المناطق، لكن ليس في فترة واحدة ولا بكيفيات موحدة، وقد استمر إلى 1200 سنة ق.م، وفي بعض المناطق استمر حتى فترة الاحتلال الروماني. لكن لا نجد آثار لقرى كبيرة بل كهوف في أغلبها. وأشار فوفري إلى التأثير المصري في انتقال المغرب من القفصي إلى الحديث.

وذكر بالو Balout أن مميزات هذا العصر في المنطقة تتمثل في وجود فؤوس قواطع مصقولة من الصخور النارية أو الصوان، ورؤوس سهام ثنائية الوجه، وفخار ملون، وبداية تدجين وتربية الحيوانات وممارسة الزراعة، إلى جانب المنجل المستقيم أحيانا والنسيج، وإذا كان البعض يربط معرفة سكان شمال افريقيا للزراعة بقدوم الفينيقيين، فإن باحثين آخرون يقرون أن الليبيين القدماء مارسوا الزراعة قبل قدوم الفينيقيين من خلال العثور على مخلفات أثرية كالفخار والمناجل الحجرية والعظمية، والمطاحن المنسوبة للعصر الحجري الحديث، والمدافن، وما تدل عليه من استقرار وحياة اجتماعية معينة، وما تضمنته الرسوم والنقوش المنتشرة على نطاق واسع في الصحراء في طاسيلي، وفي مرتفعات " تادرارت وأكاكوس" في فزان، كما قدم موقع أمكني

[1] لويزة عاودية، وآخرون، المرجع السابق، ص 379.

[2] نفسه.

ومنيات إشارات قوية على ممارسة الزراعة، من خلال العثور في احدى الطبقات الستراتيغرافية على بقايا بذور تبلغ مقاساتها 64 ميكرومتر[1]، ويضيف "ماتر Maitre" أن غبار اللقاح الذي يعود لبذور البنيستوم على عمق 140 سم، ما هي إلا تعبير عن أنشطة زراعية، وأخذت شكلا متطورا في حدود 4850 ق.م[2]، ومن جهتها ترى الباحثة "عمراني" أن الموقع الأثري لمنطقة أمكني يعبر نموذجا لممارسة النشاط الزراعي، ونستنتج ذلك من خلال التنوع في الصناعة الفخارية، وأدوات الطحن، إلى جانب الكشف بقايا حبوب النجيليات البرية من نوع بينستيوم في قاع إناء فخاري، وهذا مؤشر على بوادر ظهور الزراعة، وتؤرخ ما بين 6100 ق.م إلى غاية 3350 ق.م[3].

تظهر الأواني الفخارية خلال النيوليتي تمايزا جغرافيا واضحا، يتميز النيوليتي المتوسطي بمزهريات كرديالية ذات زخارف مع قّدة على شكل أشرطة أو مزينة بإضافات من الحبال، وفخار مطبوع بأشكال هندسية، تطور بشكل خاص في منطقة طنجة[4]، في المقابل قدم النيوليتي ذو التقليد القفصي فخار نادر وقليل الزخرفة، كما هو الحال في فخار موقع داموس الأحمر بتبسة وبوزباوين بباتنة[5]، وغالبا ما تكمل هذه الأواني بأوعية ببيض النعام. أما مجتمعات النيوليتي الصحراوي فقد كانت تنتج مزهريات كروية الشكل بدون أجزاء قابضة مثل فخار أمكني بالهقار، وهي مرتبطة تقنيا بأقدم التقاليد الفخارية الافريقية، عكس هذه الاختلافات كلا من تميز في التراث الثقافي والتأقلم الوظيفي لأنماط معيشية إقليمية، مثل ما تشهد عليه أثار الطبخ في موقع غلدمان 1 ببجاية.

يشير التوزيع غير المتكافئ للأنماط، مثل وفرة الكرديال في المغرب الأقصى وغيابه في تونس، إلى تقسيمات إقليمية ضمن النيوليتي المتوسطي، كما أنّ الظهور المبكر للفخار بين جماعات الصيادين والقاطفين الصحراويين يدعو إلى التشكيك في ارتباطه الحصري بالاستقرار الدائم، وتسلط الدراسات الحديثة التي تجمع بين التنميط، والتأريخ الحراري (TL) وتأريخ الوميض الضوئي (OSL) والتحليلات الوظيفية الضوء على عمليات نقل التقنيات بالإضافة إلى الوظائف الاجتماعية الرمزية للفخار.[6]

---

[1] Amblard (S), Quechon, L'agriculture néolithique au Sahara méridional faits, théories et contradictions, milieux et techniques du Sahara préhistorique, Ed. L'Harmtan, Paris, 1994, pp 161-170.

[2] Maitre (J-P), op-cit, p 70.

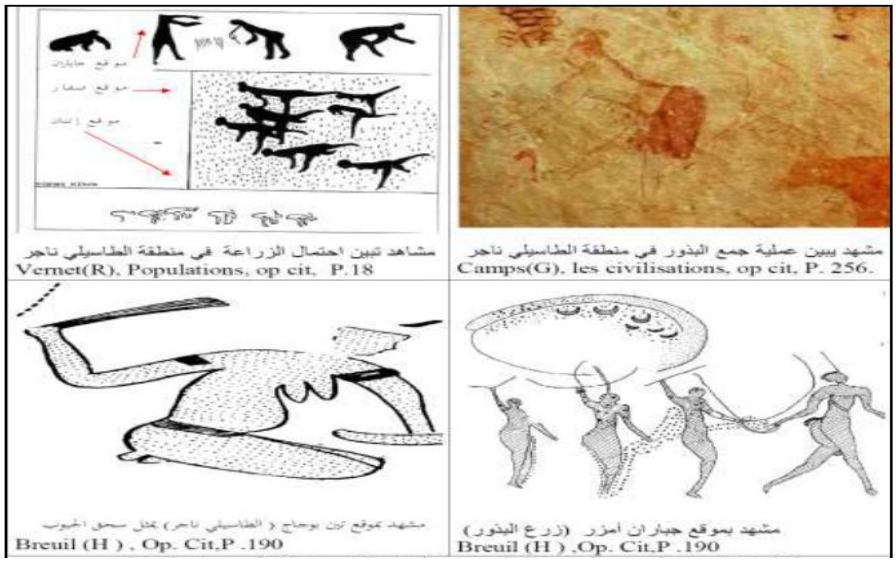
[3] عمراني سميرة، دراسة أركيوبالنولوجية لأوساط الهولوسان بمنطقة تين هناكتن (الطاسيلي أزجر، الصحراء الوسطى)، رسالة ماجستير، قسم علم الآثار، جامعة الجزائر، 2001-2002، ص 62.

[4] Daugas (J-P.) et al., « Le Néolithique ancien au Maroc septentrional : données documentaires, sériation typo chronologique et hypothèses génétiques », Bulletin de la Société préhistorique française 105, no 4, 2008, pp. 787-812.

[5] Roubet (C.), Le gisement de Damous El Ahmar et sa place dans le Néolithique de tradition capsienne, travaux du CRAPE,1968, p.144.

[6] لويزة عاودية وآخرون، المرجع السابق، ص 380.

يضيف كلود إبراهيمي في قوله: "إذا كانت وسائل الطحن بما فيها عدد وأنواع كالمطاحن والمهارس والرحى، في كل من النيوليتي ذو الأصول القفصية والنيوليتي ذو الأصول السودانية لا تبرهن على وجود زراعة، فإن ذلك يشير بالتأكيد إلى أن الغذاء النباتي كان آنذاك أكثر انتشاراً منه في الحجري القديم المتأخر"، أما هوجو فيرى أن الغطاء النباتي المتنوع وظهور أشجار الفواكه في هذه المرحلة ربما يعطينا منطلقا حول ممارسة الزراعة عند هذه الشعوب، وأصبح الانسان الصحراوي منتجا لمحصول القمح[1]، وفي موضع آخر -وكأنه يتناقض مع نفسه- يرى أن سكان الصحراء حتى : "وإن كان تعاطيهم لصنع المطاحن وأدوات الهرس والدرس وغيرها لا يثبت بتاتا أنهم أتقنوا عملا معيناً من أعمال الفلاحة".. "لا وجود لدليل على الفلاحة عندما يستند فقط إلى وجود أشياء أو أدوات معروفة بأنها فلاحية."، أما أوماسيب فتؤكد أن المجتمعات قد تحولت إلى النمط الغذائي النباتي، ويمكن أنها قد دجنت الزراعة في حدود 6100 ق.م، وبالضبط في مرحلة الرؤوس المستديرة، وهي جانب من الاقتصاديات الأخرى مثل الصيد المائي[2].



صوررقم 34: مشاهد من الفن الصخري تدل على ممارسة أنشطة زراعية

المرجع: نقلا عن؛ احمد و ابل، المرجع السابق، ص 171.

أمّا فيما يتعلق بتأويل بعض الرسوم أو النقوش في جهة "تاسيلي" فقد أشار فابريزيو موري Fabrizio Mori إن الأجسام الملونة بهذا اللون قد تشير إلى أهمية الحياة الزراعية، كما أن "Huard" يؤكد من خلال ملاحظاته لمشهد وجد بموقع جبارين بطاسيلي ناجر أنه يوضح عملية درس الحبوب، ويصف هذا الرسم بأنه حركة ضرب على سنابل القمح بقضبان من الخشب، وتخرج البذور من جراء هذا العمل، ثم توضع هذه الحبوب في الأواني الفخارية للتخزين، وفي رسم آخر عثر عليه في موقع تين بوجاج يظهر امرأة جالسة على ركبتيها وماسكة بمدق

[1] Hugot (H-J), le Sahara avant le désert, oip-cit, p 157.

[2] امحمد وابل، المرجع السابق، ص 169.

أو مسحاق بيدها اليسرى وتقوم بعملية التدوير لأداء الطحن، مثبتة عليها قضيبا للتدوير، وشكل الأداة دائري تستخدم لسحق الحبوب[1].

وتبين الباحثة سفروان بعض المشاهد المتعلقة بأعمال المرأة ذات النشاط الزراعي، وترى من خلال ثلاث مواقع في منطقة صفار أن الرسم الصخري يبين أواني مملوءة بالحبوب، والمشهد الآخر يظهر امرأة وهي تمارس زراعة الحبوب ثم جمع السنابل وتذريتها، والمشهد الأكثر وضوحا يتمثل في مجموعة من النساء منهمكات في أعمال زراعية توزعت بين نثر الحبوب وتذرية السنابل وظهور المنجل، وكذلك أداة الطحن، والمشهد عبارة عن عملية تتابع للأنشطة الزراعية[2]، وفي مشهد آخر بموقع جاباران أمزر، يوضح ممارسة نشاط زراعي، حيث نرى أربع نساء يقمن بتذرية الحبوب، وهي موضوعة في إناء فخاري محمول ذو شكل هلالي، والنساء الأربع يحملن العصي، ربما تستعمل كوسائل متعلقة بالعملية، وعلى يسار المشهد نرى أواني فخارية وهي مملوءة بكمية من الحبوب أو البذور ذات لون أصفر[3].

وعلى العموم برز تياران رئيسيان من الباحثين؛ الأول ذو طابع تقني نمطي والثاني ذو مقاربة اقتصادية ثقافية، يمثل التيار الأول أعمال الباحث فوفري Vaufrey الذي ادخل مصطلح النيوليتي ذو التقليد القفصي وميزه باختفاء أدوات القفصي النموذجي (مدببات ذات الظهر المنجدل، الأزاميل) واستمرارية التقصيب النصلي مع ظهور أدوات جديدة (مدببات، فؤوس مصقولة، فخار)[4]، ويدعه كامبس، بحجة أن البقايا الاقتصادية ضعيفة جدا لتشكل أساس التصنيف[5]، أما بالوا فوسع هذا التعريف بإضافة جوانب اقتصادية، مثل الزراعة وتربية الحيوانات، ما أحدث تطورا في تصور النيوليتي في شمال إفريقيا[6]، كما قامت أوماسيب بربط النيوليتي بالفخار والأدوات المبسطة والفن الصخري[7]، على عكس "روبي Roubet" التي تقترح رؤية اقتصادية ثقافية للنيوليتي ذو التقليد القفصي، واصفة إياه بأنه نمط جبلي رعوي، يجمع بين التقاليد القفصية المضعفة والابتكارات النيوليتية (تربية الماعز، الفخار والحلي)[8].

---

[1] نفسه، ص 172.

[2] حسيبة سفروان، واقعية صورة الأنثى في الرسم الصخري لمنطقة صفار وضواحيها (الطاسيلي ناجر، الصحراء الوسطى)، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008-200è، ص 261.

[3] امحمد وابل، المرجع السابق، ص 173.

[4] Vaufrey (R.), « Stratigraphie Capsienne », *Swiatowit* 16 ,1934, pp. 15-34.

[5] Camps (G.), « Tableau chronologique de la Préhistoire récente du Nord de l'Afrique », Bulletin de la Société préhistorique française. Études et travaux 65, no 2, 1968 : pp.609-622.

[6] Balout (L.), Préhistoire de l'Afrique du Nord : Essai de chronologie, Arts et Métiers graphiques, Paris, 1955, p.544.

[7] Aumassip (G.) et Tauveron (M.), Préhistoire du Sahara et de ses abords, le Néolithique ou le temps des producteurs, L'Harmattan, 2019, p 652.

[8] Roubet (C.), Economie pastorale préagricole en Algérie orientale : Le Néolithique de tradition Capsienne, CNRS, Paris, 1979, p.593.

وبالتالي تعكس هذه الازدواجية من جهة تطور معايير تعريف العصر الحجري الحديث ومن جهة أخرى تعقيد مسار التحول النيوليتي في المغرب الكبير، الذي تميز بتغيرات تدريجية شملت الزراعة وتربية الحيوانات والحرف، مما ساهم تدريجيا في تشكيل مجتمعات الهولوسان، ومع ذلك يبقى تحديد الانتقال من اقتصاد استهلاكي إلى اقتصاد انتاجي معقدا لضعف الشواهد الأثرية الناتج عن سوء حفظ المواد في المواقع السطحية واستمرارية الممارسات الافتراسية كما يشير إلى ذلك كل من كامبس وروبي[1].

خامسا/ أقسامه

تطرح مسألة تقسيم العصر النيوليتي في شمال إفريقيا إشكالية منهجية واضحة، تعود أساسًا إلى التفاوت الكبير في مظاهر التحول النيوليتي بين المجالين الصحراوي السوداني والمتوسطي مرورا بالتقليد القفصي، فقد أظهرت المعطيات الأثرية أن النيوليتي في شمال إفريقيا لم يتطور وفق مسار خطي موحّد، بل تميّز بتعدّد المسارات الاقتصادية والتقنية المرتبطة بالخصوصيات البيئية المحلية. ففي الصحراء الكبرى، ارتبط التحول النيوليتي أساسًا بتطور الرعي وتدجين الحيوان في سياق مناخي رطب نسبيًا، مع حضور مبكر للفخار والفنون الصخرية، في حين تميّز النيوليتي المغاربي الساحلي بظهور الزراعة المستقرة وتدجين النباتات والحيوانات معًا، لذلك، لم يكن التقسيم الزمني التقليدي كافيًا لتفسير هذا التنوّع، مما دفع الباحثين إلى اعتماد معايير متعددة، أبرزها المعيار الاقتصادي، والمعيار التقني (الأدوات المصقولة والفخار)، إضافة إلى المعيار البيئي والمجالي. غير أن اختلاف وزن هذه المعايير من منطقة إلى أخرى أدى إلى تباين في التصنيفات المقترحة، وهو ما يجعل من النيوليتي في شمال إفريقيا ظاهرة ثقافية-تاريخية مركّبة، تتطلب مقاربة مرنة تراعي التنوّع الإقليمي بدل البحث عن نموذج تقسيمي موحّد، وبالتالي قسم العصر الحجري الحديث في شمال افريقيا إلى ثلاث فروع رئيسية هي:

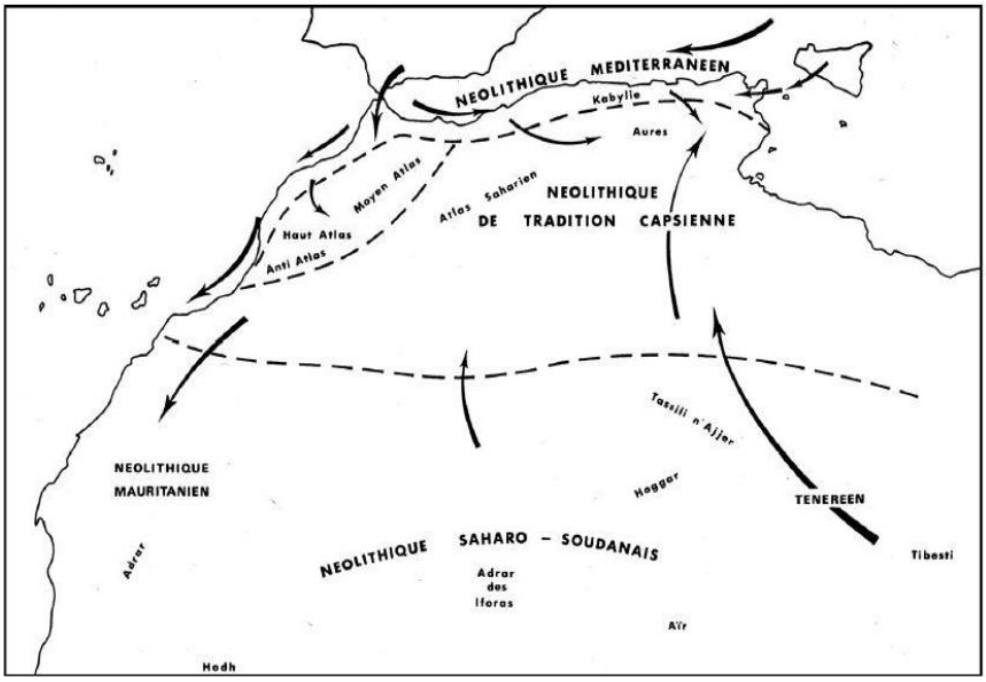
1/ النيوليتي ذو التقاليد الصحراوية السودانية

1-1/ تعريفه و أقسامه: أطلق الباحثون في البداية اسم "النيوليتي الصحراوي ذو الأصول السودانية" لأن الأدوات التقطت أول مرة في موقع شهيناب قرب الخرطوم في السودان ومعتقدين أن أصوله الأولى تعود للسودان وأنه أثر على المناطق الصحراوية الأخرى، غير أن كامبس بعد سلسلة من الأبحاث بموقع أمكني بالأهقار وتيويوين بأدرار ومواقع صحراوية أثبت أن استقرار الإنسان في هذه المواقع كانت سابقة لموقع شهيناب وبالتالي لم تكن متأثرة به، ويغطي هذا العصر المناطق الصحراوية، ويشمل المرتفعات الجبلية للأهقار والطاسيلي، ومن ثم اقترح تسمية "اللنيوليتي الصحراوي-السوداني"، وقد بدأ العصر الحجري الحديث في هذه

[1] لويزة عاودية، وآخرون، مساهمة الدراسات الحديثة في تطور مفهوم النيوليتي في شمال إفريقيا، مدلة الدراسات الأثرية، مج 23، ع 1، 2025، ص 376.

المنطقة منذ الألف السابعة قبل الميلاد، من خلال ظهور صناعة الفخار ذو تقنية الخطوط المتموجة، وحسب كامبس دائما فهو أقدم نيوليتي معروف في شمال إفريقيا[1].

ومن خصائصه أن المجموعات البشرية التي تمثله تنتمي من الناحية العرقية إلى أصول زنجية[2]، تتميز بالفك المتقدم والأنف الفطس العريض، وباستطالة السيقان والسواعد[3]، وحينها كانت الصحراء تتميز بمناخ رطب مقارنة بالفترة التاريخية اللاحقة، حيث سمح بتوفر مسطحات كبيرة وغطاء نباتي وتوفر قطعان حيوانات عديدة، فالظروف المناخية الملائمة بالصحراء الكبرى كان عاملا أساسيا في تطور حضارة النيوليتي، والتي استمرت تقريبا حتى 3000 ق. م[4].



خريطة رقم 7: تظهر الأوجه الثقافية النيوليتية في شمال افريقيا والصحراء

المرجع: Camps (G), op-cit, p 219.

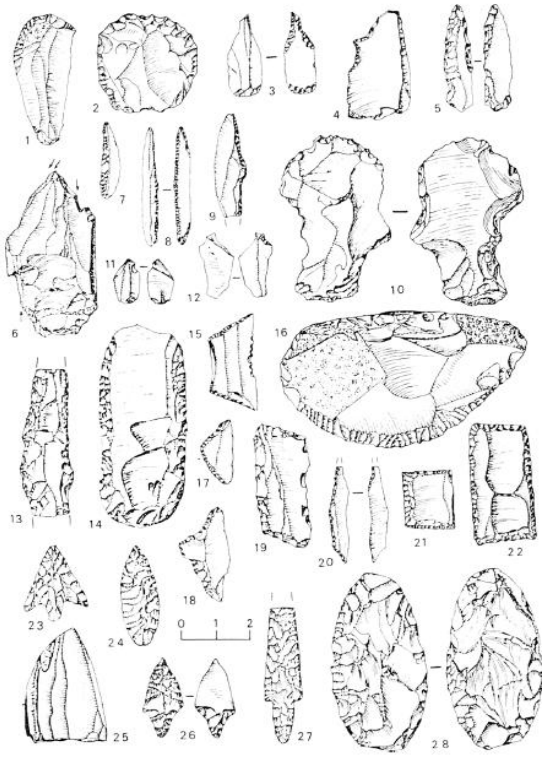
ونظرا لاتساع الرقعة الجغرافية التي انتشر فيها النيوليتي الصحراوي السوداني فإنه يتكون من أربع أقسام: النيوليتي الصحراوي السوداني للهوقار، ثم أدرار أفوراس، والتلمسي، ثم التنيري، وأخيرا النيوليتي الصحراوي السوادني للصحراء الغربية، غير القسم الأول هو الأكثر غنى من حيث المعطيات الأثرية المميزة للعصر الحجري الحديث، ويقسم البعض إلى مرحلتين ثانويتين هما: المرحلة القديمة والتي تبدأ من نهاية الألف السابع (6100-6115 ق.م) إلى منتصف الألف الخامس (4450 ق.م)، استنادا لمخلفات موقع "تمدوين 6150 ق.م)، أمكني

[1] Camps (G), les civilisations…, op-cit, pp 218-225.
[2] Hugot (H-J), Recherches préhistoriques dans l'ahggar nord-occidental, Mém du c.r.a.p.e.1, paris,1963, p 185.
[3] Brahimi (C), Initiation…, op-cit, p 74.
[4] محمد الصغير غانم، مواقع...، المرجع السابق، ص 115.

(6100 ق.م)، أما المرحلة الحديثة فتبدأ من الألف الرابع (3550-3450 ق.م)[1]، من خلال الطبقة الحفرية لموقع امكني 1 والمؤرخة بـ 3550 ق.م، موقع المنية 3450 ق.م، أدرارن تمترهين 2770 ق.م[2].

1-2/ **سماته الحضارية:** يتميز العصر النيوليتي الصحراوي السوداني بالخصائص الحضارية التالية:

أ/ الصناعة الحجرية: يتميز النيوليتي الصحراوي السوداني بافتقاره للصناعة الحجرية ورداءتها، هذا يرجع في أول الأمر إلى رداءة المادة الأولية المتوفرة والتي كانت تتمثل في الصخور البركانية مثل البازلت والريوليت والفنوليت والكوارتز[3]، وبالتالي يضطرون الى استخدام مواد حجرية طيعة لا تستجيب لضربات القادح، وفي أحيان أخرى يضطرون بجلبها من مواقع أخرى بالمقايضة بمواد أخرى مثل اليشب والعقيق الأحمر والأمازونيت[4].



صوررقم 35: أدوات حجرية نيوليتية.

يكتسي موقع أمكني أهمية كبيرة في التعرف على سمات هذا العصر، إذ يتضمن مستودعات أثرية على ارتفاع 1.5م، وتتمثل بقاياه الحجرية في النصال المضروبة الظهر، رؤوس السهام والمكاشط، وفي موقع "أدرار تين ترين" المؤرخ بما بين 4226-2626 ق.م، حيث عثر فيه على صناعة قزمية هندسية كثيرة[5]، بالإضافة إلى مواقع أخرى مثل موقع "عبد العظيم" بأقصى الجنوب الغربي على ضفاف وادي الساورة، وموقع "تابلبالة" غرب الساورة، وموقع رمادية رقان ومواقع العرق الشرقي الكبير الذي تمثلت أدواته في حجارة قزمية مصقولة[6]، وعلى العموم تميزت الصناعة الحجرية بأنها رديئة تضمنت: النصال، النصيليات، المكاشط، المثاقب والمناقيش، الأزاميل، رؤوس السهام، قطع حجرية ذات وجهين ومساقل ومسننات ومطاحن ومدقات، وحجارة الشحذ وكمية كبيرة من رؤوس السهام إلى جانب أدوات قزمية هندسية[7].

---

[1] محمد سحنوني، المرجع السابق، ص 133.

[2] Maitre (J. P.), Contribution a la préhistoire de l'ahaggare, Téfedest centrale, Mém, du C.R.A.P.E,17, Paris, 1971, pp 55-57.

[3] محمد سحنوني، المرجع السابق، ص 132.

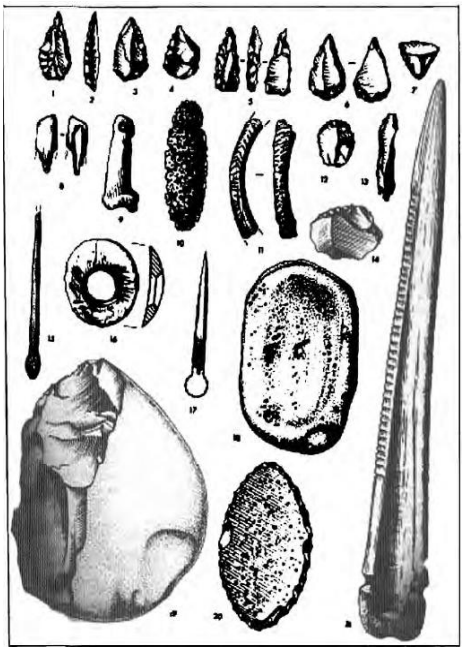
[4] Hugot (H.j.), le Sahara avant le désert, Editions des hespèrides, Paris, 1974, pp 146-147.

[5] لخضر بن بوزيد، ثقافات النيوليتي...، المرجع السابق، ص 137.

[6] محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 117.

[7] لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص ص 137-138.

1-2-2/ الصناعة العظمية: تم الكشف عن خطاطيف القنص مصنوعة من العظم، بعد أن اهتدوا إلى صقل العظم، بعد قطعه إلى شظايا، فضلا عن إبر الصنانير العاجية مثل تلك التي عثر عليها في "عين قزام"، وأمكني، وتاقدامت، والتي تأخذ في الغالب ثلاثة أشكال؛ المسنن من جهة واحدة، والآخر مسنن من الجهتين المتقابلتين، والصنف الثالث مسنن من جهتين متعاقبتين[1]، وفي موقع منيات عثر على أداتين، صنارة وخطاف من العظام برفقة أدوات عظمية كثيرة مثل المثاقب، ويرى "هوجو" أن العثور على البقايا العظمية السمكية رفقة أدوات اصطيادها، يرجح فرضية الصيد المائي لتلك المجتمعات[2]، كما صنعوا الخناجر العظمية من عظام الكتف والأجناب، تستخدم عادة في تزيين ونقش الفخار[3]، بالإضافة إلى مخارز ومصاقل وأدوات صنع السلال وشبكات الصيد وتحضير الجلود ودبابيس ذات رؤوس مذنبة، كما حولوا أشواك بعض الأسماك التي تنتهي بثقب طبيعي إلى إبر[4].



صورة 36: أدوات عظمية نيوليتية

1-2-3/ الحلي: تم تأكيد وجود الحي من خلال العثور على بقايا عظمية على شكل حلقات مختلفة وصغيرة الحجم في الكثير من المواقع الصحراوية تؤرخ بالعصر الحجري الحديث، والتي اعتبرت بمثابة أدوات الزينة، بعد أن خضعت لعملية الصقل والثقب والشحذ، وكانت العظام المادة الأساسية إضافة إلى قشور بيض النعام ومنها من صدف المحار ومنها الحجارة المهيأة، والعقيق الأحمر، الأمازونيت والهيماتيت، وحجر اليمان[5].

وتكون أشكالها إما نياط مثقوبة ومعلقة بالأشرطة أو أساور وأختام، وفي مغارة تن هناكتن وجدت بقايا تشير إلى الحلي منها قشور بيض النعام المزخرفة وغير المزخرفة، دوائر منها مصقولة ومثقوبة على شكل قلادة، كذلك هناك قطع قواقع نهرية وقشور قوقعة سلحفاة مهيأة[6]، ومن موقع أمكني تم العثور على نياط مثقوبة أحدها عبارة عن عظمة سلامى لضأن وناب لخنزير بري، وعظم لحيوان مجتر صغير شكله شبه منحرف، واجهته الداخلية مصقولة بأكملها، والجوانب الثلاث الخارجية تحمل تحزيزات خفيفة منسقة، إضافة إلى نظم العقود من قشور بيض النعام، فضلا عن خلاخل وأساور على شكل دوائر حجرية، وأخرى من العاج، أما موقع المنية فقد كشف لنا عن عدد كبير من أدوات الزينة مثل الشفاتير من العظم، حلقات نظم العقود من أصداف

[1] Petit Maire (N), Le Sahara…, op-cit, p 147.
[2] Hugot (H-J), Recherches…, op-cit, p129.
[3] Camps (G), les civilisations…, op-cit, p 232.
[4] Ibid, Amekni…, op-cit, pp 27-30.
[5] Hugot (H-J), le Sahara avant le désert, op-cit, p 155.
[6] امحمد وابل، المرجع السابق، ص ص 204-205.

بيض النعام، اللؤلؤ من الأمازونيت، والخلاخل من الحجر والنياط من العظم ذات الثقبين[1]، أما التزيين بالألوان فيمكننا الاستشهاد بما عثر عليه بحفرية باقينا 5 ويتعلق الأمر بمغرة حمراء وأخرى شهباء مائلة إلى الحمرة محفوظة بلوحة صغيرة مستديرة أو بجوف قضيب خشبي وتصنع عادة من أوكسيد المنغنيز مضاف إليه مسحوق طباشيري، وهي تستخدم كصبغة تجميلية يخضب بها الوجه[2].

1-2-4/الفخار: تعتبر صناعة الفخار من المميزات الرئيسية والمظاهر الحضارية والثقافية المهمة خلال فترة العصر الحجري الحديث، وبالنسبة للنيوليتي ذو التقاليد الصحراوية السودانية، فقد تميز بغناه بالبقايا الفخارية[3]، التي تؤكد أصالتها السودانية، خاصة من حيث الشكل والزخرفة[4]، إذ عرفت الصحراء الوسطى انتشارا واسعا لهذه الثقافة ونجده بكثرة في منطقة الطاسيلي ناجر والهقار وتادرارت الأكاكيس، وهو مؤشر مهم على تمركز الشعوب المبكر في هذه المناطق.

يُشكل الفخار من عجينة صلبة، ثم تضاف لها مكونات أخرى ملينة لمنع التشقق بعد تعريضه للحرارة، مثل مسحوق قطع الأواني المهشمة أو مسحوق أصداف بيض النعام، أو إضافة مساحيق حطام النباتات وسيقانها، أو مسحوق الكوارتز[5]، أما من حيث فهناك ثلاثة أنواع رئيسية، النوع الأول يتمثل في إيواء كبير بفتحة كبيرة، وجسن الآنية ينتهي بشارب رقيق، والنوع الثاني عبارة عن إيواء ذو جانبين مستقيمين بقاعدة نصف دائرية يصل قطرها أحيانا إلى 50 سم، والنوع الأخير هو عبارة عن أسطوان قاعدته نصف دائرية وقليل الحجم بالمقارنة مع حجم النوعين الأولين، الزخارف نفذت بطريقتين؛ الطريقة الأولى تدعى طريقة الطبع، والثانية تسمى طرية الرشم، وشكل الزخارف الأكثر رواجا هي الخطوط المموجة والمنقطة[6]، سواء بأصابع اليد أو مسحة مشط، ثم عن طريق جر الحبل[7]، أما الباحث "عليش" فيقسم الفخار من حيث الشكل إلى خمسة أنواع؛ الزخرفة البسيطة، الزخرفة المركبة، الغير مزخرفة ،المصقولة، غير المحدد، ويضيف انه لا يمكن تجاهل المستوى الطبقي الذي اكتشفت فيه الشقف الفخارية، كذلك يجب الأخذ بعين الاعتبار السمك والوسيلة التي استعملت في إنجازه.

---

[1] Camps (G), les civilisations…, op-cit, p 237. ; Ibid, Amekni…, op-cit, pp 151-153.

[2] محمد رشدي جراية، المرجع السابق، ص 97.

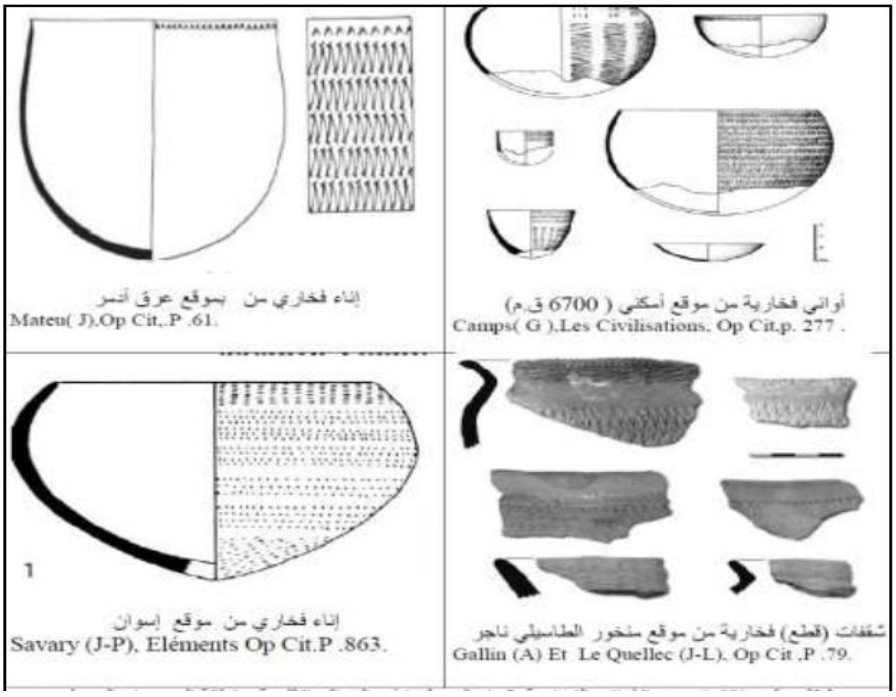
[3] محمد سحنوني، المرجع السابق، ص 133.

[4] كلود براهيمي، المرجع السابق، ص 117.

[5] محمد رشدي جراية، الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث 6100-1000 ق.م، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2007-2008، ص 90.

[6] محمد سحنوني، المرجع السابق، ص 133.

[7] محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 121.



صوررقم 37: فخارذو تقليد صحراوي سوداني.

المرجع: امحمد وابل، المرجع السابق، ص 209.

من خلال المعطيات الأثرية فإنه لم يتم الحصول على شقفات فخارية من المواقع النيوليتية فحسب بل تم العثور على أواني فخارية كاملة وسليمة مصنوعة من الطين وبالغة الجمال، من حيث الزخرفة والحجم، ففي موقع عرق أدمر بالطاسيلي تم إيجاد إناء يبلغ ارتفاعه 25 سم، وقطره 38 سم، وآخر سمكه 5 سم، ويعتقد أنها كانت تستخدم لحفظ الحبوب البرية، وفي موقع أمكني اكتشفت أواني أكثر قدما وحجما، حيث بلغ قطر بعضها 60 سم، استعملت في حفظ السوائل، ومنها وضعت بها نباتات والآخر موجه لأغراض الطبخ، وتم إحصاء أواني صغيرة من عرق إسوان بالطاسيلي ناجر وتتمثل في إناء رفقة أدوات عظمية تستعمل على الأرجح كحلي، مقاساتها 15 سم في الارتفاع، وقطرها حوالي 11 سم، وسمكها 5 مم[1]، ويعتقد كامبس أن الأواني الصغيرة كانت تستخدم في الغالب تستخدم في الطبخ[2].

وبالمجمل، ونظرا للظروف المناخية التي سادت الصحراء خلال بداية العصر الحجري الحديث فيما عرف بالمناخ الأمثل، فقد كانت المنطقة تأوي حيوانات السافانا مثل الفيل، فرس النهر، وفرس النهر، كما كانت موطنا لشعوب عاشت على قطعان الخراف والأبقار والماعز، وكذلك الصيد من خلال آثار رؤوس السهام، ومختلف أدوات الصيد، ففي موقع "تن أدناس" عثر على صناعة غنية بالقزميات الهندسية والتي تميز النيوليتي، وموقع "أمكني 7000ق.م" و"تن هناكتن 7500 ق.م" اللذان عثر بهما على بقايا فخارية، مدقات مع أدوات الرحى، الذي يشير إلى نمط معيشي اعتمدت فيه الأقوام الزنجية على الصيد والاستئناس والزراعة البدائية.

[1] امحمد وابل، المرجع السابق، ص 210.

[2] Camps (G), les civilisations…, op-cit, p 230.

2/ نيوليتي ذو الأصول القفصية

2-1/ تعريفه: أطلق فوفري عليها هذه التسمية سنة 1933[1]، واقترح كامبس مصطلح النيوليتي القفصي لوصف المجموعة الصناعية المكتشفة في موقع داموس الأحمر[2]، بعد أن كان يستخدم مصطلح "النيوليتي الأطلسو-صحراوي"، على النيوليتي الممتد من التل المتوسطي إلى حواف مرتفعات الهوقار[3]، وهو ما كانت تسميه روبيه Roubet آنذاك بـ"النيوليتي القفصي في طور التراجع والاضمحلال"[4].

ويرتبط بهذه الثقافة عدد من المواقع الأخرى في بلدان المغرب، حيث انتشر في السهول العليا وتخوم الصحراء والمناطق الداخلية خاصة الشرقية منها في مواقع الداموس الأحمر، جبل فرطاس، كهف كابيليتي (4580 -+250ق.م)، عين النقا (5550-+170 ق.م) عين القطار، حاسي المويلح (3500ق.م)، حاسي مندة، زميلة البركة وواد الزقاق، فالمجال الجغرافي الذي يغطيه النيوليتي ذو التقاليد القفصية واسع، لأنه يغطي شرق تونس الغربية، ثم يمتد غربا حتى المحيط الأطلسي، مرورا بالجزائر التلية وقسم كبير من الصحراء، وتحدد الحدود الجنوبية لانتشار النيوليتي القفصي انطلاقا من رسم خط يبين اختفاء الفخار ذو القاعدة المخروطية والرسم على قشور بيض النعام، وهذا الخط يبدأ من جنوب عرق إيقدي ثم برقان، فأولف، ثم جنوب الزاوية الكحلة، أما في الشمال يحده الخط المار بالمنطقة التلية، حيث ينتهي انتشار الفخار الانطباعي ذو الأصل السوداني[5].

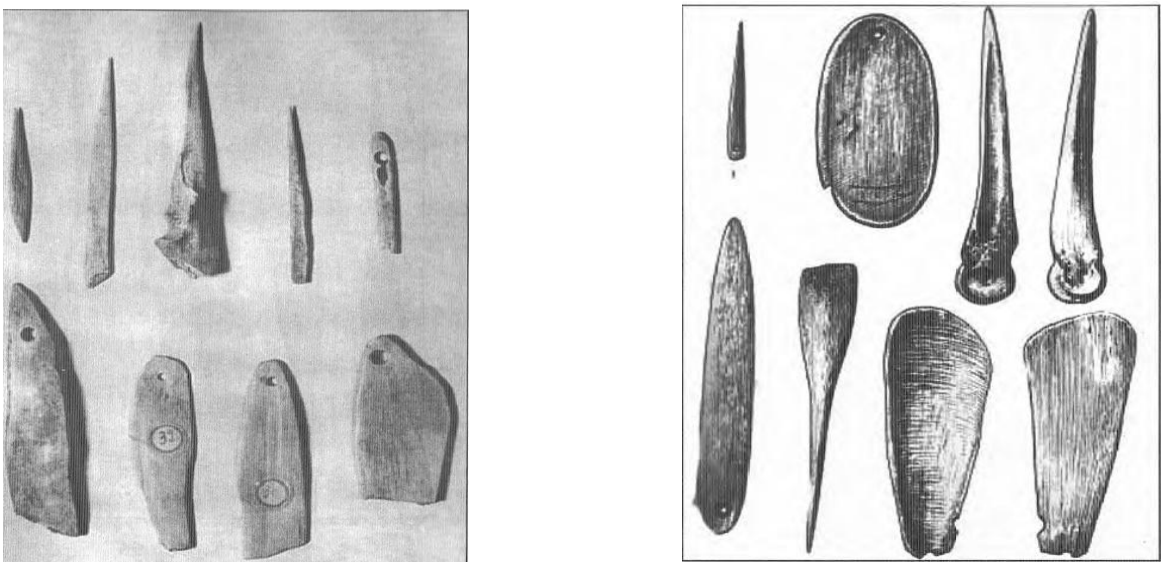
من أهم المواقع ذات التقاليد القفصية بالصحراء المنخفضة والعرق الشرقي الكبير حتى تادمايت، وتخوم الطاسيلي، مثل عرق الصوان، تندوف، بشار، عرق إيقدي، تيديكلت، توات[6]، وبالتالي يغطي هذا النوع من النيوليتي القسم الأكبر من الصحراء الجزائرية، شمالها وشرقها وغربها وجنوبها الغربي، كما يطغى على القسم الشمالي لمناطق نفوذ النيوليتي الصحراوي السوداني (الجنوب الشرقي للصحراء)، حيث عمرها النيوليتيون ذوي التقاليد القفصية، بعد انحسار نفوذ النيوليتي الصحراوي السوداني، وهذا ما يفسر عودة الطبقات العميقة بحفرية المنية للنيوليتي السوداني، بينما ترجع السويات العليا بها للنيوليتي القفصي[7].

---

[1] Vaufrey, (R), préhistoire de l'Afrique, t 1, (Maghreb), publications de l'institut des Hautes études de tunis, vol 4, librairie Masson, paris, 1966, p 242.
[2] Camps (G), op-cit, p 289.
[3] Ibid, p 282.
[4] Roubet (C), Le gisement du Damous el Ahmar et sa place dans le Néolithique de tradition capsienne. Trav. C.R.A.P.E., 1968, p 120.
[5] Camps (G), op-cit, p 295.
[6] Ibid, Le néolithique de tradition capsienne au Sahara, extrait des travaux de l'institut de recherches saharienne, t 26, C.N.R.S., 1967, pp 91– 92
[7] محمد رشدي جراية، المرجع السابق، ص 120.

2/ **سيماته الحضارية**

2-1/ الصناعة الحجرية: يتميز النيوليتي ذو التقاليد القفصية باحتوائه على صناعة حجرية مختلفة كليا عن الصناعة القفصية النموذجية خاصة رؤوس السهام ذات الوجهين، إضافة إلى المسننات والمكاشط والنصال المخارز والأزاميل، والفؤوس المصقولة والقطع ذات الحزات وذات تهذيبة متواصلة، قزميات هندسية[1]، وأدوات الطحن مع تنوع وكثرة الصناعة العظمية المصقولة، وهي في الغالب أدوات قاطعة وثاقبة[2].



صورة رقم 38: صناعة عظمية نيوليتية قفصية ورؤوس سهام وأدوات مثقوبة من موقع بو بوزباوين

المرجع: محمد الصغيرغانم، مو اقع....، المرجع السابق، ص ص 127-128.

وعلى العموم يتميز النيوليتي ذو التقاليد القفصية بكثرة رؤوس السهام والفؤوس الكبيرة، الخناجر والكاشطات ذات الظهر الفأسي، ورؤوس السهام المسننة، وفي منطقة وادي سوف اكتشفت محطات نموذجية قفصية نسبها "أليمان Aliman" إلى النيوليتي القفصي، بتسمية محلية وهي "ملامح الوادي"، وتتميز بصناعة النواة الصغيرة وغلبة الأدوات والنصيلات ذات الظهر، مع وجود المثلثات ذات الحجم الصغير وكثرة قشور بيض النعام المنقوشة، فضلا عن بقايا لمدقات ومطاحن لسحق الحبوب والمغرة[3].

أما في موقع أولاد مية فقد عثرت "أوماسيب" على مخارز ومثاقب، نصال ذات حافة قاطعة، نصيلات ذات ظهر، وأخرى ذات رأس، ونصيلات حادة قاطعة، بالإضافة إلى قطع مسطحة ونصيلات ذات الظهر والبلورات الحجرية والقزميات الهندسية، ورؤوس السهام ذات الوجهين المذنبة والنويات الاسطوانية والمحكات والكاشطات والمطاحن وأدوات السحق والمدقات والقادحات، وفي جنوب العرق الشرقي الكبير والزاوية الكحلة تم الكشف عن نصال رقيقة ومسننة، مكاشط وخناجر مهذبة رقيقة، وأخرى عريضة ورقية الشكل ذات

[1] Aumassip (G), Le Bas-Sahara…, op-cit, pp 446-448.

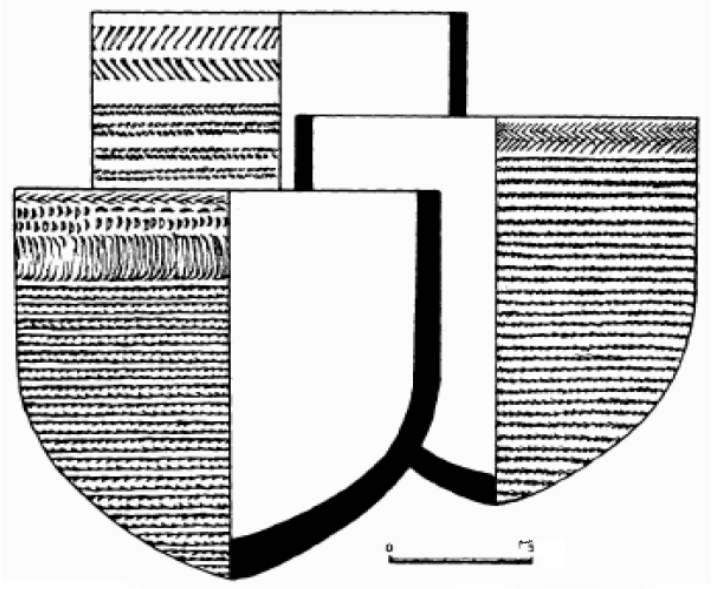
[2] محمد سحنوني، المرجع السابق، ص 130.

[3] Alimen (H), Préhistoire de l'Afrique, éd. N. Boubée et Cie, paris, 1955, p 194.

حدين، مصنوعة من الصوان، بالإضافة إلى الفؤوس والقواديم ذات لمسات رائعة من صقل وتهذيب، وفؤوس أخرى صغيرة في مضلع[1]، وفي موقع حاسي مندة وزميلة البركة وواد وقاق تظهر صناعة حجرية تحتوي على نصيلات ذات الظهر والمحكات القزمية والقزميات الهندسية[2].

2-2-2/ صناعة الفخار: تظهر الأواني الفخارية في الألف الخامسة ذات الأشكال المخروطية بدون تزيين، أو مزينة بأشرطة على شكل أحزمة باستعمال المشط[3]، أو محزز بثقوب عميقة، ويتميز هذا الفخار بالخشونة، بقاعدة مخروطية وفتحة واسعة مع تركز الزخرفة في الحافة.[4]

تم العثور على الفخار في عدة مواقع ذات تقليد قفصي منها حاسي مندة، زميلة البركة، عرق إيقدي ورقان، أولف، الزاوية الكحلة، وهو قليل العدد والنوع مقارنة بنظيره التلي المتوسطي، أو بفخار النيوليتي السوداني ذو القاعدة النصف دائرية بالطاسيلي والهقار، وهناك مواقع أخرى لم يعثر بها على أي فخار مثل أولاد مية، وادي سوف، فم سعيدة ببني عباس، خنقة تلايا، عين كرمة ببوسعادة[5]، وفي مواقع أخرى عوض الفخار ببيض النعام، حيث استعمل كأواني لحفظ السوائل.



صورة رقم 39: فخار حاسي المويلح

المرجع: Camps (G), Les civilisations..., op-cit, p 299.

أما كسر الفخار التي عثر عليها في موقع الرديف تونس، فهي تُظهر أن سكان هذا الأخير لم يتوصلوا إلى استعمال الفخار إلا في آخر فترة من سكنى الموقع، وفي موقع أشكار غربي طنجة بالمغرب فقد عثر روحلمان على أواني فخارية شبهت بأنصاف قشور بيض النعام، ذات خطوط مائلة، بالإضافة إلى اتخاذ السلال كقوالب

[1] محمد رشدي جراية، المرجع السابق، ص 127.

[2] محمد سحنوني، المرجع السابق، ص 131.

[3] نفسه.

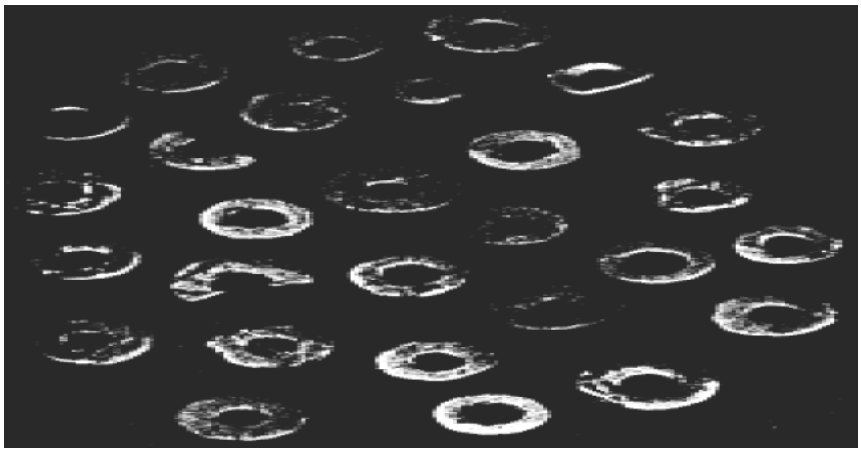
[4] Brahimi (C), Initiation…, op-cit, p 75.

[5] محمد رشدي جراية، المرجع السابق، ص 129.

لصناعة الأواني، وبالتالي كان الفخار المكتشف بالمغرب أكثر تطورا من فخار الرديف بتونس، وذلك بناء على شكل الآنية وتقنية صنعها والزخرفة التي تحملها، بحيث أن الزخرفة في أواني دار السلطان كانت تغطي تقريبا معظم مساحة ظهر الآنية، بالإضافة إلى أن تلك الآنية كانت تزود في غالب الأحيان بناتئين بارزين على الأطراف يمكن أن تكون قد استعملت بغرض الحمل أو التعليق[1].

2-2-3/ الحلي: كان الحلي يصنع من القواقع ومن الحجارة الملونة، كما صنعوا القلائد من قطع الجص الصغيرة، وأساور من سوسن البحر، وشوكيات الجلد بأشكال أنبوبية واسطوانية بعدة ألوان[2]، كما صنعوا أدوات الزينة من النياط والمجوهرات الدائرية المثقوبة والرباعية الشكل ذات الحواف المصقولة المستخدمة غالبا في حلقات نظم العقود، أما المجوهرات فتمثلت في النياط الحجرية ومجوهرات من حجارة أخرى مثل الكلس، الكوارتز، العقيق، الأمازونيت، كما عرفوا المضارب التي استخدموا بعضها عند خلط الألوان للرسم والتزيين بالمغرة[3].

أما النياط من الحجارة المصقولة، فهي متعددة الأشكال، الأشهر منها تلك التي تتخذ شكل حبات اللفت، وهي ذات شكل مسطح ومنبسط، ومجهزة بثقب يدخل فيه سير جلدي عند تدويره بسرعة يحدث صفيرا حاد الصوت يسمع من مسافة بعيدة جدا، يطلق عليها الحجارة الصفارة[4].



صوررقم 40: حلقات نظم العقود من قشوربيض النعام من موقع أولاد مية

المرجع: محمد رشدي جراية، حضورطائر...، المرجع السابق، ص 98.

2-2-4/ الصناعة العظمية: وتمثلت في سكاكين ومصاقل وكاشطات وملاعق وإبر، وحلي جميلة تتضمن دبابيس وملاقط وحلقات، فضلا عن عقود عظمية ومجوهرات في شكل أنابيب منها الشفاتير.

---

[1] محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 132.

[2] Hugot (H-J), le sahara avant le désert, op-cit, p 120.

[3] محمد رشدي جراية، المرجع السابق، ص 133.؛ نفسه، حضور طائر النعام في بلاد المغرب من خلال شواهد الحضارة القفصية وامتداداتها، مجلة المعارف والدراسات التاريخية، مج 3، ع 2، 2017، ص 97.

[4] نفسه.

2-2-5/ الفن:

استخدامات بيض النعام: شكل استخدام بيض النعام أهم مظهر فني في سمات النيوليتي ذو التقاليد القفصية، سواء كأواني لحفظ حاجياته اليومية، أو استخدام كسر بيضها في صنع حبات نظم العقود، والزخرفة عليه بلمسات فنية ذات أشكال هندسية، تكون في شكل خطوط متوازية مرتبة ومنظمة في حيز متقارب[1]، ويحتمل أن قشور بيض النعام، الأواني والأقداح والفخاريات وأوان نفيسة ربما استخدمت بشكل خصوصي في بعض الاحتفالات، مثل الزواج، وفي هذه الحالة، كانت قشور بيض النعام الكاملة من الزخرفة عبارة عن أغراض نادرة وغريبة، وإذا اعتقد العكس فإن هذه المنقولات تشتمل على قطع ذات طابع جنائزي بحت.

عندما كان يتم استهلاك محتوى البيضة، كان يفضل استخدام قشرة البيضة كإناء، إذ جرى الاحتراس على ثقبها جيدا وعدم كسرها، هكذا يتم انجاز "قنينةّ قيمة، بالموازاة مع أوعية من الفخار، وشكلت هذه القناني بوجه الاحتمال الأغراض الأكثر استعمالا من بين المصنوعة من بيض النعام، ولابدّ أنها كانت ذات فائدة كبرى، ففي موقع حاسي المويلح بورقلة تم الكشف عن كومة هرمية تعود للعصر النيوليتي على 11 صدفة بيض نعام مثقوبة وخالية من النقوش استغلت كقوارير[2].





صورة 41: قوارير من بيض النعام محفوظة في المتحف الوطني للآثار القديمة بيض نعام محفوظة متحف تيبازة

إذ ما نظرنا إلى العدد المعتبر من شظف البيض بالإضافة إلى القناني الكاملة النادرة، لقد أمدَّ النعام بمادة لا تضاهي في ذلك الزمن للحصول على قناني خفيفة ومتينة من قشر البيض، ويمكننا عندئذ تخيّل أهمية تلك الأواني للمجموعات المتنقلة التي تنتقل في منطقة شبه حيث موارد الماء مؤقتة ومتباعدة، وبالأخص الفائدة التي يقدمها هذا الخيار في التزود بالماء الضروري مع البقاء بعيدا عن مورد الماء التي ترتادها الحيوانات[3].

[1] Hugot (H-J), le sahara …, op-cit, p 119.

[2] Marmier F), Trecolle (G), étude de L'industrie du gisement d'Hassi Mouillah région de Ouargla, Sahara Algérien, Libyca, T19, 1971, C.R.A.P.E, Alger, pp 53-114.

[3] نورية آكلي، بيض النعام في شمال إفريقيا القديمة، مجلة أفكار وآفاق، مج 4، ع 6، 2015، ص 391.

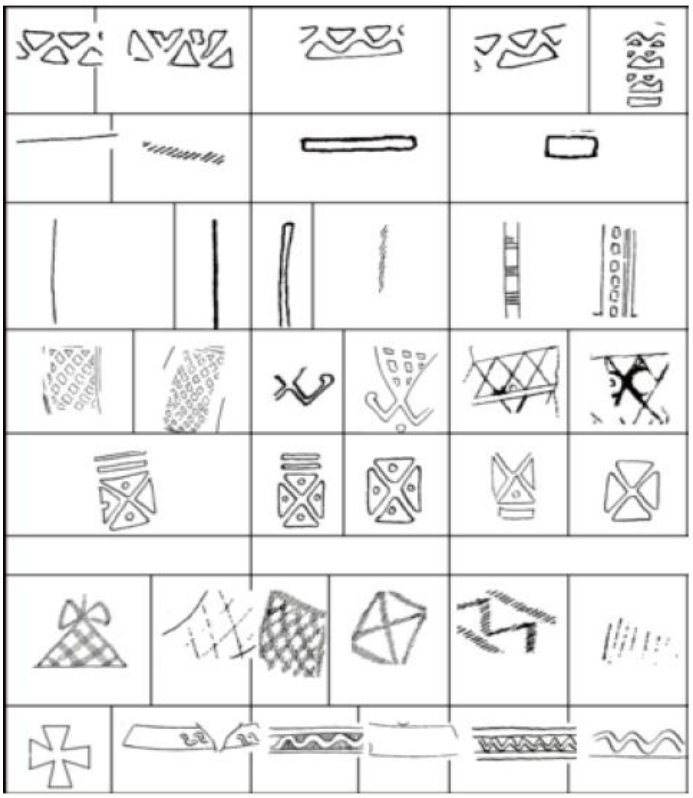
كانت زخرفة البيض متواترة لكنها ليست دائمة، غالبا عبارة عن نقوش، وأحيانا رسومات على السطح الخارجي، كما كانت توجد الفتحة على العموم عند أحد القطبين، والتي قد يحدث أن توجد عند الاستواء، إذ يبدو استخدامها بطبيعة الحال جليًّا: نقل وحفظ السوائل والحبوب والمواد المسحوقة، وتكون الزخارف المحيطة بالفتحة التي تنطوي بلا شك على دور سحري موجودة بصفة دائمة تقريبا عندما يكون سطح الغرض مزيّنًا[1].

الحلقات المنظومة وأغراض الزينة: لم يقتصر الاستخدام على البيضة الكاملة، فقد وَجدت الشظف هي الأخرى عدة استخدامات، لا سيّما كأغراض زينة، ومنه جاءت تسميتها الشائعة بالدُرر، التي استخدمت بعض الأحيان في طقوس الدفن، وعليه، فتبدو النظرية التي ترى فيها تمثيلا مسبقا للنقد أنها تستعمل في المبادلات بين المجموعات البشرية بعيدة الاحتمال[2].

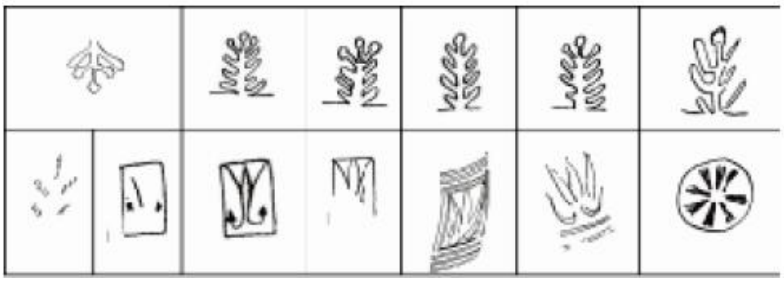
الزخرفة على البيض: تم الكشف عن كسور كثيرة في المواقع الأثرية لبيض النعام منقوشة ومخططة، فكان اختيار السطح الداخلي، أو الخارجي لقشة البيضة سندا للزخرفة بلا تمييز، لكن نادرا ما يتم اختيارهما معا، والزخارف الأساسية إما مستقيمة، أو منحنية، أو منقطة ومنحنية، وكذا متعرجة، حيث تشكل شارات متدرجة، ولفائف زهرية وتظليلات بسيطة، تكون هذه الزخارف في غالب الأحيان هندسية أو تصويرية، وحتى حيوانية وزهرية[3].

وتتمثل الزخرفة في أشرطة فاصلة بين الرسومات، مثلثات ذات أو عديمة التذييل مع الرأس نحو الأسفل، أشرطة مقسمة إلى مربعات أو مستطيلات مخترّقة، خطوط متعرجة، شكل نباتي (سعف النخل ذات ساق طويلة أو سنابل)، زخرفة نباتية في شكل زهرة اللوتس تجانبها أكمام، وأشجار مقدسة، وتمثيل آدمي (الصياد، الآلهة أو الكاهنة)، تمثيل حيواني (النعامة والكلب، ظباء، بأبقار، ثيران، غزلان، خنازير)[4].

[1] Camps-fabrer (H), « Autruche », *Encyclopédie berbère*, 8, 1990, pp 1176-1187.
[2] Rahmani (N), Lubell (D), Dessine-moi une autruche, la gravure de Kef Zourad et la repésentation de l'autruche au Maghreb, in Sahara, N° 16, 2005, pp 7-10.
[3] Ibid, pp 10-11.
[4] نورية آكلي، المرجع السابق، ص ص 392-393.



صوررقم 42: الاشكال الزخرفية الهندسية الموجودة على بيض النعام



صوررقم 43: الاشكال الزخرفية النباتية الموجودة على بيض النعام



صوررقم 44: الاشكال الزخرفية الآدمية والحيوانية الموجودة على بيض النعام

المرجع: نورية آكلي، المرجع السابق، ص 394.

وفيما يخص توزيع الزخارف على بيض النعام فلم تقتصر على السطح الخارجي بل نجد أيضا زخرفة على الجدار الداخلي، وهي ناتجة عن استعمال أداة حادة عند تحضير الطلاء أو المساحيق مثل ما هو الحال في القطعة التي عثر عليها في طبقات موقع الداموس الأحمر، والتي تحمل بصمات واضحة للطلاء الأحمر، وبعض الحزوز التي توجد لوحدها دون طلاء مثل ما هو الحال في عين زنوش، إن الزخارف الداخلية عموما محدودة جدا، وذاك خلافا على الخطوط المشتتة، انطلاقا من ذلك يمكن القول بأن هناك خطوطا وضعت عمدا، فهي

مستقيمة كما تدل على ذلك الأشكال الواردة من مغارة "كلاريون" وطبقات "روليلاي"، ونادرا ما تكون الخطوط المقوسة مشتركة مع الملاحظة أن القطعة يمكن أن تكون مزخرفة من الجهتين[1].

زخرفة الأقراط، الأقداح والأنواط: تختلف زخرفة هذه الأدوات نوعا ما عن زخرفة القطع الناتجة عن البيضة الكاملة، فالمساحات هنا صغيرة أثرت على تنظيم الزخارف، ولهذا لوحظ كثرة النقوش والحزوز الموزعة بانتظام على حافة القرص أو النوط، وقد تم التعريف على هذه العناصر على الخصوص في المناطق الصحراوية في تابلبالة، فم سعيدة، ديبيديدي بمنطقة الزاب، أما عن النقاط المستعملة خصوصا في العصر النيوليتي فإنها مرتبة في أربعة خطوط متوازية مكونة من نقاط رقيقة مثل زخرفة حاسي بوشة، وقد غلبت الخطوط في الشمال على زخرفة هذه الأدوات مثل تلك التي عثر عليها في خنقة المحاد، مرتبة في مجموعتين متعارضتين مكونتين من أنصاف الدوائر المتراكمة مباشرة تحت فوهة النوط، كما وجدت زخارف التنقيط وغالبا ما تكون مشتركة مع الخطوط المقوسة، وقد نعثر على ثقب النوط محاط بدائرة معينة بنقاط، وظهرت زخارف التشبيك على القداح في كل من موقع خنقة المحاد والداموس الأحمر.[2]

وبالتالي شكلت الصحراء الجزائرية الشمالية حضارة كاملة لبيض النعام، خاصة الجانب الفني إذ احتوت على الزخارف والنقوش التجميلية وإن بقي الكثير من الأحيان محتفظ بمميزات زخرفية تعود للقفصية العليا، كاستخدام الزخارف المستقيمة إذ يبدو هذا الارتباط واضحا في زخارف وادي سوف بصفة خاصة، حيث الخطوط الأهدابية المقوسة والمشطية الأهدابية تعبر عن ذلك بكل وضوح[3]، أما فيما يخص المناطق التي عثر فيها على بيض مزخرف نجد؛ العرق الغربي الكبير، الحنش، ترونتيل 3 (جنوب تابلبالة)، رقان، أولف، عين إسوقي (تادمايت)، الزاوية الكحلة، وادي سوف، وادي ريغ، أولاد مية، قاسي الطويل، الساورة، وبالنسبة للصحراء الجزائرية الشرقية فنجد؛ تقرت، عين أميناس، حاسي مسعود، زاوية ثرية، إيجلي.

لقد سلطت الأبحاث الضوء على الجانب السلوكي والاجتماعي لإنسان هذا العصر وذلك من خلال اكتشاف أدوات متمثلة في فؤوس مشكلة بمهارة من صخور نادرة، وتأخذ الأبحاث الجديدة بعين الاعتبار أيضا الممارسات الفنية من نقش ورسم ونحت، ومن خلال النتائج، تنبثق صورة حية وذاتية لمجتمع رعوي، انتشر في المناطق الجبلية والسهلية للجزائر الشرقية، وامتدت إلى مشارف المرتفعات الغربية للأطلس الصحراوي أين ظهرت واستقرت ظاهرة تقديس الكبش، وتميزت بقلة الأدوات الحجرية وكثرة المحراث والمسننات وشقف الفخار والحلي العظمية والصدفية.

[1] عبد القادر دراجي، المظاهر الفنية في المغرب منذ 13000 سنة، الزخرفة والنحت على قشور بيض النعام، مجلة آثار، مج 1، ع 2، 1992، ص 9.

[2] نفسه، ص 10.

[3]

3/ النيوليتي ذو التقليد التلي(الساحلي- المتوسطي)

3-1/ تعريفه

المصطلح مقترح من قبل الباحث "Bosch-Gimpera" ويقصد به الوجه الثقافي النيوليتي المنتشر على ضفاف البحر المتوسط والساحل الأطلسي من البرتغال والمغرب لأقصى، حيث تلتقي فيه المؤثرات الحضارية لسواحل بلاد المغرب القديم المطلة على البحر المتوسط في تلك الفترة بالسواحل الجنوبية الغربية لأوروبا وجزر المتوسط الأخرى وبلاد الشرق القديم المطلة على البحر المتوسط، لاسيما من حيث الصناعة الحجرية والفخارية والعظمية، ويتميز بتكوينات أثرية مادية مميزة مثل الفخار الكارديالي، والمخدد والمضغوط.

عرف النيوليتي الساحلي تطورا وانتشارا واسعا خلال الألفية السادسة والخامسة قبل الحاضر، حيث شغل المناطق التلية المطلة على الشريط الساحلي لحوض المتوسط، أين شهدت هذه الأخيرة عدة تأثيرات بالتيارات الثقافية والحضارية بالمنطقة خاصة الفخار الكارديالي، الذي يعرف بتقنية التزيين بالطبع، إذ تعرف هذه المجتمعات البشرية بشغلها المغارات والملاجئ الصخرية كمساكن لها[1].

تعتبر مغارة "واد قطارة" من أهم المواقع الأثرية أين تم التعرف على مستويات طباقية مميزة للمرحلة الانتقالية، من مرحلة العصر الحجري القديم المتأخر إلى النيوليتي، وذلك اعتمادا على عدة مؤشرات ثقافية، خاصة الصناعة الحجرية (رؤوس سهام، أدوات الرماية، فؤوس يدوية مصقولة) والأواني الفخارية (نمط الصنع، شكل الأواني، نمط وتقنية التزيين)، كمؤشرات كرونولوجية وثقافية للعصر الحجري الحديث.

حسب كامبس فإن النيوليتي المتوسطي عبارة عن وجهين ثقافيين هما؛ الساحلي والتلي، يظهر هذا من خلال التقسيم الذي قام به على حساب التوزيع الجغرافي للمواقع النيوليتية، فالنيوليتي الساحلي يمتد على سواحل البحر المتوسط لشمال إفريقيا، وقد تم التركيز على الجهة الغربية لشمال إفريقيا، ونخص بالذكر مواقع المغرب الأقصى وجبال مرجاجو، ويعتبر موقع غار كحال بالمغرب وواد قطارة بوهران كموقعين نموذجيين للنيوليتي الساحلي، في حين النيوليتي التلي، سميت بهذا نظرا لتواجد المواقع في الأطلس التلي، وهذا التمييز غير راجع إلى الأدوات الحجرية فقط بل كل الأدوات، ويعتبر موقع الداموس الأحمر من أغنى المواقع من حيث الأدوات، فضلا عن موقع قلدمان 1 ببجاية والذي درس من قبل الباحث خربوش فريد.

3-2/ سيماته الحضارية:

3-2-1/الصناعة الحجرية: تميز النيوليتي المتوسطي بصناعة حجرية -رغم قلتها- مكونة أساسا في الحزات، المسننات، المحكات ونسبة النصيلات ذات الظهر وقلة الفؤوس اليدوية المصقولة، كما تحتوي على قطع حجرية دقيقة "ميكروليتية" هندسية الشكل، منها رؤوس سهام نادرة ويضاف لها أدوات ثقيلة قديمة مثل

[1] موراد إيديري، التصرفات الغذائية للإنسان النيوليتي لشمال إفريقيا: دراسة أركيوزولوجية للبقايا الحيوانية لمواقع قلدمان 1 (أقبو)، كابيليتي (الأوراس)، وعمورة (الأطلس الصحراوي)، أطروحة دكتوراه (ل.م.د) تخصص آثار ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2021-2022، ص 31.

المكاشط والقطع المحززة[1]، كما تتميز هذه المرحلة بخصائص صناعية وتنميطية مميزة، حيث تغلب عليها الأدوات "أزاميل ذات زاوية حادة"، "نصال ذات ظهر مجندل"، "تشذيب شظوي"، "نصال غير مصنفة"، "أدوات على شكل ورقي"[2].



صورة رقم 45: صناعة عظمية حجرية من موقع قدلمان -بجاية-.

المرجع: سعيدة بن صدوق، المرجع السابق، ص 63.

3-2-2/ الصناعة العظمية: شهدت الصناعة العظمية لهذه المرحلة بالتطور، التنوع والدقة في استخراج الأدوات العظمية الملائمة، لغرض استعمالاته اليومية المتزايدة، وكذلك لسد العجز الصناعي الذي تعاني منه في هذه الفترة الزمنية، ومن أهمها المخارز Alènes والمثاقب Poinçons، أدوات التمليس Lissoirs والملاعق أو المجارف الصغيرة Spatules[3].

3-2-3/ الصناعة الفخارية: ظهر الفخار المتوسطي منذ 6800 قبل الآن ومتأخر مقارنة مع العصر الحجري الحديث ذو التقاليد القفصية، تطور محليا مع تمازج ببعض التيارات الحضارية للبحر الأبيض المتوسط "النيوليتي الأوربي"، حيث تم العثور على بقايا فخارية التي تميز حضارة **الكارديال** cardial المنتشرة في جنوب أوربا "تزيين الفخار بقطعة صدفية "قوقعة الكارديوم ذو الحواف المسننة cardium adulé "، ونجدها في موقعين الأول في منطقة أشكار" قرب طنجة، والثاني موقع "غار كحال، كاف ثات Kaf That، مغارة أرخيل،

[1] كلود براهيمي، المرجع السابق، ص 122.

[2] Camps (G), Les civilisations…, op-cit, p 263-264.

[3] Ibid.

وأدول، كاف البوسرية، موقع تهدارت، وفي الجنوب نجد مغارة المناصرة، الحرحورة 2، وفخار هذه المرحلة يتميز بالزخرفة المركبة والمنظمة، وشكل الزخرفة أشرطة وتشكل مناطق محدودة لتغطي كل الآنية، والنموذج الأكثر انتشارا هو القنوات، خاصة في موقع تهدارت، أين أصبح لديها نمط خاص، نموذج الشعلة الناتج عن قوقعة الكارديوم مصحوبة بزخرفة القنوات، طبع على شكل هلاليات، ويجتمع مع نماذج أخرى أو يجاورها لتشكيل نفس الموضوع، الزخرفة المركبة تتشابه مع الكارديال الايبيرية الفرنسية[1].

إنّ العلاقات التي يكشف عنها الفخار الكارديالي بين شبه الجزيرة الإيبيرية وشمال المغرب كانت، في بدايات العصر الحجري الحديث، محدودة بهذه المنطقة الضيّقة من المغرب الكبير، غير أنّها ستزداد وتتّسع خلال العصر الحجري الحديث المتأخّر ثمّ العصر النحاسي، لتشمل مجالًا جغرافيًا أوسع بكثير ويظهر في كثير من مغارات الساحل الجزائري -دون تزيين بصدف الكارديوم- وخاصة في إقليم وهران "مغارة بوليغون، مغارة الظهيرة، واد القطار، منطقة مرجاجو"، بنزرت بتونس، هوافتيح بليبيا، وانتشر عبر الأطلس الصحراوي[2].

يعرف الباحث "قيلان Guiline" الفخار الكرديالي المنتشر بجنوب فرنسا وخليج اسبانيا بالخصائص التالية؛ الجانب المورفولوجي للأواني ذات شكل كروي أو نصف كروي ذات القاع المحدب، وهناك أشكال معروفة فقط في المواقع الاسبانية ذات القاع القمعي، وشكل دائري في بعض الأحيان مع عنق ضيق، وفيما يخص الأواني ذات القاع المسطح فهي قليلة جدا. ومن حيث الزخرفة فهي تشتمل على اشرطة هندسية متناوبة، وهي ناتجة عن استعمال القواقع البحرية والأشكال المركبة[3].

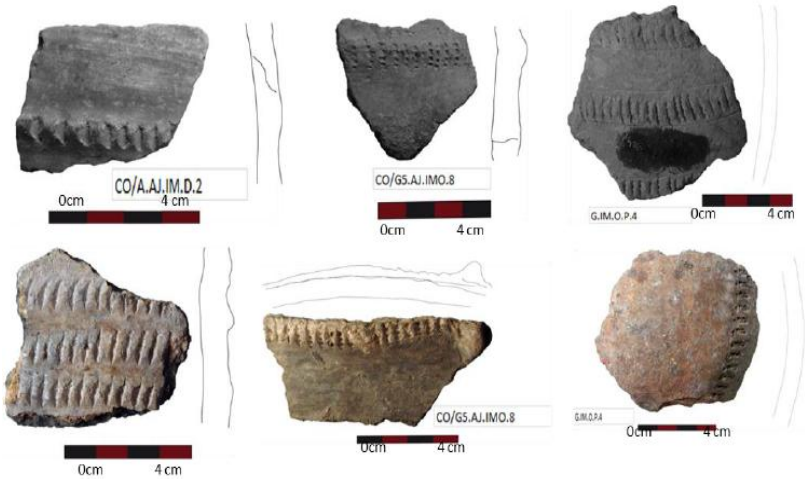
أما الفخار المنتشر في شمال إفريقيا فتميز بأواني ملونة ذات قاعدة مخروطية واحتوائها على مقابض متنوعة، وندرة وجود العنق وفي حالة وجوده يكون قصيرا وضيقا، وأكثر ما يلفت الانتباه هو تواتر النتوءات والمقابض، سواء كانت مثقوبة أم لا، والتي تتحوّل أحيانًا إلى مقابض حقيقية. وتحتل الزخارف الجزء العلوي منها مشكلة حزام لا يتعدى المقابض إلا في حالة الزخارف العمودية[4].

[1] سعيدة بن صدوق، دراسة تيبو-تكنولوجية وتحليلية للفخار النيوليتي لمواقع شمال الجزائر، أطروحة دكتوراه علوم في آثار ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2019-2020، ص ص 567-568.

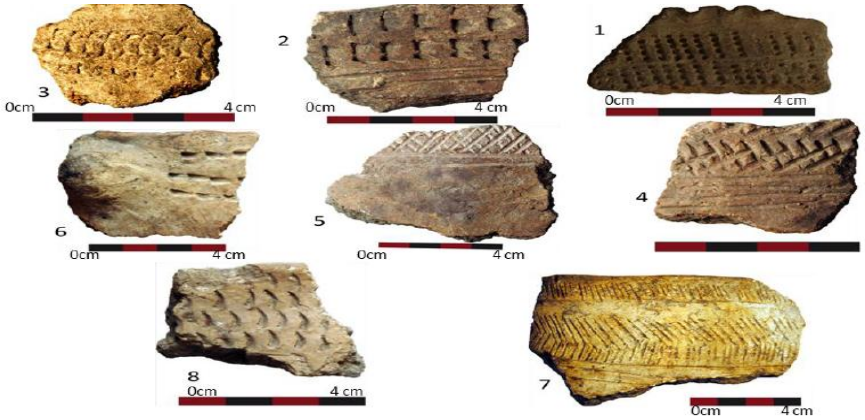
[2] Camps (G), op-cit, p 269.

[3] سعيدة بن صدوق، المرجع السابق، ص 75.

[4] Camps (G), op-cit, p 271.

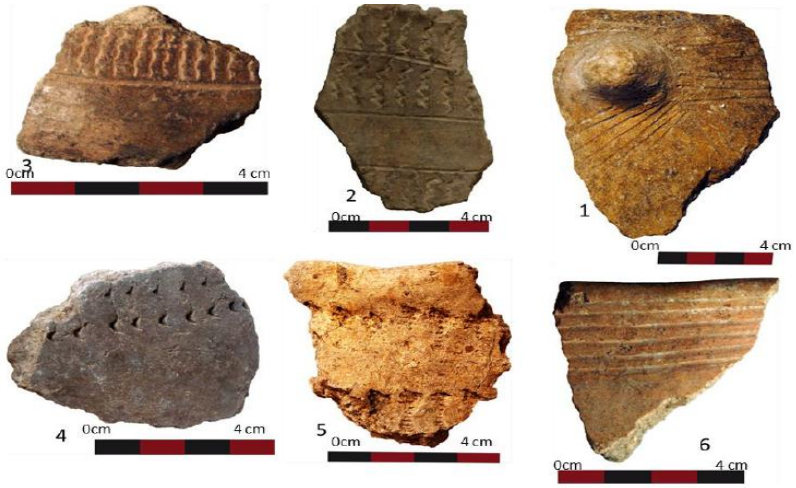


صورة رقم 46: مختلف الزخرفة المركبة بين زخرفة الحبلي واستعمال الظفر والمشط ذو خمسة أسنان (موقع التروقلوديت). المرجع: سعدية بن صدوق، المرجع السابق، ص 119.



صورة رقم 47: مختلف أنواع النماذج للزخرفة الفخارية؛ 1- شريط من الطبع باستعمال المشط ذو خمسة اسنان، 2-3 النقاش، 4-5 السياج (موقع التروقلوديت)

المرجع: سعدية بن صدوق، المرجع السابق، ص 120.



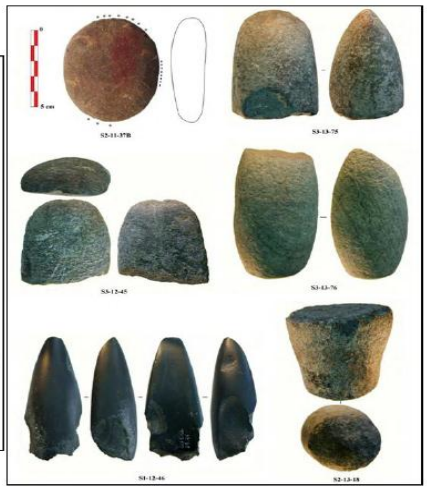
صورة رقم 48: 3-2 الطبع باستعمال قوقعة الكارديوم (موقع التروقلوديت)

المرجع: سعدية بن صدوق، المرجع السابق، ص 120.

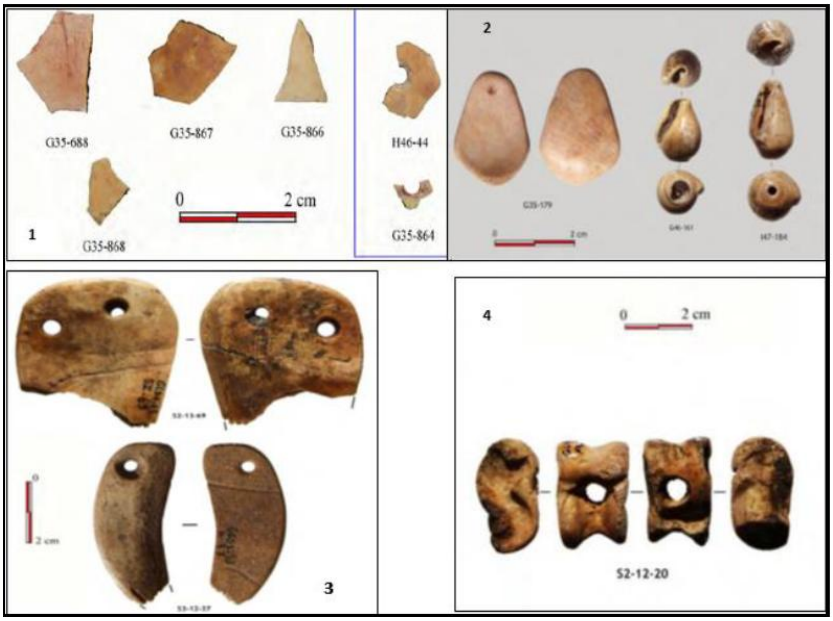
3-2-4/ صناعة الحلي: تحظى هذه الأدوات بقيمة حضارية، جمالية وتقنية في حياة المجتمعات البشرية التي استقرت في هذه المرحلة، حيث نلاحظ تواصل استعمال الأدوات القديمة، خاصة "العقود" التي استخرجت من قشور بيض النعام، التحكم في تقنيات الاستعمال والصناعة خاصة "الدرر الأنبوبية"، المصنوعة من قشور بيض النعام، كما ظهرت أشكال وأنماط صناعية حديثة، تميزت بالدقة في استخراجها، خاصة "اللآلي الأنبوبية" و"قواقع السلحفاة المثقوبة"، "قواقع بحرية مثل الكارديوم cardium" و" Columbelle rustica" التي تحتوي على ثقوب، كما عثر على حلي مصنوع من بقايا حيوانية وحجرية مختلفة، خاصة "الحلزونيات" و"دفاعيات الخنزيريات" و"الدلايات"[1].



ادوات التزيين



الادوات المصقولة



صوررقم 49: حلي وأدوات الزينة استخرجت من موقع قدلمان (بجاية).

المرجع: موراد إيديري، المرجع السابق، ص 97.

[1] سعيدة بن صدوق، المرجع السابق، ص ص 25، 47.؛ موراد إيديري، المرجع السابق، ص 33.

يتبيّن أن النيوليتي في شمال إفريقيا لا يمكن اختزاله في إطار تقسيمي زمني موحّد، نظرًا لتعدّد المسارات الثقافية والاقتصادية التي وسمت هذه المرحلة، فإشكالية التقسيم تعود أساسًا إلى التفاوت الإقليمي بين النيوليتي الصحراوي والنيوليتي المتوسطي، مع تداخل بعض المؤثرات والخصائص في عدة مواقع داخلية وعلى تخوم الصحراء، حيث تعكس الخصائص الأثرية اختلافًا واضحًا في أنماط العيش والاستغلال البيئي، ففي المجال الصحراوي، ارتبط التحول النيوليتي بانتشار الرعي وتدجين الحيوان في سياق مناخي ملائم نسبيًا، وبرز الفخار كعنصر تقني وثقافي مبكر، يتميّز بزخارفه المتنوعة وتقنياته البسيطة، مما يجعله مؤشرًا هامًا على الاستقرار النسبي والتنظيم الاجتماعي، إضافة إلى كونه أداةً لتخزين المواد الغذائية المرتبطة بالاقتصاد الرعوي. أمّا في النيوليتي المتوسطي والقفصي، فقد جاء الفخار في سياق تطور الزراعة والاستقرار القروي، واتسم بتقدّم تقني وزخرفي أكبر، سواء من حيث أشكال الأواني أو تنوّع أساليب الزخرفة، وهو ما يعكس تعقّد البنية الاقتصادية والاجتماعية لهذه المجتمعات، وعليه، فإن الفخار لا يمثّل مجرد عنصر مادي ضمن اللقى الأثرية، بل يُعدّ معيارًا أساسياً لفهم خصوصيات النيوليتي في شمال إفريقيا، وأداة تحليلية فعّالة لإبراز الفوارق الإقليمية وتجاوز محدودية التقسيمات الزمنية التقليدية، بما يسمح بمقاربة أكثر شمولية وديناميكية لهذه المرحلة المفصلية من تاريخ المجتمعات البشرية.

المحاضرة العاشرة: الفن الصخري

يُعدّ فن الرسوم والنقوش الصخرية من أهم المصادر المعتمدة في دراسة عصور ما قبل التاريخ وفجره، إذ يقدم صورة حية عن أساليب العيش اليومية، ونمط الحياة، والبنيات الاجتماعية والاقتصادية للإنسان القديم. كما تتيح هذه الأعمال الفنية فهم الجوانب الفكرية والرمزية والجمالية لدى المجتمعات التي أنتجتها، بما تعكسه من تصورات ومعتقدات مرتبطة بالإنسان وبيئته. وقد لجأ الإنسان القديم إلى الكهوف والمغارات والملاجئ والصخور باعتبارها فضاءات للتعبير، فحوّلها إلى لوحات عبّر من خلالها عن أفكاره وتجربته الحياتية.

ويجمع الفن الصخري في كل من الأطلس وفن الصحراء الكبرى بين مجموعات ثقافية متقاربة ومتكاملة في بعض الجوانب، ومختلفة في جوانب أخرى، لكنها تنطلق من أرضية ثقافية مشتركة. وتُجسّد هذه الفنون مشاهد متنوعة من الحياة اليومية في الأطلس الصحراوي، وفق رؤية فنية خاصة تعكس إحساس الفنانين القدماء وقدرتهم على التعبير الجمالي.

ويقوم هذا الفن على وسيلتين أساسيتين هما الرسم والنقش، حيث استُعملت الصخور كسطح للتعبير البصري عبر تسجيل صور ورموز وعلامات. وقد أنجز الإنسان هذه الأعمال باستخدام تقنيات مثل النقر والصقل، ما سمح بترك آثار دائمة تُعدّ بمثابة "سجل بصري" مفتوح يعكس اهتمامات الإنسان في تلك المرحلة، كما يكتسي هذا التراث قيمة علمية وتاريخية كبيرة، إذ يمثل مصدرًا أساسيًا لفهم النشاط البشري القديم، كما يُعد شاهدًا حيًا على العلاقة بين الإنسان وبيئته الطبيعية خلال عصور ما قبل التاريخ.

أولا/ الأبحاث الأثرية في مجال الفن الصخري

تعود البدايات الأولى لاكتشاف مواقع الفن الصخري في شمال إفريقيا إلى المرحلة الاستعمارية، حيث كان الجيش الفرنسي من أوائل من لفت الانتباه إلى هذا التراث. فقد عثرت فرقة عسكرية خلال حملة كوفينياك سنة 1847م[1] على مجموعة من النقوش في منطقتي تيوت وموغار التحتاني قرب عين الصفراء، وذلك بمشاركة الطبيب العسكري جاكوا Jacquot وكوش Koch ، وقد اعتبر جاكوا أن مشاهد الحيوانات والتمثيلات البشرية ومشاهد الصيد المنقوشة على الواجهات الصخرية تعود إلى فترات "وثنية" قديمة في إفريقيا، كما وصفها في أحد تقاريره باعتبارها رسوماً وكتابات غامضة الدلالة.

وفي سياق آخر، أشار تسيو في مذكراته سنة 1883م إلى أن نقوش جبال القصور هي أعمال تعود إلى البربر في الفترات التاريخية، في محاولة لربطها بسكان محليين متأخرين زمنياً. كما قام هنري بارث Henry Barth سنة 1849م بالتعليق على بعض المشاهد في هضبة المساك الليبية، حيث أطلق على أحدها تسمية "لوحة أبولو الجرامنتي"، في إطار تأويلات رمزية تربط بين النقوش والثقافات الكلاسيكية.

[1] Aumassip (G), Trésors de l'Atlas, Entreprise Nationale du Livre, Alger, 1986, P10

وفي سنة 1862م، اكتشف الباحث بوميل Pomel محطة للنقوش الصخرية قرب آفلو، في موقع وادي نوران المعروف بـ"الحجرة المكتوبة" [1]، وهو ما ساهم في توسيع الاهتمام العلمي بهذا النوع من الآثار، وفتح المجال لاحقًا لدراسات أكثر منهجية حول الفن الصخري في الصحراء الكبرى وشمال إفريقيا.

توغلت بعدها الحملة الفرنسية في الأطلس الصحراوي والتي شارك فيها عسكريون وأطباء وجيولوجيون وجغرافيون فرنسيون، أدت الى اكتشاف العديد من المواقع الأثرية القيمة، ففي سنة 1872 اكشف "فيرود Feraud" موقع حاسي الموخادم بورقلة الذي يعود للعصر النيوليتي، وفي نفس الفترة قام الدكتور "لارجو Largeau" بأبحاث في التيديكلت[2]، كما قام "هنري دوفري" سنة 1876 باكتشاف محطات للفن الصخري بالاعتماد على ملاحظات "هنري بارث"[3]، أما موقع خنقة الحجار فكان محل معاينة من قبل ديفينرال Devigneral سنة 1867[4]، ثم روبو سنة 1882[5]، وبعده بيرنال Bernalle سنة 1892[6]، قزال سنة 1901، فلامند Flamand 1921[7]، ثم صولييناك Solignac سنة 1928. وفي سنة 1880 قام "وايسجاربر weisgerber باكتشاف عدة بقايا تعود إلى ما قبل التاريخ[8]، لتأتي سنة 1890 واكتشاف محطة "تاويلة"[9]، وقبلها بسنة وضع الضابط "Dogny" خريطة لمنطقة مسعد بالجلفة، حدد فيها موقع الصخور المنقوشة لحجرة سيدي بوبكر.

يعد فلامند Flamand من أهم المكتشفين القدماء، ورائد الدراسات الأثرية في مجال الفن الصخري مع بداية القرن العشرين، حيث يعود له الفضل في تنظيم الأسس المنهجية لإقامة كرونولوجيا في ميدان الفن الصخري، بين من خلال أبحاثه الجيولوجية سنة 1892 وجود عدة محطات للنقوش الصخرية بمنطقة الأطلس الصحراوي، مما أدى بـ"قزال" إلى نشر أبحاث ملامند بعد وفاته في كتاب الرائد "فلامند سنة 1921، كما كتب العديد من المقالات منها الدراسة المفصلة لمحطتي ضاية السطل وقصر زكار بمنطقة الجلفة، وكون

---

[1] Flamand (G. B .M), Les pierres écrites (Hadjrat Mektoubat). Gravures et inscriptions rupestres du Nord-Africain, Missions du Ministère de l'instruction publique et du Gouvernement général de l'Algérie (Service géologique), Paris: Masson & Cie, 1921, p 236. ; Hachid (M), Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, (EL-HADJRA EL-MEKTOUBA); Tom 01, ENAG, ed., 1992, p 09.

[2] لخضر بن بوزيد، حضارات الرعاة في النيوليتي بالطاسيلي والهوقار من خلال الفن الصخري 6000- 1000 ق.م"، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة الجزائر 2، 2015-2016، ص 176.

[3] Le Quellec (J-L), Les arts graphiques du Sahara et de l'Egypte ancienne : que comparer, in : AULA AEGYPTIACA Studia n°1, Barcelona, 2001, Africa Antigua - el Antiguo Egipto, una Civilizacion Africana, Actas de la IX Semana de Estudios Africanos del Centre d'Estudis Africans de Barcelona (18-22 de marzo de 1996), 2001, pp 159-160.

[4] De Vigneral (Ch), ruines romaines de l'Algérie, Glaye, paris, 1867

[5] Reboud (V), Excursion dans la Maouna…., op-cit, pp 60-63.

[6] Bernalle (R), Vestiges antiques de la commune mixte de l'oued cherfe, R.M.S.C, T XXVII, 1892, pp 54-113.

[7] Flamand (G.B.M), les pierres écrites (Hadjrat Mektoube) gravures et inscriptions rupestres du Nord Afrique, Masson, Paris, 1921, pp 32-35.

[8] لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 176.

[9] سامية بوجبور، المرجع السابق، ص 21.

مونوغرافيا قيمة أتي فيها بجرد شامل للمحطات المكتشفة، كما قام بدراسة تحليلية اعتمد فيها على الجانب المعلوماتي والمنهجي في الأبحاث الحديثة.

ومع مطلع القرن العشرين بدأت الأبحاث الجادة حول الرسوم الصخرية في مناطق الجنوب الوهراني والصحراء، وهي الأبحاث التي قام بها "فروبينوس Frobenius" و"أوبرمير Obermaier" و"ريموند فوفري Vaufrey"، "موريس ريغاس" و"ديبروج Debrugge"، فإلى النقيب كورتي capitaine cortier يعود الفضل في اكتشاف رسوم وادي إيسون ملان عام 1909[1]، وبين سنوات 1920-1930 أصبح الفن الصخري موضوعا للبحث من طرف ج ب م فلامند flamand حول الأطلس الصحراوي، حيث اكتشف أكثر من 20 محطة[2]، كما جرت أبحاث في موقع "تين تريت" و"إن إتينان" في الطاسيلي من طرف هنريات أليمان Alimen، وقام "روبات كابو راي Capot ray" بعملية مسح أثري لمناطق الطاسيلي الشرقية، بينما قامت "هنريات فابر كامبس" بدراسة حول مواقع "عرق آدمر"، أما أول من قام بنسخ مشاهد الفن الصخري فهو "فيليكس دوبوا F. Duboix"، والذي قام بزيارة الايميدر وجبل "إلامان" و"الأتاكور والأسكيرام" وقمة "تاهات" و"تيت"[3]، في حين كان موقع كهف سيدي صالح بالخروب الذي اكتشفه لابورد Dr Laborde سنة 1901 ودرس من قبل بوسكو .J Bosco وصولينياك سنة 1911م، وفلامند سنة 1914م[4].

أما القائد "جولي Joly" فإليه يعود الفضل في اكتشاف محطة "الحمراء" بموقع الغشية، وفي سنة 1907 اكتشف "ماني Manny" محطة زكار، وفي سنة 1914 حدد "بلانشات Blanchet" نقوش واد التل، بعدها توالت الأبحاث كأعمال الأب دوفيلاري، براديل، بلانشار، فضلا عن أعمال الباحث "بيري Perret" الذي قام بإنجاز خريطة تحديد موقع محطات النقوش والرسوم بشمال إفريقيا، مستعملا المعاينات الميدانية والملاحظات التي قدمها الباحثين أمثال فلامند، فوفري، وبروي، ثم قام بتصحيح وتعديل الكثير من المعطيات الميدانية السابقة عبر التنقلات التي قام له في المنطقة[5].

كما اكتشف Breuil سنة 1929 عدة رسوم في "إن إزان" وكان تيودور مونو théodore monod قد قام بدراسة منطقة أهنات ahnet سنة 1932[6]، وما بين سنتي 1933-1935 قام موريس ريقاس بدراسة نقوش وادي جرات، سيلي، تيت، كما قام بجرد مواقع ما قبل التاريخ في الصحراء وقل فيها بعضا من مشاهد الفن

[1] Le Quellec (J), Art Rupestre Et Préhistoire Du Sahara. Le Messak, Payot, Paris, 1998, pp 152-153
[2] Dupuy (Ch), sous zone 2 Algérie –Tunisie, ICOMOS 2007 UNISCO, p29
[3] لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 178.
[4] De Labord (E) , Fouilles à El-Haria et Mhidjiba, R.S.A.C, T. XXV, 1901, p 192. ; Solignac (M), Basco (J), les pierres écrites de la berbérie orientale, Barlier, Tunisie, 1928, pp 100(113. ; Flamand (G.B.M), Deux stations Nouvelles de pierres écrites l'anthrop, T. XXV, 1914, p 434.
[5] Perret (R), Une Carte des gravures rupestres et des peintures à l'ocre de l'Afrique du Nord, journal des africaniste, 7-1, 1937, pp 107-109.
[6] Le Quellec (J), op.cit., p 153.

الصخري[1]، ثم بدأت أولى عمليات النسخ التي قام بها شارل برينان lieutenant brenans التي نشرها القس بروي l'abbé breuil سنة 1954[2]، فضلا عن عمليات التصوير التي قام Gautier ما بين 1934-1953[3].

وفي سنة 1932 قام الإثنولوجي الألماني ليو فروبينوس Léo frobenius باكتشافات في إدوا iddo وازاك أن إميران azak némiren[4] ثم قام روبرت بيري rebert perret بتقسيم أعمال وادي جرات إلى ذات زنجار أسود وذات زنجار أحمر وقد كان هنري لوت معه في هذه الحملة[5]، وفي نفس الفترة قام ريموند فوفري raymond voufréyبدراسة الفن الصخري، حيث كانت له عدة زيارات لكثر من 36 محطة منها مواقع في منطقتي "فقيق وأفلوا" التي لم تكن معروفة سابقا، كما حاول الربط بين الصناعات الحجرية للثقافة القفصية والنيوليتية بالفن الصخري[6]، إلا أن أهم الأعمال في الثلاثينات كانت اكتشافات الملازم برينان lieutenent brenans ، وبعد الحرب العالمية الثانية قام القس بروي مع تلميذه هنري لوت باكتشاف ثمانية مواقع للفن الصخري عرضت في ملتقى ما قبل التاريخ المنعقد بالجزائر سنة 1952، وبما أن القس بروي كان كبيرا في السن فقد كلف الباحث الشاب هنري لوت بالتنقل إلى الصحراء وبين 1950 و 1951 قامت الباحثة السويسرية يولاندا تشودي tachekelaoutبدراسة واكتشاف مواقع تاشيكيلاوت وأوان بندي وتين تزاريفت ومواقع أخرى ونشرت أعمالها سنة 1956[7]، كما نسخت رسوم عديدة في كل من: "ان أقوبة"، "تين بجاج"، "أساجان وإن ملان"، "تين تساسكت"، "ألان ادومنت"، "تان زوميتاك"، "تيتغاس نلياس"، ان اتوامي"، "تين تزارفت"، "تين أبوتكا"[8].

في نفس السنة تمكن هنري لوت من تنظيم أول رحلة له وقام بإحضار فرقة من الرسامين لرفع الرسومات من مواقع وادي إيدو، تين بجاج، تين زوميتاك وغيرها وقد نشر أعماله سنة 1958[9]، ومع أهمية اكتشافات يولاندا تشودي إلا أنها لم تكن مدوية مثل أعمال هنري لوت، ثم نظم هنري لوت رحلات أخرى في أعوام 1957، 1960، 1962، 1969، وكانت حملاته تدوم عدة أشهر فقد دامت الحملة الأولى مدة 16 شهرا، كما أن هنري لوت خصص حملة لوادي جرات ونشر أعماله في كتاب من جزأين عن نقوش وادي جرات سنة 1976، وكانت الاكتشافات كبيرة جدا، فقد شملت الحملة الأخيرة لسنة مناطق أهرير شمال الطاسيلي ومحطات تاهيلاهي

---

[1] Reygasse (M)., La Préhistoire Du Sahara Central, Hoggar Et Tassili Des Ajjers, Congrée Préhistorique De France, XI Session, 1934, pp 1-15. ; Hachid (M), Tassili –N-Ajjer Au Source De L'histoire il Y A 50 Siècle Avant Les Pyramids, France, Edition Paris –Mediterranean, 1998, p 173.

[2] Le Quellec (J), op.cit. p 153.

[3] Perret (R), Recherche archéologique et ethnographiques au Tassili des ajjers (Sahara central) les gravures rupestres de l'oued djaret, la population et les ruines d'iherir, journal de la société des africanistes, T6, Fisc. 1, 1936, p 41.

[4] Hachid (M), op.cit. p 173.

[5] Lhote (H), vers d'autre tassilis, Nouvelles Découvertes Au Sahara, éditions arthaud, Paris, 1976, p 12.

[6] Vaufrey (R), L'Art rupestre nord-africain, Archives de l'institut de Paléontologie Humaine, Mémoire, 20, Masson, Paris, 1939.

[7] Hachid (M), op.cit. p 174.

[8] Tschudi (Y), Les peintures rupestres du Tassi-n-Ajjer, La Baconnière, Paris, 1956, pp 57-80.

[9] Lhote (H), A la découverte des fresques de tassili, Arthaud, Paris, 1958, pp 29, 38.

إهيرن، ان تبوبقت، تين أبنهار تين خديجة ومناطق أخرى ونشرت سنة 1976[1]، ونتج عن ذلك ميلاد الحظيرة الوطنية للطاسيلي سنة 1972.

وبعد تأسيس الحظيرة الوطنية للطاسيلي انتهت الحملات الكبرى، غير أن منطقة الهوقار لقيت اهتماما كبيرا بعد تأسيس الحظيرة الوطنية للهوقار سنة 1987، منها تلك الأبحاث التي قام بها "منود" في "أهنات" وكذلك أعمال كل من "فرانز تروست" و"فرانسوا دوشوسالوب"، ثم بعد ذلك انصب اهتمام الباحثين على مواضيع الفن الصخري وتفسيراتها المختلفة، ومن الباحثين المختصين نذكر: ألفريد موزوليني، ميشال توفر Tauveron وأمبرتو سانسونس Sansoni وفرانسوا سولاهافوب Soleilhavaup، والزجين الألمانيين هالي Ulrich Hallier et Brigite وجون لوكلاك، كما قام مجموعة من المهتمين بتأسيس جمعية أصدقاء الفن الصخري الصحراوي AARS على رأسها لوكلاك، وتتولى مهمة البحث والنشر في مجلة خاصة بهم بنفس الاسم أو في مجلة الصحراء Sahara التي تصدر في ألمانيا، ومن أهم الاكتشافات الحديثة تلك التي قام بها كل من "كارل سترايدر" و"ميشال توفر" في منطقة تادرارت االجنوبية، فقد تم تسجيل 500 موقع للفن الصخري بين سنوات 1994-1997، دون أن ننسى الأعمال الهامة للزوجين هالي في هضبة "تاجيلاهين" ومناطق "جبال إفدانويين"، فضلا عن أعمال فرانز تروست في الهقار[2].

كما شارك الباحثون الجزائريون في هذه العملية حديثا مثل نجيب فرحات مع ميشال تورفو في منطقة تادرارت الجنوبية، كما قدمت مليكة حشيد دراسات عن الأطلس الصحراوي ونشرت أعمالها سنة 1983[3]، وأخرى عن الطاسيلي سنوات 1998، 2000، كما اهتم حاشي سليمان بالجانب الأنثروبولوجي[4]، أما سليم شاكر فقد اهتم بالفن الصخري لمرحلة الحصان والعربة، كما نشر فرحات نجيب عدة أبحاث ما بين 1996-1997 عن الفن الصخري، دون أن ننسى "ياسمينة شايد سعودي"، "عبد القادر حدوش"، و"نجاة عين السبع"، "حسين بلحرش"، كما أنجزت عدة رسائل ماجستير وأطروحات دكتوراه حول ما قبل التاريخ في شمال افريقيا عامة والجزائر خاصة من قبل باحثين جزائريين، نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- حدوش عبد القادر، الأهقار المركزي والجنوبي في فجر التاريخ، أطروحة دكتوراه، معهد الآثار، الجزائر، 2000.

[1] Lhote (H), les gravures rupestres de l'oued djeret, 2vol, mémoire de CRAPE, n°25, 1976.

[2] لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص ص 179-183.

[3] Hachid (M), Les Premiers Berbères Entre Méditerranée –Tassili -Et Nil, Paris: Edisud-Ina-Yas, 2000. ; Hachid M, Tassili –N-Ajjer Au Source De L'histoire il Y A 50 Siècle Avant Les Pyramids, France:Edition Paris –Mediterranean, 1998. ; Hachid M, Les Pierres Ecrite De L'atlas Saharien, Algerie: Edition ENAG, 1992.

[4] Hachi Slimane (2003), Aux Origines Des Arts Premiers En Afrique Du Nord, Les Figurines Et Objets Modèles D'afalou C, N, R, P, A, H, 2003. ; Hachi Slimane (2003), Les Cultures De L'homme De Mechta Afalou, Les Gisment D'afalou Bou Rhmmel (Massif Des Babors, Algérie), Mémoire de C.N.R.P.A.H, Nouvelle Série, n°2.

- أوبراهم جوهر، دراسة بعض محطات الفن الصخري بنواحي تمنراست (منطقة الأهقار، الصحراء الوسطى)، مذكر ماجستير في اثار ما قبل التاريخ، معهد الآثار، 2006-2007.
- ايباه سيد محمد، المظاهر الثقافية والأنماط المعيشية من خلال الرسومات الصخرية بتفدست (الهقار) الصحراء الوسطى، رسالة ماجستير، معهد الآثار، 2011-2012.
- بحرة نادية، محاولة دراسة تحليلية للفن الصخري بمنطقة أدمر (الطاسيلي آجر-الصحراء الوسطى-، ماجستير، معهد الآثار، 2005-2006.
- بلخيري لويزة، دراسة الحلي من خلال الرسم الصخري للطاسيلي ناجر، ماجستير، معهد الآثار، 2011-2012.
- بن بوزيد لخضر، الأثر الديني في مشاهد الرسوم الصخرية لمنطقة الطاسيلي-أزجر حلال مرحلة ذوى الرؤوس المستديرة (8000- 2500 ق.م)، ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2009-2010.
- حمودي محمد، دراسة وجه من النيوليتي الصحراوي البقري الأسفل حسب المقطع الرابع لموقع تين هناكنتن (الطاسيلي ناجر)، ماجستير، معهد الآثار، 2001-2002.
- صالح أمقران، دراسة آثار ما قبل التاريخ لهضبة أمبروم -تاسيلي ناهقار- الصحراء الوسطى، ماجستير، معهد الآثار، 2010-2011.
- سفروان حسيبة، واقعية صورة الأنثى في الرسم الصخري لمنطقة صفار وضواحيها، ماجستير، معهد الآثار، 2007-2008.
- عباسي عبد الجبار، الكتابات الليبية البربرية في إطار الفن الجداري الصحراوي (دراسة أثرية لمجموعة من الكتابات الصخرية في محيطها الطبيعي والثري بالتاسيلي نازجر)، ماجستير، معهد الآثار، 2004-2005.
- عليش محمد، مظهر من النيوليتي الصحراوي-الرعوي الأعلى لمنطقة تين إزران (الطاسيلي ازجر)، ماجستير، معهد الآثار، 2001-2002.
- فرقي عزالدين، دراسة تحليلية لنقوش وواجهات محطات وادي جرات، ماجستير، جامعة منتوري، 2007-2008.
- بن شرنين رضا، الموقع الأشولي للرايح (مستغانم)، دراسة اقتناء المادة الأولية وتكنولوجية للصناعة الحجرية، ماجستير، معهد الآثار،2011-2012.

ثانيا/ مفهوم الفن الصخري: استعمل مصطلح فن أو رسم الصخر لأول مرة سنة 1959م، ويعبر عنه بأسماء عديدة منها؛ فن الصخور، نحت الصخر، الرسوم الصخرية، النقوش الصخرية، اللوحات الصخرية، الصور الصخرية، السجلات الصخرية والتماثيل والمشاهد الصخرية، ويقصد بها تلك العلامات التي أنشأها

الانسان عبر الأزمنة الغابرة على الصخر الطبيعي[1]، تمثل الرسوم والنقوش ضرب من التعبير الإبداعي يتجسد في رسومات ونقوش، وهي مجمل الأعمال الفنية بالمعنى الموسع، قام بها الانسان القديم على سطوح صخرية، وفي داخل الكهوف وخارجها وعلى ضفاف الأودية، للتعبير عن كل ما يحيط به من الأشياء التي حوله، وتعد تلك الرسومات والنقوش البدايات الأولى قبل معرفة الانسان للكتابة[2]، وعثر على معظمها في الهواء الطلق، وهو بشقيه الرسم والنقش يعتبر تظاهرة فنية لا يعبر عن الوصف للمحيط الطبيعي وحسب، بل يتعداه إلى مجموعة من المفاهيم والأفكار، وهذه التظاهرة تقتضي الاتصال بمعني تعريف الشيء وجعله مرئيا[3]، وقد عزل الباحثون هذا الفن عن الفنون الأخرى التي تعود لفترة ما قبل التاريخ، على غرار الفن الجداري الذي يخص الواجهات الداخلية للكهوف، والفن المنقول الذي يمكن تحريكه، إضافة إلى الفن الذي عثر على الكتل الصخرية، يحتل هذا النوع من الفن جزء رئيسي في فن ما قبل التاريخ، إذ يعتبر ظاهرة عالمية نسبيا، ولا يخص منطقة أو ثقافة معينة، وتصنف الرسوم الصخرية إلى نقوش صخرية، أي النحت على سطح الصخر، ولوحات صخرية، أي الرسم التصويري على الصخر.

وبالتالي فالفن الصخري هو عملية اسقاط على العالم الذي يحيط بالإنسان، فيتمحور في مخيلته على شكل نوعين من الفنون، وهما النقوش والرسومات الصخرية[4]، وهي بمثابة لوحات فنية جسد فيها الانسان أساطيره ومعتقداته، وأفكاره وأحاسيسه[5]، فهذه الأشكال والرموز والصور تعكس لنا المحيط البيئي للإنسان، فهو ذلك النتاج لتلك الممارسات والنشاطات الفطرية والفكرية واليدوية التلقائية، لإنسان ما قبل التاريخ، وكل تلك الممارسات الحياتية والروحية التي اقترنت بالعقائدية والسحرية وغيرها من المؤثرات الأخرى[6].

وما يمكن أن نختم به فيما يخص مفهوم الفن الصخري ما ذكره كامبس باعتباره مكتبة أصيلة تقدم لنا مجموعة من المعلومات حول تقنيات، أنماط معيشة وتطور المجموعات البشرية لفترة الهولوسين، لكن يصعب استعمالها لندرة الربط بين الفن الصخري وبين البقايا الأثرية المكتشفة بالمواقع[7]،

ثالثا/ تأريخ الفن الصخري بشمال إفريقيا: تباينت آراء الباحثين حول تحديد أقدم تاريخ يمكن إرجاع مشاهد الفن الصخري إليه، ويعود ذلك أساسًا إلى اختلاف طرق التأريخ المعتمدة وتنوع السياقات البيئية التي

---

[1] فتيحة شلوق، قراءة في الرسومات الصخرية بوادي التل ببسكرة، مجلة العلوم الإنسانية، ع 46، 2017، ص 174.

[2] التوفيق مسعود الهادي راشد، الجوانب الفكرية للرسوم والنقوش في الصحراء الليبية خلال عصور ما قبل التاريخ، مجلة الجام السنة 14، ع 30، 2024، ص 4.

[3] Vaquero Laster (J.), Cassen (S.), Le désir médusé. Arts et symbole du Néolithique à la protohistoire, Séminaires du collège de France, 2003, p 91.

[4] كريم سامر، الفن الصخري بمنطقة حاسي القويرة بعين صالح -وصف حالة-، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، 6 (13)، 2022، ص 113.

[5] خديجة قمش، الفن والأسطورة بشمال إفريقيا، مجلة إسيناكا، ع 6، 2010، ص 13.

[6] نوال بن صغير، المعتقدات الدينية في نماذج من محطات الفن الصخري بالصحراء الوسطى والأطلس الصحراوي، مجلة الونشريس للدراسات التاريخية، مج 1، ع2، 2022، ص 179.

[7] Camps (G), Les civilisations…, op-cit, p 261.

تُطبَّق فيها هذه الأساليب. وفي هذا الإطار، تناول بن بوزيد مسألة تأريخ الفن الصخري من خلال التمييز بين طرق مطلقة وأخرى نسبية، حيث تعتمد الطرق المطلقة على قياس النظائر المشعة، ومن أهمها الكربون 14، إضافة إلى تقنية اليورانيوم–الثوريوم.

وقد حاول فابريزيو موري تطبيق هذه المناهج على موقع "فوزيجارن" جنوب الأكاكوس، فحصل على تاريخ يُقدّر بـ 6122 ± 100 ق.م، كما شملت الدراسات مواقع أخرى مثل "وان تابو" و"وان تالوكت" و"وان موهيجاج". لاحقًا، واصل باحثون إيطاليون مثل غراماشي Gramaschiودي لارينيا Di Lerniaتطوير محاولات التأريخ في مناطق الصحراء الكبرى.

غير أن تحديد تاريخ دقيق للرسوم الصخرية يظل أمرًا صعبًا، حتى في الحالات التي تُعثر فيها على بقايا أثرية قرب مواقع النقوش، لأن عملية التأريخ تتطلب أحيانًا أخذ عينات مباشرة من الرسوم، وهو ما قد يؤدي إلى إتلافها جزئيًا. كما يمكن أن تتعرض هذه العينات لتلوث حديث بالكربون أثناء نقلها إلى المختبرات، مما يؤثر على دقة النتائج[1].

وبسبب هذه الصعوبات، لجأ بعض الباحثين إلى أساليب بديلة، مثل دراسة درجة الزنجار ومقارنة ألوانه بلون الصخور لتقدير مدى قدم الرسوم. كما تم الاعتماد على البحث عن بقايا أثرية قريبة من مواقع الفن الصخري، مثل عظام الحيوانات أو الإنسان أو أدوات مثل الفخار، على أمل أن تكون مرتبطة مباشرة بصانعي هذه الرسوم.

أما الطريقة الثانية، وهي التزمين النسبي، فتقوم على التأريخ بالمقارنة بدل الاعتماد على القياسات المطلقة. وتعتمد هذه المنهجية على مجموعة من المعايير الفنية والأسلوبية مثل نمط التنفيذ، والتقنيات المستعملة، ودرجة الزنجار (patine) التي تغطي السطح الصخري.

ويُستدل على قدم المشاهد من خلال مقارنة درجة الزنجار ولونها بين الرسوم المختلفة، إذ إن تغيّر لون السطح الصخري نتيجة عمليات الأكسدة والتحولات الكيميائية الطبيعية يساعد على تقدير الفترات الزمنية بشكل تقريبي. وتقوم هذه المقاربة على دراسة السطوح الصخرية التي تحتوي على الرسوم ومقارنتها بالسطوح الطبيعية المجاورة التي تعرضت لنفس العوامل البيئية، من أجل استنتاج الفارق الزمني النسبي بينها.

وقد تم تطبيق هذا الأسلوب لأول مرة بشكل منهجي من قبل فابريزيو موري على ملاجئ الأكاكوس سنة 1970، حيث شكلت هذه التجربة خطوة مهمة في تطوير دراسة الفن الصخري. وفي سنة 1994، تم تعزيز هذا النوع من التحليل باستخدام تقنيات المجهر لتحليل الزنجار بدقة أكبر، قبل أن يتم لاحقًا إدخال أجهزة أكثر تطورًا مثل جهاز المُسرّع (accélérateur) الذي يسمح بدراسة أدق للطبقات السطحية وتطورها الكيميائي.

[1] لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص ص 203-206.

كما يمكن اعتماد لون الزنجار كمعيار إضافي في تأريخ الرسوم الصخرية، إذ يُستدل من اختلاف درجات اللون على الفترات الزمنية التقريبية لإنجاز المشاهد. فالألوان الداكنة مثل الأسود والبني والرمادي تُنسب غالبًا إلى الفترات الأقدم، خاصة المرحلة النيوليتية، بينما ترتبط الألوان الفاتحة بالمشاهد الأكثر حداثة أو بالفترات التاريخية المتأخرة.

وفي هذا السياق، تُعد الرسوم ذات الزنجار الداكن الغني بالمنغنيز مؤشرًا على القدم الكبير للمشاهد، في حين يُعتبر الزنجار البرتقالي الناتج عن أكاسيد الحديد دالًا على مرحلة زمنية متوسطة، أما الزنجار الفاتح فيُربط عادة بالمشاهد الحديثة نسبيًا. وانطلاقًا من هذا المبدأ القائم على التدرج اللوني من الفاتح إلى الداكن ثم الأسود، قام الباحث الألماني فرانز تروست Franz Trost بتقسيم نقوش الهقار إلى مراحل زمنية متعددة. كما استخدم هنري لوت Henri Lhote هذا الأسلوب في تصنيف نقوش وادي جرات سنة 1976، قبل أن يتراجع لاحقًا عن اعتماده بشكل كامل سنة 1984 بسبب محدوديته.

وبالطريقة نفسها، اعتمد تيودور مونود Théodore Monod على هذا التصنيف اللوني في دراسة نقوش الصحراء الغربية، مما يعكس أهمية الزنجار كعنصر مساعد في التأريخ النسبي، رغم ما يطرحه من إشكالات تتعلق بالدقة العلمية[1].

وعلى هذا الأساس يرجح كامبس بأن هذه النقوش الصخرية تعود إلى الحضارة القفصية، ذلك أن القفصيون عرفوا هذا الفن منذ الألف السابعة ق.م، بدليل كثرة مشاهد النعام التي تقابل بقايا الحلي التي اعتاد الانسان القفصي على صنعها، كما يضيف كامبس استنادا إلى المعطيات المورفولوجية والمناخية أن أقدم تاريخ للنقوش بمنطقة الطاسيلي والهوقار من الصحراء الوسطى يمكن أن تتجاوز 6430 ق.م[2].

أظهرت عدة محاولات من قبل الباحثين لإقامة كرونولوجية للفن الصخري، بحيث أن بعض الباحثين يؤيد كرونولوجية طويلة المدى ترجع الفن الصخري إلى الفترات الأخيرة للعصر الحجري القديم الأعلى، على غرار أوماسيب، توفيرون Tauveron وموري Mori، إذ تذكر أوماسيب أن هذا الموروث يعود إلى الألف الثامنة أو يزيد بحكم الاستقرار البشري في المنطقة منذ بداية الهولوسين في حدود 10 آلاف أو 9000 ق.م[3]، وتشاطرها الرأي مليكة حشيد في كون النقوش يمكن أن تتجاوز الألف الثامنة ق.م، بحكم أن الجماعات البشرية التي عمَّرت المنطقة الصحراوية تحكمت في تقنيات التعامل مع الحجارة منذ بداية العصور الحجرية[4]، وفي نفس الاتجاه تقريبا يرى سوليناك Solignac و هنري بروي أنها تعود إلى نهاية العصر الحجري القديم المتأخر،

[1] لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص ص 208-210.

[2] Camps (G), op-cit, pp 186, 242.

[3] Aumassip. (G), "Intervention humaines sur les plantes et les animaux dans le Sahara central", In Pale vol, France, 2005, p 22.

[4] Hachid. (M), "Les gravures rupestres de l'Atlas Saharien. Expérimentation du relevé par estampages-moulages, Etudes et Document sur le Patrimoine, Unesco, N°13, 1986, p 8.

وبالتحديد إلى فترة الحضارة القفصية العليا، ويستثنى في ذلك رسومات الحيوانات التي ظهرت في فترات متأخرة، حيث يعيدانها إلى العصر الحجري الحديث.

والرأي الثاني من الباحثين يرى أن الفنون الصخرية ذات كرونولوجية قصيرة المدى ولا تتعدى منتصف العصر الحجري الحديث، على غرار لوكلاك، موزوليني، وفلامند، حيث يرى هذا الأخير أن أقدم عمق تاريخي لهذه الرسومات يعود إلى العصر الحجري الحديث، أي الألف السادسة ق.م[1]، ويؤيده في ذلك فوفري، الذي يرى أن الكثير من الرسومات الصخرية ذات الأسلوب الطبيعي والكبيرة الحجم تمثل مظهرا من المظاهر الأولى للعصر الحجري الحديث، ومن جهته يشير "فارني" ان النقوش من أقدم الفنون في الصحراء، وبدأ ظهورها خلال الألف السادسة ق.م، وتبين لنا هذه المظاهر الفنية وصور لحيوانات كبيرة الحجم ذات الأسلوب الطبيعي، كذلك تفتقر النقوش إلى غياب مؤشر تدجين الحيوانات، باستثناء اصطحاب الكلب[2]، بينما يرى لوت أن بداية النقوش الصخرية تعود إلى الألف الخامسة أو السادسة ق.م على أقصى تقدير[3]، ومن جهته يقترح موزوليني الألف الرابعة ق.م إلى غاية قدوم الشعوب المتوسطية وبداية الاتصال البشري.

رابعا/ طرق تنفيذ الرسوم والنقوش الصخرية: نُفذ الفن الصخري بنوعيه النقش والرسم على لوحات صخرية روعي في اختيارها نوع السطح، وفي الغالب نفذت على صخور صلصالية أقل صلابة، وعلى حجر الصيوان والمَرُو، غير أن تقنية انجاز النقوش تختلف عن الرسوم.

بالنسبة للنقوش يرى لوت أن التقنية المتبعة في انجاز النقش تتم بطريقتين أولهما؛ الحفر الغائر في واجهة الصخرة، حيث يتراوح عمق الخط المحفور في الواجهة 3 مم، وعرضه ما بين 3-5مم، والطريقة الثانية تتم بواسطة الطرق، وتُخَلف هذه الطريقة نقاط متتالية على الصخرة[4]، ومن جهته يذكر بن بوزيد أن للنقوش ثلاث تقنيات أساسية وهي؛ الصقل والتنقيط والحز، ويستعمل في ذلك عدة أدوات حجرية حادة من السيلاكس والصيوان والكوارتز مثل الأزاميل والنصال والمناقيش الحجرية، وعظام خشنة، بالنسبة لتقنية التنقيط يتم بالنقر على الصخور باستعمال المثاقب، ويكون التنقيط متقارب أو متباعد، في حين يتم الصقل بتمرير الحجارة على الجدار لتحضيره قبل أن يتم النقش عليه، وفي بعض الأحيان يتم إنجاز تنقيط مسبق، وقد يتم تنفيذ التنقيط أولا ثم الصقل ثانيا بحجارة ملساء لتهيئة الجدار، أم تقنية الحز، فتنقسم إلى الحز الخفيف والعميق الذي يمكن أن نسميه الحفر، وذلك باستخدام آلة حجرية اتخذت في الغالب شكل الحرف

[1] Flamand. (G. B. M), Pierre écrites gravures et inscription on rupestre du Nord-Africain, Paris, 1921, p 87.

[2] امحمد وابل، المرجع السابق، ص 213.

[3] Lhote. (H), "Déchiffrement d'une Fresque d'époque bovidienne du Tassili-N-Ajjer, In Santander Symposium, France, 1972, p 503.

[4] Lhote (H), les gravures rupestres…, op-cit, p 765.

اللاتيني "U" أو "V"، وهي أقدم تقنيات انجاز النقوش، وبواسطتها نفذت النقوش القديمة من مرحلة الجاموس العتيق ومن مرحلة البقريات في وادي جرات[1].

أما الباحثة العقون أم الخير فترى أن النقوش شهدت تطورا ملحوظا من حيث التقنية والأسلوب، فانتقلت من الحفر الغائر إلى تقنية النقر، ومن الأسلوب الطبيعي إلى الرمزي[2]، وتعد الخطوط من أهم العناصر المكونة والمبينة لطبيعة النقوش الصخرية، وللخط عدة مميزات تصنفه بناء على الشكل والتقنية والأسلوب، ويعتبر السلوب العنصر الأهم في انجاز النقش وتحديد تاريخه، ويكون على ثلاثة أنواع:

- الخط المصقول وهو من الخطوط القديمة، وتميز النقش بأساليب كبيرة ومتوسطة، وعموما تكون صور الحيوانات تفوق حجمها الطبيعي.
- الخط المنقط ينجز بواسطة حصاة أو أداة حادة، ينقسم إلى قسمين؛ خط متباين السمك ذو ثقوب صغيرة ومتفاوتة الحجم، ونوع ثاني يكون باستعمال المطرقة الحجرية وتكون أكثر انتظاما.
- الخط المحزوز ينجز دون تهيئة أولية حيث يكون إما عريضا أو ضيقا[3].

أما الرسوم الصخرية فهي مختلفة تماما في تقنية تنفيذها، وهي معقدة أكثر من النقوش، ومميزة عنها باستعمال الألوان المتنوعة، وفي الغالب استعمل الانسان مواد طينية مختلفة وترابا صلصاليا ملونا من أجل تحضير الألوان، فبواسطة هذا التراب يتم الحصول على الألوان كالأحمر والبرتقالي والأصفر والبني، ويتم استخدام فحم الخشب أو العظام المحروقة والمطحونة او الدخان والشحم المحروق للحصول على اللون السود، والطين الأبيض أو بعر الحيوانات للحصول على اللون الأبيض، أما الألوان الفاتحة فيتم الحصول عليها بخلط الألوان المختلفة، وقد تخلط هذه المواد بمادة مكثفة كالحليب لإعطاء الألوان قدرة على التماسك والحصول على سائل سهل الالتصاق على الواجهة الصخرية، ومن بين تلك المواد التي تستعمل في تحضير الصبغة: الماء، الحليب، العسل، الدم، الشحم، البيض، فقد استخلص اللون الأحمر والأسمر من الأمغر الذي يستخرج من أوكسيد الحديد، ومن عصارة بعض النباتات أو الدخان او الشحم المحروق.

كان اللون الأبيض مهما جدا لذلك كانوا يتنقلون لمسافات طويلة للحصول عليه، فهو غير موجود في الأماكن التي توجد فيها الرسوم، وهو موجود في منطقة واحدة في الطاسيلي وهي عقبة تافيلالت، ومن الممكن أنهم استخدموا مادة الجبس لإعطاء الصلابة للرسوم، أما اللمعان فكان نتيجة سحق المواد الملونة بشكل جيد وعجنه وخلطه مع سائل قد يكون حليبا لأنه يحتوي على الكازيين وهي مادة بروتينية، أو شحما ذائبا، أو بياض

---

[1] لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص ص 190-191.

[2] أم الخير العقون، الليبيون وتأسيسهم للدولة في مصر الفرعونية، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2003-2004، ص 54.

[3] امحمد وابل، المرجع السابق، ص 216.

البيض أو عسل، أو نخاع العظام المحروقة، وقد عثر الباحثون على مشاغل لتحضير الألوان في موقع "إن اتينان" بالطاسيلي، ووجدت أيضا الكثير من المهارس والمطاحن في مواقع قريبة من أماكن الرسوم[1].

أما عملية تلوين تلك المشاهد المجسدة على الصخور فكانت تتم بواسطة فرشاة كبيرة من ريش النعام، أو قد تكون عصى، وربما استخدم الانسان أصابعه، كما استعمل أدوات جافة مثل الحجارة والخشب، وربما فرشاة من وبر وشعر الحيوان وريش الطيور أو من ألياف نباتية، كما استعمل فمه لرش السوائل، او ملعقة من القش أو من الأخشاب الممضوغة، وأحيانا يغمس يده ثم يضعها على الجدار خاصة في الرسوم السلبية للأيادي التي مازلنا نراها على الجدران، أما اللمسات والنقاط فقد كانت تنفذ بواسطة نهاية الأصابع المغموسة في الألوان.

كانت عملية تحضير الألوان وتنفيذ الرسوم عملية بالغة الأهمية، حيث يرى بن بوزيد أنها تم وفق طقوس معقدة من طرف الكهنة، وقد تكون تلك الألوان تحمل طابعا سحريا مقدسا، ومن المفترض أن القبيلة كلها كانت تشارك في الطقوس، والرسوم في حد ذاتها تحمل طابع التقديس، كما أن الانسان اختار أماكن الرسوم بعناية، وهذه الأماكن لم تكن للسكن بل بمثابة معابد، فموقع صفار مثلا الذي يحتوى على مشاهد للرعاة مع تضاريس المنطقة التي لا تصلح للحياة الرعوية، وهو ما يعني أن المنطقة كانت معبدا للرعاة الذين يأتون إليه لأداء طقوسهم فيها[2].

خامسا/ مراحل الفن الصخري: تعتبر عملية تصنيف المشاهد الفنية مهمة جدا في قراءة محتواها، غير أنه ليس من السهل تصنيف مشهد ما ضمن مرحلة معينة، ولذلك اعتمد الباحثون على عدة معايير في محاولة تحديد مراحل الفن الصخري منها؛ صور الحيوانات سواء كانت برية او مستأنسة، أو ظهور حيوانات معينة يمكن أن تعطينا فكرة على نوع النشاط الاقتصادي للسكان، كما اعتمدوا على دراسة الأسلوب الفني كمعيار للتصنيف، باعتبار أن كل أسلوب فني يمثل مجموعة بشرية مختلفة في عاداتها ومعتقداتها وأسلوب حياتها عن المجموعات الأخرى، وهناك معايير أخرى كتصنيف الرسوم وفق المعيار المناخي من حيث الرطوبة والجفاف أو وفق الأعراق التي تمثلها، كان نقول فن الزنوج وفن الجنس الأبيض، ويراعي أيضا نوع النشاط البشري كأن نقول فن الصيادين، الرعاة، وفن المحاربين، فضلا عن درجة الزنجرة، والألوان المستعملة.

في سنة 1859 ميّز هاينريش بارت -وهو أوّل من قام بمثل هذا التصنيف- في فزّان بين فترتين: فترة "الحيوانات البرّية الكبيرة" ذات الطابع الطبيعي، وهي أقدم، وفترة ظهور كتابات التيفيناغ المرسومة بشكل

[1] لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 194.

[2] نفسه، ص 192.

سيّئ للغاية وبإهمال شديد[1]، ثم تأتي محاولة فلامند سنة 1921 الذي اقترح مرحلتين؛ فن الصيادين وفن الرعاة[2]، وفي سنة 1932 قدم مونو Th. Monod تقسيم يقوم على أربع مراحل؛ المرحلة القديمة وسماها "مرحلة الجاموس القديمة"، مرحلة الماشية والأبقار المستأنسة، المرحلة الليبية البربرية، ثم المرحلة العربية والبربرية، ومن جهته قدم فروبينيوس سنة 1933 تقسيم بقوم على مرحلتين فيما يخص المشاهد الصخرية لمنطقة فزان في موقع "وادي ماتخندوش"؛ وهي مرحلة صيادو الهضاب وهم المسؤولون عن نقوش مجموعة الحيوانات البرية، ومرحلة رعاة السهول، وهم المسؤولون عن نقوش مجموعة الحيوانات المدجنة[3]، ومن خلال المشاهد الصخرية لوادي جرات قسمها ريغاس إلى مرحلتين؛ مرحلة "الصيادين"، ومرحلة "الرعاة"[4]، غير أنّ ريمون فوفري رأى سنة 1939 أنّه من المستحيل التمييز زمنيًا، داخل النقوش الصخرية ذات الطابع الطبيعي، بين تلك التي يُعزى إنجازها إلى "الصيّادين" وتلك التي نسبت إلى "المجموعات نيوليتية المتميّزة"[5]

وفي سنة 1942، اقترح باولو غراتسيوزي، من جهته، تمييز مجموعتين من «الصيّادين» في منطقة فزّان: مجموعة ما يُعرف بصيّادي برجوج Bergiug، ومجموعة "صيّادي الشاتي Shâti"، وهي الأحدث زمنيًا[6]. في سنة 1951، أدرج ثيودور مونو -عدل التقسيم الذي أورده سنة 1932- هذه الثنائية بين "الحيوانات البرّية" و"الحيوانات المستأنسة" ضمن تصنيفه، وقسّم الفترة "ما قبل الجملية" إلى فترتين فرعيتين، وُصفت الأولى منهما بـ"القديمة"، وإن ظلّ مع ذلك متحفظًا ومهتمًا نسبيًا بشأن طبيعة منتجي كلٍّ من هاتين الفترتين[7]، وفيما بعد، سنة 1969، ميّز بول هوار، في النقوش الصخرية القديمة بجبال تيبستي، ثلاث فترات للصيّادين، هي: مجموعة "صيّادي العصر العتيق؛ مجموعة "الصيّادين القدامى"؛ مجموعة "الصيّادين المتأخرين"، وهؤلاء يُعدّون معاصرين لأوائل الرعاة في المنطقة[8].

قدّم إيمانويل أناتي Emmanuel Anati تصنيفًا زمنيًا للفن الصخري الصحراوي يقوم على تطور أنماط العيش، حيث قسمه إلى مراحل متتابعة تعكس التحولات الاقتصادية للمجتمعات القديمة، فالمرحلة الأولى تمثل "الصيادين القدامى" الذين يعود وجودهم إلى ما قبل 11000 سنة قبل الحاضر، تليها مرحلة "جامعي الثمار" ابتداءً من 11000 ق.م، ثم مرحلة "الصيادين الجامعين" حوالي 8000 ق.م، وبعدها مرحلة الرعاة ما بين 6000 و5000 ق.م، وأخيرًا مرحلة المجتمعات ذات الاقتصاد المختلط ابتداءً من حوالي 3200 ق.م.

---

[1] Amel Mostefaï Mostefaï-Ithier. Contribution à l'étude de l'art rupestre tassilien: à la recherche d'un sens à Ozan Ehéré (Tasîli-n-Ajjer, sahara central, Algérie). Archéologie et Préhistoire. Université Toulouse le Mirail- Toulouse II, 2014, p 161.

[2] Flamand. (G. B. M), Pierre écrites…, op-cit, p 262.

[3] Amel Mostefaï Mostefaï-Ithier, op-cit, p 162.

[4] Reygasse (M), Gravures et peintures rupestres du Tassili des Ajjers., L'Anthropologie, tome 45, 1935, pp 533-571

[5] LE Quellec (J-L), Symbolisme et art rupestre au Sahara, L'Harmattan, Paris, 1993, p 31.

[6] Amel Mostefaï Mostefaï-Ithier, op-cit, p 162

[7] Ibid, p 163.

[8] لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 200.

في المقابل، اعتمد كل من ريدجي Rudiger وغاربيل لوتز Gabrial Lutz تصنيفًا مختلفًا للفن الصخري، حيث ركزا على المراحل المرتبطة أساسًا بالمجتمعات الصيادية دون إدراج مرحلة الرعي، وهو توجه يلتقي مع أطروحات بول هاورد Paul Howard في هذا المجال[1].

والتقسيم الأكثر قبولا هو ذلك التصنيف الذي قدمه "هنري لوت" سنة 1972، حيث اعتبر ظهور الحيوانات في فترات معينة واختفائها كمعيار للمراحل الفنية والزمنية، ووفقا لذلك قسم الفن الصخري إلى؛ مرحلة الجاموس العتيق وتمثل النقوش فقط، ومرحلة الرؤوس المستديرة وهي رسوم فقط، مرحلة البقريات وهي نقوش ورسوم، ومرحلة الحصان والعربات وهي رسوم ونقوش، وأخيرا مرحلة الجمل وهي رسوم ونقوش أيضا[2]، غير أن بعض الباحثين يقرون بصعوبة التمييز بين المراحل، نظرا لاستمرار وجود بعض الحيوانات في المرحلة اللاحقة، فمثلا يصع التمييز بين الجاموس العتيق والبقريات، وبين مشاهد الرعاة ومرحلة الرؤوس المستديرة، كما يحتمل أن ذوي الرؤوس المستديرة قد مارسوا تربية الحيوانات أيضا، ويشير "جون ماتر Maitre" أنه "لا شيء يسمح لنا في الوقت الحاضر بفصل كل من الرؤوس المستديرة عن البقريات"، وقد كان القس بروي قد وصف مرحلة الرؤوس المستديرة بأنها تمثل شعوب البقريات برأس في شكل قرص، وقد افترض الكثير من الباحثين أن مشاهد الرؤوس المستديرة تمثل الصيادين، ولكن مشاهد الصيد نجدها أيضا لدى الرعاة، ومن جهة أخرى فيما يخص العلاقة بين البقريات ومرحلة الحصان، نلاحظ أن هناك تداخل بينها في المرحلة الرعوية الأخيرة، فالعربات ظهرت في مرحلة البقريات النهائية، حيث وجدت صور لعربات تجرها أبقار في كل من "إهرن" و"تماجرت" بالطاسيلي ووادي جرات، وذلك قبل ظهور الحصان في المنطقة، ورغم الاختلاف في التصنيف فإن جميع المختصين يتفقون على أن أغلب الرسوم الصخرية في الطاسيلي منجزة من طرف شعوب مرحلة البقريات، أما أقدمها فهي المنجزة من طرف ذوي الرؤوس المستديرة.

إن أغلب الباحثين يصنفون الرسوم الجدارية إلى أربعة أطوال كالتالي: مرحلة الرؤوس المستديرة، مرحلة البقريات، مرحلة الحصان والعربة، ومرحلة الجمل، أما النقوش الصخرية فقد قسموها إلى أربع مراحل أيضا: الجاموس العتيق، البقريات، الحصان والعربة، الجمل، والمعيار المعتمد هو ظهور واختفاء حيوانات معينة.

1/ مرحلة الجاموس العتيق Période Bubaline: يعتبر لوت أول من أطلق هذه التسمية، ويغلب على نقوش ورسوم هذه المرحلة رسم حيوانات برية بأسلوب طبيعي، خاصة الجاموس المتوحش، فضلا عن الفيلة والزرافات وأفراس النهر ووحيد القرن، وتعرف عند البعض بمرحلة الصيادين، نظرا لكثرة مشاهد القنص

[1] نفسه، ص 201.

[2] Lhote. (H), Les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer), vol. 1, Société Nationale d'Édition et de Diffusion, Alger, 1975.

والصيد، كما تعرف أيضا بأسلوب التازينة، وقد أطلق لوت تسمية "مدرسة تازينا"[1] على الأشكال التصورية ذات النمط الطبيعي والتي تحتوي في بعض الأحيان على أشكال متفق عليها بأطراف وذيول جد نحيلة، القرون وخطوط الخطم مطولة بشكل غير طبيعي، وعادة ما تكون هذه النقوش بخط مصقول وبمظهر جانبي على شكل حرف U أو V منخفض وضيق، ذو عرض متغير وبصورة نهائية مكتملة في أغلب الأحيان، بحيث يكون انتظام الخط متقن إلى درجة أنه لا يظهر عليه اثر النقر السابق[2].

تعرف عين السبع أسلوب تازينا على أنه يمثل نقوش مختصرة الشكل في صورة بسيطة، ميزتها الرئيسية الاعتدال وبساطة التخطيط، تمثل الأشكال بخطوط ممتدة وبطريقة مفرطة أحيانا، كما تشير إلى أنه يجب اعتبار أسلوب تازينا كمدرسة فنية وليس مجرد مرحلة زمنية، وهذا اعتمادا على خصائصه كالخط المصقل، الواضح والعميق، المنظور الجانبي البسيط وديناميكية الشكل بدلا من التركيز على الأبعاد فقط[3].

يميز كامبس نمط تازينا باتسام تمثيلاته بأناقة كبيرة خاصة منها الغزلان والظباء التي تظهر أطرافها بشكل مطول غير واقعي ولكنها ذات جودة جمالية كبيرة[4]، وبجانبها -الحيوانات- تظهر أشكالا آدمية، ورموزا هندسية مختلفة ذات زنجرة داكنة قد تكون أقدم من نقوش الحيوانات الضخمة نفسها[5]، ومن خصائص مشاهد هذه المرحلة، أنها تحتوي على رسومات لكائنات حية غير متناسبة الأبعاد والأحجام، إذ تصل قامة الزرافة إلى أكثر من ستة أمتار، في حين لا تتجاوز قامة وحيد القرن 70 سم، وهو بجوارها في نفس المشهد، كما تميزت الرسومات البشرية بالأجسام العارية باستثناء العورة، مرفقة بأدوات الزينة كالأساور والعقود، وكذلك رسومات لبعض الأسلحة كالقوس والنبل والفأس[6]، ولعل هذا ما يدل على أن التجسيد الواقعي في حد ذاته انطلق من الرمزية، وعليه فإن الفن الصخري بدأ بالرمزية ثم تطور إلى أسلوب موضوعي طبيعي، ثم أسلوب

---

[1] سمي هذا النوع من الفن بأسلوب تازينا نسبة إلى موقع عين تازينا بجبال القصور، بالأطلس الصحراوي بالجزائر، الذي يعتبر منبعه الأصلي، ويمتد إلىغاية درعة بالأطلس الكبير بالمغرب، حيث تم التعرف على فن تازينا في الأطلس الصغير وجبل بني، جبل ساغو، وفي الجزائر بجبال القصور، قبر الرشم، فج النعام، حجر البركة، عين المغسل، غران البارود، موغار التحتاني، جبال أولاد نايل، جبال الطاسيلي جنوبي وادي أرشين، كما تم التعرف عليه بمنطقة فزان في ماثيندوس- تيليزاغان، وفي تينيري بوادي بقلا، وهذا النوع من الأسلوب المستخدم في الرسومات يتمثل في رسم حيوانات بمختلف الأحجام والأشكال مع إضافة خط طويلة في مواضع غير طبيعية، فتظهر الأشكال بأطراف منتهية بشكل حاد، وأحيانا تظهر نقوش ظباء بشكل تخطيطي لدرجة عدم امكانية التعرف عليها بسبب "النهايات الحادة للذيل والأطراف"، كما تظهر أحيانا بأطراف حادة كالقرون، ويتبين من خلال المواضيع الممثلة في هذا الأسلوب التركيز على الحيوانات البرية كالثيران، الفيل، وحيد القرن، الأحصنة، الكبش ذو الهالة، بعض الأبقار وكثير من الضباء، كما تتميز بتمثيلات صغيرة الأبعاد، حيث نجد أنواع الحيوانات المنجزة فيها هي نفسها الموجودة في الأبعاد الكبيرة وبأسلوب طبيعي ولكن بقرون، أقدام، ذيول طويلة ورفيعة غالبا ما تكون خيالية.

[2] Lhote (H), Les gravures rupestres du Sud Oranais, AMG, CNRS, Paris, 1970, pp 172-173.

[3] سامية بوجبور، المرجع السابق، ص 30.

[4] Camps (G), op-cit, p 339.

[5] رانية الصيد، نادية يفصح، علاقة الكتابة الليبية البربرية بمشاهد الفن الصخري "دراسة مقارنة في الأصول والدلالات الرمزية"، مجلة المفكر، مج 7، ع 2، 2023، ص 17.

[6] نادية يفصح، الفن الصخري في الصحراء الكبرى وأهم المواضيع التي تناولها، مجلة تاريخ المغرب العربي، ع9، 2018، ص 84.

شبه طبيعي (هندسي ردئ) ثم تخطيطي (تغلب عليه الأشكال الهندسية)، وأخيرا تجريدي أدى على الأغلب إلى ظهور الكتابة .

حاولت الباحثة بن السبع التعمق في مسألة الوضعية الكرونولوجية للمرحلة الأولى من الفن الصخري، حيث ترى أن لهذه المرحلة أربعة طوابق، أولا طابق الجاموس العتيق مع جميع الخصائص المتفق عليها من قبل الباحثين، ثم الطابق ذو الأبعاد المتوسطة والصغيرة معا أو أسلوب تازينا، ثم طابق انتقال من مرحلة الرعاة أو طابق الرعاة القديم (أي التمثيلات المعاصرة للجاموس غير النمطي)، وأخيرا مرحلة الرعاة، وبالتالي يمكن لنمط تازينا أن ينحدر من النمط الطبيعي، كما يمكن أن ينضم إلى مرحلة الرعاة مع تحفظ الباحثة.

وتلخص سامية بوجبور الفن الصخري في مرحلة الجاموس أو تازينا بأنه يتميز بالخصائص التالية: يتسم أسلوب تازينا بعدة مظاهر أسلوبية وفنية مميزة له، هو أسلوب شبه طبيعي أو شبه تخطيطي، جد أنيق، ذو لمسة ديناميكية، ذو تفاصيل تشريحية قليلة، امتداد الأجسام، ترقيق النهايات ومد الأجزاء المدببة كالقرون، خط الخطم والذيل بشكل غير معتاد من حين لآخر، مسار النقش تتميز بدقة فائقة إلى حد ما، في أغلب الأحيان مصقول بدون أثر للنقر السابق، فتقنية الصقل تتميز بدقة فائقة إلى حد ما، في أغلب الأحيان تمثل الأجسام بأبعاد متوسطة وصغيرة، وتتميز أحيانا أخرى بأبعاد كبيرة، وبمساحة داخلية مصقولة، أو مليئة بخطوط متوازية، يعبر هذا السلوب بشكل كبير عن حيوية المواضيع لحيوانات برية مشابهة لتلك الممثلة في المرحلة السابقة مع تفضيل الظباء والغزلان، كما نلاحظ أنه غالبا ما تكون الزنجرة قاتمة وكاملة مماثلة لزنجرة واجهات الأشكال بأبعاد كبيرة[1].

أما فيما يخص **رسومات الرؤوس المستديرة**، فقد اختلف الأثريون في طريقة إدراجها ضمن أطوار الفن الصخري، والغالب تدرج كمرحلة أولى في النقوش الصخرية، وفيه من يجعلها مرحلة مستقلة عن المرحلة الأولى، وتأتي بعدها مباشرة وقبل المرحلة الموالية (البقريات)، في حين هناك من يعتبرها جزء من الجاموس العتيق، برزت في أواخر هذه المرحلة[2]، غير أن بن بوزيد يرى أن هذه المرحلة تتميز بوجود الطابع الرمزي للمشاهد بشكل مختلف عن الأسلوب الواقعي في مرحلة البقريات ومرحلة الجاموس العتيق[3].

هذه الشعوب هي ذات أصول مختلفة، أما هذا الاسم الذي نعرفهم به فهو يعود إلى الشكل الفني الذي استخدموه في رسمهم للشخصيات الإنسانية، حيث تبدو برأس دائري، وأول من أشار إلى هذه التسمية هو

---

[1] سامية بوجبور، المرجع السابق، ص 37.

[2] الربيع عولمي، إعمار الصحراء الكبرى إبان العصر النيوليتي من خلال الرسوم، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 15، 2011، ص 163.

[3] لخضر بن بوزيد، الأثر الديني في مشاهد الرسوم الصخرية لمنطقة الطاسيلي-آزجر خلال مرحلة ذوي الرؤوس المستديرة 8000-2500 ق.م، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، 2009-2010، ص 26.

القس بروي، وقال عن هذه المشاهد أنها تمثل شعوب البقريات برؤوس في شكل قرص tête discoïde[1]، لكن هنري لوت هو من سماهم باسم الرؤوس المستديرة، ويعرفهم بأنهم يمثلون الأشخاص برأس دائري[2]، تم تخليدهم في مشاهد بأسلوب شبه طبيعي بمختلف الألوان والخطوط، وزينت برموز هندسية، والكل بجانب أشكال حيوانية من نفس الأسلوب والألوان أحيانا[3]، وحسب موزوليني فإن رسومهم تتميز بمساحة لونية موحدة وبتقنية الدارة، ويتراوح الأسلوب من المبسط إلى الطبيعي، الأشكال البشرية تكون على هيئة قرص أو دائرة ونادرا ما تظهر عليها أعضاء الحواس، أما روني قاردي فيقول: "أنها تمثل سيطرة تامة للجوانب الدينية السحرية، رسومها أحادية اللون ومتعددة الألوان وعمر هذا الفن غير محدود"[4].

يلخص بن بوزيد خصائص مرحلة ذوي الرؤوس المستديرة فيما يلي:

- وجود صور إنسانية غالبة مع قلة تواجد صور الحيوانات، وهو عكس مرحلة الجاموس والبقريات.
- وجود مشاهد لأشخاص يضعون أقنعة، وأخرى مرسومة بشكل منفرد، خاصة فصيلة الكلبيات.
- التشكيلة الحيوانية محدودة بالأروية والضباء مع تواجد قليل لأفراس النهر ووحيد القرن والزرافة والحيوانات الأخرى.
- انعدام ملامح الوجه في معظم المشاهد، واقتصار بعضها على أشكال هندسية في دائرة الرأس، أما المشاهد التي تظهر فيها ملامح الوجه في ذات الصفات الزنجية.
- أكثر الألوان المستخدمة هي الأبيض، الأحمر، الأصفر، وبنسبة أقل البنفسجي، البني، الرمادي.
- وجود مساحة ظليه في الداخل بلون مختلف عن لون الجوانب المحيطة بالجسم، وكأنهم يقومون برسم الحدود الخارجية للجسم أولا بلون، ثم يقومون بتلوين الأجسام الداخلية بلون مختلف، وهو ما يسمى بتقنية الدارة.
- مظاهر الزينة نلاحظها تبزر في أجزاء من الجسم كاليدين والصدر والبطن، مع وجود الأساور والأشرطة والحزام في الوسط، وفي الذراع والمرفق والركبة، والزوائد المتدلية على الذراعين والساقين، ووجود قرون وريشات فوق الرأس، بالإضافة إلى الوشم.
- معظم مشاهد الرؤوس المستديرة تعبر عن جانب روحي وأسطوري[5].

---

[1] J-L Le Quellec (J-L), Chamanes et martiens: même combat ! Les lectures chamaniques des arts rupestres du Sahara », dans Michel Lorblanchet, Jean-Loïc Le Quellec, & Paul G. Bahn (Eds.), Chamanismes et arts préhistoriques : Vision critique, Paris, 2006, pp 232-234.

[2] Lhote (H), Les Gravures Rupestres…, op-cit, pp 83-89.

[3] نادية يفصح، الفن الصخري...، المرجع السابق، ص 84.

[4] لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 26.

[5] لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص ص 27-28.

يقسم هنري لوت مرحلة الرؤوس المستديرة إلى ثلاث مراحل[1]:

- **المرحلة القديمة**: تمتاز مشاهدها بأشخاص صغار الحجم بلون المغرة البنفسجي الداكن، الجسم مبسط وأطراف شبه خطية، الرؤوس عارية وأحيانا تعلوها زوائد في شكل قرون او ريش، الحيوانات في هذه المرحلة قليلة وتقتصر على الأروية الفيلة.

- **المرحلة المتطورة**: تضم رسوم متعددة الألوان يتميز الأشخاص فيها بحجم أكبر، وبأطراف مفتولة مع غياب الرقبة، وانتشار تقنية الدارة بالمغرة الصفراء، وتظهر مشاهد المريخيين وكل الشخصيات الكبيرة التي تكون في وضعية مركزية بالنسبة للشخصيات الأخرى، وتظهر في هذه المرحلة الزينات الجسدية والزخارف المتنوعة داخل دائرة الرأس إلى جانب الأساور والأحزمة والريش على الكتف والرأس، تظهر حيوانات أخرى على غرار الفيلة، الكركدن، الضباء والأروية، تستعمل هذه المرحلة تقنية الدارة الحمراء اللون مع مساحة داخلية غالبا صفراء أو حمراء.

مرحلة الانحطاط: تتميز بأشكال خشنة وهيئات بدون تفاصيل وضخامة الأشكال وتعدد الألوان، تستعمل في هذه المرحلة الدارة الحمراء وأحيانا مزدوجة بالأحمر والأصفر مع مساحة داخلية بيضاء، تضم الأسلوب المريخي المتأخر ذو تقنية الدارة الصفراء والمساحة الداخلية البيضاء، تتنوع الحيوانات إلى الفيلة والزرافات والأبقار والضباء، الأروية، الأسود والنعامة، الى جانب الشخصيات المقنعة وأشكال أخرى.[2]

2/ مرحلة البقريات Période Caballine: تمثل هذه المرحلة الثانية من الفن الصخري من حيث القدم في الرسوم والنقوش، وهي تصنف بعد مرحلة الجاموس العتيق بالنسبة للنقوش الصخرية، وبعد مرحلة الرؤوس المستديرة بالنسبة للرسوم الصخرية، مع غلبة نسبة الرسوم عن النقوش، ويمكن تعريفها على أنها كل المشاهد

---

[1] يضم تقسيم موري مرحلتين ثانويتين هما؛ مرحلة أولية بها رسومات أحادية اللون تقتصر في معظم الأحيان على رسم محيط الشكل، ومرحلة نهائية بها أشكال متعددة الألوان. أما موزوليني فيعتبر مراحل تقسيم موري غير مميزة ويدخل تعديلات على تقسيم "لوت"، حيث يعتبر مرحلة الانحطاط هي الأقدم ويسمها بمرحلة "المريخيين البدائيين"، ثم يورد الأشكال الأخرى في قسم غير المريخيين الذي يضم المراحل التالية: الأشخاص الصغار المبسطين ذوي الريش، الأشخاص ذوي الأسلوب الهندسي، الأشخاص شبه الطبيعيون الشائعون، الأشخاص الطبيعيون المتطورون من نوع السيدة البيضاء بإن واغنهات، القضاة، الأقنعة. ومن جهتها قسمت مليكة حشيد أسلوب الرؤوس المستديرة إلى عدة مراحل كالتالي: مجموعة الآلهة الكبرى أو المريخيين والتي تصور أشكالا ساكنة بمساحات لونية بيضاء محاطة بدارة حمراء أو صفراء، يتميز الأشخاص في هذه المجموعات بغياب الرقبة وعدم ابراز المفاصل ورسم اليدين والرجلين بصفة منحرفة إلى جانب لبس الأساور، أما المجموعة الثانية تسمها حشيد "المسّارين" وهي تصور أشخاص مقنّعين أو ذوي وجوه مخفية بمساحة لونية فاتحة، تستعمل هذه المجموعة المساحات اللونية السوداء المحاطة بدارات بيضاء وسوداء في الأشكال القديمة والمساحات اللونية الحمراء والصفراء المحاطة بدارة بيضاء أو حمراء، ثم مجموعة الشياطين التي تصور أشخاصا صغار بالمنظور النسبي مع استعمال اللون الأمغر البنفسجي، وأحيانا يحمل هؤلاء الأشخاص زوائد على رؤوسهم، وأخيرا مجموعة الأشخاص الصغار بالمنظر المواجه وهم أشخاص يتمزون بوجود الزوائد في الذراعين والساقين بدل الرأس وقد رسموا بالمنظور المطلق وباللون الأحمر الأجوري. ينظر: نادية باهرة، محاولة دراسة تحليلية للفن الصخري بمنطقة آدمر (الطاسيلي آزجر- الصحراء الوسطى- الجزائر)، مذكرة ماجستير في آثار ما قبل التاريخ، معهد الآثار، 2005-2006، ص ص 31-32.

[2] Lhote (H), A la découverte de fresques du tassili, arthaud, paris, 1973, pp208-210. ; Ibid, Les Gravures Rupestres…, op-cit, p 265.

التي تظهر فيها الأبقار والأغنام والماعز في مشاهد الحياة الرعوية[1]، وتعرف بمرحلة الرعاة واستئناس الحيوان، ملأت رسومات البقر جداريات هذه المرحلة، حيث ظهر الانسان فوق هده الصور في شكل صياد مزود برمح، يطارد الحيوانات البرية، أو في شكل راعي قطعان من البقر أحيانا أخرى.



الصورة رقم 50: رعاة قطعان البقر.

المرجع : نادية يفصح، الفن الصخري...، المرجع السابق، ص 85.

وقد استعمل مصطلح البقريات لأول مرة على يد "تيودور منود" و"هنري بروي"، وهذا الأخير هو من أطلق هذه التسمية على الرعاة الذين نفذوا الرسوم الصخرية في منطقة الطاسيلي، ثم أطلقها "هنري لوت" على الثقافة التي سادت في المنطقة في تلك الفترة، والتي تجسدت في الفن الصخري وفي مختلف البقايا الحضارية خاصة الأدوات الحجرية والفخارية، مع العلم أن الباحثون قد اختلفوا حول إطارها الزمني.

وتتميز هذه المرحلة بالرسوم والنقوش ذات الأسلوب الطبيعي الذي تظهر فيه صور الأبقار والرعاة بكثرة، وتمثل هذه المرحلة النسبة الأكثر من مشاهد الفن الصخري، إذ يزيد عدد مشاهدها في الهوقار والطاسيلي عن 10 آلاف مشهد، حيث رسم الفنان الأبقار وهي تمشي وعجول ترضع أمهاتها، وأخرى تحك جلدها أو تتبول أو تتناطح، كما تضمنت رسومات هذه المرحلة مشاهد لعائلات في حياتهم الاجتماعية، بتفاصيل دقيقة لافتة، أبدع الفنان فيها فكانت غاية في الاتقان[2]، وقد عرفت نقوش هده المرحلة بالتعدد والتحرر والانفتاح الفني، وبلغت مشاهد الرسومات الصخرية قمة المهارة والتقنية والإبداع[3].

---

[1] لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 237.

[2] نادية يفصح، الفن الصخري...، المرجع السابق، ص 85.

[3] عبد الحميد بعيطيش، المحتوى التاريخي للنقوش الصخرية في الصحراء الجزائرية، مجلة دراسات وأبحاث، مج 6، ع 16، 2027، ص 7.

أما الأشكال الآدمية التي ظهرت في المشاهد الصخرية، فقد تنوعت بين الزنوج والأثيوبيون، وكذلك البيض من نوع المتوسطين، أما في المرحلة الحديثة من البقريات فقد تميزت بالجنس الأبيض، حيث تقلص وجود الزنوج بشكل كبير، مما يدل على أن هذه المرحلة عرفت هجرات بشرية متعددة، ويتجلى ذلك في اختلاف اللباس خاصة عند النساء، والمتمثل في الفساتين والتيجان والقبعات، وأدوات الزينة كمساسك الشعر والأساور والعقود، وقد مثلت كلها بشكل رائع تدل على التحكم والتناسق في استعمال الألوان، مما جعل هذه المرحلة توصف بأنها أكبر مدرسة طبيعية للفن على الهواء الطلق[1].

وفيما التأريخ الزمني لهذه المرحلة فهو محل اختلاف كبير، وقد ناقش ذلك الباحث بن بوزيد بإسهاب بالاعتماد على عدة دراسات وأبحاث استخدمت عدة طرق في التزمين، وخلص إلى أن تواريخ الراديو كربون التي جمعت حول بقايا الأبقار والتي تتراوح تقريبا ما بين 6000 و4000 ق.م، وتستمر حتى 1000 سنة ق.م، حيث يمثل هذا التاريخ قدوم مجموعات الحصان وانتشارها في المنطقة[2].

3/ مرحلة الحصان: مع نهاية عصر ما قبل التاريخ وخلال فترة فجر التاريخ تراجعت فيها مشاهد الصيد وتواصلت مشاهد الرعي والاستئناس، مع انتشار نقوش ورسومات شبه طبيعية لأحصنة وخيول موصولة بعربات، حيث نلمس اختلاف نمط معيشة أناس هذا الطور عن الذين سبقوهم، فمن حيث اللباس، يظهر الرجال بأقمصة قصيرة تصل إلى الركبتين وضيقة على الخصر، وغالبا ما يضعون ريشة على الرأس، أما بالنسبة للنساء فيظهرن بتنانير طويلة ضيقة على الخصر ومتسعة في الأسفل على شكل أجراس[3]، ويصف كامبس رسومات هذا الأسلوب بالمبسطة وهي تصور أشخاصا يلبسون سترات مخصرة، ويضعون الريش على رؤوسهم ويتمثل سلاحهم عادة في الرمح، كما يصور هذا الأسلوب الخيول والعربات ومشاهد الصيد والحياة اليومية، بالإضافة إلى حيوانات أخرى كالبقر والماعز والأروى والزرافة والكلب[4].

الشيء الذي يمكن ملاحظته في مشاهد هذه المرحلة، هو العربات التي تجرها الخيول، وتظهر بعضها وكأنها تطير، فسمي ذلك المشهد بـ" الركض الطائر Galop volant"، اختلف في استعمالها هل هي حربية قتالية، أم استعملت في النقل والسباق، حيث يظهر أناس هذه المرحلة فرسانا ماهرين ومحاربين أشداء بفضل العربة والخيول التي برزت في هذه المرحلة، فضلا عن أسلحة جديدة تظهر في المشاهد الصخرية مثل الرماح والدروع والخناجر، يرى بيكار Picard أن هذه العربات استعملت فقط في السباق، بدليل أن الرسومات والنقوش الصخرية لم تتضمن مشاهد للحرب والصيد، وأن هذه العربات في الغالب يقودها شخص واحد لا أكثر[5]، أما

---

[1] محمد البشير شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة، دار الهدى، الجزائر، 2013، ص 32.

[2] للمزيد حول هذه المرحلة ينظر: لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص ص 244-248.

[3] نادية يفصح، المرجع السابق، ص 86.

[4] Camps (G), les civilisations…, op-cit, p 347.

[5] Picard (G), Images de chars romains du Sahara, C.R.I.A, et des belles lettres, vol.101, N°1, 1958 , pp 44-46.

هنري لوت، فيرى أن بعض الرسومات الصخرية تُظهر مشاهد تدل على الحرب والصيد، من بينها رسما جداريا تم الكشف عنه بوادي جرات يمثل مشهدا قتاليا بين فرسان، من خلال عربة يظهر على متنها ثلاثة أشخاص، يحمل أحدهم درعا دائريا معروفا عند الليبيين، يركض بسرعة فائقة وراء الأعداء[1].

من ناحية تقنية وأسلوب هذه المرحلة، فقد تميزت بالبساطة، قسمه "هنري لوت" إلى مرحلتين، الأولى تعرف بالعربات التي تصور الأحصنة على نمط "الركض الطائر" والثانية الحصان المركوب، وتصور أشخاص على شكل مثلثين متقابلين وهي أكثر تبسيطا، ومن جهتها حشيد تقسمها إلى مرحلة الليبيين الصحراويين، أسلوبها شبه طبيعي، واستعمل اللونين الأبيض والأحمر، والمرحلة الثانية تعرف بمرحلة الغرامنت التي يطغى عليها اللون الحمر، يتحول فيها الرجال إلى لبس السترات على شكل جرس وتلبس النساء فساتين طويلة بنفس الشكل، ويبدأ مع هذه المرحلة تصوير الرؤوس على شكل عصا كما يتواصل تصوير العربات والخيول وتكون الأشكال أكثر تبسيطا[2].

ومن الناحية التقنية، فقد تغيرت كذلك أساليب النقش والرسم في هذه الفترة، حيث آلت الى التبسيط وتخلى الفنان عن الدقة والاهتمام بالتفاصيل مثلما كانت عليه في المرحلة السابقة، فالتجأ الرسامون الى الطابع الهندسي، ومثلوا الأشكال الآدمية عن طريق مثلثين متعاكسين، وعمود صغير يمثل الرأس، أما الأحصنة والعربات، فقد أصبحت في الفترة الأخيرة من هذه المرحلة تخطيطية بسيطة، مع قلة الاكتراث بالألوان الملائمة، فبالجمل، اقتصر الفنان على اللون الأحمر الفاتح أو الأسود، وقد ربط بعض العلماء والباحثين مرحلة العربات التخطيطية بظهور الكتابة الليبية القديمة[3] .

4/ **مرحلة الجمل**: تتزامن هذه المرحلة مع التغيرات المناخية التي حدثت في الصحراء الكبرى، ونتيجة لازدياد نسبة الجفاف والتصحر تم استبدال الحصان، بحيث سيطر على المشهد الفني في النقوش والرسومات الصخرية، لذلك عرفت بهذا التسمية مع استمرار تخليد بعض مشاهد آدمية وحيوانية أخرى، على غرار النعام والحصان والبقريات، وكذلك تمثيل مواضيع أخرى تتعلق بمظاهر تمثل مظاهر الحياة اليومية لأناس هذه المرحلة كالصيد والرعي[4].

تنتشر المشاهد التي تمثل الجمال في كامل أنحاء الصحراء، كالهقار والتاسيلي وفزان والصحراء الغربية، لكن المشكلة تكمن في صعوبة تحديد زمن ظهور الجمل في المنطقة، فقد تضاربت الآراء حول هذا الموضوع، فبعض الباحثون يربطون ظهوره بالمرحلة الأحدث في الفن الصخري، وتؤكد المعطيات الأثرية أن هذا الحيوان عاصر الحصان، فكثيرا ما ظهر معا في نفس الرسوم والنقوش الصخرية، وإلى جانبهما أشخاص يحملون ريشة على

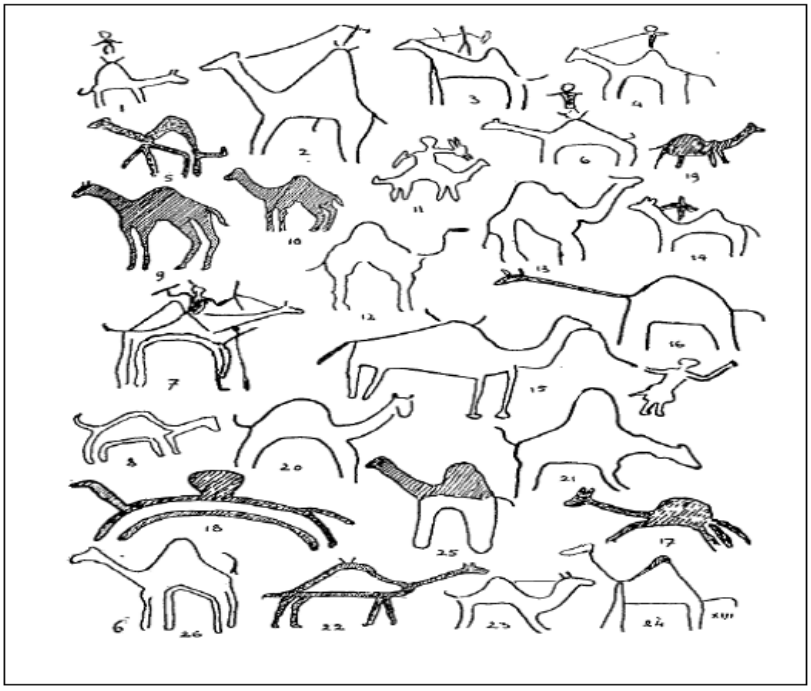
[1] Lhote (H), Chars rupestres du Sahara, C.R.I.A, et des belles lettres, vol.107, N° 2, 1963, p 22.

[2] نادية باهرة، محاولة دراسة...، المرجع السابق، ص ص 35-36.

[3] نادية يفصح، المرجع السابق، ص 87.

[4] المرجع نفسه، ص 88.

رأسهم، وبأيديهم رماحا كالتي نجدها عند المحاربين الليبيين، وفي مواضع أخرى تظهر الجمال إلى جانب كتابات ليبية بربرية[1].



الصورة رقم 51: الجمل في مو اقع الفن الصخري الصحراوي.

1-8 منطقة هيروفاك بالهوقار، 9-10 منطقة أويلالان في أدرار إفوراس في مالي، 11 منطقة جانت بالجزائر، 13-18 منطقة تيت بالهوقار، 19-24 منطقة اقونار بالهوقار، 25-26 منطقة إسالي سكين بالهوقار.

المرجع: لخضر بن بوزيد، الجمل ....، المرجع السابق، ص ص 94-95.

أما أسلوب هذه المرحلة فكانت أكثر تبسيطا، إذ صور الأشخاص فيها على شكل مثلثين متقابلين، أما الزرائب فهي دائرية أو مستطيلة الشكل، وتستعمل تقنية المساحة اللونية الحمراء والبيضاء مثل أسلوب مرحلة الحصان، حيث يقسمها موزوليني إلى مرحلتين؛ الأولى قديمة ولا تختلف عن رسومات أسلوب مرحلة الأحصنة، ويصعب التمييز بينهما عند غياب صورة الجمل، فهي هذه المرحلة يتواصل تصوير الحيوانات كالنعامة والزرافة إل جانب البقر والماعز، وبعض المشاهد الهندسية، والمرحلة الثانية حديثة، تتميز رسوماتها بأسلوب بسيط وهندسية الشكل، وتصور الفرسان والمهارى والشخاص على شكل مثلثين متقابلين إلى جانب الحيوانات كالبقر والماعز والأروى وبشكل خاص الجمال[2]، كما تتضمن هذه المرحلة عددا من رموز الكتابة الليبية الصحراوية من بينها رموز أخرى غير معروفة، قد تصنف ضمن التيفيناغ القديمة أو ضمن الكتابة الليبية البربرية[3].

[1] لخضر بن بوزيد، الجمل في ما قبل التاريخ الشمال الإفريقي، مجلة علوم الانسان والمجتمع، ع6، 2013، ص 85.

[2] نادية باهرة، المرجع السابق، ص 36.

[3] رانية الصيد، نادية يفصح، المرجع السابق، ص 18.

وعلى العموم عرف الفن الصخري خلال هذه الفترة نوعا من التراجع والركود مقارنة بالمراحل السابقة، فرغم ظهور بعض المشاهد ذات نوعية وجودة عالية لكنها قليلة جدا[1]، أما الأسلوب فيغلب عليه التخطيطي، وكثيرا ما يميل إلى أسلوب هندسي رديء، واللون المستعمل في الرسومات هو الأحمر الفاتح ذو خطوط غير دقيقة[2].

سادسا/ مواضيع الفن الصخري: إن الرسومات الموجودة بكهوف ومغارات الصحراء الكبرى أو على الهواء الطلق، تروي ما كان يحدث منذ سبعة آلاف عام ويزيد، حينما كانت أراضي الصحراء رطبة وخضراء تقطعها أنهار كثيرة كالعروق والبحيرات التي تكفي لتأمين الحياة الحيوانية، ومجتمعات الصيادين والرعاة الذين خلدتهم أعمالهم الفنية المتقنة، وكلما تناقصت المياه جفت البيئة وتناقصت أعداد الحيوانات والبشر بشكل تدريجي، ولم يبقى سوى تلك اللوحات كشواهد، وأدلة إثبات على حياة كانت قائمة في الزمن الماضي[3]، فلم يعد الفن الصخري صامتا بل صار -بفضل الكشوف والأبحاث الأثرية- يحكي قصة حضارة متعددة الجوانب، ويُلقي الضوء على كثير من تفاصيل عادات وتقاليد بُناتها.

قدمت لوحات الفن الصخري مواضيع متنوعة عن الحياة اليومية لمنجزيها من خلال جملة النقوش والرسوم المستوحاة من الواقع، وتتطلب دراستها التعامل معها بنظرة فلسفية تاريخية بغية الوصول قدر الإمكان لفهم لمحتوياتها وربطها مع الفترة التي تنتمي إليها، فبعد دراسة مختلف الجداريات وتصنيفها من طرف المختصين في هذا المجال، يمكن استخلاص عدة مواضيع للفن الصخري منها:

1/ **الموضوع الاقتصادي**: يُعدّ الموضوع الاقتصادي من أهم المحاور التي يعالجها الفن الصخري، إذ يمكّن الباحثين من استقراء أنماط العيش والأنشطة الإنتاجية التي مارستها المجتمعات البشرية القديمة، فالرسوم والنقوش الصخرية لا تقتصر على البعد الجمالي، بل تمثل وثائق بصرية تعكس علاقة الإنسان بموارده الطبيعية، وتكشف عن الوسائل التي اعتمد عليها في تأمين غذائه واستمرارية حياته، ومن خلال تحليل المشاهد المصورة، يمكن التعرف على طبيعة الاقتصاد السائد، سواء كان قائماً على الصيد والالتقاط أو الرعي أو غيرهما من أشكال الاستغلال البيئي.

ومن أبرز القضايا التي يتناولها هذا الموضوع تصوير الحيوانات، حيث تشكّل الرسوم الحيوانية مؤشراً مهماً على النشاط الاقتصادي، فالمشاهد التي تمثل حيوانات برية مرتبطة عادة باقتصاد الصيد، بينما يدل ظهور القطعان المستأنسة ومشاهد الرعي على التحول نحو الاقتصاد الرعوي وتدجين الحيوانات. كما تسمح هذه

[1] محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص 34.

[2] نادية يفصح، المرجع السابق، ص 88.

[3] أسامة الجوهري، فن الكهوف والملاجئ الصخرية، ط1، بورصة الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012، ص ص 23-24.

الرسوم بإعادة بناء البيئة القديمة وتحديد الموارد الطبيعية المتاحة، وهو ما يساعد على فهم الظروف الاقتصادية التي عاش فيها الإنسان خلال فترات ما قبل التاريخ.

ويتناول الموضوع الاقتصادي كذلك التقنيات والأدوات المرتبطة بالإنتاج، مثل الأسلحة المستعملة في الصيد أو وسائل التحكم في الحيوانات، إضافة إلى مشاهد النقل والتنقل التي قد تشير إلى استخدام الدواب أو العربات، وتكشف بعض الرسوم عن أنشطة جماعية كالصيد المنظم أو قيادة القطعان، مما يعكس وجود نوع من التنظيم الاجتماعي وتقسيم العمل داخل الجماعة، وهو عنصر أساسي في تطور الاقتصاد البشري، ولا يقتصر التحليل الاقتصادي للفن الصخري على وصف الأنشطة فقط، بل يمتد إلى دراسة التحولات عبر الزمن، حيث يمكن تتبع الانتقال من اقتصاد يعتمد على الصيد إلى اقتصاد رعوي أكثر استقراراً، وربما إلى أنماط إنتاج أكثر تعقيداً. كما يظهر في بعض الحالات البعد الرمزي المرتبط بالاقتصاد، مثل مشاهد الوفرة الحيوانية أو الطقوس المرتبطة بالخصوبة، مما يدل على تداخل النشاط الاقتصادي مع المعتقدات والثقافة الرمزية للمجتمعات القديمة.

2/ المشاهد التعبدية الدينية: لم يقتصر اهتمام إنسان العصر النيوليتي على تلبية حاجاته المادية فحسب، بل امتد أيضًا إلى الجوانب الروحية والمعنوية، حيث سعى إلى تفسير الظواهر التي كانت تثير لديه الخوف والقلق دون أن يجد لها تفسيرًا واضحًا. ومن هنا بدأ يتجه إلى الاعتقاد بوجود قوى غيبية يلجأ إليها في أوقات الشدة، ويطلب منها الحماية من الأخطار، كما حاول استمالتها من خلال تقديم القرابين وممارسة طقوس متنوعة ذات طابع رمزي وديني.

ورغم اختلاف الباحثين في تفسير بعض الجداريات الصخرية بسبب غموضها وصعوبة تحديد معانيها بدقة، فإنهم يتفقون عمومًا على أنها تحمل دلالات واضحة على وجود مظاهر دينية، تشمل الطقوس التعبدية والسحرية، وتقديس الحيوانات، بل واعتبار بعضها كائنات ذات طابع مقدس أو ألوهي[1]..

وتعكس العديد من المشاهد الصخرية وجود فكر ديني متكامل، يتجلى في تمثيل آلهة وكائنات أسطورية وحيوانات مقدسة، إلى جانب التعبير عن الحياة اليومية والأنشطة المعيشية. كما يظهر من خلال هذه الرسوم ارتباط الإنسان الوثيق بالطبيعة المحيطة به، حيث احتل الحيوان مكانة مركزية في هذه التصورات، وبرز حضوره بقوة في مشاهد الصيد والزراعة والطقوس الدينية، مما يعكس تداخل البعد المادي بالبعد الروحي في حياة الإنسان النيوليتي[2].

[1] عبد الحميد بعيطيش، مظاهر الحضارة النيوليتية بمنطقة الطاسيلي ناجر، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية لمركز جيل البحث العلمي، ع3، 2014، ص 206.

[2] حدة قادري، عماد بونقاب، الفن الصخري ومظاهر الحضارة الإنسانية في الأطلس الصحراوي خلال مرحلة ما قبل التاريخ، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، ع13، 2022، ص 178.

المشاهد الحيوانية

صَوَّرَ انسان العصر النيوليتي الكثير من الحيوانات على الصخور، وذلك لأنها شكلت عنصر تقديس وعبادة، لما لها من أهمية ودور فعال في حياته اليومية، بالرغم من أن الرسوم الصخرية لا تتضمن مشاهد متعلقة بالفكر العقائدي، كتصوير الآلهة، وبالممارسات الدينية، كالمشاهد التي تبين أداء الطقوس التعبدية بشكل مباشر وصريح؛ إلا أنه يمكن استنتاج ذلك من خلال ما تلمّح إليه تلك الرسوم، وهذا ما يشير إليه "فراس السواح" في كتابه "دين الانسان"، بشأن الصور الصخرية، التي وإن كانت في ظاهرها صورا لحيوانات تستخدم لأغراض اقتصادية، فهي ذات دلائل ورموز دينية، إذ يذكر في ذلك الصدد بأنها لم تكن مدفوعة بضغط من الوسط الطبيعي، وهو هنا يتحدّث عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية للإنسان، قدر ما هي مدفوعة بضغط فكري من نوع خاص، وهنا يقصد الدين[1].

وبذلك فسر المختصون تجسيد الحيوانات في الرسومات الصخرية بأنها كانت ترمز إلى تقديسها لا تأليهها[2]، فقد كان الكبش إلى جانب الأبقار، والأيائل والأسود، والزرافات والنعام، من الحيوانات التي تكرر ظهورها في الرسوم الصخرية، على أنها عناصر تقديس، لما ترمز إليها، كوحيد القرن الذي يحمل قرص فوق جبهته بوادي جرات، وفرس النهر المزين بأشكال على جسمه بالتيبيستي، وزرافة منطقة ماكنوزا Maknusa، فضلا عن مشاهد كثيرة للكباش التي تحمل على رأسها دائرة في كل من فزان والطاسيلي والجنوب الوهراني والشرق القسنطيني.

وقد حظيت الكباش بأهمية كبيرة، حيث أدرك الانسان ما لحيوان الكبش من مقدرة فائقة في التناسل، لذا ربط بينه وبين الخصوبة والبعث[3]، لذا فهو يأتي على رأس الحيوانات التي قدست في المنطقة، ففي مشاهد جسد وهو يحمل على رأسه شكلا كرويا مشدود يربطه على مستوى رقبته، وتخرج منه العديد من الزوائد كالريش والأغصان الصغيرة، ويظهر في مشاهد أخرى بجانبه إنسان رافعا يديه[4]، كما عثر في منطقة زناقة بوعلام بالجنوب الوهراني على صورة كبش بقرون يحمل فوقها قرصا مستديرا، وهي الصورة نفسها التي ظهرت بمنطقة زكار، عين الناقة، الصافي بورنان بالجلفة، منطقة آفلو بالأغواط، خنقة بوحجار، كهف تسنغة بالشرق القسنطيني[5]، وفي صور أخرى يظهر الكبش حيث يعلو القرص جناحان يجسمان الأفعى[6]، وقد ظهر

---

[1] فراس السواح، دين الانسان، بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، ط4، دار علاء الدين، دمشق، 2002، ص 164.

[2] فاطمة الزهراء عزوز، دور الرسوم الصخرية في التعريف بالحياة الدينية في الجزائر في التاريخ القديم، مجلة الدراسات الافريقية، مج 1، ع 2، 2015، ص 74.

[3] عبد الوهاب كيدار، بالخير بقة، المرجع السابق، ص 18.

[4] Hachid (H), la chronologie relative des gravures de l'Atlas Saharien (Algérien) et la région de Djelfa, Libyca, tome 30-31, 1982, p144-145.

[5] محمد الصغير غانم، الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدى، الجزائر، 2005، ص 239.

[6] محمد رشدي جراية، ملامح العصر الحجري القديم في بلاد المغرب: دراسة حضارية أثرية، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2011-2012، ص 129.

القرص في رسوم أخرى، مثل مشهد الزرافتين المسبوقتين بقرص التقديس، الموجود في وادي جرات بالطاسيلي آزجر[1].

وفي هضبة المساك وجد مشهد يمثل راقصين حول بقرة فُسِر على أنها تعبر عن طقوس لعبادة الأبقار، ومن جهة أخرى فإن وجود الكثير من التماثيل الحجرية تدل على عبادة البقار على حد تعبير هنري لوت، وفي منطقة أهرين- تاهيلاهي بلغ الاعتناء بالبقار ذروته، فقد أصبحت مقدسة وإليها تعود هذه التماثيل، وتعتبر "أوماسيب" أن وجود تماثيل للأبقار في موقع "تين هناكتن" يدل على أنها حيوانات مؤلهة، وترتبط بقايا الأبقار برسوم فريدة من نوعها في الملجأ نفسه، والتي تتمثل طقوس لعبادة الأبقار، حيث تظهر فيها مجموعة من الأشخاص يحيطون بثور، كما أن احصائيات تمثيل الأبقار في الفن الصخري في منطقة الجنوب الوهراني تتراوح ما بين 6% إلى 13%، وترتفع النسبة إلى 20% في وادي جرات، مما يؤكد أهمية الأبقار الدينية[2].

هذا بالنسبة للأبقار، أما الأروية والظباء، فقد كانت لها مكانة كبيرة لدى انسان العصر النيوليتي، فإضافة إلى اعتبارها من الآلهة الكبرى تعد أيضا من الحيوانات المقدسة في أسلوب الشياطين، حيث تضع الشخصيات قرونا للظباء أو الأروية في مشاهدها الطقوسية، وتعد من الحيوانات المفضلة في القرابين والأكثر تمثيلا في مختلف الأساليب الفنية التي يمثلها الصيادين، خاصة مشاهد الآلهة الكبرى ومشاهد المريخيين.

عبادة الآلهة والكائنات الأسطورية

إلى جانب الحيوانات تكشف لنا الرسوم الصخرية عن صور لآلهة وكائنات أسطورية ورمزية، صنفت إلى آلهة ذكرية وأنثوية.

يظهر ضمن تمثيلات الآلهة الذكورية مشهد يُعرف بـ"الإله الكبير الصياد" في محطة صفار بمنطقة الطاسيلي، حيث يتجلى في هيئة ضخمة يتجاوز طولها المترين. ويُلاحظ في هذا التمثال وجود كيس بين رجليه يُحتمل أنه يمثل غطاءً للعورة، كما تحيط به مجموعة من الضباء، من بينها واحدة ملوّنة بالأحمر. ويضم المشهد كذلك تصويرًا لامرأة في وضعية قائمة، وأخرى تقف أمام الإله رافعة يديها نحوه، في دلالة محتملة على طلب البركة أو التماس قبول القرابين، ويبدو أن اختيار الجدار المنقوش لم يكن عشوائيًا، بل تم بعناية ليشكل فضاءً مقدسًا مخصصًا لهذا الإله[3].

كما يرد مشهد آخر مشابه إلى حد كبير، يُعرف أيضًا باسم "الإله الكبير"، يمتد على مساحة تقارب 30 م². ويصعب في هذا المشهد تمييز العناصر الأصلية بسبب تداخل الرسوم وتراكبها، غير أنه يمكن رصد هيئة مركزية للإله الكبير، إلى جانب شخصيات مصلّية وحيوانات. وفي الجزء السفلي تظهر شخصيات صغيرة يُحتمل أنها

---

[1] إبراهيم العيد بشي، مدخل إلى تاريخ حضارات بلاد المغرب القديم، دراسة حضارية منذ فترة ما قبل التاريخ حتى الفتح الإسلامي، منشورات زاد الطالب، الجزائر، 2011، ص 63.

[2] لخضر بن بوزيد، الفكر الديني ...، المرجع السابق، ص ص 50-51.

[3] نادية يفصح، المرجع السابق، ص 90.

تمثل الأطفال أو الذرية. ويتمحور المشهد بأكمله حول الشخصية الإلهية المركزية، حيث تبدو النساء وكأنهن يتوسلن الإله لمنحهن النسل، بينما تمثل الحيوانات القرابين المقدمة له. ومن اللافت وجود ظبي مرسوم بشكل مقلوب، وهو ما قد يشير إلى كونه قد قُدِّم كذبيحة فعلية. كما يظهر ظبي آخر بحجم كبير يُعتقد أنه أنثى حامل، وبجانبه هيئة امرأة في وضعية أفقية قد تُفسَّر على أنها رمز لعملية الولادة. وبذلك يعكس المشهد دلالات واضحة مرتبطة بخصوبة النساء وتكاثر الحيوانات.

وترى الباحثة مليكة حشيد أن هذا النوع من المشاهد يمثل إحدى أقدم الصيغ الأسطورية، حيث تُجسّد المرأة والحيوان وحدة رمزية تعبر عن خصوبة الحياة واستمراريتها، بما يعكس تصورًا أسطوريًا لبدايات الوجود[1]. وفي منطقة صفار أيضًا تم العثور على مشهد آخر للإله الصياد، يتميز بقرون وزوائد، مع وجود حلقات تزيينية حول الذراعين والساقين. ويحمل في إحدى يديه عصًا طويلة، وفي اليد الأخرى سمكة، وهو ما يُفسَّر بوصفه رمزًا مرتبطًا بالخصوبة الذكورية[2].

أما فيما يتعلق بالآلهة الأنثوية، فيبرز مشهد "السيدة البيضاء" الذي عُثر عليه بمحطة "أنورهات "(Aounarhat)، حيث تُصوَّر كامرأة ضخمة في وضعية رقص، ترتدي قناعًا، وتُزيَّن كواحلها ومعاصمها بضفائر مزينة بقرنين كبيرين تعلوهما حقول من الحبوب. ويحيط بها عدد من الشخصيات الأصغر حجمًا، من بينها امرأة ذات قرون، إلى جانب أفراد يظهرون في وضعيات عمل في الأرض وآخرين في حالة تشجيع أو مشاركة. ويُفهم من حضور القرون أن هذه الشخصية تنتمي إلى فئة الآلهة الكبرى، إذ يُعد القرن رمزًا للسلطة والقوة في هذا السياق الرمزي.

كما تُظهر العديد من المشاهد والتماثيل الأخرى حضورًا بارزًا للمرأة في سياق مرتبط بتقديس الخصوبة، من بينها مشهد بمنطقة تامريت (Tamrit) شرق جانيت يصور امرأتين عاريتين، ومشهد آخر في جبارين يضم أربع نسوة في حالة رقص، إضافة إلى امرأة جالسة ضمن تنظيم بصري محدد[3].

وفي السياق نفسه، تظهر آلهة أخرى أطلق عليها هنري لوت اسم "الربات برؤوس الطيور"، ويُفهم من هذه التمثيلات أنها تعكس غالبًا وظائف مرتبطة بالخصوبة. كما نجد أيضًا تمثلات لما يُعرف بالربة القمرية، والتي تظهر في شكل هلال أو بدر في عدد من المشاهد، من بينها "السيدة الزنجية". ويبرز كذلك مشهد لامرأة حامل ذات حجم كبير، تبدو مرتدية قناعًا ومزينة بزينة جسدية مشابهة لتلك الخاصة بـ"السيدة البيضاء"، حيث

[1] Hachid (M), Tassili –N-Ajjer Au Source De L'histoire il Y A 50 Siècle Avant Les Pyramides , France : Edition Paris –Méditerranéen, 1998, p 194,

[2] عبد الحميد بعيطيش، ملامح الفكر الديني لإنسان الطاسيلي في المرحلة النيوليتية، مجلة الإحياء، ع 16، 2012، ص 273.

[3] نفسه، ص 91.

تُصوَّر وهي تحمل القمر بكلتا يديها. ويُعد هذا التمثيل دليلًا على انتمائها إلى فئة الآلهة الكبرى، كما يشير إلى وجود علاقة رمزية بين عبادة القمر وطقوس الخصوبة الأنثوية[1].

ومن **الكائنات الأسطورية** في المشاهد الصخرية، تُعد الأبقار من بين الكائنات ذات البعد الأسطوري، حيث ظهرت في عدد من المواقع مثل منطقة إيهرين تاهيلالي، ومنطقة المساك، وموقع تين هناكتن. وقد ارتبطت هذه الأبقار بتمثلات رمزية، خاصة من خلال قرونها التي تحولت إلى علامة دالة على الآلهة الأنثوية، مثل "السيدة البيضاء" التي تتوج رأسها قرنان كبيران. كما برزت الأروية ضمن المشاهد المرتبطة بكائنات هجينة تجمع بين الصفات الحيوانية والإنسانية، كما في مشهد "تين تزاريفت "(Tin Tazarift) الذي يُظهر شخصية مقنعة برأس أروية وقرن واحد في الوسط، ما قد يشير إلى تصور لكائن أسطوري أحادي القرن.

وفي هذا السياق، نشر هنري لوت مشهدًا من جبارين يصور ظبيًا عملاقًا بجسم يشبه الفيل، بينما تظهر في مشهد آخر من صفار ظباء ضخمة بأربعة قرون. كما عُثر في منطقة أساجان وان ميلان (Asadjan ouan Mellen) على تمثيل لصيادين برؤوس ظباء[2]، ما يعكس حضورًا قويًا للبنية الحيوانية في المخيال الرمزي لتلك المجتمعات.

وتجد هذه المعطيات ما يؤكدها في المصادر الكلاسيكية، إذ يشير سترابون إلى وجود حيوانات أسطورية في موريطانيا تشبه الثيران، لكنها من حيث القوة وطبيعة الحياة تقارب الفيلة. وفي القرن الخامس الميلادي يذكر المؤرخ كوريبوس أن عبادة الثور كانت منتشرة بين القبائل الليبية في منطقة سرت، حيث عُرف هذا الكائن باسم "قورزيل"، الذي يُعتقد أنه وُلد من الإله آمون وبقرة، وكان يُجسَّد في صورة بقرة تُستخدم لبث الرهبة في نفوس الأعداء قبل المعارك، كما عُدّ رمزًا قياديًا في السياق الحربي[3].

ومن بين الحيوانات الأخرى الممثلة في هذه المشاهد نجد الفيلة، إذ وُجد في وادي جرات تصوير لفيل ضخم يبلغ طوله ستة أمتار، كما ظهرت تمثيلات أخرى في منطقة تيسالاتين ((Tissalatine، إلى جانب فيلة بيضاء اللون يُحتمل أن لها دلالات أسطورية. كذلك تكررت صور وحيد القرن، خاصة في وادي جرات حيث سُجل نحو 119 مشهدًا، ما يشير إلى دور رمزي محتمل لهذا الحيوان[4]. ويعزز هذا الطرح وجود كائنات بشرية برؤوس وحيد القرن في منطقة رهينو (Rhino) بعرق إمريتن في فزان الليبية[5]، حيث يُصور مصلي جالس رافعًا يديه في مواجهة هذا الحيوان في مشهد طقوسي.

---

[1] لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص ص 93، 96.

[2] نفسه، ص 54.

[3] Gsell (S), H.A.A.N, T VI, op-cit, p 128.; Ibid, H.A.A.N, T I, op-cit, p 84.

[4] عبد الحميد بعيطيش، ملامح الفكر...، المرجع السابق، ص 274.؛ لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 57.

[5] Hachid (M), op-cit, p 211.

وفي محطة جبارين، يظهر مشهد لأفعى ذات سبعة رؤوس، تحتوي بعض رؤوسها على آذان تشبه آذان الخروف، حيث تحيط بقطعان من الثيران بطريقة توحي بالتأثير السحري أو السيطرة الرمزية عليها. وفي قلب هذا المشهد تظهر مجموعة من النساء والرجال وهم يؤدون رقصة ذات طابع طقوسي، ما يعكس بعدًا احتفاليًا/سحريًا داخل البناء الرمزي للمشهد[1].

عبادة الشمس والقمر

يتأكد وجود هذا النوع من المعتقدات والعبادات من خلال المعطيات التي يقدمها الفن الصخري، إلى جانب ما ورد في بعض المصادر الأدبية، خاصة تلك المتعلقة بالفترات التاريخية اللاحقة، والتي تشير إلى طقوس مرتبطة بعبادة الشمس والقمر. ففي منطقة تيسوكاي (Tissokai) عُثر على مشهد يصور دائرة كبيرة تحيط بدائرة أصغر تتخللها إشعاعات، بينما يظهر في الجانب الأيسر من الدائرة الكبرى ثلاثة رؤوس لأبقار إلى جانب رمز الهلال، وستة أنصاف دوائر بيضاوية الشكل. أما في الجهة المقابلة، فيُلاحظ وجود شخصية تلامس الدائرة، ومجموعة من الأبقار، إضافة إلى شخصية مقنعة في وضعية رقص يُحتمل أنها تمثل امرأة [2].

إن اجتماع هذه العناصر في مشهد واحد يسمح بطرح فرضيتين أساسيتين: الأولى أن المشهد يجسد أسطورة مرتبطة بعبادة الشمس والقمر، والثانية أنه يعبر عن تصور كوني أو أسطورة خلق تضم مختلف عناصر الطبيعة، من الشمس والقمر والأرض والإنسان والحيوان، كما يمكن تفسير أنصاف الدوائر بوصفها تمثيلاً للجبال التي كانت تشكل مجال عيش هذه الجماعات، ويبدو جليًا وجود ترابط رمزي بين الشمس والأبقار المقدسة، حيث يظهر الكائن المتوج بقرص شمسي في موقع إشرافي على المشهد، في حين تمثل الدائرة الكبرى الأرض، وتمثل الدائرة الصغيرة المشعة الشمس التي ترسل نورها نحو الأرض، المستندة بدورها على قرون الأبقار[3].

كما يُحتمل وجود علاقة رمزية بين القرون ورمز الهلال، إذ كثيرًا ما يظهر الهلال في ارتباط مباشر مع تمثيلات الأبقار. ويُفهم من ذلك أن هذه المشاهد تعكس طقوسًا كانت تُمارس في سياق عبادة القمر وتمجيده. ففي منطقة صفار، يظهر مشهد "الإله الكبير الصياد" ذي القرون وهو يحمل سمكة بيده اليسرى من ذيلها، بينما يجاور بطنه هلال كبير. كما نجد في مشهد "السيدة الزنجية" بصفار تمثيلًا لامرأة تحمل الهلال بكلتا يديها بوصفه رمزًا للقمر، مما يشكل دليلاً إضافيًا على الارتباط الوثيق بين الآلهة الأنثوية من جهة، والقمر والخصوبة من جهة أخرى[4].

---

[1] Lhote (H), Les peintures pariétales d'époque bovidienne du Tassili éléments sur la magie, Journal de la société des africanistes, V. 36, 1966, pp 9-10.

[2] عبد الحميد بعيطيش، المرجع السابق، ص 278.

[3] لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 78.

[4] Le Quellec (J.L), Symbolisme et Art rupestre du Sahara, ed- Harmattan, Paris, 1993, p 191.

الطقوس الدينية في مشاهد الفن الصخري

تمثل الاحتفالات الطقوسية جزء هاما من الحياة اليومية والاجتماعية للشعوب البدائية، وهذا ما تبينه المشاهد الصخرية، وهي في شكل رقص طقوسي، منها؛ مشهد في تين تاكلت Tin Tekelt وهو يمثل مجموعة من الراقصين يحملون أداة تشبه القرن الطويل، وهم يدورون حول شخصية غريبة، حيث يظهر ببطن كبير ورأس صغير وقرون ويدين مرفوعتين في وضعية المصلي، من الممكن أن يكون شخصية أسطورية أو إله له رقبة طويلة وسيقان رقيقة، وفي مشهد تين تزاريفت يمثل أشخاص في وضعية رقص طقوسي مقنعين بقناع مع حلاقة في شكل قبعة كبيرة، ويحملون في أيديهم شيئا يشبه رؤوس السهام، والمشهد غني بالرموز، فهم محاطون بسلسلة خطوط ودوائر صغيرة مرتبطة مع بعضها البعض في شكل عقد كبير فوق رؤوسهم، ورمزا آخر فوقهم يمثل أنصاف دوائر متصلة، تعطي للمشهد طابعا سحريا[1].

ومن بين المشاهد التي وثّقها الفن الصخري، يبرز المشهد الذي أطلق عليه هنري بروي اسم "جوزيفين تُباع من طرف إخوتها"، حيث يصوَّر مجموعة من النساء وهن يدفعن فتاة نحو رجل يقوم بجذبها من يديها رغم مقاومتها. وتبدو النسوة في هذا المشهد في حالة انفعال، إذ يلتفت بعضهن إلى الخلف وكأنهن يعبرن عن شعور بالأسى تجاه ما يقمن به. وفي موقع "أوان تاماوت" بالأكاكوس، يظهر مشهد آخر يتمثل في رجلين يُرجح أنهما من السحرة، يقومان بدفع فتاة نحو امرأة مسنة، مع ملاحظة أن الفتاة تتشابه في مظهرها (من حيث اللباس والحلاقة والملامح) مع المرأة العجوز، وهو ما يُفسَّر على أنه عملية تلقين أو نقل للمعرفة الدينية السرّية. كما يوجد مشهد في جبارين يُظهر مجموعة من الرجال متحلقين حول شخصية مركزية يتلقّون منها تعاليم أو أسرارًا ذات طابع ديني.

وتندرج ضمن هذا السياق أيضًا طقوس التلقين (Initiation)، والتي تشكل مرحلة أساسية في مسار الانتقال من الطفولة إلى البلوغ، وتهدف إلى إكساب الشباب الشجاعة والقدرة على مواجهة الحياة، بما في ذلك مواجهة الحيوانات في بيئتهم. وتُعد الطقوس الدينية والاحتفالية جزءًا محوريًا في الثقافات الإفريقية، حيث يرتبط الرقص ارتباطًا وثيقًا بالممارسات الدينية، إذ يرافق حياة الفرد منذ الميلاد وحتى الوفاة ضمن ما يُعرف بطقوس العبور (rites de passage)، التي تشمل مراحل الميلاد والطفولة والمراهقة، ثم الانتقال إلى مرحلة الرجولة عبر طقوس التهيئة، إضافة إلى طقوس الزواج، وصولًا إلى طقوس الدفن التي تُعد وسيلة رمزية لعبور المتوفى إلى عالم الأسلاف. وغالبًا ما تتخذ هذه الطقوس شكل رقصات جماعية يرتدي فيها المشاركون أزياء رمزية، ويضعون أقنعة خاصة، ويحملون أدوات موسيقية وأحيانًا أدوات ذات طابع سحري، إلى جانب تقديم الحيوانات كقرابين.

[1] لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 74.

وفي هذا الإطار، عُثر في منطقتي "إن أونراحات" و"ما تالان أما زاز" على مشاهد للرقص الطقوسي تُعرف باسم "الساحر"، حيث تُظهر زخارف جسدية وأشكالًا شبيهة بالفطر تغطي أجساد المشاركين، إضافة إلى أقنعة خاصة تؤكد الطابع السحري لهذه الطقوس. وبوجه عام، تم توثيق نحو عشر لوحات تُظهر رقصات جماعية منتظمة لشخصيات متعددة، مثل مشهد وادي إيكي في الأكاكوس ومشهد صفار، وذلك ضمن مجموع 104 لوحة تمثل موضوع الرقص في الفن الصخري[1].

[1] المرجع نفسه، ص ص 73-76.

المحاضرة الحادية عشر: الحياة الاقتصادية والاجتماعية بمنطقة الصحراء والأطلس الصحراوي

تُعدّ البقايا والمخلّفات المادية من أهم المصادر الأثرية التي يعتمد عليها الباحثون في إعادة بناء النشاط الاقتصادي والاجتماعي لمجتمعات ما قبل التاريخ، لأنها تمثل أدلة مباشرة على سلوك الإنسان اليومي وطرق استغلاله للموارد، فالأدوات، وبقايا الحيوانات، ومخلفات السكن، والرسوبيات المرتبطة بالأنشطة البشرية، كلها تتيح فهما دقيقا لأنماط الإنتاج والمعيشة، سواء تعلّق الأمر بالصيد أو الرعي أو الجمع أو حتى بدايات الاستقرار، ثم ممارسة الزراعة واستئناس الحيوان، وصولا إلى عملية التبادل التجاري البدائي بين المجموعات البشرية الأولى.

أولا/ الحياة الاقتصادية

1/ الصيد

من خلال دراسة العظام الحيوانية مثلاً، يمكن معرفة نوع الحيوانات التي كان الإنسان يصطادها أو يربيها، وبالتالي تحديد طبيعة الاقتصاد، ففي مواقع من منطقة طاسيلي ناجر عُثر على بقايا عظام أبقار وأغنام وماعز، وهو ما يدعم ما تُظهره الرسوم الصخرية من انتشار الاقتصاد الرعوي خلال العصر الحجري الحديث، كما أن وجود عظام حيوانات برية كبيرة يشير إلى استمرار نشاط الصيد إلى جانب الرعي، مما يدل على اقتصاد مختلط.

أما الأدوات الحجرية، مثل رؤوس السهام والكاشطات والسكاكين، فتسمح بتحديد الأنشطة الإنتاجية المرتبطة بها، ففي مناطق الهقار عُثر على أدوات صيد متطورة تدل على اعتماد السكان على الصيد، بينما تشير أدوات الطحن إلى استغلال النباتات وجمع الحبوب البرية، وهو نشاط اقتصادي مكمل للصيد والرعي، كما تمثل بعض الأدوات كالصنانير والخطاطيف العظمية والعاجية، وبقايا الأسماك وأصداف الرخويات التي عثر عليها في بقايا الأنهار والأودية والبحيرات إشارات إلى قنص الأسماك، فضلا عن استخدام السلال والقفاف وإقامة سدود صغيرة لصيدها.

مثلت مظاهر الحياة اليومية ونمط معيشة الانسان خلال فترة ما قبل التاريخ الحدث الأبرز في الفن الصخري، فكل المؤشرات تؤكد أن الصيد والجمع والقطف هو المصدر الأساسي لتغذية الانسان، غير أن الصيد، يحتاج مهارات وتقنيات خاصة من حيث تجهيز أدوات الصيد والتعرف على طبيعة الحيوانات وعاداتها وتحركاتها، وبعد أن كان الانسان يستخدم كلتا يديه والحجر في الصيد تعلم تدريجيا تقنيات جديدة ووسائل

مستحدثة، ومن أجل ذلك صنع أسلحة بسيطة لصيد الحيوانات، مثل السهام والأقواس والنبال والفؤوس والرمال وعصا الرمي وغيرها، مع استخدام الكلب برفقة هذه الأسلحة، خاصة فيما تعلق بتقفي أثر الطرائد.

كما ابتكر الانسان تقنيات ذكية للإيقاع بالحيوانات خاصة ذات الأحجام الكبيرة كالجواميس والزرافات، وما تبنيه البقايا المادية والمشاهد الفنية، حيث نلاحظ في إحدى المشاهد عملية صيد جاموس ضخم من طرف ثلاثة قناصين، إذ يقوم الأول باستدراجه نحو الأمام، في حين الثاني يقوم بإلقاء الحبل في حوافره الخلفية، ثم يقوم الثالث بقتله بعد أن يقع الحيوان على الأرض، وقد ظهر هؤلاء الصيادين بأقنعة فوق رؤوسهم تعلوها ريشات جلدية وحيوانية[1].

وثمة مشهد آخر عثر عليه في موقع "تيلي صاغا Teli Sagha" بفزان، وهو عبارة عن لوحة تحمل رسما لحيوان ضخم يدخل فخا أو مصيدة، ومشهدا آخر يتضمن منظر صيد يظهر فيه ثور بين شخصين يلبسان جلد حيوان ويضعان أقنعة حيوانية يحمل كل منهما قوسا ومجموعة سهام[2].

تُعد ظاهرة التخفي من الظواهر البارزة في اللوحات الصخرية التي تُجسد مشاهد الصيد، حيث يظهر بعض الصيادين وهم يرتدون جلود الحيوانات، مع تدلّي الذيول من الخلف، في محاولة لمحاكاة الحيوان المستهدف. ويُعتبر القناع من أهم العناصر المساعدة للإنسان الصياد خلال مرحلة ما قبل التاريخ، وقد عُثر على نماذج متعددة له في الصحراء الجزائرية، تتباين من حيث الشكل والحجم[3]، ما يعكس تنوع استخداماته ووظائفه الرمزية والعملية.

وفي هذا السياق، يرى الباحث هوارد (Huard) أن ارتداء القناع لدى الإنسان النيوليتي لم يكن مجرد عنصر رمزي، بل شكل وسيلة تكميلية مرتبطة مباشرة بعملية الصيد. ويقترح تقسيم الأقنعة إلى نوعين رئيسيين: يتمثل النوع الأول في أقنعة تأخذ شكل رأس الظبي، وترتبط وظيفيًا باصطياد الحيوانات البرية، وتُنسب زمنياً إلى مرحلة الرعاة. وغالبًا ما يُصوَّر الصياد في هذا النموذج وهو يحمل سلاحًا، مع ذيل جلدي مستعار يتدلى من الخلف لتعزيز عملية التخفي والمحاكاة.

أما النوع الثاني من الأقنعة فيتخذ شكل رؤوس حيوانات أخرى تتلاءم مع البيئة الطبيعية المحيطة، ويختلف عن النوع الأول من حيث الدلالة والوظيفة. وقد شمل هذا النمط استخدام أقنعة تمثل رؤوس

---

[1] كمال شاعو، دور النقوش ورسومات الطاسيلي في التعريف بعصور ما قبل التاريخ، أشغال الندوة العلمية المنعقدة بالمدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة الجزائر، 24/23 ديسمبر 2011، ص ص 69-70.

[2] وريدة علي المنقوش، الفن الصخري بالصحراء الكبرى، المراحل وإشكالية التفسير والتأريخ، المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، مج 1، ع 11، 2018، ص259.

[3] أوريك باتيس، الليبيون الشرقيون، تر: محمد أومادي ومروة شحاتة، ط1، دار الفرجاني، طرابلس، 2015، ص ص 101-102.

الغزلان والذئاب والفهود، وهو ما يعكس تنوعًا رمزيًا ووظيفيًا في ممارسات الصيد وطقوس التخفي المرتبطة به في المجتمعات القديمة[1].

وفيما يخص تفسير الغرض من هذه الأقنعة، فيرى موزوليني أن معظم النقوش والرسوم التي بينت أشكالا آدمية تحمل أسلحة وترتدي القناع ما هي إلا تعبير عن عملية الصيد، ويؤكد أن الأقنعة ظهرت بأعداد كبيرة في مرحلة الرؤوس المستديرة، ولا يستبعد أن وظيفتها ربما تكون ذات طابع طقسي[2]، وباعتبار أن القناع لم يستخدمه الرجال فقط، بل النساء أيضا، يرى هاورد أن القناع جزء من ثقافة الصيادين الأوائل الذين استقروا في منطقة الطاسيلي ناجر، وكان الهدف الأساسي لهذه الأقنعة لغرض التمويه وبالإيقاع بالطريدة، ولا يمكن استبعاد الجانب السحري لهذه الأقنعة[3].

وبين من يرى أن هذه الأقنعة لأغراض دينية محضنة، وبين من يراه تمثيلا تكتيكيا عاديا للتمويه والاقتراب من الفريسة قد الإمكان تسهيلا لعملية الصيد، يرى آخرون أن تفسير بعض لوحات الصيد بأنها تصوير لطقس ديني يبدو أمرا مبالغا فيه فما هي في الحقيقة إلا مناظر لممارسة الصيد بالتنكر في أشكال حيوانية، في حين ربط آخر استخدام الأقنعة وجلود الحيوانات وذيولها بطرد الأرواح الشريرة، فالعديد من مرتدي الأقنعة في المشاهد الصخرية لا علاقة لهم بعمليات الصيد، حيث يظهرون معزولين عن الحيوانات أو مرتبطين بمشاهد الرقص الجماعي أو الفردي، مما يوحي بأنهم إنما يمارسون طقسا دينيا أو سحريا ما، وهذا ما تفنده أليمان Alimen"، فلا ترى مدلول آخر للقناع سوى أحد لواحق عمليات الصيد وخاصة انها لاحظت معظم النقوش التي لها صلة بالقناع تعبر عن عمليات الصيد والمطاردة[4].

هذا وقد بينت مشاهد أخرى الدقة والمهارة التي تميز بها الصياد عند ممارسته عملية الصيد، حيث تتضمن إحدى الجداريات مشهدا حول صيد الزرافات بالقوس والنبل وبمساعدة الكلاب، والتي تظهر مدى تركيز الصياد في تصويب القوس تجاه فريسته، ليتمكن من الإيقاع بها[5].

تعتبر هذه النقوش والرسوم مصدرا موثوقا للتعرف على مختلف أنواع الحيوانات التي عرفها انسان شمال افريقيا خلال العصر النيوليتي وفجر التاريخ والعصور التاريخية، كالجاموس والزرافة والفيل ووحيد القرن وفرس النهر والظبي والنعامة والأسد، وحتى بعض أنواع الأسماك، كتلك التي مثلتها إحدى الرسومات التي كشف عنها بمنطقة الهقار، سواء من خلال مشاهد صيد الأسماك، أو تمثيل صور لهذه الأخيرة، أو أدوات

---

[1] امحمد وابل، المرجع السابق، ص 99.

[2] Muzzolini (A), Masques et theromorphes dans l'art rupestre du Sahara centre, arhéo-nil, N° 16-42, T° 1, 1991, p 22.

[3] Huard (P), Leclant (J), Figurations de pièges des chasseurs anciens du Nil et du Sahara, Revue d'égyptologie, T° 25, 1973, p 137.

[4] وريدة علي المنقوش، المرجع السابق، ص 260.

[5] امحمد وابل، المرجع السابق، ص 121.

صيدها من خلال مشاهد القوارب والخطاطيف والصنانير، ففي مشهد واد تمجارت بالطاسيلي يبين صيادا يحمل خطافا ويمتطي قاربا شكله انسيابي، ويتعامل مع حيوان قد يساوي حجم القارب المستعمل في عملية الصيد[1].

ولم يتخل الإنسان عن ممارسة الصيد، حتى بعد استئناسه للحيوان واكتشافه للزراعة، إذ تدل الجداريات التي تعود لفترة البقريات خاصة، وفترتي الأحصنة والجمال أن عملية الصيد كانت نشيطة، وربما أكثر من مرحلة الجاموس، فكثيرا ما ظهر رعاة البقر بجانب قطعانهم وهم مسلحين بأقواس ونبال يترصدون الحيوانات المتوحشة ومعهم كلاب الحراسة، وإن أصبحت حرفة الصيد فيما بعد ثانوية في أهميتها، لكنها استمرت إلى غاية الفترة التاريخية[2].

2/ الاستئناس والرعي

إلى جانب الصيد مارس الإنسان الرعي، وهذا ما تبينه المشاهد الصخرية، حيث اختفت تدريجيا الأشكال الغريبة لأصحاب الرؤوس المستديرة، وبرز الاتجاه نحو تجسيد مشاهد الحياة اليومية كالعناية بالقطعان، ولا شك أن الرعي يشكل مرحلة متقدمة لاستئناس وتدجين الحيوان، ويستدل على ذلك ببقايا الحظائر المقامة قرب أماكن السكن في الطاسيلي والأكاكوس، والتي يصل طول بعضها إلى حوالي 60 م، وهي مصممة بإتقان ومزودة ببوابات وحواجز صخرية وتتسع لضم ما يقارب 50 بقرة أو ما بين 50 و100 راس من الغنم.

وقد تألفت لوحات الرعاة في الغالب من رسوم حيوانات بأحجام صغيرة مجسدة بطريقة طبيعية متقنة، وهي تمثل أعظم مدرسة للفن الطبيعي، حيث أبدع فنانو هذه المرحلة في رسم الأبقار بآلاف الأشكال في هيئة قطعان على جدران الكهوف وواجهات الصخور، وهي منقولة بكل أمانة مع الاحتفاظ بتفاصيلها الدقيقة كالقرون والآذان والحوافر والذيول وحتى البقع على جلودها مستخدمين في ذلك الصبغة الحمراء بالدرجة الأولى، كما استخدموا باقي الألوان لإبراز شعر الحيوانات وإظهار بعض التفاصيل وأحيانا للتخطيط الخارجي، ومن تلك النماذج نجد مشهد في "تمنغيت" بالطاسيلي تضم حوالي 65 رأسا من الماشية، ولوحة أخرى في جبارين بالطاسيلي وهي أصغر حجما، إلا أنها أفضل من ناحية التركيب وتناسق الألوان بشكل يعكس المعرفة الواسعة بطرق خلط الألوان بل وابتكار ألوان جديدة.

فقد تمّ العثور على عدّة بقايا عظمية لأبقار مدجّنة في مغات تعود للعصر الحجري الحديث، حيث أشارت بعثة إيطالية قامت بأبحاث أثرية بفزان خلال عقد الستينات من القرن الماضي، وعثرت على بقايا عظمية لبقريات مدجّنة من نوع الثور البدائي ويؤرخ تدجينها بحوالي 7430 ق.م، ويعتقد أنّ تدجينها كان محليا، غير أنّ هذا التاريخ لا يلقى قبولا من طرف أغلب الباحثين، في حين يتّجه البعض إلى اعتبار العظام التي عُثر عليها في

[1] نفسه، ص 68.

[2] نادية يفصح، المرجع السابق، ص 90.

مغارة كابيليتي بمنطقة الأوراس أقدم الأبقار المدجّنة في المنطقة، والتي تؤرخ بـ 6530 ق.م، وبعضها أرخت بـ 5100 ق.م، أما بدايات التدجين في الصحراء الوسطى فتعود إلى الألف السادسة قبل الميلاد والتي كانت أصولها محلية، وتعتقد شايد ياسمينة أن الصحراء الوسطى كانت مركز إشعاع حضاري هام، عرف تدجين الأبقار والاعتقاد فيها، ومنه انتشر شرقا في مصر والسودان[1].

من حيث نسبة المشاهد الصخرية المجسدة في الصحراء الوسطى نلاحظ توازن بين رسوم الإنسان والحيوان خلال الفترة الرعوية، حيث قدرت نسبة رسوم الإنسان بـ48%، ورسوم الحيوان بـ46%، وتم ملاحظة تناقص واضح في الرسومات المعبرة عن الحيوانات البرية لصالح الحيوانات المستأنسة، فمثلت هذه الأخيرة 66%، أما نسبة الحيوانات البرية فقدرت بـ30%، والنسب المتبقية أخذت أشكال رموز[2]، ويمكن تفسير هذه النسب بأن المجتمع كان يميل إلى الرعي بشكل واضح، وربما تطرح فرضية تزايد الحيوانات المدجنة، مقارنة بالحيوانات البرية، التي يعتقد أنها بمغادرة الصحراء نتيجة لاحتلال الرعاة لأغلب الأماكن المفضلة لتلك الحيوانات البرية، وكانت الأبقار من الحيوانات التي ظهرت في الفن الصخري بكثافة، فمثلا كانت نسبتها في أقصى المناطق الشرقية من الصحراء الوسطى (منطقة فزان) تقارب 23 %، أما وادي جرات فقدرت بحوالي 20%، وظهرت بسبعة أنواع استنادا لأشكال رؤوسهم وقرونها، وربما تزيد أنواعها على عشرة فصائل هذا من خلال النقوش، أما نسبتها فقارب 41% في كل من منطقة الطاسيلي ناجر والأكاكيس[3].

هذا بالإضافة إلى أنواع حيوانية أخرى قد دجنت وكشفت عنها النقوش والرسوم الصخرية، وقد أكدت معظم الدراسات المتخصصة أن الكلب هو أول حيوان دجنه الإنسان في المملكة الحيوانية منذ العصر الحجري القديم الأعلى، كمرافق للصيادين خلال عمليات القنص، حيث كشفت عدة مواقع عن بقايا عظمية لهذا الحيوان، على غرار مغارة السماء المفتوحة بوهران، جبل الركنية والصخر الكبير بالجزائر العاصمة، فضلا عن موقع ايليك وتيهوداين، وقد جسدت صوره في عدة نقوش صخرية بمنطقة الأطلس الصحراوي نذكر منها؛ عين مارشال، تيوت، مردوفة، خنقة الحجر، الرصفة الحمراء، واد جرات حيث يظهر صياد يحمل سهام رفقة كلبه[4].

هذا ودجن الانسان حيوانات أخرى على غرار الماعز والأغنام، حيث تم العثور بمغارة كابيليتي بالأوراس على بقايا عظمية يقدر مجموعها بـ 12050 قطعة تعود أغلبيتها إلى الأغنام والماعز وتؤرخ بالألفية الخامسة ق.م، أما من حيث مشاهد الفن الصخري، فتم إحصاء 60 نقشا صخريا في منطقة الأطلس الصحراوي، أغلبيها

---

[1] ياسمينة شايد، نجيب فرحات، مقبرة البقريات لموقع منخور بالصحراء الوسطى، مجلة الدراسات الأثرية، ع1، 1992، ص ص 102-103.

[2] Clottes (J), Art rupestre du Tadrart Acacus (Libye), premiers données statistiques, international news lettre on rock art, IRONA, lettre internationale d'information sur l'art rupestre, N° 38, 2004, p 4.

[3] امحمد وابل، المرجع السابق، ص 147.

[4] Espérandieu (G.), Coppé (G.), et Chaker (S.), « Chien », E.B, in *13,* Aix-en-Provence, Edisud, 1994, p 1919. ; Lhote (H.), les gravures rupestres de l'oued Djerat, op-cit, p 787.

يتمثل في الكبش[1]، فمثلا مشهد أمقيد بالهقار، الذي يوضح عنزة في حالة إرضاع لصغيرها، وقد جسدت بشكل فني رائع ودقيق، ومنه استنتج الباحثون تواجد فصائل من الماعز المدجن في الصحراء خلال العصر النيوليتي، والذي يختلف عن بعضه شكلا وحجما، وفي مشهد آخر بمنطقة تيسوكاي (طاسيلي ناجر) يوضح مشهد آخر يمثل مجموعة من الأشخاص يعتقد أنهم من الرعاة، ويظهرون في هيئة أكثر اجتماعية، حيث نرى بوضوح وضع أدوات التزيين على الرأس، إضافة إلى ارتداء الجلود، كما نشاهد حيوانات الماعز المدجن، ومشهد ثالث من منطقة صفار، يوضح ماعز رفقة كبش وراعي، وبجانبهم حظيرة حيوانات أو مسكن.

فضلا عن مشاهد أخرى تبرز لنا قطيعا من الماعز والغنم ذات خصائص مميزة، من بينها مشهد "إن جارن بتادرارات" وموقع واد جرات، وتظهر الماعز فيها بشعر طويل، كما نجد مشهدا يصور لنا الماعز بمعية الأغنام في موقع إهيلاهي بالطاسيلي، والذي يظهر لنا كيفية إعداد المخيمات من طرف الرعاة الذين عاشوا في الفترة البوفيدية الحديثة، ويبين لنا هذا المشهد كذلك ما تقوم به المرأة من أشغال في التجمعات البشرية، حيث كانت تساهم كعضو فعال في مهمة نصب الخيام، وبالقرب منها قطيع من الماعز والأغنام، وذلك عند تفرغ الرجال من الرعي بالقطعان، وتبسط الحصائر المصنوعة من جلد الحيوانات[2].

اختلف في أصول الماعز المدجن في منطقة شمال إفريقيا والصحراء، حيث يرجعها البعض إلى أصول مشرقية، نظرا لغياب نوع بري للماعز، وعدم وجود سلف بري محلي له، غير أن الدلائل الأثرية تثبت عكس ذلك، وتشير إلى وجود نوع محلي بالمنطقة، ففي موقع العالية بتونس، وقلدمان ببجاية وموقع تين هناكتن عثر على بقايا عظمية للماعز تؤرخ بالألف السابعة ق.م، وفي موقع لأبو تامسنا بليبيا أرخت بالألف السادسة ق.م، في حين أخرت بقايا موقع هوافتيح بالألف الخامس قبل الميلاد[3].

أما الأغنام فقد دلت الفنون الصخرية أيضا على عملية تدجينها ورعيها، فمن خلال أشكال رسوماتها المتعددة بمنطقة الطاسيلي ناجر وخاصة موقع تين رازوتين، واد جرات، تن راسوتين، إهرين، ففي موقع مخبأ أبنيورة، وجد مشهد لمجموعة من الخراف وهي متجمعة حول مصدر المياه، وتعمد الرسام في إحداث شقة في الصخرة ربما ينزل منها الماء خلال نزول الأمطار، وتظهر على أنها تشرب المياه في مشهد بالغ الروعة والدهشة، وذهب الرسام إلى أبعد الحدود في إظهار الماء نتيجة تصويره لمجموعة من الضفادع، وهناك رسم يقع في إهرين تاهيلاهي يبين قطعان من الماشية، كثيرة العدد وهي برفقة الرعاة، كما وجد كذلك مشهد آخر بمنطقة تامريت

---

[1] عزيز طارق ساحد، التظاهرات الأولى...، المرجع السابق، ص 176.

[2] ليندة ماجي، الماعز في بلاد المغرب القديم بين الشواهد الأثرية والمصادر المادية، مجلة عصور الجديدة، مج 10، ع4، ص 28.؛ صندوق ستي، الثروة الحيوانية والغطاء النباتي في الجزائر خلال العصور القديمة، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2020، ص ص 57-58.؛ حدادو يوغرطة، بعض مدلولات مشاهد النقوش الصخرية للإنسان والحيوان في منطقة الأطلس الصحراوي، آراء ودراسات في التاريخ والآثار القديمة، أشغال الندوة العلمية المنعقدة بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، يومي 23-24 ديسمبر 2011، كنوز الحكمة، 2012، ص 33.

[3] ليندة ماجي، المرجع السابق، ص ص 25-26.

يوضح مجموعة من الأغنام برفقة صياد، وإذا اتجهنا شرقا إلى منطقة الأكاكيس نجد رسما صخريا يبين الرعاة وهم مع أغنامهم في مشهد يوحي بتجمع عائلي[1].

لقد غير العصر الحجري الحديث من ملامح الاقتصاد بالمغرب القديم، وذلك عندما عوض تدجين الحيوانات ومغامرة الصيد والقنص بالزراعة ووضع بذلك حدا لتنقل الإنسان المتكرر من أجل القطف والالتقاط ومهد أولى السبل لاستقرار الأسرة، وبذلك تطور المجتمع شيئا فشيئا تحت ستار القبيلة، إذ ارتبطت بوادر ظهور الزراعة من خلال ما عرف بثروة إنتاج الطعام في موقع الاطلس الكبير وعدة مواقع أخرى حسب ما تدل عليه المخلفات الأثرية المكتشفة والتي صورت لنا كافة التفاصيل من بداية الحضارة القفصية (Le Capsien/7000-4000ق.م) وتعاطي الإنسان للزراعة[(2)].

3/ **النشاط الزراعي:** اعتمد الانسان إلى جانب الصيد والرعي في نمط معيشته خلال العصر الحجري الحديث على الزراعة بشكل بارز، من خلال تأويل بعض الرسوم أو النقوش في جهة "تاسيلي"، فقد أشار فابريزيو موري Fabrizio Mori إن الأجسام الملونة بهذا اللون قد تشير إلى أهمية الحياة الزراعية، كما أن "Huard" يؤكد من خلال ملاحظاته لمشهد وجد بموقع جبارين بطاسيلي ناجر أنه يوضح عملية درس الحبوب، ويصف هذا الرسم بأنه حركة ضرب على سنابل القمح بقضبان من الخشب، وتخرج البذور من جراء هذا العمل، ثم توضع هذه الحبوب في الأواني الفخارية للتخزين، وفي رسم آخر عثر عليه في موقع تين بوجاج يظهر امرأة جالسة على ركبتيها وماسكة بمدق أو مسحاق بيدها اليسرى وتقوم بعملية التدوير لأداء الطحن، مثبتة عليها قضيبا للتدوير، وشكل الأداة دائري تستخدم لسحق الحبوب[3].

وتبين الباحثة سفروان بعض المشاهد المتعلقة بأعمال المرأة ذات النشاط الزراعي، وترى من خلال ثلاث مواقع في منطقة صفار أن الرسم الصخري يبين أواني مملوءة بالحبوب، والمشهد الآخر يظهر امرأة وهي تمارس زراعة الحبوب ثم جمع السنابل وتذريتها، والمشهد الأكثر وضوحا يتمثل في مجموعة من النساء منهمكات في أعمال زراعية توزعت بين نثر الحبوب وتذرية السنابل وظهور المنجل، وكذلك أداة الطحن، والمشهد عبارة عن عملية تتابع للأنشطة الزراعية[4]، وفي مشهد آخر بموقع جاباران أمزر، يوضح ممارسة نشاط زراعي، حيث نرى أربع نساء يقمن بتذرية الحبوب، وهي موضوعة في إناء فخاري محمول ذو شكل هلالي، والنساء الأربع يحملن العصي، ربما تستعمل كوسائل متعلقة بالعملية، وعلى يسار المشهد نرى أواني فخارية وهي مملوءة بكمية من الحبوب أو البذور ذات لون أصفر[5].

---

[1] امحمد وابل، المرجع السابق، ص 159.

[2] نضار الاندلسي، الحياة اليومية للمرأة...، المرجع السابق، ص ص 21-22.

[3] نفسه، ص 172.

[4] حسيبة سفروان، واقعية صورة الأنثى في الرسم الصخري لمنطقة صفار وضواحيها (الطاسيلي ناجر، الصحراء الوسطى)، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008-200è، ص 261.

[5] امحمد وابل، المرجع السابق، ص 173.

وفي منطقة صفار جسّدت الرسوم مجموعة من الأشخاص يحملون نوعا من القصب الطويل بشكل مذراة، وربما يقومون بذر الحبوب لأن أسفل هذا الرسم يوجد أشخاص جالسون يقومون بدرس الحبوب بأرجلهم، ومشهد ثان يمثل رجلين منهمكين في خدمة الأرض، علاوة على هذا هناك مشهد آخر في منطقة جبارين يمثل نساء يضعن أقنعة برؤوس الطير ويحملن سنابل، وهو مشهد ربما يوحي بتقديس الإنسان لربّات الزراعة، كما نجد مشهد آخر في منطقة وينرهات Oinarhat يجسد أربعة اشخاص، ثلاثة منهم يعملون في الأرض والرابع يوضح لهم طريقة العمل.

أما فيما يتعلق بآثار فجر التاريخ، فإن المعطيات المتوفرة تشير إلى أن الإنسان قد مارس النشاط الزراعي خلال هذه الفترة، وهو ما تؤكده بعض المشاهد في الرسوم الصخرية، ففي كهف الأوربة بالشافية شرق قسنطينة، عُثر على مشهد يمثل عملية الحرث، كما وُجد مشهد مشابه في لوحة صخرية بالأطلس الكبير بالمغرب[1]، ما يعكس وجود معرفة مبكرة بأساليب استغلال الأرض.

وقد ساهمت خصوبة التربة وتوفر الموارد المائية في بعض المناطق الليبية في تعزيز استقرار الإنسان وتطوير النشاط الزراعي. وتشير المصادر المصرية القديمة إلى حصول المصريين على زيت "التحنو(Tehenou) " الثمين، وهو ما يُعد مؤشرًا غير مباشر على وجود نشاط زراعي مبكر في مناطق المغرب القديم. كما تظهر أول إشارة صريحة إلى الزراعة الليبية خلال عهد الأسرة التاسعة عشرة (1350–1205 ق.م)، حيث ورد في لوحة "أتريب-هي" ضمن وثائق الحرب الليبية في عهد الملك مرنبتاح أن الأخير، عقب انتصاره على الليبيين، استولى على ما كان يُنقل من محاصيل أو أعشاب من حقولهم، ما يدل على وجود أراضٍ مزروعة ومنظمة[2].

وتبرز أيضًا أهمية بعض الأقاليم الطبيعية في هذا السياق، مثل خصوبة نهر كينيوس (وادي كعام) ومنطقة سيوسيريدس (بنغازي)، حيث كانت المنطقة الأولى تُعد من بين أكثر المناطق إنتاجًا لزراعة القمح في العالم القديم[3]. كما يذكر هيرودوت أن قبائل الناسمون (Le Nasamons) كانت تتوجه صيفًا إلى أوجلة (Awjla)لجني ثمار النخيل الذي كان ينمو بكثافة في تلك المنطقة، وهو ما يعزز فرضية ممارسة الليبيين للزراعة على نطاق واسع خلال تلك الفترات المبكرة.

ثانيا/ الحياة الاجتماعية: يُعدّ البعد الاجتماعي من الجوانب الأساسية التي يمكن من خلالها فهم حياة الإنسان خلال فترات ما قبل التاريخ، إذ لا يقتصر الاهتمام على النشاط الاقتصادي أو التقني فحسب، بل يمتد إلى دراسة طبيعة العلاقات داخل الجماعات البشرية وأنماط التنظيم التي حكمت سلوك الأفراد. وتُسهم المعطيات الأثرية، وعلى رأسها الفن الصخري والبقايا المادية، في الكشف عن مظاهر الحياة الاجتماعية، مثل

[1] الاندلسي نضار، الحياة اليومية للمرأة في المغرب القديم، ط.1، المغرب، 2017، ص ص21-22.

[2] علي مؤمن ادريس مؤمن، المظاهر الحضارية للمجتمع الليبي القديم، المجلة الليبية العالمية، ع.27، 2017، ص337.

[3] المرجع نفسه، ص ص7-8.

أنماط السكن، العادات والتقاليد، مظاهر التعاون، وتقسيم العمل، والطقوس الجماعية، وهي عناصر تعكس درجة تطور المجتمع وقدرته على التكيف مع البيئة المحيطة.

1/ المسكن: اتخذ الانسان فيما قبل التاريخ من المغارات والكهوف مسكنا له، وقد اكتشف في الصحراء الجزائرية وحتى في المناطق الشمالية العديد منها، كانت محل استقرار للإنسان من خلال المخلفات التي عثر عليها، ومن بين أهم المساكن نجد مغارة "تين هناكتن" التي تعتبر نموذجا لإقامة الانسان النيوليتي في الصحراء، وكانت بداية استقراره حوالي 9000 ق.م إلى 2000 ق.م، حيث شهدت هذه المغارة نوعا من التهيئة والتبليط، يقدر طول المغارة في الداخل 30م، وعرضها 21م، وبها فتحة موجهة نحو الشمال[1]، حيث عثر بها على مواقد لطهي الطعام ورسوم صخرية متنوعة، تعبر عن ثقافة الرؤوس المستدير والرعاة، فضلا عن بقايا الحبوب والثمار ونماذج من السلال المصنوعة من القصب، وأماكن للدفن وأدوات حجرية متعددة مثل المكاشط والنصيلات، المسننات، أدوات الطحن، وكذلك أدوات عظمية مثل المثاقب والمصاقل، وشققات فخارية من النوع السوداني، زيادة على قشور بيضا النعام ومجموعة من الهياكل العظمية البشرية من مختلف الأعمار[2].

يمكن أن نضيف ملجأين هما؛ مخبأ "تان تارتي" بالطاسيلي آزجر، يؤرخ حسب البقايا الأثرية بـ4400 ق.م، يقدر طوله من الداخل 8م وارتفاعه 12م، عثر به على كميات معتبرة من الأدوات الحجرية والفخارية، وهياكل عظمية بشرية، بالإضافة إلى أسلحة في شكل رؤوس سهام وفؤوس حجرية، وظهرت بداخلهما رسومات لحيوانات مستأنسة وبرية وملونة بالأحمر، والمخبأ الثاني هو "إن إتنان" ويؤرخ بـ4600 ق.م، طوله 15م وعرضه 2م، احتوى على نفس البقايا السابقة تقريبا التي وجدت في الملجأ الأول بالإضافة إلى مواقد لطهي الطعام وبعض الحبوب البرية[3].

هذا ونجد ملجأ آخر في "إيهيرن"، طوله 11م وعرضه 9م وارتفاعه 5م، وعثر بداخله على أدوات طحن وسحق الحبوب وهي ذات شكل بيضوي، فضلا عن بقايا فخارية، وأدوات حجرية وبقايا حيوانية كثيرة، وفي داخل الملجأ نجد عدة رسومات صخرية ذات لون بني فاتح وأبيض، تنتمي لثلاث مراحل رئيسية وهي: مرحلة البقريات في الأعلى والأحصنة في الوسط والجمال في الأسفل[4].

---

[1] محمد عليش، مظهر من النيوليتي الصحراوي-الرعوي الأعلى لمنطقة تين إزران (الطاسيلي ازجر، الجزائر)، مذكرة ماجستير في آثار ما قبل التاريخ، قسم علم الآثار، جامعة الجزائر، 1998-1999، ص 24.

[2] سميرة عمراني، دراسة أركيوبالنولوجية لأوساط الهولوسان بمنطقة تين هيناكتن (الطاسيلي أزجر، الصحراء الوسطى)، مذكرة ماجستير، قسم علم الآثار، جامعة الجزائر، 2001-2002، ص 68.

[3] امحمد وابل، المرجع السابق، ص ص 183-184.

[4] كلثوم أيوب، أشكال المسكن من خلال مشاهد الفن الصخري بهضبة تاجلاهين، موقع ايهيرن، مذكرة ماستر في ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2021-2022، ص ص 40-44.



الصوررقم 52: ملجأ ايهيرن

المرجع: كلثوم أيوب، المرجع السابق، ص ص 40-41.



الصوررقم 53: المخلفات المادية التي عثرعليها في ملجأ ايهيرن

المرجع: كلثوم أيوب، المرجع السابق، ص ص 42-43.

لقد أحصى هنري لوت أكثر من 1300 ملجأ ومخبأ في منطقة الطاسيلي آزجر، معظمها مهيئة للسكن[1]، بحيث تم اخضاعها للترميم والتجهيز والتبليط وإنشاء نوع من الأقواس، والفصل بين الحجرات والتموضع الجيد، كما تم تزيينها من الداخل بمختلف الرسوم الصخرية، والمشاهد المعبرة عن الحياة الاجتماعية للشعوب النيوليتية خاصة، وكانت تخضع لتعديلات وإعادة تجهيز، حيث كانت الملاجئ في زمن الرؤوس المستديرة تفصل إلى أجزاء ويتم اغلاقها بواسطة الصفائح الحجرية، أما أماكن الإقامة والمتمثلة في الأكواخ فكان يستعملها الرعاة في مراحلهم المتطورة، وأغلب هذه الملاجئ والمخابئ كانت بجوار المجاري المائية، وقدرت الباحثة سفروان المسافة التي تفصل الملجأ عن الوادي بأنها لا تبعد أكثر من عشرة أمتار وأقربها في حدود ثلاثة أمتار[2]، وكذلك تقام على الأطلال والأماكن المرتفعة بجوار النتوءات البارزة من الكتل الحجرية.

يشير الباحث وابل إلى الانسان فيما قبل التاريخ استعمل المغارة للإقامة الشتوية، والكوخ للإقامة الصيفية[3]، وبالتالي نضيف نوع ثاني من المساكن وهي الأكواخ، وتم التعرف على أشكالها وأنواعها من خلال الرسومات الصخرية، ففي مشهد مرسوم بمخبأ "إدو تيسوكاي" يظهر الكوخ في شكل دائري له فتحة يغطيها سياج مربع الشكل، وتظهر ضمن الدائرة رسومات لأدوات قد تستعمل في الطبخ ومرتبة بشكل جيد مع وجود

[1] Lhote (H), Chars rupestres du Sahara, C.N.S.A.I Et des belles-lettres, 107, N° 2, 1963, p 230.

[2] حسيبة سفراون، المرجع السابق، ص 36.

[3] احمد وابل، المرجع السابق، ص 185.

سرير أو مكان مخصص للنوم بلوازمه، أما في الخارج نرى مجموعة أشخاص في حالة اجتماع، وفي مشهد آخر وجد بموقع "إن إتنان" يظهر كوخ في شكل دائري وفي وسطه امرأة جالسة، وفي الخارج رجل في حالة استرخاء، أما في يسار الكوخ فتظهر امرأة وكأنها تحضر أو تطهو الطعام، نظرا لوجود أواني فخارية بجانبها.

وفي ملجأ ايهيرن السابق عثر على أربع مشاهد تصور عملية انجاز الأكواخ، ففي المشهد الأول تظهر امرأة ذات تسريحة شعر قصيرة وتلبس قبعة بيضاء اللون، وهي تقوم بإنجاز كوخ في بدايته، بحيث تحمل وتدا كي تغرسه في الأرض، وبجانبها بعض الأدوات للمسكن، أما المشهد الثاني فتظهر امرأتان داخل المسكن على وشك الانتهاء، وبجانبه امرأة أخرى تساعدهن في عملية تشكيل الكوخ، حيث تغرس إحداهن وتدا، بينما تحمل أخرى إطار لتساعدها في ذلك، وفي الخارج تظهر صورة بقرة، وفي المشهد الثالث نلاحظ الشكل النهائي للمسكن، حيث يحمل الشكل الدائري، أمامه نساء واقفات، وإحداهن مستلقية أمام باب المسكن، مع وجود خطوط في الأعلى، ربما تمثل أغصان الأشجار التي اتخذت كأقواس للسقف.



الصوررقم 54: مشاهد ايهرين لإنجاز المساكن

المرجع: كلثوم أيوب، المرجع السابق، ص ص45-52.

وفي موقع إدو تيسوكاي هناك مشهد آخر يبين مسكنا، نجد في داخله خمسة من الأواني الفخارية مرتبة ومحفوظة بشكل جيد فوق رف، وفي خارجه امرأة في مهمة تحضير الطعام، وعلى يساره هناك مسكن آخر صغير بداخله إناء فخاري، وكذلك لدينا رسما صخريا في موقع صفار، حيث نجد به مشهد لمنزل ذو شكل بيضاوي تقريبا، يحتوي على مدخل مقفل بواسطة باب على شكل هلال مع وجود مكان مخصص للطهي،

إضافة إلى مكان للفضلات، وخارج المنزل نشاهد سلاحا من نوع قوس وسهام، وتم استعمال اللونين الأحمر والأبيض في المشهد، وحسب الألوان ونمط الرسم يحتمل أن يكون مرافقا لمرحلة الرعاة حوالي 450 ق.م[1].

تبين لنا المشاهد السابقة أماكن الإقامة والمسكن بالنسبة لإنسان ما قبل التاريخ، حيث جسد الرسام الكوخ أو المسكن بصورة أكثر واقعية، حيث يبين محتوياته الداخلية، وبعض الأعمال التي لها علاقة بالمنزل، كما بينت المشاهد الصخرية التشابه في أشكال المساكن المرسومة، بالرغم من أنها ليست بالمكان نفسه، كذلك هناك نفس المحتويات داخل هذه المساكن ونفس الأشخاص، حيث تبين سفروان أن الأشكال الدائرية الظاهرة في الفن الصخري تدل دائما على المساكن أو أماكن للإقامة، أما الشكل الإهليجي للأشخاص فيوحي بأنهم داخل البيت أو الكوخ[2]، غير أن باحثين آخرين يرون أن الأشكال الهلالية في الرسوم الصخرية وخاصة العائدة للفترة الرعوية، تعبر عادة عن المساكن أو الملاجئ أو الأكواخ أو المنازل، وذلك استنادا لمشهد وجد بصفار، حيث يظهر مجموعة من الأشخاص يعملون خارج كوخ أو مسكن، يرجح أنهم عاملين من رعاة البقر[3].

2/ مشاهد عن بعض الأعمال اليومية

استنادًا إلى المخلفات المادية والأثرية التي خلّفها إنسان ما قبل التاريخ في مختلف المواقع التي استقر بها، سواء بشكل مؤقت أو دائم، وبالاعتماد كذلك على مشاهد الفن الصخري التي تُعد انعكاسًا شبه واقعي لأنماط المعيشة، يمكن استنباط جوانب متعددة من الحياة اليومية لذلك الإنسان. إذ تُظهر الرسوم في كثير من الأحيان رجالًا ونساءً وأطفالًا في ممارسات متنوعة، مثل اللعب والصيد والتنقل على ظهور الأبقار.

ويبدو أن الرجال كانوا يتولون مهام مثل نصب الخيام، وربط الأبقار وحلبها، مع احتمال مشاركة النساء في بعض هذه الأنشطة، كما يتضح من مشاهد عدة، من بينها مشهد إهرين تا هيلافي، ومشهد المساك بفزان، ونقش بواد تيكساتين في منطقة الأكاكوس، حيث تظهر عمليات حلب الأبقار بشكل واضح[4]. كما تُبرز بعض اللوحات مجموعات بشرية من رجال ونساء يجلسون في أجواء اجتماعية حول موقد أو داخل خيمة في إطار من التآلف والتواصل اليومي.

وتشير مشاهد أخرى إلى وجود أوانٍ فخارية، يُرجَّح أنها استُخدمت لتخزين الحبوب البرية أو الحليب، إلى جانب تمثيلات لعمليات الترحال ونصب الخيام، سواء كانت دائرية الشكل أو مستطيلة، ما يعكس نمط حياة يجمع بين الاستقرار النسبي والتنقل الموسمي تبعًا لتوفر الماء والكلأ.

كما تكشف الرسوم عن حضور بارز للرقص الجماعي ضمن سياقات احتفالية، قد ترتبط بمناسبات اجتماعية مثل الزواج أو الختان، أو بطقوس ذات طابع سحري تهدف إلى ضمان نجاح الصيد أو وفرة

---

[1] امحمد وابل، المرجع السابق، ص ص 187-188.

[2] حسيبة سفروان، المرجع السابق، ص 40.

[3] امحمد وابل، المرجع السابق، ص 188.

[4] لخضر بن بوزيد، حضارات الرعاة...، المرجع السابق، ص ص 329-333.

المحاصيل. وتُظهر بعض المشاهد نساء يقمن بإعداد الطعام، بينما يصوّر مشهد آخر رجلًا تحيط به خمس نساء، تتوسطهن امرأة في وضعية توحي بأنها على وشك الولادة. كما يظهر في لوحة أخرى مشهد لامرأة جالسة وهي تطحن الحبوب باستخدام طاحونة حجرية، وبجوارها امرأة أخرى، في دلالة على الدور المنزلي والاقتصادي للنساء داخل هذه المجتمعات القديمة.

3/ الطعام

يرتبط نوع الطعام الذي استهلكه انسان ما قبل التاريخ بنمط المعيشة، أي نمط الصيد والجمع والالتقاط، ثم الصيد والاستئناس وممارسة الزراعة، فعمليات التنقيب كشفت لنا نوعية الطعام المستهلك، فمثلا مغارة تين هناكتن بالطاسيلي تم العثور على موقد للطهي، من خلال الرماد المتراكم والمواد المتفحمة، بلغ سمك هذا الرماد حوالي 18 سم، كما تم الكشف عن عظام تعود لأبقار مدجنة وبقايا أسماك وبذور ثمار، فضلا عظام سلاحف وبقايا أشجار الزيتون[1]، وفي مخبأ تان تارتي بالطاسيلي، وجد موقد طهي داخل المغارة، وبجانبه مجموعة من القطع الفخارية، و21 مدقة حجرية، ورحى لسحق الحبوب وبعض عظام الحيوانات، أما مخبأ "إن أتنان" فيحتوي على مكان لطهي متطور نوعا ما مقارنة بسابقيه، فهو يحتوي على حجارة مخصصة له، ومن خلال العظام المكتشفة تبين أن الغذاء كان مزيج من الحيوانات المصطادة والمستأنسة[2].

لقد احتوت أماكن الإقامة والمساكن والأكواخ على مواقد للطهي، ومن خلالها استنتجت لنا التنقيبات نوعية غذاء الانسان، كما يمكن معرفة نوعية المأكولات من خلال دراسة الفضلات الموجودة في الطبقة الأثرية، بحيث تم الكشف عن بقايا عديدة ومتنوعة لعظام الحيوانات المصطادة مثل الآيل والغزال، مع كثافة البقايا العظمية للحيوانات المستأنسة، والمتمثلة في الخراف والماعز والبقر والجاموس، فضلا عن بقايا الأسماك والسلاحف والجراد، وأنواع أخرى من الأطعمة النباتية، ويعتقد كامبس أن الانسان تناول أيضا الصدفات والقواقع، إضافة إلى أنواع عديدة من الأسماك التي عثر عليها في موقع أمكني[3].

4/ اللباس

تُعدّ الآثار المصرية إلى جانب الرسوم الصخرية من أهم المصادر التي تُسهم في التعرف على أنماط اللباس لدى الإنسان في عصور ما قبل التاريخ. وقد أظهرت هذه المعطيات تنوعًا واضحًا في أشكال الملبس من منطقة إلى أخرى، ومن فترة زمنية إلى أخرى. ففي بعض المشاهد، يظهر الرجال والنساء عراة تمامًا، أو يكتفون بارتداء أغطية بسيطة على شكل أحزمة تُغطي مواضع العورة من الأمام والخلف، بينما كانت الملابس في الغالب تُصنع من جلود الحيوانات.

---

[1] محمد حمودي، دراسة وجه من النيوليتي الصحراوي: البقري السفل حسب المقطع الرابع لموقع تين هناكتن - الطاسيلي ناجر - الجزائر، مذكرة ماجستير في علم ما قبل التاريخ، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 2001-2002، ص 12.

[2] امحمد وابل، المرجع السابق، ص ص189-190.

[3] Camps (G), Amekni…, op-cit, p 59.

وفي موقع تان زوميتاك بالصحراء الوسطى، تظهر امرأة ذات ملامح إفريقية في وضعية منحنية، تحمل قوسًا، وترتدي تنورة بسيطة، مع حذاء في قدميها وقلنسوة كروية الشكل بيضاء اللون على رأسها[1]. كما يُلاحظ في بعض التمثيلات أن رجالًا ونساءً كانوا يرتدون أذيالًا مصنوعة من الجلد، على غرار ما هو معروف لدى بعض الجماعات الإفريقية التقليدية في سياقات احتفالية، إضافة إلى استعمال الأحزمة حول الخصر كعنصر أساسي في اللباس.

ومع تطور الزمن، تبدو القناصات وهن يرتدين أزارًا بسيطة خالية من الزوائد الزخرفية، بينما لم يكن ارتداء الأحذية ظاهرة ثابتة أو عامة في جميع المشاهد. وفي موقع إين تينان بمنطقة الطاسيلي ناجر، تظهر امرأة ترتدي فستانًا بلا أكمام، كما عُرفت لاحقًا أنماط أخرى من الألبسة مثل الفساتين الجرسية الشكل والتنورات الطويلة، ما يعكس تطورًا تدريجيًا في أشكال اللباس ووظائفه عبر الفترات المختلفة.

تقسم الباحثة أم الخير عقون الأزياء الممثلة في الفن الصخري إلى فئتين رئيسيتين؛ لباس الرجال ولباس النساء. فلباس الرجال يتكون عادة من شريطين يتقاطعان عند الصدر ويلتقيان عند الظهر، مع وجود حزام يثبت عند الخصر تُعلَّق عليه أغطية العورة والذيل المستعار. أما لباس النساء، فيتشابه في بعض عناصره مع لباس الرجال، مع إضافة سراويل تمتد من مستوى الخصر إلى الركبتين، وتُثبت بدورها بالحزام نفسه الذي يحمل ساتر العورة والذيل، غير أن هذا العنصر لا يُعد رمزًا أنثويًا خاصًا. وقد استُنبطت هذه المعطيات بالاعتماد على مشاهد فنية، من بينها تلك الموجودة داخل جدران معبد الملك ساحورع من الأسرة الخامسة[2].

ومن جهة أخرى، يرى بعض الباحثين أن اللباس كان يختلف تبعًا للانتماءات البشرية والثقافية؛ فالمجتمعات الزنجية، مثلًا، كانت نساؤها ترتدين فساتين تغطي ما يقارب ثلاثة أرباع الجسم، تُصنع من الجلد أو الكتان، بينما ارتدى الرجال تنورات قصيرة من الجلد مع ساتر للعورة مثبت بحزام جلدي. وتُعد الألبسة الجلدية سمة مميزة لمجتمعات الرعاة. ففي أحد مشاهد منطقة إيهرين، تظهر مجموعة من النساء في حالة رقص وهن يرتدين أغطية جلدية، في حين تكشف مشاهد أخرى عن تنوع أكبر في أزياء المجموعات المختلفة، خصوصًا لدى النساء اللواتي ارتدين ملابس أنيقة تُثبت من أحد جوانب الجسم، وقد تكون مزخرفة وملونة، تتراوح أطوالها بين القصير والطويل.

وفي مجموعة إيهرين أيضًا، يظهر الرجال مرتدين تنورات قصيرة تغطي نصف الجسد فقط، بينما يبقى الجزء العلوي أو السفلي عاريًا في بعض الحالات[3]، كما يظهر بعضهم بما يشبه الجبة في الزمن الحاضر. أما سكان منطقة تين أنويين، فقد ارتدوا أزياءً تصل إلى مستوى الركبة، ذات لون أبيض وتُربط عند الخصر بحزام،

---

[1] حسيبة سفروان، واقعية صورة الأنثى في الرسم الصخري لمنطقة صفار وضواحيها (الطاسيلي ناجر، الصحراء الوسطي، الجزائر)، مذكرة ماجستير في آثار ما قبل التاريخ، جامعة الجزائر، 2007-2008، ص 63..

[2] أم الخير عقون، الليبيون..، المرجع السابق، ص 105.

[3] امحمد وابل، المرجع السابق، ص 195.

ويُضاف إليها غطاء أحمر يشبه البرنوس، بينما يضع الرجال ريش النعام فوق رؤوسهم كرمز للشرف والمكانة الاجتماعية، كما برزت النساء بلباس فضفاض متعدد الألوان يصل إلى القدمين، إلى جانب أزياء أخرى قصيرة أو بلا أكمام، فضلًا عن ملابس مخصصة للطقوس الدينية والاحتفالات.

وقد عرف اللباس تطورًا متدرجًا بالتوازي مع تطور البنية الاجتماعية. ففي مرحلة الصيادين، تُظهر أغلب الرسوم مجموعات بشرية عارية أو شبه عارية. أما في مرحلة "الرؤوس المستديرة"، فقد أصبح اللباس أكثر بساطة، مقتصرًا غالبًا على ساتر للعورة وأغطية بدائية مصنوعة من النباتات أو الجلود. ومع المرحلة الرعوية، برز تنوع واضح في الأزياء، حيث اختفت تقريبًا صور العري، وظهرت ملابس متعددة مثل العباءات والسراويل والتنورات الجلدية. أما في مرحلة الحصان والعربة، فقد سُجل ظهور محدود جدًا لشكل العري، إذ تكاد تختفي هذه المظاهر في الرسوم المنتمية إلى تلك الفترة[1].

5/ المرأة مكانتها ودورها في المجتمع

حظيت المرأة بحضور بارز في الفن الصخري، حتى إن نسبة ظهورها فاقت في بعض المشاهد حضور الرجل، حيث صُوِّرت وهي تمارس أنشطة متعددة كالفلاحة والصيد، أو جالسة قرب الموقد لإعداد الطعام، كما ظهرت في مشاهد وهي تدق وتسحق الذرة والحبوب البرية التي يتم جمعها من الحقول، إضافة إلى مشاركتها في نصب الخيام ومساعدة الرجل في ذبح الأبقار. ويبدو أن المرأة كانت تتمتع بمكانة اجتماعية مهمة، خاصة النساء المتقدمات في السن، الأمر الذي دفع بعض الباحثين، ومنهم لخضر بن بوزيد، إلى افتراض احتمال وجود نظام أمومي داخل بعض المجتمعات، مثل مجموعات إيهرين، حيث كانت المرأة تضطلع بمعظم الأعمال وتمارس نوعًا من السلطة داخل الأسرة والقبيلة.

وتكشف بعض الصور ذات الطابع الرمزي عن مشاهد ركوع أمام المرأة، غير أن دلالتها تبقى غير محسومة؛ فقد تعبر إما عن تقدير واحترام بالغين لمكانتها، أو عن شكل من أشكال التقديس والعبادة. كما ارتبطت المرأة بمفهوم الخصوبة، وهو ما تجسد في رسوم تُظهر نساء ببطون منتفخة في إشارة إلى الحمل والإنجاب، فضلًا عن ارتباطها بطقوس استدرار المطر، حيث تظهر النساء في مشاهد من جبارين وصفار وهن يؤدين طقوسًا مرتبطة بنزول الأمطار.

ومن جهة أخرى، تبرز مساهمة المرأة في عملية التدجين داخل هذه المجتمعات، من خلال إشرافها على القطيع والعناية بالمواشي وجمع منتجاتها[2]، إضافة إلى حرصها على حماية الحيوانات وضمان سلامتها. وقد ظهرت المرأة

[1] لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص ص 497-498.

[2] حسيبة صفريون، بوادر ظهور النظام الاسري الامومي في المجتمع التاسيلي وعلاقته بظاهرة جمع القوت خلال المرحلة البوفيدية من خلال مشاهد الرسم الصخري، مجلة العلوم الاسلامية والحضارية، ع.7، 2018، ص432.

أيضًا في مشاهد تهتم بالخيول وترعاها، ويُعتقد أنها ساهمت في ابتكار اللجام واكتسبت مهارة في ترويض الخيل. وخلال المرحلة البوفيدية، أو ما يُعرف بمرحلة الرعاة، صُوِّرت المرأة وهي تمتطي الثور أثناء رعي القطعان[1].

وفي الدراسة التي أعدتها الباحثة سفروان حول صورة المرأة في الفن الصخري، تؤكد أن المرأة حضرت في مختلف جوانب الحياة اليومية، حيث ظهرت وهي تمارس القنص والصيد ومطاردة الطرائد، كما ظهرت في المرحلة الرعوية برفقة الحيوانات المستأنسة، سواء أثناء حراستها أو رعيها. وتوجد كذلك رسوم عديدة تعبّر عن انخراط المرأة في النشاط الزراعي وخدمة الأرض، إلى جانب أدوارها الاجتماعية الأخرى، مثل رعاية الأطفال وتجهيز الأكواخ وأماكن الإقامة[2].

كما كشفت الرسوم الصخرية المكتشفة في جبارين (Jabbaren) بمنطقة الطاسيلي عن مشهد يضم أربعة أشخاص؛ ثلاثة منهم يبدون في حالة اندفاع لإعادة قطيع من الأبقار، بينما يجري الشخص الرابع في الاتجاه المقابل نحوهم. وتتمثل الشخصيات الثلاث في امرأة وطفل ورجل، حيث تبدو على المرأة ملامح زنجية، في حين يحمل الرجل ملامح متوسطة، أما الطفل فيظهر بخصائص تجمع بين الملامح العرقية المختلفة. وإذا صح تفسير هذا المشهد على أساس أن هذه الشخصيات تمثل أسرة واحدة[3]، فإن ذلك قد يعكس جانبًا من التمازج البشري والاجتماعي داخل مجتمعات تلك المرحلة.

ولم يقتصر دور المرأة على أنشطة الصيد والرعي فحسب، بل شاركت الرجل أيضًا في الأعمال المرتبطة بمرحلة ما بعد الصيد، مثل سلخ الحيوانات وتجهيز اللحوم وممارسة أعمال الجزارة[4]. كما أثبتت حضورًا فاعلًا في المجال الزراعي، حيث ساهمت في مختلف مراحل الإنتاج، بداية من حرث الأرض وغرس البذور، وصولًا إلى الحصاد ودرس المحاصيل. وقد استعانت في ذلك بأدوات متنوعة استُخدمت في عمليات الزراعة المختلفة، سواء أثناء تهيئة التربة، أو زرع البذور، أو جمع المحاصيل ومعالجتها[5]

---

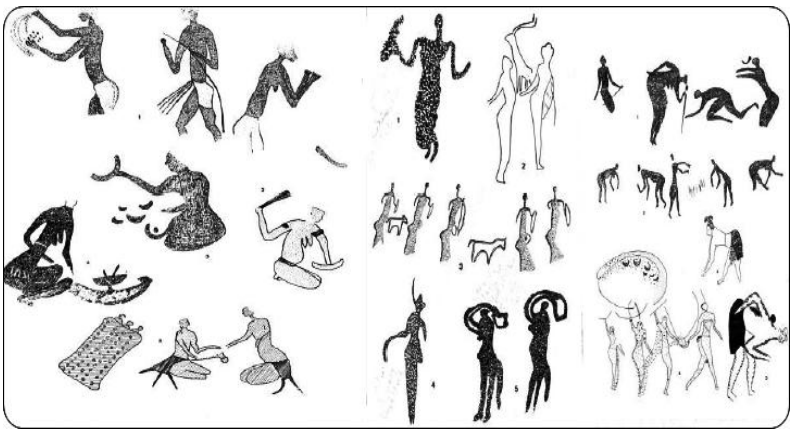
[1] نضار الاندلسي، المرأة من خلال النقوش...، المرجع السابق، ص4.

[2] حسيبة سفروان، المرجع السابق، ص 261.

[3] عثمان مفتاح عبد ربه، (د.ت)، دراسة انثروبولوجية لليبيين القدماء من خلال مقارنة بقايا المقابر والوثائق التاريخية والاثرية، مجلة دراسات في اثار الوطن العربي، ع.11، ص618.

[4] حسيبة صفريون، المرجع السابق، ص438.

[5] نضار الاندلسي، المرأة من خلال النقوش الصخرية في المغرب القديم، تطوان، د.ت، ص3.



الصورة رقم 55: أعمال الحقل من رسومات الطاسيلي، تاجارين، صفار

المرجع: نضار الأندلسي، المرأة من خلال..، ص 3.

ويؤكد الباحث ستيفان غزال (Gsell) أن المرأة شاركت الرجل في مختلف الأعمال الزراعية، خاصة خلال موسمي الزراعة والحصاد[1]، حيث تظهر في المشاهد الفنية منهمكة في جمع المحاصيل الزراعية باستعمال أدوات بسيطة. ولم يقتصر دورها على الحصاد فقط، بل كانت تتابع مراحل العمل اللاحقة، من خلال درس الحبوب وسحقها باستعمال مطاحن حجرية، بعد تحمل مشقة نقل المحاصيل من الحقول إلى أماكن التخزين. كما تكشف نقوش منطقة الأكاكوس عن نساء يحملن المنتجات الزراعية داخل سلال فوق الرؤوس أو على الظهور، وهو ما يعكس حجم مساهمتهن في النشاط الاقتصادي والإنتاجي داخل المجتمع.

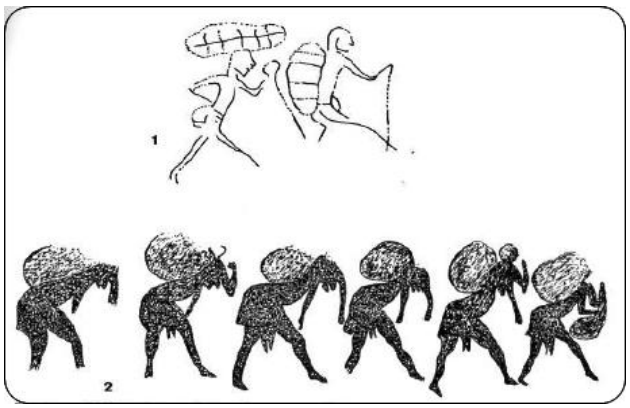
وبذلك، تُظهر هذه المعطيات أن المرأة لم تكن مجرد عنصر مساعد، بل كانت طرفًا أساسيًا في عملية الإنتاج، بل قد تتولى أحيانًا أعمال الحقل بصورة مستقلة عن الرجل[2]. ومن جانبه، يرى كامبس، اعتمادًا على معطيات موقع أمكني، أن المرأة كانت تقوم بدق الذرة والحبوب البرية التي يتم جمعها من الحقول، إضافة إلى إعداد الطعام وطهي لحوم الحيوانات المصطادة داخل أوانٍ فخارية كبيرة الحجم باستعمال النار.

كما اضطلعت المرأة بأعمال أخرى ذات طابع اجتماعي واقتصادي، من بينها معالجة جلود الحيوانات واستغلالها في صناعة بعض الأغراض الشخصية. ويبدو أيضًا أنها كانت تقيم بالقرب من الأودية للاستفادة من موارد الصيد المائي، إلى جانب تنقلها المستمر في البراري، حيث اعتمد عليها بدرجة كبيرة في جمع الفواكه والبذور البرية، الأمر الذي يعكس تنوع أدوارها وأهميتها داخل مجتمعات ما قبل التاريخ[3].

[1]Gsell (S), 1927, Histoire ancienne de L'Afrique du Nord, T. 6, Librairie Hachette, Paris, p 50.

[2] نضار الاندلسي، الحياة اليومية للمرأة...، المرجع السابق، ص24.

[3] Vamps (G), les Civilisations…, op-cit, p 234.



الصورة 56: المرأة وحمل المنتوجات الفلاحية من رسومات الأكاكوس

المرجع: نضار الأندلسي، المرأة من خلال...، ص 3.

لقد كانت المرأة تعمل ولا تكل منذ بدء وضع البذور في التربة وسقايتها حتى حصادها، ولأنها كانت ترمز بالأرض والخصوبة، لذلك كان موضوع الزراعة متعلق بها[1]، ففي لوحة فسيفسائية عثر عليها في دارة داربوك عميرة بطرابلس تصور عمليات درس في احدى المزارع الريفية بضواحي المدن الثلاثة، ففي احدى جوانب اللوحة تظهر امرأة جالسة على مقعد طويل تحت ظل شجرة كبيرة، رافعة يدها اليمنى تجاه العمال تحثهم على العمل، ومن أمامها الجُرن على هيئة دائرة كبيرة، حيث يقوم حصانان يقودهما رجلان بدرس سنابل القمح، وفي جانب آخر نرى رجلا يقود ثورين، في حين يقوم آخر بجمع سيقان القمح ووضعها داخل الجرن. وفي لوحة أخرى بمدينة لبدة الكبرى تصور مزرعة لأسرة ريفية بسيطة، يبدو من خلالها مجموعة من الفلاحين (رجالا ونساء) يقومون بعزق الأرض[2].

والظاهر أن مكوثها في الكهف الذي يعتبر بيتها وكل عالمها ومملكتها جعلها تهتدي إلى الزراعة وتربية الحيوانات في العصر الحجري الحديث[3]، حيث ساهم ذلك في انتهاء تنقلها المتكرر من أجل القطف والالتقاط وبذلك ساهم في استقرارها[4].

وفي حديثه عن الزراعة، يرجح الباحث فراس السواح ان المرأة هي مكتشفتها -الزراعة- وفسر ذلك بالارتباط الوثيق بين خصوبة الأرض وجسد المرأة[5]، ونظرا لأهمية الحياة الزراعية ببعض المناطق المغاربية فقد أطلق الأهالي على الأرض اسم الآلهة الأم أو كيريس (Cérès)، أين كلفت خاصة برعاية فترات الحصاد وجني الثمار[6]،

---

[1] أشرف نادي احمد حسن، 2010، الامومة في مناظر تماثيل الملوك والافراد في العصرين اليوناني والروماني في مصر، رسالة ماجستير في الاثار المصرية، جامعة القاهرة، ص10.

[2] مصطفى علي محمد نامو، فسيفساء أرضيات بعض الدرات في منطقة المدن الثلاث، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، سلسلة الدراسات التاريخية (ع 97)، الجماهيرية الليبية، 2009، ص ص 211-212.

[3] عماد طارق، المرجع السابق، ص125.

[2] نضار الاندلسي، المرأة والزراعة في تاريخ شمال افريقيا القديم، تطوان، د.ت، ص1.

[5] فراس السواح، لغز عشتار، دار الكندي، سوريا، ط.1،1988 ، ص126.

[6] نضار الاندلسي، المرأة والزراعة...، المرجع السابق، ص ص3-4.

وقدم على شرفها قرابين حيوانية ضمانا لوفرة المحاصيل والثمار، وكذلك قصد التقرب منها، ويعود لها الفضل في كثرة النباتات البرية والحلة الخضراء وتكاثر الحيوانات ووفرة الألبان، وتقلب مظاهر الطبيعة[1].

ومن جهة أخرى، جُسدت آلهات الزراعة والطبيعة في صورة نساء مثاليات يُعتقد أنهن المتحكمات في قوى الخصوبة والنماء، ولذلك كان من الضروري تقديم القرابين لهن سنويًا تكريمًا لدورهن في ضمان استمرارية الحياة. وعلى امتداد التاريخ، نشأت علاقة رمزية بين المرأة والأرض، إذ اعتُبرت المرأة مصدرًا لخصوبة الطبيعة ونمو النباتات والأعشاب ووفرة المراعي والحيوانات. ولهذا السبب أطلق بعض الميثولوجيين القدماء على الأرض اسم "ثيوني(Thyone) "، كما ارتبطت بصورة "الأم كيريس" التي قدّمت الأميرة ديدون على شرفها قرابين حيوانية طلبًا لضمان وفرة المحاصيل الزراعية في مدينتها الجديدة.

ومن هذا المنطلق، انتشرت طقوس كيريس المرتبطة بالقرابين الحيوانية بسرعة في المناطق المجاورة لقرطاجة، نتيجة الاعتقاد بقدرتها على التحكم في الموارد الطبيعية الحيوية ومنح السكان محاصيل زراعية وفيرة خلال مواسم الحصاد. كما حظيت الإلهة تانيت (Tanit) بمكانة مقدسة في قرطاجة[2]، حيث ارتبط رمزها بالسنبلة باعتبارها دلالة على الخصوبة والنماء.

وتكشف بعض مشاهد الفن الصخري بدورها عن إشارات واضحة إلى النشاط الزراعي، كما هو الحال في منطقة صفار، حيث يظهر عدد من الأشخاص وهم يحملون عيدانًا أو أغصانًا طويلة تتفرع من أعلاها، ويُحتمل أنها ترمز إلى البذور أو النباتات الزراعية. وربما يمثل المشهد عملية بذر الحبوب، خاصة مع ظهور أشخاص في أسفل اللوحة في وضعية توحي بقيامهم بدرس الحبوب من خلال السير فوقها. ولا يُعد هذا المشهد الوحيد المرتبط بالزراعة، إذ تتضمن بعض المشاهد الأخرى، مثل لوحة "الآلهات برؤوس الطيور" في جبارين، تمثيلات لسنابل تحملها آلهات أنثوية، في إشارة واضحة إلى ارتباط هذه الشخصيات الرمزية بالزراعة والخصوبة[3].

ظل النشاط الزراعي وتربية الماشية يمثلان الركيزتين الأساسيتين للاقتصاد، إذ استحوذا على الجزء الأكبر من القوى العاملة داخل المجتمع، غير أن ذلك لم يمنع من ظهور أنشطة حرفية أخرى هدفت إلى تلبية مختلف الحاجيات اليومية للسكان. وقد مكّنتنا الاكتشافات الأثرية من التعرف على طبيعة هذه الأنشطة وما أفرزته من مصنوعات وأدوات متنوعة تعكس تطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

وفي هذا الإطار، برز الدور المحوري للمرأة في الحياة الثقافية والاجتماعية، سواء خلال المرحلة التي اعتمد فيها الإنسان على القنص والالتقاط، أو خلال المرحلة اللاحقة التي شهدت استئناس الحيوان وظهور الزراعة.

---

[1] نضار الاندلسي، الحياة اليومية للمرأة...، المرجع السابق، ص27.

[2] نضار الاندلسي، المرأة والزراعة...، المرجع السابق، ص ص 3-5.

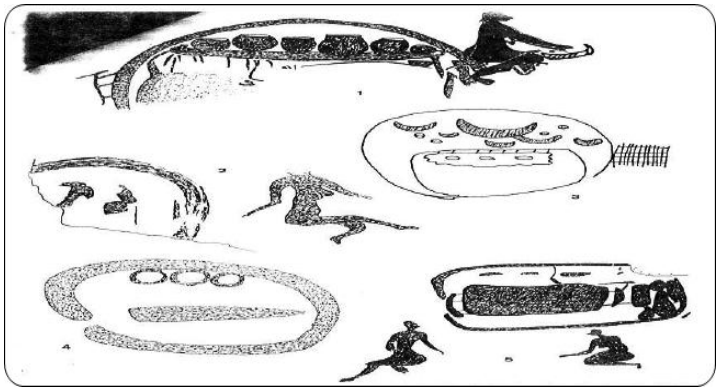
[3] لخضر بن بوزيد، الاثر الديني في مشاهد الرسوم الصخرية لمنطقة الطاسيلي، المرجع السابق، ص111.

وخلال مختلف هذه المراحل، حافظت المرأة على مكانة اجتماعية بارزة، بل مارست أحيانًا وظائف كانت تُعد تقليديًا من اختصاص الرجل[1]. ويشير غزال إلى أن المرأة كانت تتحمل معظم الأعباء اليومية المرتبطة بالحياة المنزلية، بما في ذلك الأعمال الشاقة، حيث كان الرجل يلقي عليها جانبًا كبيرًا من أعباء المعيشة المادية، وهو ما يفسر تعرضها للشيخوخة المبكرة نتيجة قسوة ظروف الحياة[2].

ومع ذلك، عانت المرأة في بعض المجتمعات من أشكال متعددة من التبعية الاجتماعية، إذ اعتُبرت في بعض الأحيان جزءًا من الممتلكات القابلة للبيع في الأسواق، وقد وصف بعض الباحثين المجتمع الليبي القديم بالقسوة في معاملة المرأة، خاصة في ظل الحياة البدوية وهيمنة السلطة الذكورية، حيث أُثقلت بالواجبات اليومية وأُخضعت لسلطة الرجل[3]. كما يؤكد غزال أن المرأة، رغم وجود ظاهرة تعدد الزوجات، لم تتمتع بالمكانة القانونية والاجتماعية نفسها التي حظي بها الرجل، إذ اقتصر دورها أساسًا على تدبير شؤون المنزل والأمومة ورعاية الأطفال، ولم تبدأ في اكتساب بعض الحقوق إلا في فترات متأخرة.

ومن جهة أخرى، تقدم الأدلة الأثرية شواهد واضحة على إتقان المرأة الليبية لصناعة الفخار منذ العصور النيوليتية. وقد تمثل ذلك في نوعين رئيسيين من الخزف؛ الأول خزف يدوي(Modelée) ، يُشكَّل باليد ويُطهى مباشرة على النار، وقد تنوعت أشكاله وزخارفه تبعًا للاستعمالات المنزلية اليومية. أما النوع الثاني، فيُصنع باستعمال الدولاب (Tour) ثم يُطهى داخل الأفران، ما يعكس درجة متقدمة من التطور الحرفي[4].

وتشير بعض مشاهد الفن الصخري في الطاسيلي إلى نساء يمارسن هذه الحرفة، حيث يظهر في أحد المشاهد امرأة تدير الدولاب بقدمها اليمنى لصناعة أوانٍ خزفية متعددة الأشكال، قبل أن تقوم بوضعها في الفرن. كما تجسد لوحة أخرى امرأة جالسة تحرس الأواني التي صنعتها بيديها أثناء تعريضها لأشعة الشمس من أجل تجفيفها، وهو ما يعكس الدور الفعال للمرأة في الإنتاج الحرفي داخل مجتمعات ما قبل التاريخ[5].



[1] حسيبة صفروان، المرجع السابق، ص432.

[2] Gsell (S), H. A. A. N, T. 5, op.cit, p50.

[3] مليكة بلحاج، المرأة بين الديانات الوضعية والديانات المنزلة، مجلة انتروبولوجيا الاديان، مج.9، ع.1، 2013، ص95.

[4] زهية سي فضيل، الضمانات المقررة للمرأة العاملة في التشريع الجزائري والمقارن، اطروحة دكتوراه في الحقوق، غ. م، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2018/2017، ص10.

[5] نضار الاندلسي، الحياة اليومية للمرأة...، المرجع السابق، ص ص39، 40.

الصورة 57: المرأة وصناعة الأواني الخزفية من خلال رسومات طاسيلي تازاريفت، صفار، تادرارت.
المرجع: نضار الأندلسي، المرأة من خلال..، ص 5.

6/ الزينة والتزين: يتيح الفن الصخري إمكانية التعرف على بعض مظاهر الزينة والتجمّل لدى الرجال والنساء في مجتمعات ما قبل التاريخ، حيث تظهر في العديد من المشاهد أشكال متنوعة من الوشم والزخارف الجسدية. ففي موقع تان زوميتاك بالصحراء الوسطى، تظهر امرأة واقفة يغطي الوشم كامل جسدها على هيئة نقاط متتابعة، وأحيانًا في شكل خطوط منحنية أو رسوم ملونة بالأحمر والأبيض تتركز على الذراعين والجانب الأيمن من البطن. ولم يقتصر التزين على النساء فقط، بل شمل الرجال أيضًا، إذ تظهر على أجسادهم زخارف متنوعة، من بينها خطوط تغطي كامل الجسد، ويُحتمل أن تكون لهذه المظاهر ارتباطات ذات طابع سحري أو رمزي[1].

كما تكشف الرسوم الصخرية عن تنوع كبير في تسريحات الشعر وأنماط الحلاقة لدى الجنسين، وهي بدورها لا تخلو من دلالات دينية وسحرية. ومن بين هذه التسريحات ما يشبه القبعة، وهي أكثر انتشارًا لدى النساء مقارنة بالرجال. وتظهر نساء منطقة إيهرن بأشكال متعددة من الزينة والعناية بالمظهر، ما يعكس حرص المرأة على الظهور بصورة أنيقة، ويشير في الوقت نفسه إلى أن مجتمعات الرعاة في الصحراء خلال العصر الحجري الحديث بلغت درجة معتبرة من التطور والرقي الاجتماعي.

ومن خلال دراسة الفن الصخري، أمكن إحصاء أكثر من عشرين نموذجًا لتسريحات الشعر والحلاقات ذات الطابع التجميلي، حيث يتفرع كل نموذج إلى عدة أنماط فرعية. ويُعتقد أن بدايات هذا الاهتمام بالمظهر الجمالي والفني تعود إلى مرحلة "الرؤوس المستديرة". ومن أبرز أنواع هذه التسريحات والحلاقات: الحلاقة ذات القُطيبات، والحلاقة ذات الطاقية، وتسريحة القصوص، والحلاقة ذات القرون، وتسريحات الضفائر، والحلاقة ذات القبعة، وحلاقة الأقنعة، إضافة إلى التسريحات المخروطية المسطحة، وتلك التي تأخذ شكل القبعة الكبيرة[2].

في دراستها عن الحلي من خلال الفن الصخري، أدرجت الباحثة بلخيري تسريحات الشعر والحلاقة ضمن الحلي ومظاهر الزينة، وقسمتها حسب الجنس والفترة الزمنية، فمثلا كان الرجل يتخذ من الحلاقة في شكل قلنسوة تكسوها أشكال دائرية خلال مرحلة الرؤوس المستديرة، أما المرأة فاتخذت من حلاقة مفرقة شعر وسطية، وفي مرحلة الحصان اتخذ الرجل قبعات تزينها ريشة، أما المرأة في مرحلة الرعاة فاتخذت حلاقة على

[1] حسيبة صفروان، المرجع السابق، ص 63.
[2] نفسه، ص 26.

شكل طاقية مستديرة[1]، وظهرت في رسوم تفدست بالهقار متخذة حلاقة على شكل قدر أو جرة مقلوبة، وفي مشاهد أخرى حلاقة على شكل بيضوي ودائري، كما وجدت حلاقة على شكل هندسي وعلى ريشة[2].

ونظرا لأهمية مثل هذه التسريحات في الحياة اليومية من الجانب الفني والعقائدي، يعتقد أن الشعوب في الصحراء الوسطى وغيرها اتخذت أماكن خاصة بالحلاقة وتسريح الشعر، ففي مخبأ "وان إميل" أقصى شرق الطاسيلي ناجر، عثر على مشهد يوضح أحد الأشخاص وهو يمسك شخص آخر وهو منهمك بحلاقة شعره، وبجانبهما مجموعة نساء في حالة انتظار، فسره الباحثون بأنه يمثل قاعة حلاقة حقيقية، حيث يتم تصفيف الشعر ومعالجته بطرق مختلفة[3].

7/ الحلي: ارتدت مجتمعات شمال إفريقيا خلال العصر الحجري الحديث أنواعًا متعددة من الحلي، تميزت بتنوع أشكالها والمواد المصنوعة منها، حيث استُخدمت الحجارة الملونة والمصقولة، والعظام، وبيض النعام، إضافة إلى أصداف المحار في صناعتها. ومن أبرز هذه الحلي القلائد والأساور والأقراط والحلقات التي كانت تُوضع حول الرقبة والمعصمين، إلى جانب الأختام والخلاخل والنيّاط المثقوبة.

كما استعملت الجماعات الرعوية أدوات وزينة أخرى، من بينها الأقنعة والمجوهرات وبعض المصنوعات الجلدية والليفية، وقد ارتداها الرجال والنساء على حد سواء. ولا يُستبعد أن تكون هذه الحلي والزخارف قد تجاوزت وظيفتها الجمالية، لتؤدي أدوارًا رمزية ودينية وسحرية، إذ ربما استُخدمت لجلب الحظ، ودرء النحس، والحماية من الأرواح الشريرة، في إطار المعتقدات السائدة لدى تلك المجتمعات.

كشفت لنا العديد من المواقع سواء في الشمال أو في الجنوب التي تنتمي للباليوليتي المتأخر والنيوليتي عن أنواع كثيرة من الحلي، فمثلا موقع تن هناكتن تعتبر من أكثر المواقع التي وجدت بها بقايا من الحلي على سبيل المثال تم الكشف عن قشور بيض النعام المزخرف وغير المزخرف، ودوائر منها مصقولة ومثقوبة على شكل قلادة، وقطع قواقع نهرية، قشور قوقعة السلحفاة المهيأة، قطع الأساور الحجرية، خواتم عظمية متعددة، وفي موقع ادو تيسوكاي وجدت في احدى الطبقات الستراتيغرافية على لؤلؤة مزخرفة جيدا ومصنوعة من قشور بيض النعام، وبموقع أمكني اكتشفت نياط مثقوبة، عقود قشور بيض النعام مع أصداف نهرية، فضلا عن مجموعة من الأساور والخلاخل على شكل دوائر حجرية تستعمل لتزيين الأيدي والأرجل[4].

---

[1] لويزة بلخيري، دراسة الحلي من خلال الرسم الصخري للطاسيلي ناجر (الصحراء الوسطى)، مذكرة ماجستير في تخصص ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2011-2012، ص 45.

[2] سيدي محمد ايباه، المظاهر الثقافية والأنماط المعيشية من خلال الرسومات الصخرية بتفدست (الهقار)، مذكرة ماجستير في تخصص ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2011-2012، ص 191.

[3] امحمد وابل، المرجع السابق، ص ص 200-201.

[4] نفسه، ص 204.

وإذا عدنا للفن الصخري فيمكن استخراج عدة أنواع وأشكال للحلي، وهي تتوافق مع نتائج التنقيبات الأثرية، حيث نلاحظ مشاهد للأساور التي تركب في الأيدي والأرجل والعقود والنوط، ومن خلال الفن الصخري يقر الباحثون بأن الحلي قد تطور من مرحلة للأخرى، فبعدما ظهر بشكل بسيط في فترة الصيادين كان أكثر تطورا في فترة الرؤوس المستديرة والرعاة والحصان، وفي دراستها للفن الصخري لمرحلة الرؤوس المستديرة في منطقة تان زوميتاك بالطاسيلي، وضحت نوع الحلي التي تزين بها الرجل على شاكلة حلقات بسيطة وعقود على الصدر أو طوق تمتد منه أشرطة متوازية حتى الصدر، وكذلك أساور من الألياف تمتد من المعصم إلى المرفق، أشرطة مربوطة على المرفق الأيسر وأقراط قرصية الشكل وأسورة بسيطة وأكياس مربوطة على المرفق، أما المرأة فقد تزينت بعقود تتكون من شريط جلدي مع خيوط متوازية تمتد إلى الصدر، وأكياس صغيرة معلقة على الساعدين، أكياس كبيرة معلقة على المعصمين، أساور بسيطة على المعصم وعلى المرفق، حلقات بسيطة على الركبتين[1].

نستنتج في الأخير أن الانسان خلال العصر النيوليتي شهد ثورة اقتصادية وفكرية واضحة المعالم، بحيث زاوج بين الأنشطة الاقتصادية من صيد واستئناس للحيوان ورعي، وممارسة الزراعة وبعض الأنشطة الحرفية، وهذا ما صورته الرسوم والنقوش الصخرية وأكدته الأبحاث الأثرية، وفي الناحية الاجتماعية تمكن الانسان من تنويع أماكن اقامته من أكواخ ومخابئ ومغارات، وكذلك كان له تنويع في الوجبات الغذائية، حيث توصل إلى التنسيق بين الأغذية النباتية والحيوانية، كما أنه اهتم بأمور مظهره من خلال تطوير اللباس والاهتمام بالجوانب الجمالية مثل الاعتناء بالشعر وتصفيفه، كما ابتكر أدوات لتزيينه مثل الحلي ومختلف الأدوات التجميلية.

[1] لويزة بلخيري، المرجع السابق، ص 45.

المحاضرة الثانية عشر: فجر التاريخ في شمال إفريقيا

ان الدارس المتتبع لمسيرة الحضارة البشرية، وبعد دراسته لعصور ما قبل التاريخ والتطور الحضاري الذي مر به الفكر البشري من حضارات العصر الحجري القديم فالعصر الحجري الاوسط وصولا الى العصر الحجري الحديث، لكن بعد هذا التتبع يجد الدارس نفسه عند الخروج من دراسته لعصور ما قبل التاريخ أمام مجال جديد للبحث والدراسة هو مجال فجر التاريخ والذي يعتبر مرحلة انتقالية مهمة، إذ أنها تفصل وتوصل في آن واحد بين البحوث ما قبل التاريخية والتاريخية، كما أنه مرحلة تضع حدا لعصور طويلة تعاقبت فيها تقلبات مناخية عالمية كان لها تأثيرها على سير الحضارة بصفة عامة، أما بالنسبة لفترة فجر التاريخ في شمال افريقيا فيشكل موضوع جدال كبير بين الباحثين وتكمن صعوبته في تعيين الحدود الكرونولوجية وتشخيص سماته الحضارية.

أولا/ تعريف فجر التاريخ

1/ لغة: من الناحية اللغوية أو الايتيمولوجية فهي تعني Protohistoire، وينقسم المصطلح إلى قسمين؛ Protos وهي كلمة إغريقية وتعني الشيء الأول أو البدائي، والجزء الثاني مأخوذ من الكلمة اللاتينية Historia، بمعنى التاريخ، ومن هذا المنطلق فإن المصطلح يدل على بداية التاريخ أو فجر التاريخ، وتختلف الدلالات الزمنية لهذه الفترة من منطقة إلى أخرى، وعلى العموم ترتبط بدايتها بتحديد نهاية العصر الحجري الحديث وظهور الوثيقة المدونة[1].

2/ اصطلاحا

لقد اهتم الكثير من المختصين ابتداء من القرن العشرين بتوضيح مفهوم فجر التاريخ، و بما أنه من الضروري تحديد فترة فجر التاريخ في إطاريه الزمني والثقافي، يجب علينا تسليط الضوء على بعض التعريفات والتوضيحات لفجر التاريخ التي اهتم بها بعض الباحثين، ولقد تضارب مصطلح فجر التاريخ في مقاييس مفهومه، لكن مصدر هذه التسمية فرنسي، حيث يطلق من طرف الباحثين الاوربيين بصفة عامة على فترة تاريخ البشرية المحصورة ما بين فترة ما قبل التاريخ التي تسبقها والعصور التاريخية التي تليها، وتسمى مرحلة فجر التاريخ بأسماء مختلفة حسب المدارس، فقد اطلق الغربيون عليها في الشرق الادنى مثلا : مصطلح ما قبيل الأسرات، كما أطلق عليها أيضا مصطلح ما قبيل التاريخ، أما الالمان والفرنسيون فأطلقوا مصطلح فجر التاريخ وهو المصطلح الأكثر تداولا.

---

[1] بدر الدين سلاحجة، التعمير البشري لفترة فجر التاريخ بمنطقة بسكرة -جبال الزاب-، أطروحة دكتوراه علوم تخصص آثار ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2019-2020، ص 38.

وتجدر الاشـارة في هذا الشـأن الى أن هناك عدة تعريفات توضح تضـارب كبير في تحديد مفهوم فجـــر التاريخ، وقد تنفرد هذه الفترة بطابع خاص بسبب الاختلافـات الكبيرة ما بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية القديمة، ومن ناحية التعريف العام، فإن فترة "فجر التاريخ" تبدأ بظهور المعادن وتنتهي باكتشـاف الكتابة، لكنها تحمل أيضـا العديد من الرموز الأثرية التي تربطها بفترة ما قبل التاريخ من الناحية الاجتماعية والثقافية، وكذلك بالفترات التاريخية من الناحية الاقتصـادية، فأهم ما يميزها هو ظهور صـناعة المعادن مع الاستمرار في ممارسة نشاطات ثقافية وعقائدية وليدة العصر الحجري الحديث.

يعتمد العديد من الباحثين على المضـمون الأثري في تعريف فترة فجر التاريخ، ومن اهم التعريفات التي وردت في المراجـع المتخصصة في الاثار نذكر :

الموسوعة الكونية العالمية : "هو العلم الذي يجمع بين معارف السكـــان عديمـــي المعـــرفة بالكتابة ويكونون معاصـرين لأولى الحضـارات التاريخية، فبالنسـبة لأوروبا كانت تتعلق أسـاسـا بالألفيتين قبل المسـيح الموافق لعصـــر المعادن أي الفترة التي يغطيها تلي عصـــر ما قبل التاريخ بالمعنى الدقيق للكلمة، ففجر التاريخ ليست مجرد فترة انتقـالية ما بين ما قبل التاريخ والتاريخ فحسب، ولكن بمثابة مرحلة التطور الانساني الذي شـهد على وجه الخصـوص اكتشـاف وتطوير المعادن من نحاس وبرونز وحديد، بالإضـافة الى ظهور مختلف الجوانب الاقتصادية كالتجارة بالمعادن والادوات المصنعة، والدين كعبادة الشمس وحرق اجساد الموتى"[1].

اما **جوزيف ديشـلات** Dechelette فيعتبر فترة فجر التاريخ بأوروبا بأنها: "مرحلة انتقالية أو فاصـل ما بين ما قبل التاريخ والتاريخ بما يتنـاسب مع عصري البرونز والحديد، وزمـــنيا مع الالفيتين الاخيرتين قبل الميلاد"، ويجدر الـــذكر على ان ديشلات يعد اول باحـــث عرف هذه الفتـرة[2]، وفي سنة 1970 حدد **جان بيارميلوت** : فترة فجر التاريخ في مجالها الاوربي بمثـــابة مجموع عـصر المعـــادن (النحاس، البرونز، الحديد)، وهو نفس الرأي نجده عند الباحث **برياد** Briad، حيث يرى أن المصطلح يقابل فترة ظهور وصناعة المعادن في أوربا والذي يقابل تاريخيا الألف الثانية ق.م، والتي تحمل دلالات أصلية لتطور الانسان[3].

ومن جهته يرى الباحث Otte أن مصطلح فجر التاريخ يدل على أحدث فترة في عصور ما قبل التاريخ، وهو يشير إلى فصل الفترات السابقة لممارسة الزراعة، والي تندرج ضمن ما قبل التاريخ، وتعيين ما بعدها بمصطلح فجر التاريخ أين أصـبحت المجتمعات مسـتقرة ومنتجة، ويبقى مدى تطورها مرتبطا بالمنطقة التي تنتمي إليها، وهي تنقســم على ثلاث مراحل؛ أولها ترتكز على التحكم في الإنتاج الغذائي، تليها فترة تميزت بتحويل وصـناعة

---

[1] مراد زرارقة، المعالم الجنائزية والهيئات السكنية لحوض بومرزوق في بداية العصور التاريخية، أطروحة دكتوراه في الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2012-2013، ص 26.

[2] Dechelette (J.), Manuel d'archéologie protohistorique, celtique et galloromain. t. II, Edit. Auguste Picard, Paris, 1910, p 2.

[3] Briard (J). La protohistoire de Bretagne et d'Armorique. Edit. Errance,coll. Hespérides, Paris, 1991, p 122.

المعادن، وأخيرا متزامنة مع ظهور الكتابة في مناطق أخرى من العالم[1]، ومن أهم التعريفات الأكثر وضـــوحا ما ذكره بريار Braird بأن فجر التاريخ علم يشـــمل مجموعة معارف حول الشـــعوب التي لم تعرف الكتابة والتي زامنت الحضارات التاريخية الأولى، فهي مرحلة عادية لانتقال الانسان من عصور ما قبل التاريخ إلى العصور التاريخية حيث عرف فيها صناعة المعادن.

قدّم بورديي سنة 1950 تعريفين لمفهوم فجر التاريخ، حيث استهل تعريفه الأول بتحديد الإطار الزمني لهذه المرحلة الممتدة من اكتشاف التعدين إلى ظهور الكتابة. غير أنه رأى أن التقدم الحاصل في دراسة آثار المشرق فرض إعادة النظر في الفاصل الزمني بين هذين الحدثين، الأمر الذي جعل فجر التاريخ لا يُنظر إليه باعتباره مجرد مرحلة زمنية محددة، بل كنمط حضاري يرتبط في معظمه بالفترة التاريخية، أي بالفترات اللاحقة لظهور الكتابة، ولكن دون استعمالها بشكل فعلي. ومن هذا المنطلق، اعتبر أن فجر التاريخ لا يعدو أن يكون "شبه تاريخ .(Une para-histoire) "وفي المقابل، يرى أن فترات ما قبل التاريخ التي عرفت فنًا تصويريًا حاملاً لرموز ودلالات، تمثل انتقالًا من مرحلة ما قبل التاريخ إلى التاريخ، وهو ما يؤهلها لأن تُصنف ضمن فجر التاريخ[2].

أما في مقاله الثاني، فقد ذهب بورديي إلى أن من الأنسب إطلاق مصطلح فجر التاريخ على المرحلة الوسيطة بين ما قبل التاريخ والتاريخ. ولهذا اقترح أن تبدأ هذه المرحلة مع ظهور الفن التصويري للعصر الحجري القديم الأعلى، باعتباره أصلًا من أصول الرمزية التي ستقود لاحقًا إلى ظهور الكتابة. ووفق هذا التصور، يصبح التاريخ هو عصر الكتابة، بينما يمثل فجر التاريخ عصر التصوير والرموز الممهدة لها.

ويضيف بورديي أن مراحل ما قبل التاريخ وفجر التاريخ والتاريخ ليست سوى محطات كبرى متعاقبة في مسار الإنسانية، وأنها تبدأ نظريًا في الوقت نفسه بالنسبة لجميع الشعوب، بغض النظر عن مستوى تطورها الحضاري، تمامًا كما هو الحال بالنسبة للتقويم الميلادي الذي يشكل مرجعًا زمنيًا موحدًا للبشرية على اختلاف معتقداتها وثقافاتها[3].

ثانيا/ خصائص فترة فجر التاريخ

- تُمثل مرحلة فجر التاريخ الفترة الانتقالية التي انتقل خلالها الإنسان من عصور ما قبل التاريخ إلى العصور التاريخية، وقد تميزت هذه المرحلة بجملة من التحولات الحضـــارية المهمة. ومن أبرز مظاهرها ظهور المعادن واستعمالها، خاصة النحاس والبرونز والحديد، الأمر الذي ساهم في تطوير الأدوات ووسائل الإنتاج.

[1] Otte (M), La Protohistoire. Avec la Collaboration de M. David-Elbiali, C. Éluère, J-P Mohen et P. Noiret.Ed. De Boeck, Bruxelles, 2008, pp 8-10.
[2] Bourdier F., Sur la définition de la protohistoire B.S.P.F. 1950, T° 47, N° 5, p 211
[3] Bourdier F., Préhistoire et protohistoire. Bulletin de la Société préhistorique française. 1950, T° 47, N° 11-12. p. 551.

- كما شـهدت هذه المرحلة تحولًا في نمط الحياة الاقتصـادية، حيث انتقل الإنسـان من مرحلة الاكتفاء الذاتي إلى مرحلة تقسـيم العمل وتنوع الأنشـطة الإنتاجية، مما أدى إلى بروز تخصـصـات حرفية ومهنية مختلفة داخل المجتمع.

- وعلى المسـتوى الديني، عرفت هذه الفترة تطورًا في المعتقدات المرتبطة بالحياة بعد الموت، ويتجلى ذلك من خلال المعالم الجنائزية التي احتوت على لوازم وأدوات دُفنت مع الموتى، في إشـارة إلى الإيمان باسـتمرار الحياة في العالم الآخر.

- أما من الناحية الاجتماعية والاقتصادية، فقد اتجه الإنسان إلى العيش ضمن تجمعات بشرية أكثر تنظيمًا واستقرارًا، مع تطور ملحوظ في استخدام الفخار والأدوات المعدنية في الحياة اليومية. كما عرفت هذه المرحلة توسعًا في المبادلات التجارية والاتصالات الثقافية بين مختلف الجماعات السكانية، وهو ما ساهم في انتقال الأفكار والتقنيات والعادات بين المجتمعات.

ثالثا/ فجر التاريخ في شمال افريقيا

1/ اشكالية تحديد فجر التاريخ زمنيا

تُعد فترة فجر التاريخ في شـمال إفريقيا من أكثر المراحل تعقيدًا من الناحية الكرونولوجية، الأمر الذي أدى إلى بروز نقاشـات واسـعة واختلافات واضحة بين الباحثين حول مفهوم هذه المرحلة وحدودها الزمنية، سـواء من حيث بدايتها أو نهايتها. ويتجلى هذا الاختلاف في الدراسـات التي أنجزها عدد من الباحثين، من بينهم اسـتيفان غزال (Gsell) خلال الفترة الممتدة بين سـنتي 1901 و1929، ثم أعمال ريغاس (Reygasse) سـنة 1950، وأبحاث كامبس (Camps) سـنة 1961، إلى جانب مسـاهمات باحثين آخرين اهتموا بهذه المرحلة الانتقالية.

وقد ركزت أغلب الدراسـات المتعلقة بفجر التاريخ على المعالم الجنائزية بمختلف أنواعها، وطرق الدفن، وتحليل اللقى والمرفقات الجنائزية المرتبطة بها، باعتبارها من أهم المصـادر التي تسـاعد على فهم المجتمعات القديمة خلال هذه الفترة. ورغم النتائج والتفسـيرات التي توصـل إليها الباحثون، فإن مرحلة فجر التاريخ ما تزال تتسـم بالغموض في العديد من جوانبها العلمية والتاريخية، خاصـة فيما يتعلق بتحديد إطارها الزمني بدقة.

وتجدر الإشـارة إلى تعدد التعريفات الخاصـة بمفهوم فجر التاريخ، وهو ما يعكس حجم التباين في تحديد خصـائص هذه المرحلة بالمنطقة. وعلى العموم، اعتمد معظم الباحثين على المعالم الجنائزية بوصـفها المؤشـر

الأساسي لتعريف هذه الفترة. ويُعتبر بول بلاري أول من وضع هذه المخلفات، من معالم جنائزية وغيرها، ضمن إطار منهجي وكرونولوجي خاص، عندما أطلق عليها مصطلح "فجر التاريخ" سنة 1909.[1]

وفي المقابل، استعمل ريغاس مصطلح "أسبق" أو "ما قبل الإسلام" بدلًا من مصطلح فجر التاريخ[2]، ويقصد به كل الفترات والحضارات السابقة لظهور الإسلام، سواء كانت ما قبل تاريخية أو تاريخية أو ليبية-بونية[3]، إضافة إلى مختلف المعالم الجنائزية التي تعود إلى الفترات اللاحقة للعصر الحجري الحديث والسابقة للعهد الإسلامي[4].

أما ليونال بالو (Balout)، فقد عرّف فجر التاريخ سنة 1955 بأنه "المدخل أو الحجرة الخلفية للتاريخ"، مشيرًا بذلك إلى أن المفهوم يعكس محدودية المعارف المتوفرة أكثر مما يحدد فترة زمنية دقيقة. في حين يرى الباحث بريان أن فجر التاريخ يمثل المرحلة المتزامنة مع ظهور أولى الحضارات التاريخية، وهي مرحلة تطورية شهدت تعرف الإنسان على أنشطة جديدة، مثل تطوير الرعي، والصناعات المعدنية، إلى جانب تنامي الاهتمام بالحياة الفنية والمعتقدات الدينية.

يشير الباحث سينتاس (Cintas) إلى أنه في ظل غياب النصوص المكتوبة يمكن اعتبار المراحل البونية أقرب إلى الانتماء إلى فترة فجر التاريخ منها إلى الفترة التاريخية. غير أن هذا الطرح قد تعرّض لانتقادات من طرف كامبس(Camps) ، الذي اعتبره غير دقيق من الناحية العلمية وضعيفًا من حيث الاستنتاجات.

وفي المقابل، يوضح كامبس أن فترة فجر التاريخ في بلاد المغرب (شمال إفريقيا) تتميز بخصوصيات واضحة تجعلها مختلفة عن كل من عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية، وذلك بالنظر إلى الفجوة الكبيرة الفاصلة بين هاتين المرحلتين. كما يعرّف هذه الفترة بوصفها مجالًا لدراسة الأصول البربرية، إلى جانب كونها شكلًا من "علم الآثار الريفي."

ويعرّف كامبس علم الآثار الريفي بأنه دراسة تشمل الفترات المعاصرة أو السابقة أو اللاحقة لحضارة تاريخية معينة، مع الإشارة إلى محدودية المعطيات المتوفرة حول حياة السكان المحليين من الجانبين الاجتماعي والاقتصادي، خاصة خلال الفترة التي سبقت وبداية العهد الروماني[5]، ويضيف الباحث أن الاهتمام بفجر التاريخ سبق في بعض جوانبه الاهتمام بعصور ما قبل التاريخ، غير أن هذا المجال لم يحظَ بالعناية الكافية، مما جعله يبقى غامضًا في العديد من جوانبه. ويُرجع هذا الغموض أساسًا إلى غياب

---

[1] بدر الدين سلاحجة، المرجع السابق، ص 41.

[2] Reygasse (M), Les Monuments funéraires préislamiques de l'Afrique du Nord. A.M.G, Paris, 1950, p 135.

[3] مصطفى الرميلي، دراسة أثرية للمعالم والطقوس الجنائزية لفجر التاريخ بمنطقة الحضنة، أطروحة دكتوراه علوم تخصص آثار ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، ص 26.

[4] عزيز طارق ساحد، المعالم الجنائزية لمنطقة نقاوس، مقبرة سفيان، الحضنة الشرقية، مذكرة ماجستير في علم آثار ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، ص 35.

[5] بدر الدين سلاحجة، المرجع السابق، ص 42.

الاختصاصيين، ونقص المناهج البحثية الملائمة، إضافة إلى قلة الحفريات الأثرية المنظمة، وهو ما حال دون تحقيق تقدم كبير في دراسة هذه المرحلة.

استنادًا إلى المعطيات والنتائج الأثرية المتوفرة في بلاد المغرب عمومًا والجزائر خصوصًا، يعرّف كامبس فترة فجر التاريخ بوصفها مرحلة المعادن، التي تتزامن مع العهد البوني، معتبرًا أنها تمثل "عالم البربر القديم" اعتمادًا على دراسته لمادة الفخار. وفي موضع آخر، يؤكد أن هذه الفترة في شمال إفريقيا تتميز بخصوصيات واضحة، ناتجة عن الفوارق الكبيرة بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية، ويعيد تعريفها باعتبارها مجالًا لدراسة الأصول البربرية، وشكلًا من أشكال "علم الآثار الريفي"[1].

وفي هذا السياق، عُقد خلال شهر أكتوبر من سنة 1986 ملتقى علمي بالمعهد الوطني للآثار والفنون بتونس (المعهد الوطني للتراث حاليًا)، قدّم خلاله كامبس مداخلة بعنوان: "فجر التاريخ في شمال إفريقيا – مسألة مصطلح"، حيث تناول الموضوع من منظور أثري ومنهجي قائم على أسس علمية. وقد أفضت هذه المقاربة إلى مراجعة بعض آرائه السابقة، خاصة فيما يتعلق بنسبة المعالم الميغاليثية إلى فترة فجر التاريخ، باستثناء تلك الواقعة في المناطق الصحراوية. كما قام بتأريخ بعض هذه المعالم، مثل سيلات ذات الطابع شبه القلعي (شوشات) في حدود 1530 ± 100 سنة بعد الميلاد، ومعالم تيت في حدود 1300 ± 100 و1270 ± 100 سنة بعد الميلاد.

وقد عبّر كامبس عن صعوبة هذا العمل بقوله إن "المهام التي أنا بصددها مخيفة، ومن الآن فصاعدًا أعلم أنني سأُؤسف القارئ"، في إشارة إلى حساسية النتائج التي توصل إليها. ورغم هذه المراجعات التي بدت مفاجئة ومخالفة لبعض أطروحاته السابقة التي ظل متمسكًا بها منذ خمسينيات القرن الماضي، فإنه سعى إلى الحفاظ على اتساق منهجي من خلال ربط مصطلح فجر التاريخ بالمعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية من زاوية معمارية.

ومع ذلك، لا يزال العديد من الباحثين، حتى في الوقت الراهن، ينسبون هذا النوع من المعالم الجنائزية في منطقة شمال الصحراء وصولًا إلى ضفاف البحر الأبيض المتوسط إلى فترة فجر التاريخ، وفق التصورات والمصطلحات والتأريخ المستمد من النموذج الأوروبي.[2]

يعرّف الباحث ساحد فترة فجر التاريخ في شمال إفريقيا بأنها مرحلة انتقالية شهدت بروز مظاهر ثقافية وحضارية متعددة ومتنوعة، تمثلت في تنظيم نمط عيش بسيط نسبياً، واستخدام أدوات جديدة مثل الفخار المملس والأدوات المعدنية، إلى جانب تطور الفن الصخري وظهور ممارسات الزراعة والمسكن المستقر، كما تميزت هذه المرحلة بظهور عادات جنائزية جديدة لم تكن معروفة من قبل، حيث عمدت هذه المجتمعات إلى

[1] Camps (G), Aux origines…, op-cit, pp 38, 342.

[2] مراد زرارقة، المرجع السابق، ص 28.

اعتماد تقاليد مختلفة في إعداد القبور وطرق دفن الموتى، سواء في شكل دفن فردي أو جماعي. ويمكن اعتبار هذه الممارسات انعكاسًا لمعتقدات ذات طابع تعبدي، تقوم على تصور علاقة مستمرة بين الأحياء والأموات، وهو ما يسمح باستنتاج بعض الجوانب المتعلقة بالطقوس والممارسات الجنائزية في تلك الفترة.

ومن هذا المنظور، يرى ساحد أن شمال إفريقيا عرفت فجر التاريخ كمرحلة تلي العصر الحجري الحديث، وتتزامن أو تسبق وتواكب الوجود البوني، غير أن تحديد نهاية هذه المرحلة يظل غير واضح ودقيق، بسبب عدة عوامل، من أهمها النقص الكبير في الأبحاث الميدانية، الذي يشكل عائقًا أساسيًا أمام تحديد مفهوم فجر التاريخ وتحديد حدوده الزمنية بشكل علمي دقيق[1].

في ظل تعدد المحاولات التعريفية التي طُرحت بشأن فترة فجر التاريخ، يبقى ضبطها زمنيًا مسألة في غاية الصعوبة، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل، من أبرزها قلة الأبحاث المتخصصة في هذه المرحلة، إضافة إلى غياب إجماع علمي حول الخصائص التي تميزها عن المراحل الحضارية السابقة لها أو اللاحقة. وفي الواقع، تشير مختلف المؤشرات الحضارية المستخلصة من المعالم والمقابر الجنائزية إلى أن فجر التاريخ يمثل امتدادًا حضاريًا لمرحلة ما قبل التاريخ، حيث ترسخت وتطورت خلاله ممارسات إنسانية متنوعة، شملت الجوانب الاجتماعية والدينية والاقتصادية والثقافية، وهو ما مهد تدريجيًا للانتقال نحو العصور التاريخية. وبناءً على ذلك، يصعب فصل هذه المرحلة بشكل قاطع عن المسار التطوري للإنسان في شمال إفريقيا[2].

وقد اتفق عدد من الباحثين على أن بداية فجر التاريخ ترتبط بانتهاء عصور ما قبل التاريخ، بينما تتحدد نهايته بظهور الوثيقة المكتوبة. غير أن بدايته تبقى غير دقيقة ومحل خلاف، نتيجة نقص المعطيات الأثرية والشواهد التاريخية الكافية. وعلى الرغم من ذلك، يذهب بعض الباحثين إلى تحديد بدايته في حدود 3000 سنة قبل الميلاد بالنسبة لبلاد المغرب. ويرى الأستاذ محمد خير أورفلي أن بلدان شمال إفريقيا دخلت مرحلة فجر التاريخ خلال النصف الثاني من الألف الثانية قبل الميلاد، في حين يعتبر عبد اللطيف محمود البرغوثي أن هذه المرحلة بدأت مع عصر المعادن في منطقة حوض البحر المتوسط خلال الألف الثانية قبل الميلاد.

ويشير هذا الأخير إلى أن فجر التاريخ في إفريقيا ظل مقتصرًا على المناطق الواقعة شمال الصحراء الكبرى دون أن يمتد إلى مناطقها الجنوبية. أما فيما يتعلق بنهايته، فهي الأخرى تبقى غامضة، إذ يربطها بعض المختصين بظهور الوثيقة المكتوبة، والتي تُقدَّر في بعض الدراسات بحوالي 1500 سنة قبل الميلاد.

ويرى بعض الباحثين أن نهاية فترة فجر التاريخ يمكن ربطها بالدخول الفينيقي إلى شمال إفريقيا وتأسيسهم لأولى المستوطنات، مثل مدينة أوتيكا (Utica) حوالي سنة 1100 ق.م، وفي هذا السياق، يذكر

[1] عزيز طارق ساحد، المرجع السابق، ص 37.

[2] بدر الدين سلاحجة، المرجع السابق، ص 45.

غزال (Gsell) أن للفينيقيين دورًا مؤكدًا ومهمًا في تطور الحضـــارة بشـــمال إفريقيا، غير أنه يشـــدد في الوقت نفســـه على ضـــرورة عـدم المبالغـة في حجم هـذا التـأثير. ومع ذلـك، يمكن القول إن الوجود الفينيقي يمثل بالنسبة لشمال إفريقيا بداية العصور التاريخية، ولا سيما بعد تأسيس أوتيكا سنة 1101 ق.م.

ومن جهته، يوضح كامبس (Camps) أن دراسـة سـكان ما قبل التاريخ في شـمال إفريقيا، أو ما يُسـمى أحيانًا بمرحلة ما قبل "العصر الحضاري البربري الريفي"، تعتمد أساسًا على مصدر وحيد تقريبًا للمعرفة، يتمثل في نتائج الحفريات الأثرية داخل المعالم الجنائزية. إلا أن هذه المعطيات تبقى محدودة ومجزأة، ولا تقدم في كثير من الأحيان سوى إشارات غير مكتملة ما تزال محل نقاش وتفسير، ولا ترقى إلى مستوى اليقين العلمي.

ويضـــيف كامبس أن هذه المقاربة تقوم على افتراض أســـاســـي مفاده أن المعالم الجنائزية وما تحتويه من لقى وطقوس تعكس بصورة مباشرة الواقع التاريخي والاجتماعي، وهو افتراض لا يخلو من الهشاشة المنهجية. وبناءً على ذلك، فإن المعارف المتوفرة حول هذه المرحلة تبقى في أغلبها مسـتندة إلى نتائج حفريات غير مكتملة، وفي المحصـــلة، وعلى الرغم من تعدد التحديدات وتباين الآراء حول هذه الفترة، فإن فجر التاريخ يظل مرحلة غامضـــة من الناحيتين المنهجية والحضـــارية، يصـــعب ضـــبطها بدقة، ســـواء من حيث إطارها الزمني أو خصائصها الثقافية[1].

2/ تاريخ الأبحاث في مجال فجر التاريخ

كما أشرنا سابقا اقتصر عمل الباحثون والمختصون في دراستهم لفجر التاريخ في شمال إفريقيا على المعالم الجنائزية من الناحية المعمارية ومن حيث الانتشار، مع دراسة المرفقات والطقوس الجنائزية المستخلصة من نتائج الحفريات الثرية بالمعالم الجنائزية رغم قلتها.

كانت أولى اللّمحات حول المعالم الجنائزية من نوع المصاطب تعود للقرن الثامن عشر وكان هذا الاكتشاف من قبل قنصل بريطانيا شاو Shaw وشابيلان Chapelain، عندما وصف لنا مصاطب بني مسوس، ثم يليه الطبيب "Guiyon J.L" الذي كان يرافق الجيش الفرنسي في حملاته، بالإضافة إلى العسكري Rozet الذي اهتم بالمعالم الجنائزية.

أما في الشرق الجزائري ومع سقوط مدينة قسنطينة، بدأت أولى الاكتشافات الأثرية مع دورو ثم دولامال Dureau de la malle وبيربروجر Berbrugger، دولامار Delamare، فيرود Féraud، دو بايسون De Boysson، ليتورنو Letourneux، بايين Payen عندما كانوا يرافقون الفرق العسكرية كما حدثت في مصر، فأخذوا في جمع العديد من الملاحظات والرسومات، وتركزت أعمالهم في الركنية ورأس بومرزوق، غاستيل وبونوارة وايشوكان[2].

---

[1] طارق عزيز ساحد، فترة فجر التاريخ في الجزائر: حالة معارف، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 11، ع 2، ص ص 119-120.

[2] نفسه، ص ص 108-109.

ومن بين أشهر الباحثين في هذا الميدان الذين كانوا يدافعون عن فكرة إنشاء هذه المعالم من طرف سكان شمال أوربا، نجد كل من المترجم العسكري فيرود Feraud الذي بدأ في الأبحاث الأثرية منذ سنة 1860 والذي أصبح من بعدها رئيسا للجمعية التاريخية الجزائرية 1876- 1860م، فقد قام بحفرية أثرية سنة 1863 على مصاطب راس عين بومرزوق رفقة عالم العظام الانجليزي Christy وقد نسب هذه المعالم إلى الحضارة الغالية-الرومانية، التي يقول أنها انتشرت في شمال افريقيا، غير ان ذلك ليس له مدلول علمي، وتطرق ليتورنو لمسألة هذه المعالم الجنائزية ونسبها للأصل البربري، الإضافة إلى فريق آخر أشتهر أيضا بالحفريات والدراسات المتعلقة بالمعالم الجنائزية الخاصة بالشرق الجزائري أمثال Logeart Bourjot، Martin،Bertrand ، Berbrugger ،Reboud، Vel Galles، Chabassiere، Boysson في كل من مقابر الركنية، رأس العين بومرزوق، قاسطل، بونوارة، سيقوس، بوشن، سيلا وتيركابين. ونسبها إلى سكان بروطون وغاليين.

- رأس العين بومرزوق: حيث أجرى التنقيبات به كل من فيرود، كريستي christy سنة 1863، ثم شابسيير Chabassiere مابين 1887-1886 ومن بعده بلاري.
- جبل المراح: كشف السيناتور مارتين Martin على 9 مصاطب وبازينا واحدة، ثم قام فروبينيوس Frobenius بالبحث في نفس الموقع.
- الركنية: لقت تمت الحفريات الأولى على يد بيربروجر سنة 1864 ولوتورنو وشميت Schmit سنة 1865 غير أن أهم الحفريات تلك التي قام بها بورقينا Bourguignat[1] وفيدراب سنة 1867 وكذا حفرية السيدة Alquier سنة 1932، وبلوخ Bloch وغابريال كامبس.
- مقبرة سيلا: قام فال Vel سنوات 1905-1904 باستطلاع للموقع من طرف Mennetrier سنة 1910، وVicrey سنة 1943، وفي سنة 1914 تولى الألماني بروبينيوس التنقيب، ليختم Logeart على عدة سراديب.
- مقبرة ذراع بوتومي: قام بزيارته شباسيير سنة 1889م ثم تولى دراسته كل من فال Vel سنة 1989[2].
- مقبرة سيقوس: أول من زارها دولامار سنة 1850، ثم شاربونو وريبود سنة 1863، ثم Maumené سنة 1915، وبعدها نفذ توماس Thomas بالتنقيب سنة 1877، ثم قام شابسيير سنة 1886.
- مقبرة بووشن: أجريت الزيارة الأولى من قبل موميني سنة 1901، وفال سنة 1905، وVicrey سنة 1930[3].

[1] Bourgignat (Gr), Histoire des monuments mégalithiques de Roknia près de Hammam Maskhoutine ; Paris, 1870, pp 38-52.

[2] Vel A., Monuments et inscriptions Libyques relevées dans les ruines de Tir-kabbine. RSAC., 1905.

[3] مراد زرارقة، المعالم الجنائزية والهيئات السكنية لحوض بومرزوق، أطروحة دكتوراه في الآثار القديمة، جامعة الجزائر، معهد الآثار، 2012-2013، ص ص 45-55.

- بونوارة: تولى البحث فيه كل من Delamare , Mac Iver, Frobenius, Weissen Szumslanska، وفي سنة 1865 قام فيدريب Faidherbe بالتنقيب، ثم بالاري سنة 1909، وفي سنة 1913 قام Debruge وJoleaud بالتنقيب أيضا، ثم في سنة 1953 قام كامبس وزوجته بتنظيم حفرية في الموقع[1].
- بوعطاف بقالمة: يعد فينرال .Vigneral Ch من الأوائل الذين زاروا الموقع، ويذكر روبو Reboud أن كارطوارد Cartoirde قام بحفريات واكتشف عظام وجماجم سنة 1878[2]، ثم كان الموقع محل زيارة من قبل قزال وموجال[3].

بالإضافة إلى الدراسات والأبحاث الميدانية التي ذكرناها سابقا، فقد شهدت منطقة الأوراس عدة عمليات تحري وتنقيب من قبل دولامار، Carbucci، Payen، .Jullien L، .Rinn L، Vercoutre، Vaissière وغيرهم، دون أن ننسى دور ضباط الطبوغرافية أمثال ماسكوراي Masqueray E.

وفي بداية القرن العشرين برز ستيفان قزال بشكل لافت، حيث ألف كتاب بعنوان "تاريخ شمال افريقيا القديم" وجمع فيه حوصلة ابحاثه وتنقيباته حول المعالم الجنائزية مبرزا توزيعها الجغرافي، وما بين 1910-1950 أجريت تنقيبات أثرية في الدولمان والبازينات والجثي قام بها عديد الباحثين أمثال ,.Reygasse M Debrugge A., roffo P., Dr. Marchand، حيث ركز ريغاس على المعالم الجنائزية في الصحراء[4]، في حين ركز فروبينيوس سنة 1916 على منطقة الأوراس وبالضبط حول المعالم الجنائزية لمنطقة إيشوكان، فضلا عن عدة أبحاث في كل من بني مسوس، بونوارة، سطيف، قسنطينة، بوسعادة، الهامل وفرندة، معسكر وبني صاف[5].

أما الدراسات الحديثة فنذكر منها أبحاث الباحث الجزائري طارق ساحد في منطقتي نقاوس وسفيان بالأوراس[6]، ودراسة ميدانية لمصطفى الرميلي بنواحي عين بوسيف خلال سنوات 1991-1992[7]، ودراسة أخرى حول المعالم الجنائزية لفجر التاريخ بمنطقة أشير، جبال التيطري سنة 2002، وما بين 2001-2007 أجريت دراسات ميدانية في كل من جبال بوعريف، الأوراس، البوص وجبل أحمر خدو، وخلال سنوات 2005، 2007، 2008 أجريت عديد الزيارات لمواقع غير معروفة بجبل الميلق، الحويطة، وادي مزي بالأغواط[8]، كما عرض عبد

---

[1] Camps G. & Camps-Fabrer H., La nécropole mégalithique du djebel Mazela à Bounouara. Mémoire du C.R.A.P.E., Paris, A.M.G. 1964.

[2] Reboud, Excursion dans la Maouna et ses contreforts, R.S.A.C., 1884, pp 27-28.

[3] Abbé Mougel, 4km de promenades archéologiques sur la vie droite de l'oued Mela, B.A.H., T., XIL, 1881, pp 45-50.

[4] Reygasse (M), Les monuments funéraires préislamiques de l'Afrique du Nord, A.M.G., paris, 1950.

[5] Camps (G), Aux origines de la Berbèrie, Monuments et rites funéraire protohistorique, Edi. A.M.G. paris, 1961.

[6] عزيز طارق ساحد، المعالم الجنائزية لمنطقة نقاوس ومقبرة سفيان، الحضنة الشرقية، مذكرة ماجستير في علم آثار ما قبل التاريخ، معهد الاثار، جامعة الجزائر 2، 1998.

[7] مصطفى الرميلي، المعالم الجنائزية "فجر التاريخ" بمنطقة آشير جبال التيطري، مذكرة ماجستير في علم آثار ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2002.

[8] عزيز طارق ساحد، آثار فجر التاريخ في الجزائر، دار المعرفة، الجزائر، 2011، ص ص 26-27.

القادر حدوش نتائج الحفريات الثرية التي قامت على المعالم الجنائزية لمنطقة الهقار سنة 2009 في شكل أطروحة دكتوراه[1]،

3/ ملامح فجر التاريخ في شمال افريقيا

تُعد الشواهد المعدنية في بلاد المغرب من العناصر الأثرية النادرة نسبيًا، وتمثل إحدى الإشكاليات المعقدة في البحث الأركيولوجي بالمنطقة. ومع ذلك، تؤكد المعطيات الأثرية وجود أدوات معدنية استُعملت في الحياة اليومية، خاصة تلك المصنوعة من البرونز، وذلك خلال الفترة التي ارتبطت بإقامة المعالم الجنائزية. وقد تم حصر ما لا يقل عن ثلاثين أداة معدنية اكتشفها الباحثون خلال ما يزيد عن قرن ونصف من الدراسات، وهو رقم يظل محدودًا جدًا مقارنة بما تم العثور عليه في أوروبا الذي يُقدّر بالآلاف[2].

ويُعزى هذا التفاوت إلى عدة أسباب، من بينها محدودية الأبحاث الأثرية ونقص المعطيات العلمية من جهة، إضافة إلى قلة مناجم النحاس في بلاد المغرب، رغم ما تشير إليه بعض الدراسات من وجوده، وفي هذا السياق، يرى غزال أن النحاس والبرونز لم يكن لهما تأثير كبير لدى السكان الأصليين، بل إن معرفتهم بهما كانت متأخرة نسبياً، ويرجح أن هذه المعادن دخلت إلى المنطقة عبر شعوب حوض البحر المتوسط، وخاصة من خلال النشاط التجاري للفينيقيين خلال الألفية الثانية قبل الميلاد[3].

كما ذهب بعض الباحثين، مثل بالو وفوفري وأليمان، إلى أن تقنيات العصر الكالكوليتي ربما وصلت إلى شمال إفريقيا عبر الاستيراد من أوروبا، من خلال مضيق جبل طارق وصقلية، وهو ما يفسر وجود بعض الأدوات مثل القطع النحاسية، والفؤوس، ورؤوس السهام، والخناجر، وسيف واحد، إضافة إلى تحف صغيرة كالإبر وغيرها[4].

ورغم ندرة هذه اللقى المعدنية، سواء كانت محلية الصنع أو مستوردة، فإن أغلب الباحثين يميلون إلى تأكيد وجود مرحلتي البرونز والحديد في شمال إفريقيا، استنادًا إلى بعض الاكتشافات، من بينها ما عُثر عليه في موقع "La Gaza" بالمغرب الأقصى. وفي هذا الإطار، يدعم الباحث سوفيل (Souville) فكرة وجود هذه المراحل، غير أنه يرجح أصولها الإيبيرية، معتبراً أنها ترتبط بمرحلة انتقالية ذات طابع ريفي، ومع ذلك، تكاد الشواهد

---

[1] عبد القادر حدوش، الأهقار الكبرى والجنوب في فجر التاريخ، أطروحة دكتوراه في علم ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2008-2009.

[2] عزيز طارق ساحد، آثار....، المرجع السابق، ص 54.

[3] Gsell (St.), Histoire ancienne de l'Afrique du Nord. Les Conditions du Développement Historique, Les Temps Primitifs, La colonisation Phénicienne et l'Empire de Carthage, T I, Paris, Librairie Hachette, 1920, p 212.

[4] Alimen (H.), Préhistoire de l'Afrique, Ed. Boubée et Cie, Paris, 1955. ; Vaufrey (R.), Préhistoire de l'Afrique : Le Maghreb, Ed. Masson, Paris, 1939. ; Ibid, L'Art rupestre nord –africaine, Arch. De l'I.P.H., Mém, n° 20, 1955, p 268. ; Camps (G.), Les traces d'un âge du bronze en Afrique du Nord, Revue Africaine T.CIV, 1960. ; Camps (G.), Cadenat (P.), Nouvelles données sur le début de l'âge des métaux en Afrique du Nord, Travaux de L.P.E.M.O, Aix en Provence, 1980.

المعدنية تغيب بشكل شبه كامل في شرق الجزائر وتونس، حيث يطغى بدلًا منها انتشار المعالم الجنائزية، التي تشكل المصدر الأبرز لفهم هذه المراحل في غياب معطيات معدنية وافية[1].

ورغم محدودية الأدوات المعدنية المكتشفة في شمال إفريقيا، سواء كانت محلية الصنع أو مستوردة، فإن غالبية الباحثين يميلون إلى تأكيد وجود عصري البرونز والحديد في المنطقة، اعتمادًا على بعض الاكتشافات، من بينها ما عُثر عليه في موقع "La Gaza" بالمغرب الأقصى. وفي هذا الإطار، يؤيد الباحث سوڤيل (Souville) فرضية وجود هذا العصر، غير أنه يربطه دون شك بالأصل الإيبيري، معتبرًا أنه يرتبط بمرحلة انتقالية ذات طابع ريفي. في المقابل، تكاد الشواهد المعدنية تغيب بشكل شبه كامل في شرق الجزائر وتونس، حيث تطغى بدلًا منها المعالم الجنائزية واسعة الانتشار.

ومن جهة أخرى، فإن أغلب اللقى الجنائزية التي تم العثور عليها في شمال إفريقيا عمومًا، وفي الجزائر خصوصًا، تتمثل أساسًا في الحلي، التي يرجعها بعض الباحثين إلى فترة البرونز الأعلى في أوروبا. ويظل عدد هذه القطع محدودًا جدًا مقارنة بآلاف المقابر المنتشرة في المنطقة، مع الإشارة إلى أن جزءًا كبيرًا من هذه المواقع تعرض عبر قرون طويلة لعمليات نهب واسعة استهدفت المدافن الجنائزية الكبرى.

كما ساهمت الحفريات غير الموثقة التي قام بها عدد كبير من الهواة والعسكريين والجغرافيين خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية في تفاقم هذا الوضع، حيث لم تُحفظ نتائج العديد من هذه التدخلات، ولم تُسجل تقارير دقيقة أو بقيت غير متاحة، مما أدى إلى ضياع جزء مهم من المكتشفات، سواء من حيث الأدوات أو الوثائق. ونتج عن ذلك فقر واضح في المواد المعدنية المحفوظة داخل المتاحف، وصعوبة كبيرة في تحديد العدد الحقيقي للأدوات النحاسية والبرونزية المستخرجة من تلك الحفريات.

ويُضاف إلى ذلك غياب الدقة في بعض التقارير القديمة، حيث كان يتم الاكتفاء أحيانًا بالإشارة العامة إلى وجود أدوات معدنية دون تقديم تفاصيل دقيقة حول عددها أو خصائصها أو أشكالها. وفي بعض الحالات، اقتصر الوصف على ذكر أنواع عامة مثل الأساور والأقراط، مع إهمال أدوات معدنية أخرى أقل وضوحًا من حيث التصنيف، مثل الأسلاك المعدنية الملفوفة والقضبان. كما أن جزءًا من الحفريات التي لم تُنشر نتائجها إلى اليوم يُرجَّح أنه أسفر عن العثور على عدد معتبر من اللقى المعدنية التي لم تُوثق علميًا بالشكل الكافي.

كما ان النقص الكبير في الأثاث المعدني الذي يعود إلى فترة فجر التاريخ والذي تحدث عنه العديد من الباحثين لا يعود إلى نقص المناجم كما كان الاعتقاد به سابقا، فقد وجدت ببلدان المغرب على عدد معتبر من المناجم المعدنية، وهذا ما يساند أكثر فكرة وجود تطور عصر المعادن في شمال افريقيا. على عكس بعض النظريات التي تنفي وجود استغلال قديم لهذه المناجم تماما[2].

---

[1] عزيز طارق ساحد، المرجع السابق، ص ص 56-57.

[2] فريدة أوزاني وآخرون، ثقافة إنسان فجر التاريخ بالجزائر، مجلة البحوث التاريخية، مج 8، ع 1، 2024، ص 24.

1-3/ المسكن

على عكس المجتمعات النيوليتية في الشرق الأوسط مثل أريحا بسوريا أو أسيا كموقع جومون باليابان، أين تتسم البنايات بتطور واضح وتشمل مساكن نصف مدفونة منظمة في قرى دائرية أو بيوت دائرية ومستطيلة، فإن شمال إفريقيا تظهر تعقيدا معماريا أقل، فقد فضّلت المجتمعات المغاربية استغلال المواقع الطبيعية مثل الكهوف كمغارة كابيليتي باتنة والملاجئ الصخرية مثل الداموس الأحمر بتبسة، والرماديات مثل كوديات الخروبة، أم بواقي، إلى جانب بعض المواقع في الهواء الطلق. وتعكس هذه الأنماط من الاستغلال تكيفا مع بيئات متباينة بين السواحل، الجبال وسفوح الصحراء، ما يدل على شكل من أشكال الاستقرار النسبي، رغم أن محدودية تقنيات الحفر القديمة قد تكون قد حالت دون الكشف عن وجود مساكن مبنية بمواد قابلة للتلف، مما قد يشوّه فهمنا للمسكن خلال النيوليتي[1].

أشرنا في المحاضرة السابقة إلى بعض أشكال السكن بالنسبة لفترة ما قبل التاريخ، وذلك اعتمادا على بعض المخلفات الأثرية التي درسها الباحثون، وكذلك المشاهد الصخرية التي وصفت لنا عملية إنجاز هذه المساكن وشكلها، أما بالنسبة لفترة فجر التاريخ، فإنّ السكن مجهول تقريبا ومن الصّعب تمييزه بين الآثار البربرية الريفية القديمة، فبعضها معاصرة للوجود الروماني، وأخرى أقدم من هذا التواجد بعدة قرون، وذلك بسبب انعدام وثائق كرونولوجية توضح ذلك، وهذا ما يسميه كامبس "بالدوام البربري" ممّا يفسر أن التقنيات الأبسط في البناء التي تلائم سكان المناطق الريفية لم تتطور منذ عدّ ة قرون[2].

استمر الانسان خلال فترة فجر التاريخ في اتخاذ المغارات كمساكن، فقد شغل الانسان التجاويف الطبيعية أو المحفورة في الطبقات الكلسية، وجهزها عند الحاجة بجدران مبنية بالحجارة، فتكون عادة في شكل مساكن تحت الرض وأحيانا أخرى غرف مهيأة فوق سطح الأرض، تتقدمها حواجز عمودية أو مائلة، طبيعية أو مهيأة.

كما ترك انسان فجر التاريخ آثار عديدة لأكواخ مستديرة الشكل، كتلك التي عثر عليها في موقع مجاز II، وقد تناقلها البربر لاحقا، في شكل أكواخ منقولة، والمركبة على عجلات ويسميها المؤرخون بالمباليا، كما أظهرت أبحاث كل من توفنوا وفيكار بمنطقة فاس الباعلي بالمغرب الأقصى على آثار استعمال كوخ يعود لفجر التاريخ، تظهر هذه الآثار على شكل حيز نصف دائري محفور في الأرض على عمق 0,75م، أما الطبقة العليا فمن المرجح أن تكون قد بنيت بالتراب المدكوك[3]، ومن جهة أخرى تم التعرف على الملاجئ التي اتخذت أيضا كمساكن خلال فترة فجر التاريخ، فضلا عن النتوءات الصخرية الحاجزة éperon barrés، وهي عبارة عن مباني تحدد المواقع

[1] Roubet (C.), « Les comportements de subsistance et symboliques des premiers pasteurs néolithiques du Maghreb oriental atlasique », Comptes Rendus Palevol 5, no 1-2 , 2006, pp.441-451.

[2] مصطفى رميلي، المظاهر الثقافية والحضارية لفجر التاريخ في المغرب، دراسات تراثية، مج 16، ع 1، 2022، ص 237.

[3] Thouvenot (R.) et Vicaire (M.), Vestiges Archéologiques dans la région de Fez el-Bâli. Hesperis, t. XXV, 1938, pp 367-376.

القديمة ومقابر فجر التاريخ أي أنها بقايا أثرية تنتمي إلى الأجهزة الدفاعية المعروفة تقريبا في كل المغرب. وتعبر عن أهمّية استقرار الإنسان في موقع ما، كما تظهر لنا آثار بناء مجهز بالحجارة يؤرخ سواء بنهاية عصور ما قبل التاريخ أم مرحلة فجر التاريخ، وأحسن مثال نذكره هو موقع سوامة لمشرع الصفا غرب تيارت الذي يأوي ثلاثة مقابر تعود إلى فترات مختلفة[1].

هذا وشيد الانسان في مرحلة لاحقة مساكن مبنية بالحجارة الطبيعية، إذ عثر على مساكن حقيقية في الشّرق والغرب الجزائري، تحتوي على أسوار مبنية بكتل حجرية ضخمة منحوتة قليلا، فوق ربوات أو هضاب منحدرة تعلوا أنهار أو ينابيع، ومن بين المساكن المتينة التي يمكن ذكرها تلك الموجودة بمنطقة الجلفة في واد الجلفة على الضفة اليسرى فوق ربوة بها أثار ملجأ قرب مدافن الدولمان المتوزعة في مقبرة مساحتها تقدر 500 م^3، كما نجد في منطقة باتنة بالأوراس آثار قديمة لموقع "إيشوكان" فوق هضبة ضيقة يحدها شرفات من الجهات الثلاث، يستحيل العبور منها، أما الجهة الرابعة دعمت بسور ضخم مبني بكتل حجرية كبيرة، وداخل تلك الأسوار توجد أثار جدران مساكن وخارجها تمتد المدافن إذ تم إحصاء 300 مدفن[2].

2-3/ المعالم الجنائزية وأصنافها: وهي عبارة عن بناء معماري مشكل من الحجارة الصغيرة والكبيرة ممزوجة بالتربة، ومقام على مدفن أو عدة مدافن أين توضع بقايا الميت وأدواته التي تدفن معه، وقد وضع الباحث "باريس Paris" أسس مهمة في تصنيفاته لهذه المعالم أهمها شكل المعلم وتقنيات البناء[3]، ومن أكثر أنواع المعالم الجنائزية المنشرة في شمال إفريقيا خلال فترة فجر التاريخ نجد:

الجثوة Tumulus: وهي ركام من الحجارة تغطي حفرة قبر الميت، من أجل حماية الجثة من الأخطار الخارجية[4]، وهي أقدم أنواع المعالم التي تعود إلى ما بين الألف السادسة ق.م والرابعة ق.م، تتميز الجثى بنوعين مختلفين من حيث الحجم ومواد البناء، كما أنها تختلف من حيث الانتشار، فالأولى تسمى الجثى ذات صندوق وهي عبارة عن معالم بيضاوية أو دائرية الشكل، مشيدة من حجارة صغيرة ومتوسطة الحجم على شكل ركام تعلوه بلاطات مستطيلة الشكل تغطي الغرفة الجنائزية، أما الغرفة الجنائزية فهي مستطيلة الشكل مبنية ببلاطات مغروسة عموديا على الارض على شكل صندوق، وتنتشر على منحدرات المواقع المؤدية للمجاري المائية، أما النوع الثاني فيتمثل في الجثى البسيطة وتعد أغلبها بضاوية الشكل تبنى من حجارة كبيرة الحجم ومسطحة ذات شكل مستطيل، تحتوي على غرف جنائزية بيضاوية الشكل مشكلة بواسطة بلاطات كبيرة، وهي

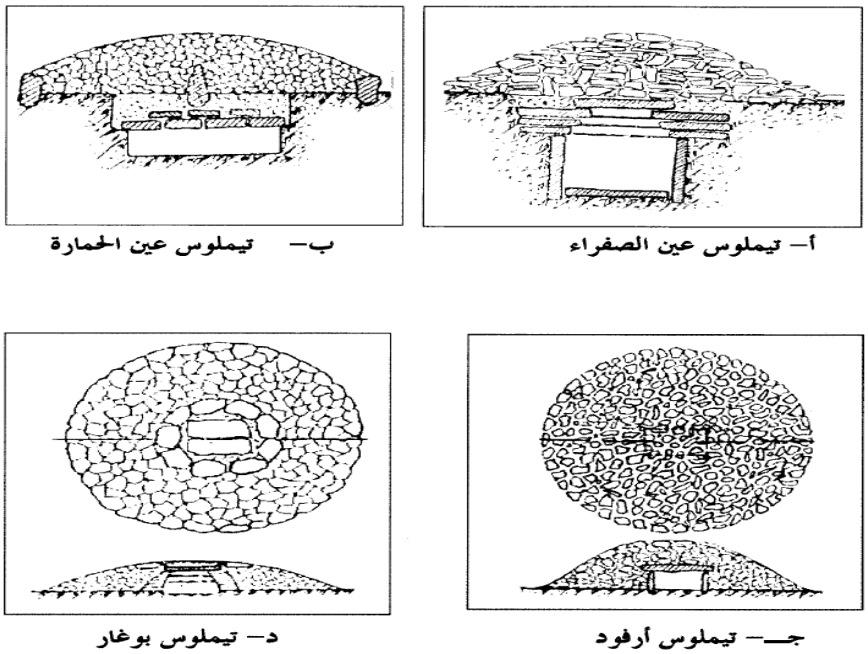
[1] Camps (G), Aux origines de la berbérie. Op-cit, p 591.

[2] مصطفى الرميلي، المرجع السابق، ص 241.

[3] Paris (F), Essai de classification des monuments funéraires sahariens. In: Bulletin de la Société préhistorique française, tome 92, N°4, 1995, pp. 549-553.

[4] Amokrane (S.), Un Model de Gestion Adapté aux Réalité Patrimoine et Culturelles de Notre Territoire, Racines, Revue de l'Office du Parc National de Tassili, N1, 2009, pp 143-150

مغطاة بثلاث إلى أربع بلاطات، وتنتشر هذه المعالم في المناطق الجانبية للمقابر الجنائزية وخاصة في المنحدرات على جوانب المجاري المائية حيث تتباعد عن بعضها بشكل متفاوت[1].



صورة رقم 58: نماذج من قبور التيملوس

المرجع: محمد الصغير غانم، المعالم...، المرجع السابق، ص 32.

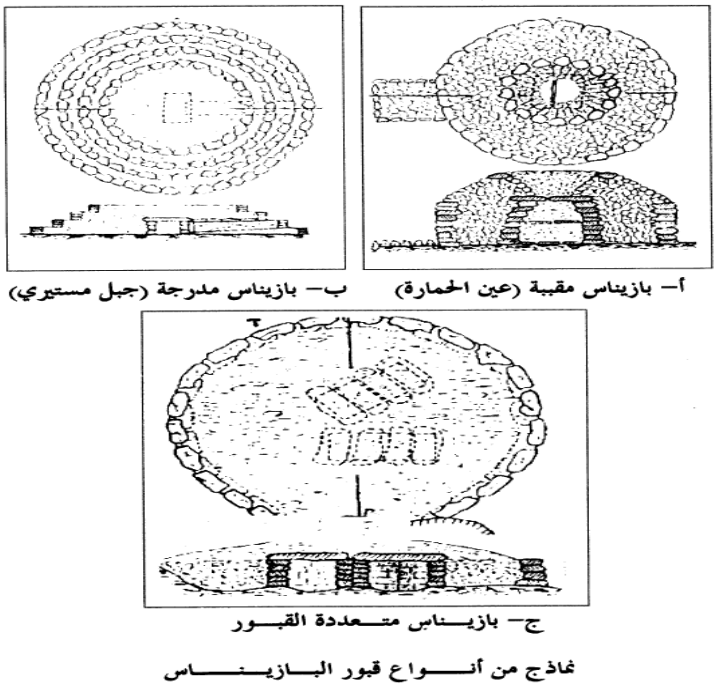
3-2-2/ البازيناس: وهي قبور تعلوها بنايات مستديرة الشكل عامة، وقد تكون مدرجة، حيث تتكون من دوائر متتالية شاقوليا مع تقلص القطر حتى تظهر في شكل حلزوني[2]، وتظهر في شكل دائري وبيضوي وحتى مستطيل، لكن ما يميزها عن الجثي هو البناء الدقيق للجدار الخارجي المشكل من الحجارة المصقولة على شكل مستطيلات أو على شكل بلاطات سميكة، وتنتهي قممها بقبة مشكلة من حجارة مسطحة مختلفة الشكل والحجم تعتبر بمثابة غطاء للغرفة الجنائزية، وتأخذ الشكل البيضوي أو المستطيل[3]، ومن حيث النوع تنقسم البازيناس إلى؛ مقببة وهي تنتشر في منطقة المرتفعات العليا للجزائر الوسطى ويصل امتدادها إلى غاية وادي الجدي، وتتصف من حيث مظهرها الخارجي ببناء مرتفع يعلو قاعدة مستديرة وبيضوية الشكل، يتراوح قطر دائرتها من 9 إلى 10 أمتار، أما جزئها العلوي فقد يغطي ببلاطات مقببة، هدفها وقاية القبر من تسرب الماء والتراب إلى داخله وحفظ الجثة البشرية.

---

[1] بدر الدين سلاحجة، المعالم الجنائزية لفترة فجر التاريخ بمنطقة بسكرة (النتائج الأولى للحفريات الأثرية بمقبرة زبارة الرحبات)، مجلة آفاق علمية، مج 13، ع 2، 2021، ص 45.

[2] محمد الصغير غانم وآخرون، المعالم الحضارية في الشرق الجزائري فترة فجر التاريخ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006، ص ص 27-28.

[3] رامي عبابسة، بلقاسم رحماني، المعالم الجنائزية لفترة فجر التاريخ بجبل مجونس، شمال شرق منطقة سطيف، مجلة عصور جديدة، مج 13، ع 2، 2023، ص 20.



صورة رقم 59: نماذج من قبور البازيناس

المرجع: محمد الصغير غانم، المعالم...، المرجع السابق، ص 38.

هذا بالإضافة إلى بازيناس ذات قاعدة أسطوانية، وتوجد معالمها في أطراف الصحراء، وهي حالة وسطية بين البازيناس المقببة والمدرجة، ومن نماذجها مقبرة عين الحمارة بأولاد جلال، وكذا متعددة القبور، ومن نماذجها مشرع الصفا بتيارت، وبازيناس مدرجة وتنتشر بكثرة في المناطق الممتدة من قسنطينة إلى غاية الحدود التونسية، اما آخر نوع فهي المتطورة، مثل قبر الرومية والمدغاسن، والذي يعد من روائع العمارة النوميدية.

3-2-3/ الدولمن (المصاطب) Dolmens: تُعدّ هذه المعالم الجنائزية من أهم أشكال العمارة الحجرية في شمال إفريقيا، وهي تتمثل في نصب مكوّنة من كتل حجرية أفقية تستند إلى دعامات عمودية، وقد تُوصف أحيانًا بأنها صروح تتألف من ألواح حجرية مستطيلة الشكل يُغطّيها لوح أفقي يشكّل سقفًا للبناء. وفي بعض الحالات، تأخذ شكل مصاطب مغروسة في الأرض بعمق متفاوت، أو تُبنى فوق صف أو عدة صفوف من الحجارة الثابتة[1].

ويرى محمد الصغير غانم أنها عبارة عن قبور حجرية تُشيَّد فوق سطح الأرض، تتكون عادة من ثلاث دعامات حجرية قصيرة تعلوها صفيحة حجرية أفقية تمثل السقف. وبصورة عامة، يتخذ هذا النوع من المعالم شكلًا هندسيًا منتظمًا، إما مربعًا أو مستطيلاً، ويتم تشييده عبر غرس صفائح حجرية كبيرة بشكل متوازي في التربة، ثم تُغطى بصفائح حجرية مماثلة. ويختلف نوع هذه المصاطب تبعًا لعدد الصفائح المستعملة في البناء، حيث نجد مصاطب ثلاثية ورباعية وخماسية، بل وقد تصل أحيانًا إلى سبع مصاطب. كما تحتوي هذه المنشآت على

[1] محمد الصغير غانم وآخرون، المرجع السابق، ص 47.

غرف صغيرة داخلية تُستعمل للدفن، تُعرف بالغرف الجنائزية. ويُعد الباحث روبو (Reboud) أول من استعمل مصطلح "المصاطب" سنة 1856.[1]

أما فيما يتعلق بالدولمن، فقد قدّم الباحث أرنال (Arnal) سنة 1956 تعريفًا له باعتباره غرفة جنائزية مفتوحة ذات طابع ميغاليثي، غالبًا ما تُغطى بتل ترابي، وتُهيأ لاستقبال عمليات دفن متعددة. ويقصد بالغرفة المفتوحة أنها تتضمن فتحة تسمح بالدخول إليها دون الحاجة إلى تغيير في بنيتها المعمارية. ومن جهته، يعرّف بايو (Bailloud) الدولمن بأنه معلم مفتوح على أحد جوانبه، يحتوي على مدخل يُغلق أو يُفتح بشكل مقصود[2].

وقد ثبت انتشار هذا النوع من العمارة الجنائزية في عدة مواقع من بلاد المغرب، من بينها أنفيدة والعالية جنوب تونس، إضافة إلى دوقة ومقراوة وتبرسوك. وفي الجزائر، امتد هذا الانتشار إلى تخوم الصحراء، حيث شكّل كل من الأطلس الصحراوي ومنطقة الأغواط الحد الجنوبي له، مع وجود مواقع بارزة مثل سيلا، سيجوس، بونوارة، قسطل، رأس العين، بومرزوق، الركنية، والقل، وصولًا إلى منطقة الأوراس جنوبًا.

وفي هذا السياق، يرى فرون (Feround) أن قبور الدولمن تركزت غالبًا حول المدن النوميدية القديمة، وذلك بعد استقرار السكان في هذه المراكز العمرانية، مما يعكس علاقة وثيقة بين تطور الاستقرار البشري وتطور أشكال العمارة الجنائزية[3].

3-2-4/ الشوشت: تشبه كثيرا البازينا في شكلها العام، لكنها تختلف عنها في مظهرها الخارجي، حيث ترتفع الشوشت عن سطح الأرض مشكلة ما يشبه الأبراج الدائرية، وتغطى فوهتها بحجارة كبيرة، كما تختلف من حيث طريقة الدفن[4]، فهي تشبه الطريقة الإسلامية إلى حد ما، يرى ريغاس أن "الشوشت عبارة عن برج جنائزي صغير تعلوه بلاطة في غالب الأحيان يتراوح ارتفاعه من 2 إلى 3 م، جدرانه الخارجية مبنية بدقة وعناية كبيرة، تسميته نابعة من شكله العام الذي يعلوه برج يشبه "الشاشية" عند السكان المحليين، وهي قبور تأخذ شكل أبراج مستديرة، ونجد لها عدة أنواع منها: شوشة وحيدة القبر، ومتعددة القبور، ذات الغرفة الجنائزية الدائرية الشكل، وتتركز الشوشة بصورة خاصة في الأوراس والحضنة، وتنعدم في معظم بلاد المغرب القديم، حيث تشكل حدا جنوبيا لقبور الدولمن الداخلية[5].

---

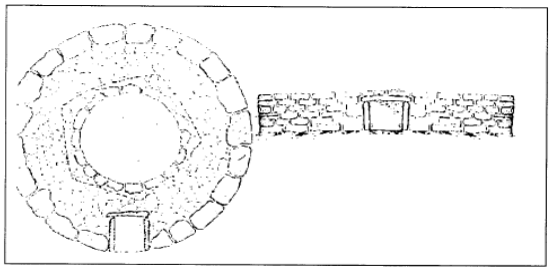
[1] Reygasse (M.), les monuments Funéraires Préislamique de l'Afrique du Nord, Paris, 1950, p 8. ; Camps (G), dolmens, T16, encyclopédie Berbère, 1995, p 2498.

[2] مراد زرارقة، المرجع السابق، ص ص 40-41.

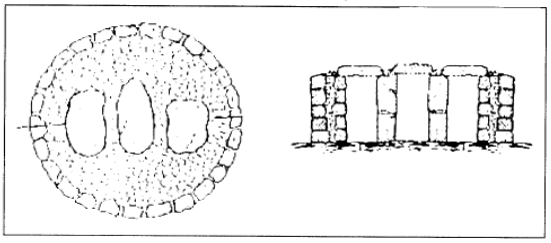
[3] Ferand (L), Recherches sur les monuments dits celtiques dans la province de Constantine, R.S.A.C., T. VII, 1863, pp 214-234.

[4] عبد القادر حدوش، الأهقار المركزي والجنوبي في فجر التاريخ، أطروحة دكتوراه فيما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2009، ص 295.

[5] محمد الصغير غانم وآخرون، المرجع السابق، ص ص 45-46.



(أ) – شوشة ذات غرفة دائرية



ب– شوشة متعددة القبور بأولاد أحنش

صورة رقم 60: نماذج من قبور الشوشت

المرجع: محمد الصغير غانم، المعالم...، المرجع السابق، ص 45.

3-2-5/ الحوانيت: ويقصد بها القبور المحفورة في الصخور، وواجهات المرتفعات الجبلية، وهي ذات أشكال متعددة تختلف من موقع للآخر، تتميز بمداخلها الضيقة، ويعرفها قزال بأنها: "مغارات جنائزية محفورة من طرف الانسان على واجهات صخرية عمودية، تكون إما متتابعة أو متموضعة فوق بعضها البعض، ويتم الدخول إليها عن طريق فتحة مربعة الشكل تشبه فتحة النافذة، ويمكن العثور عليها منحوتة على واجهة صخرية أو صخور معزولة وهي تنتشر بكثرة ببلاد المغرب من الساحل التونسي إلى المغرب الأقصى"[1]، كما يصف فنطر الحوانيت بأنها تسمية تشير إلى قبور منقورة أفقيا في جوانب الهضاب والصخور الكبيرة، في حين يرى براهيمي بأنها عبارة عن حجر مكعبة الشكل محفورة في الصخر وتغلق بواسطة ألواح حجرية مركبة رأسيا كما توحي الحزوز المحفورة في حواف الفتحة"[2].

تتركب الحوانيت في العادة من عنصر واحد أو عنصرين، وقد يتقدم الغرفة بهوا أو معبر صغيرا، كما تكون الحوانيت متتابعة أحيانا عموديا أو أفقيا، وغالبا ما نجدها في واجهات المنحدرات الصخرية أو الجبال، وفيما يخص الفتحة فتغلق بعد وضع الجثة بواسطة حجارة منحوتة صنعت خصيصا لذلك[3].

[1] Gsell (St), Histoire ancienne de l'Afrique du nord (Vol. T6), Hachette, Paris, 1927, pp 171-172.

[2] محمد الصغير غانم وآخرون، المرجع السابق، ص 99.

[3] Camps (G.), Aux Origines de la Berbère, Op-Cit, p 92.



صوررقم 61: نماذج مختلفة من الحوانيت في منطقة ميلة.

المرجع: وهيبة عبد الوهاب عمرون، حوانيت منطقتي البعالة والقوايس...، ص ص 66، 68.

تتركز قبور الحوانيت بالنسبة لبلاد المغرب بصورة خاصة في الناحية الشمالية خاصة الشمال الشرقي للجزائر وشمال تونس، ففي تونس نجد الحوانيت بالوطن القبلي في ضواحي قليبية في مكان يسمى الحارروري، وجبال خمير ومقعد بالشمال الغربي، وفي الجزائر نجد تيبازة ومداوروش ووادي رهيو بالغرب الجزائري، تيبازة، كما عثر عليها في بجابة وفي موقع البعالة بميلة، بالمنصورة وسيدي مبروك، وفي جبل الغرف بالخروب في قسنطينة، وتنتشر في قالمة بمقبرة الركنية وفي كيسة وفج الحطابة وقاستال بتبسة، كما عثر عليها في المغرب الأقصى في كل من تازة وطنجة وجبل عياش[1].

[1] وهيبة عبد الوهاب عمرون، حوانيت منطقتي البعالة والقوايس (ميلة، شرق الجزائر)، مجلة الانسان والمجال، مج 10، ع 1، جوان 2024، ص 77.

قائمة البيبليوغرافيا

أولا/ المراجع العربية

1/ الكتب

- ابن الشيخ حكيم، محاضرات ونصوص فيما قبل التاريخ، دار هومة، 2013.
- الاندلسي نضار، الحياة اليومية للمرأة في المغرب القديم، ط.1، المغرب، 2017.
- الاندلسي نضار، المرأة من خلال النقوش الصخرية في المغرب القديم، تطوان، د.ت.
- باتيس أوريك، الليبيون الشرقيون، تر: محمد أومادي ومروة شحاتة، ط1، دار الفرجاني، طرابلس، 2015.
- براهيمي كلود، تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، تر: محمد البشير شنيتي، رشيد بورويبة، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1982.
- بشي إبراهيم العيد، مدخل إلى تاريخ حضارات بلاد المغرب القديم، دراسة حضارية منذ فترة ما قبل التاريخ حتى الفتح الإسلامي، منشورات زاد الطالب، الجزائر، 2011.
- بن بوزيد لخضر، العصر الحجري القديم في الصحراء الوسطى، ط1، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2020.
- بن بوزيد لخضر، الفن والمعتقدات الدينية بالطاسيلي آزجر في ما قبل التاريخ، الجزائر، ب. ت.
- الجوهري أسامة، فن الكهوف والملاجئ الصخرية، ط1، بورصة الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012.
- حاشي سليمان، في أصول الفنون البدائية بشمال إفريقيا، تر: إسماعيل أدير وآخرون، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ، الجزائر، 2010.
- حدادو يوغرطة، بعض مدلولات مشاهد النقوش الصخرية للإنسان والحيوان في منطقة الأطلس الصحراوي، آراء ودراسات في التاريخ والآثار القديمة، أشغال الندوة العلمية المنعقدة بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، يومي 23-24 ديسمبر 2011، كنوز الحكمة، 2012.
- ساحد عزيز طارق، آثار فجر التاريخ في الجزائر، دار المعرفة، الجزائر، 2011.
- سحنوني محمد، ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.
- السواح فراس، دين الانسان، بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، ط4، دار علاء الدين، دمشق، 2002.
- السواح فراس، لغز عشتار، دار الكندي، سوريا، ط.1،1988 .
- شاعو كمال، دور النقوش ورسومات الطاسيلي في التعريف بعصور ما قبل التاريخ، أشغال الندوة العلمية المنعقدة بالمدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة الجزائر، 24/23 ديسمبر 2011.
- شنيتي محمد البشير، الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة، دار الهدى، الجزائر، 2013.
- صندوق ستي، الثروة الحيوانية والغطاء النباتي في الجزائر خلال العصور القديمة، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2020.
- عبد العليم مصطفى، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1955.
- غانم محمد الصغير، الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدى، الجزائر، 2005.
- غانم محمد الصغير وآخرون، المعالم الحضارية في الشرق الجزائري فترة فجر التاريخ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006.

- غانم محمد الصغير، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003.
- غلاب محمد السيد، يسرى الجوهري، الجغرافيا التاريخية عصر ما قبل التاريخ وفجره، ط2، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 6.
- كامبس غبريال، البربر، الذاكرة والهوية، تر: عبد الرحيم حزل، دار إفريقيا، الدار البيضاء، 2010.
- ليونال بالو، الجزائر فيما قبل التاريخ، تر: محمد الصغير غانم، دار الهدى، عين مليلة، قسنطينة، 2005.
- الناضوري رشيد، المغرب الكبير، ج1، الدار القومية للطباعة ولنشر، القاهرة، 1966.

2/ الدوريات والمجلات

- أعشى مصطفى، الاكتشافات الأثرية الما قبل التاريخية في المغرب، مواقع الدار البيضاء نموذجا، دراسات في آثار الوطن العربي، ع 11.
- آكلي نورية، بيض النعام في شمال إفريقيا القديمة، مجلة أفكار وآفاق، مج 4، ع 6، 2015.
- أوزاني فريدة وآخرون، ثقافة إنسان فجر التاريخ بالجزائر، مجلة البحوث التاريخية، مج 8، ع 1، 2024,
- أوزاني فريدة، البقايا الإنسانية للعصر الحجري القديم الأعلى والعصر الحجري الحديث في بلاد المغرب، جرد ووصف أولى للعينات الموجودة بمركز البحث CNAPAH والمتحف العمومي الباردو (الجزائر العاصمة)، مجلة آثار، مج 14، ع 2، 2016.
- أوزاني فريدة، القلع الطقوسي للأسنان عند سكان بلاد المغرب خلال العصر الحجري القديم المتأخر والعصر الحجري الحديث، مجلة أفكار وآفاق، مج 11، ع 2، 2023.
- باهرة نادية، الموستيرية والعاترية في شمال إفريقيا، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 6، ع 1، جوان 2020.
- بعيطيش عبد الحميد، المحتوى التاريخي للنقوش الصخرية في الصحراء الجزائرية، مجلة دراسات وأبحاث، مج 6، ع 16، 2027.
- بعيطيش عبد الحميد، مظاهر الحضارة النيوليتية بمنطقة الطاسيلي ناجر، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية لمركز جيل البحث العلمي، ع3، 2014.
- بعيطيش عبد الحميد، ملامح الفكر الديني لإنسان الطاسيلي في المرحلة النيوليتية، مجلة الإحياء، ع 16، 2012.
- بلحاج مليكة، المرأة بين الديانات الوضعية والديانات المنزلة، مجلة انتروبولوجيا الاديان، مج.9، ع.1، 2013.
- بن بوزيد لخضر، الجمل في ما قبل التاريخ الشمال الإفريقي، مجلة علوم الانسان والمجتمع، ع6، 2013.
- بن بوزيد لخضر، ثقافات النيوليتي القديم في الصحراء الوسطى، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج 5، ع 1، 2022.
- بن صغير نوال، المعتقدات الدينية في نماذج من محطات الفن الصخري بالصحراء الوسطى والأطلس الصحراوي، مجلة الونشريس للدراسات التاريخية، مج 1، ع2، 2022.
- بوغرارة محمد، طواهري حكيمة، مظاهر الحضارة القفصية في منطقة الشريعة -ولاية تبسة- موقع عين المستحية أنموذج، مجلة المعيار، مج 29، ع 1، 2024.
- التوفيق مسعود الهادي راشد، الجوانب الفكرية للرسوم والنقوش في الصحراء الليبية خلال عصور ما قبل التاريخ، مجلة الجام السنة 14، ع 30، 2024.
- جراية محمد رشدي، السمات الحضارية للعصر الحجري القديم الأوسط في بلاد المغرب، مجلة البحوث والدراسات، ع 13، 2013.
- جراية محمد رشدي، حضور طائر النعام في بلاد المغرب من خلال شواهد الحضارة القفصية وامتداداتها، مجلة المعارف والدراسات التاريخية، مج 3، ع 2، 2017.

- دراجي عبد القادر، المظاهر الفنية في المغرب منذ 13000 سنة، الزخرفة والنحت على قشور بيض النعام، مجلة آثار، مج 1، ع 2، 1992.
- رميلي مصطفى، المظاهر الثقافية والحضارية لفجر التاريخ في المغرب، دراسات تراثية، مج 16، ع 1، 2022.
- ساحد طارق عزيز، فترة فجر التاريخ في الجزائر: حالة معارف، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 11، ع 2.
- سلاحجة بدر الدين، المعالم الجنائزية لفترة فجر التاريخ بمنطقة بسكرة (النتائج الأولى للحفريات الأثرية بمقبرة زبارة الرحبات)، مجلة آفاق علمية، مج 13، ع 2، 2021.
- شايد ياسمينة، نجيب فرحات، مقبرة البقريات لموقع منخور بالصحراء الوسطى، مجلة الدراسات الأثرية، ع1، 1992.
- شلوق فتيحة، قراءة في الرسومات الصخرية بوادي التل ببسكرة، مجلة العلوم الإنسانية، ع 46، 2017.
- صفريون حسيبة، بوادر ظهور النظام الاسري الامومي في المجتمع التاسيلي وعلاقته بظاهرة جمع القوت خلال المرحلة البوفيدية من خلال مشاهد الرسم الصخري، مجلة العلوم الاسلامية والحضارية، ع.7، 2018.
- الصيد رانية، نادية يفصح، علاقة الكتابة الليبية البربرية بمشاهد الفن الصخري "دراسة مقارنة في الأصول والدلالات الرمزية"، مجلة المفكر، مج 7، ع 2، 2023.
- عاودية لويزة، وآخرون، مساهمة الدراسات الحديثة في تطور مفهوم النيوليتي في شمال إفريقيا، مدلة الدراسات الأثرية، مج 23، ع 1، 2025.
- عبابسة رامي، بلقاسم رحماني، المعالم الجنائزية لفترة فجر التاريخ بجبل مجونس، شمال شرق منطقة سطيف، مجلة عصور جديدة، مج 13، ع 2، 2023.
- عباس سيد أحمد محمد علي، الجذور التاريخية لإشكالية المصطلح الأثاري حالة ما قبل التاريخ، مجلة أدوماتو، ع 2، الرياض، 2000.
- عثمان مفتاح عبد ربه، (د.ت)، دراسة انثروبولوجية لليبيين القدماء من خلال مقارنة بقايا المقابر والوثائق التاريخية والاثرية، مجلة دراسات في اثار الوطن العربي، ع.11.
- عزوز فاطمة الزهراء، دور الرسوم الصخرية في التعريف بالحياة الدينية في الجزائر في التاريخ القديم، مجلة الدراسات الافريقية، مج 1، ع 2، 2015.
- علي مؤمن ادريس مؤمن، المظاهر الحضارية للمجتمع الليبي القديم، المجلة الليبية العالمية، ع.27، 2017.
- عمرون وهيبة عبد الوهاب، حوانيت منطقتي البعالة والقوايس (ميلة، شرق الجزائر)، مجلة الانسان والمجال، مج 10، ع 1، جوان 2024.
- عولمي الربيع، إعمار الصحراء الكبرى إبان العصر النيوليتي من خلال الرسوم، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 15، 2011.
- قادري حدة، بونقاب عماد، الفن الصخري ومظاهر الحضارة الإنسانية في الأطلس الصحراوي خلال مرحلة ما قبل التاريخ، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، ع13، 2022.
- قمش خديجة، الفن والأسطورة بشمال إفريقيا، مجلة إسيناكا، ع 6، 2010.
- كريم سامر، الفن الصخري بمنطقة حاسي القويرة بعين صالح -وصف حالة-، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، 6 (13)، 2022.
- ماجي ليندة، الماعز في بلاد المغرب القديم بين الشواهد الأثرية والمصادر المادية، مجلة عصور الجديدة، مج 10، ع4.

- محمد نامو مصطفى علي، فسيفساء أرضيات بعض الدرات في منطقة المدن الثلاث، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، سلسلة الدراسات التاريخية (ع 97)، الجماهيرية الليبية، 2009، ص ص 211-212.
- المنقوش وريدة علي، الفن الصخري بالصحراء الكبرى، المراحل وإشكالية التفسير والتأريخ، المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، مج 1، ع 11، 2018.
- هميل سميرة، العصر الحجري الحديث التلي بالساحل الغربي للجزائر (وهران انموذجا)، أطروحة دكتوراه في آثار ما قبل التاريخ، معهد الأثار، جامعة الجزائر 2، 2017-2018.
- يفصح نادية، الفن الصخري في الصحراء الكبرى وأهم المواضيع التي تناولها، مجلة تاريخ المغرب العربي، ع9، 2018.

3/ المذكرات والرسائل

- أشرف نادي احمد حسن، 2010، الامومة في مناظر تماثيل الملوك والافراد في العصرين اليوناني والروماني في مصر، رسالة ماجستير في الاثار المصرية، جامعة القاهرة.
- ايباه سيدي محمد، المظاهر الثقافية والأنماط المعيشية من خلال الرسومات الصخرية بتفدست (الهقار)، مذكرة ماجستير في تخصص ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2011-2012.
- إيديري موراد، التصرفات الغذائية للإنسان النيوليتي لشمال إفريقيا: دراسة أركيوزولوجية للبقايا الحيوانية لمواقع قلدمان 1 (أقبو)، كابيليتي (الأوراس)، وعمورة (الأطلس الصحراوي)، أطروحة دكتوراه (ل.م.د) تخصص آثار ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2021-2022.
- باهرة نادية، محاولة دراسة تحليلية للفن الصخري بمنطقة آدمر (الطاسيلي آزجر- الصحراء الوسطى- الجزائر)، مذكرة ماجستير في آثار ما قبل التاريخ، معهد الآثار، 2005-2006.
- بلخيري لويزة، دراسة الحلي من خلال الرسم الصخري للطاسيلي ناجر (الصحراء الوسطى)، مذكرة ماجستير في تخصص ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2011-2012.
- بن بوزيد لخضر، الأثر الديني في مشاهد الرسوم الصخرية لمنطقة الطاسيلي-آزجر خلال مرحلة ذوي الرؤوس المستديرة 8000-2500 ق.م، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، 2009-2010.
- بن بوزيد لخضر، حضارات الرعاة في النيوليتي بالطاسيلي والهوقار من خلال الفن الصخري 6000- 1000 ق.م"، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة الجزائر 2، 2015-2016.
- بن صدوق سعيدة، دراسة تيبو-تكنولوجية وتحليلية للفخار النيوليتي لمواقع شمال الجزائر، أطروحة دكتوراه علوم في آثار ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2019-2020.
- بوجبور سامية، الفن الصخري الصحراوي بأسلوب تازينا -تعريف توزيع وكرونولوجيا-، أطروحة دكتوراه في آثار ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2019-2020.
- جراية محمد رشدي، الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث 6100-1000 ق.م، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2007-2008
- جراية محمد رشدي، ملامح العصر الحجري القديم في بلاد المغرب: دراسة حضارية أثرية، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2011-2012.
- حدوش عبد القادر، الأهقار الكبرى والجنوب في فجر التاريخ، أطروحة دكتوراه في علم ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2008-2009.
- حريشان زهير، دراسة التوزيع الفضائي للبقايا الأثرية للموقع الألدواني عين الحنش (القلة الزرقاء، سطيف)، مذكرة ماجستير في ما التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2019-2020.

- حمودي محمد، دراسة وجه من النيوليتى الصحراوي: البقري السفل حسب المقطع الرابع لموقع تين هناكتن - الطاسيلي ناجر - الجزائر، مذكرة ماجستير في علم ما قبل التاريخ، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 2001-2002,
- رابحي مروان، الصناعة الحجرية الألدوانية لموقع عين الحنش -مستوى A-دراسة تكنولوجية وتجريبية، رسالة ماجستير تخصص ما قبل التاريخ، معهد الآثار، الجزائر، 2004-2005.
- الرميلي مصطفى، المعالم الجنائزية "فجر التاريخ" بمنطقة آشير جبال التيطري، مذكرة ماجستير في علم آثار ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2002.
- الرميلي مصطفى، دراسة أثرية للمعالم والطقوس الجنائزية لفجر التاريخ بمنطقة الحضنة، أطروحة دكتوراه علوم تخصص آثار ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2.
- زرارقة مراد، المعالم الجنائزية والهيئات السكنية لحوض بومرزوق في بداية العصور التاريخية، أطروحة دكتوراه في الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2012-2013.
- ساحد عزيز طارق، المعالم الجنائزية لمنطقة نقاوس ومقبرة سفيان، الحضنة الشرقية، مذكرة ماجستير في علم آثار ما قبل التاريخ، معهد الاثار، جامعة الجزائر 2، 1998.
- ساحد عزيز طارق، المعالم الجنائزية لمنطقة نقاوس ومقبرة سفيان، الحضنة الشرقية، مذكرة ماجستير في علم آثار ما قبل التاريخ، معهد الاثار، جامعة الجزائر 2، 1998.
- سفروان حسيبة، واقعية صورة الأنثى في الرسم الصخري لمنطقة صفار وضواحيها (الطاسيلي ناجر، الصحراء الوسطى)، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008-è200.
- سلاحجة بدر الدين، التعمير البشري لفترة فجر التاريخ بمنطقة بسكرة -جبال الزاب-، أطروحة دكتوراه علوم تخصص آثار ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2019-2020.
- سي فضيل زهية، الضمانات المقررة للمرأة العاملة في التشريع الجزائري والمقارن، اطروحة دكتوراه في الحقوق، غ. م، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2018/2017.
- العقون أم الخير، الليبيون وتأسيسهم للدولة في مصر الفرعونية، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2003-2004.
- عليش محمد، مظهر من النيوليتي الصحراوي-الرعوي الأعلى لمنطقة تين إزران (الطاسيلي ازجر، الجزائر)، مذكرة ماجستير في آثار ما قبل التاريخ، قسم علم الآثار، جامعة الجزائر، 1998-1999.
- عمراني سميرة، دراسة أركيوبالنولوجية لأوساط الهولوسان بمنطقة تين هناكتن (الطاسيلي أزجر، الصحراء الوسطى)، رسالة ماجستير، قسم علم الآثار، جامعة الجزائر، 2001-2002.
- عمرون وهيبة عبد الوهاب، التعمير البشري خلال عصور ما قبل التاريخ وفترة فجر التاريخ بمنطقة ميلة (الشرق الجزائري): دراسة أثرية، أطروحة دكتوراه علوم تخصص آثار ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2020-2021.
- كلثوم أيوب، أشكال المسكن من خلال مشاهد الفن الصخري بهضبة تاجلاهين، موقع ايهيرن، مذكرة ماستر في ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2021-2022.
- معروف لطيفة، دراسة تافونومية للمستوى الأثري السفلي للموقع الآشولي، الرايح، سيدي علي، مستغانم، أطروحة دكتوراه في علم الآثار، تخصص الانسان والمحيط، دراسة أثرية وقياسية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2011-2012.

- وابل امحمد، انعكاس مرحلة المناخ الأمثل على ثقافة المجتمعات في الصحراء الوسطى 7000 ق.م إلى غاية 2500 ق.م، مذكرة ماجستير في الحضارات القديمة، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013-2014.

ثانيا/ المراجع الأجنبية

1/ الكتب:

- Alimen (H), préhistoire de l'Afrique, éd. N. Boubé et Cie, Paris,1955.
- Amblard (S), Quechon, L'agriculture néolithique au Sahara méridional faits, théories et contradictions, milieux et techniques du Sahara préhistorique, Ed. L'Harmtan, Paris, 1994.
- Archamboult de Beaune (S), Balzean (A), La Préhistoire, CNRS édit. Paris, 2009.
- Aumassip (G), L'Algérie Des Premiers Hommes, Les Editions de la Maison des Sciences de l'Homme MSH, paris, 2001.
- Aumassip (G), Le Bas-Sahara dans la préhistoire, Éd. du Centre national de la recherche scientifique, Paris, 1986.
- Aumassip (G), Préhistoire du Sahara et de ses abords, Maisonneuve & Larose, Paris, 2004.
- Aumassip (G), Trésors de l'Atlas, Entreprise Nationale du Livre, Alger, 1986.
- Aumassip (G.) et Tauveron (M.), Préhistoire du Sahara et de ses abords, le Néolithique ou le temps des producteurs, L'Harmattan, 2019.
- Aumassip (G.), Préhistoire du Sahara et de ses abords, tome 1, Maisonneuve & Larose, Paris, 2004.
- Balout (L), préhistoire de l'Afrique du nord, Arts et métiers graphiques, Paris, 1966.
- Balout (L.), Préhistoire de l'Afrique du Nord : Essai de chronologie, Arts et Métiers graphiques, Paris, 1955.
- Briard (J). La protohistoire de Bretagne et d'Armorique. Edit. Errance, coll. Hespérides, Paris, 1991.
- Camps (C), Les civilisations préhistoriques d'Afrique du Nord et du Sahara, éd. DOIN, Paris, 1974
- Camps (G), Aux origines de la Berbèrie, Monuments et rites funéraire protohistorique, Edi. A.M.G. paris, 1961.
- Camps-Fabrer (H.), Un gisement de facies Sétifien: Medjez II. El Eulma (Algérie). Paris: CNRS Edition. 1975.
- Carette (E) : Recherches sur la géographie et le commerce de l'Algérie méridionale, imp: Royale Paris 1844.
- Carette (E) Recherches Sur L'origine Et Les Migrations Des Principales Tribus De L'Afrique Septentrionale Imp, Imperiale, Paris, 1853.
- Carette, (E), Etudes Des Routes Suivie Par Les Arabes, Exploration scientifique de L'Algérie Pendant les Année 1840-1841-1842 et Par ordre du gouvernement et avec le Concours d'une commission Académique, imp, royale, paris 1840.

- Cauvin (J), Naissance des divinités. Naissance de l'agriculture, la révolution des symboles au néolithique (Nouvelle édition). C.N.R.S., Paris, 1997.
- Chamla (M.C.), La diversité des types humains dans les gisements capsiens. In: C.N.R.S E, editor. In Camps-Fabrer H: Un gisement capsien de faciès sétifien, Medjez II, El Eulma Algerie. Paris, 1975.
- Chamla (M.C.), Les Algériens et els populations arabo-berbères du nord de l'Afrique : étude anthropologique. Alger: SNED. 1974.
- De Morgan (J.), Les premières civilisations : études sur la Préhistoire et l'Histoire jusqu' à la fin de l'Empire macédonien. Paris, 1909.
- De Vigneral (Ch), ruines romaines de l'Algérie, Glaye, paris, 1867
- Dechelette (J.), Manuel d'archéologie protohistorique, celtique et galloromain. t. II, Edit. Auguste Picard, Paris, 1910.
- Gsell (St), Histoire ancienne de l'Afrique du nord (Vol. T6), Hachette, Paris, 1927.
- Gsell (St.), Histoire ancienne de l'Afrique du Nord. Les Conditions du Développement Historique, Les Temps Primitifs, La colonisation Phénicienne et l'Empire de Carthage, T I, Paris, Librairie Hachette, 1920.
- Helmer (D), La domestication des animaux par les hommes préhistoriques. Paris, Masson, 1992.
- Le Quellec (J), Art Rupestre Et Préhistoire Du Sahara. Le Messak, Payot, Paris, 1998.
- Le Quellec (J.L), Symbolisme et Art rupestre du Sahara, ed- Harmattan, Paris, 1993.
- Lhote (H), A la découverte des fresques de tassili, Arthaud, Paris, 1958.
- Lhote (H), Les gravures rupestres du Sud Oranais, AMG, CNRS, Paris, 1970.
- Lhote (H), vers d'autre tassilis, Nouvelles Découvertes Au Sahara, éditions arthaud, Paris, 1976.
- Lhote. (H), "Déchiffrement d'une Fresque d'époque bovidienne du Tassili-N-Ajjer, In Santander Symposium, France, 1972.
- Lhote. (H), Les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer), vol. 1, Société Nationale d'Édition et de Diffusion, Alger, 1975.
- Lubell (D.), Continuité et changements dans l'Épipaléolithique du Maghreb, dans Sahnouni, M. (éd.), Le Paléolithique en Afrique : l'histoire la plus longue. Paris, 2005.
- Mortillet (G.), Mortillet (A.), La Préhistoire. Origine et antiquité de l'homme, Librairie Schleicher Frères, Paris, 1900.
- Nadaillac (H.), Les premiers hommes. Masson, Paris, 1988.
- Pallary (P), Caractères généraux de industries de la pierre dans l'Algérie occidentale, l'homme préhistorique, paris, 1900.
- Reygasse (M), Les monuments funéraires préislamiques de l'Afrique du Nord, A.M.G., paris, 1950.
- Roubet (C.), Economie pastorale préagricole en Algérie orientale : Le Néolithique de tradition Capsienne, CNRS, Paris, 1979.
- Vaufrey (R), préhistoire de l'Afrique, T1, Ed. Masson, Paris, 1955.

2/ الدوريات والمجلات:

- Abbé Mougel, 4km de promenades archéologiques sur la vie droite de l'oued Mela, B.A.H., T., XIL, 1881.
- Alimen (H.), L'Art rupestre nord –africaine, Arch. De l'I.P.H., Mém, n° 20, 1955.
- Amel Mostefaï Mostefaï-Ithier. Contribution à l'étude de l'art rupestre tassilien: à la recherche d'un sens à Ozan Ehéré (Tasîli-n-Ajjer, sahara central, Algérie). Archéologie et Préhistoire. Université Toulouse le Mirail- Toulouse II, 2014.
- Amokrane (S.), Un Modèle de Gestion Adapté aux Réalité Patrimoine et Culturelles de Notre Territoire, Racines, Revue de l'Office du Parc National de Tassili, N1, 2009.
- Anne-Marie Tillier, Les plus anciens Homo sapiens (sapiens). Perspectives biologique, chronologique et taxinomique. Naissance de la pensée symbolique et du langage. Numéro spécial à l'occasion du XVe Congrès de l'UISPP, Unesco, Paris., Diogène, n°214, 2006.
- Anonyme (F) « Coup D'œil Sur Les Antiquités De La Province De Constantine » in A.S.A.C Année, 1853.
- Antoine (M), un cône de résurgence du paléolithique moyen à Titmellil, près de Casablanca, Bulletin de la société de préhistoire du Maroc, 1938.
- Antoine (M),), Les grandes lignes de la Préhistoire marocaine. in Actes du 2ème Congrès Panafricain de Préhistoire, Paris, éd. Arts et Métiers Graphiques, 1952.
- Aouraghe (H), Histoire du peuplement paléolithique de l'Afrique du Nord et dynamique des interactions entre l'homme et son environnement, Palevol, 5, 2006.
- Arambourg (C) Hoftsteter (R), Découvertes en Afrique du paléolithique inférieure ; Aead., Sci., T. 239, 1954.
- Arambourg (C.), Le gisement de Ternifine et l'Atlanthropus. In: Bulletin de la Société préhistorique de France, tome 52, n°1-2, 1955.
- Arambourg, (C.), Balout (L). "Du nouveau à Ain Hanech." Bulletin de la Societé d'Histoire Naturelle de l'Afrique du Nord, Alger 43, 1952.
- Arambourg, (C.). "Les Vertébrés du Pléistocène de l'Afrique du Nord." Archives du Muséum National d'Histoire Naturelle. 1(Paris), 1970.
- Arambourg, (C.). "Sur la présence dans le villafranchien d'Algérie de vestiges éventuels d'industrie humaine." C. R. Acad. Paris, 1949.
- Arambourg, (C.). Les Vertébrés du Pléistocène de l'Afrique du Nord. Paris, Editions Fondation Singer-Polignac, 1979.
- Arambourg, C., présentation d'objets énigmatiques provenant du villafranchien d'Algérie, S.G.F, 1949.
- Aumassip (G), Amorsi (F), et Aut., Touggourt Algérie, Un gisement moustérien de tradition acheuléenne dans le Sahara, Libyca, T. 35, C.R.E.P.E. ? Alger, 1998.

- Aumassip (G.). L'Atlanthrope, le plus vieil Algérien connu In : L'Algérie des premiers hommes [en ligne]. Paris : Éditions de la Maison des sciences de l'homme, 2001.
- Aumassip. (G), "Intervention humaines sur les plantes et les animaux dans le Sahara central", In Pale vol, France, 2005.
- Ballouche (A.) et Marinval (Ph.), « Données palynologiques et carpologiques sur la domestication des plantes et l'agriculture dans le Néolithique ancien du Maroc septentrional (site de Kaf Taht El-Ghar). », Revue d'Archéométrie 27, N° 1, 2003.
- Balout (L), L'homme préhistorique et la Méditerranée occidentale. In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°3, 1967.
- Balout (L), Prise de date pour divers gisements situés dans la région du littoral algérien ». Bulletin de la Société Préhistorique Française, T.XLIII, 1946.
- Balout (L.), Chronologie absolue et préhistoire saharienne. In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°11, 1972.
- Belhouchet (L), Aspects de la production lithique dans le Néolithique de Tajera (Mednine). *Africa* XXI, 2007, 5-18. Belhouchet (L), Les gravures sur coquilles d'oeufs d'autruche en Afrique du Nord : interprétation des décors géométriques. *Sahara 19, 2008*
- Belhouchet (L), Du Capsien chasseur au capsien pasteur, pour un modèle régional de Néolithisation, Archaeopress Archaelogy.
- Belhouchet (L), OEuf d'autruche. *Encyclopédie berbère* 35, 2013.
- Belhouchet, L., Mulazzani, S. et Jeddi, Z. 2013. Les techno-complexes lithiques de SHM-1, dans Mulazzani, S. (éd.), *Le Capsien de Hergla (Tunisie). Culture, environnement et économie.* Reports in African Archaeology 4, Francfort , 2013.
- Belhouchet, L., Mulazzani, S. et Pelegrin, J., Evolution of a 9th-8th mill. cal B.P. Upper Capsian site: the techno-typological study of the bladelet production at SHM-1 (Hergla, Tunisia). *Quaternary International* 320, 2014.
- Bellin (L), Réflexions sur l'lbéromaurusien. In: Bulletin de la Société préhistorique de France, tome 51, n°9-10, 1954.
- Berbrugger (A), « Manuscrits Espagnols En Caracteres Arabes » in R A , Vol 04. Année 1859-1860.
- Berbrugger (A), Inscription Romaine De Sisga » in R A, vol 7, Année 1863.
- Berbrugger (A), Julia Caesarea (Cherchel) (Inscriptions chrétiennes) » in R A, vol 1, An 1856.
- Berbrugger (A), L'Afrique septentrionale après le partage du monde romain en Empire d'Orient et Empire d'Occident » in R A, vol 1, Année 1856.
- Berbrugger (A), Les Romains Dans Le Sud De L'Algérie – Haut Plateaux Et Le Sahara Du Centre » in R A vol 2 Année 1857.
- Berbrugger (A), Mers-el-Kebir et Oran d'après Suarez » in R A, vol 10, Année 1866.
- Berbrugger (A), Une Grave Erreur Chronologique » in R A, vol 10, Année 1866.

- Bernalle (R), Vestiges antiques de la commune mixte de l'oued cherfe, R.M.S.C, T XXVII, 1892.
- Biberson (P.), Le Cadre paléogéographique de la Préhistoire du Maroc atlantique et le Paléolithique inférieur du Maroc atlantique, Publications du Service des Antiquités du Maroc, Rabat, 16, 1961.
- Biberson (P.), Le gisement de l'Atlanthrope de Sidi Abderrhaman (Casablanca). Bull. d'Archéologie Marocaine I, 1956.
- Bordes (F.), Bourgon (M.), Le complexe moustérien : Moustériens, Levalloisien et Tayacien. *L'Anthropologie,* 55, 1951.
- Boule (M), L'homme fossile de la Chapelle-aux-Saints, extrait des Annales de paléontologie (1911-1913), Masson, Paris, 1913.
- Bourdier F., Préhistoire et protohistoire. Bulletin de la Société préhistorique française. 1950, T° 47, N° 11-12.
- Bourdier F., Sur la définition de la protohistoire B.S.P.F. 1950, T° 47, N° 5.
- Bourgignat (Gr), Histoire des monuments mégalithiques de Roknia près de Hammam Maskhoutine ; Paris, 1870.
- Brahimi (C), Deux campagnes de fouilles à Columnata (1969 et 1971), Libyca, 20, 1972, p 100.
- Brahimi (C.), L'Ibéromaurusien du littoral de la région d'Alger, Mémoire du C.R.A.P.E., 23,1970.
- Breuil, « L'Afrique préhistorique », *Cahiers d'art*, 8-9, 1930.
- Cadenat (P.) Les gisements préhistoriques de Mesguida Tiaret (Algérie). Bulletin de la Société préhistorique française 66(5), 1968.
- Cadenat (P.) Sur l'extention de la civilisation capsienne vers l'Ouest (Tiaret, Algerie). Bull de la Soc Préhit Franç(59):27-32, 1962.
- Cadenat (P.), Deux gisements inédits du Capsien dans la région de Tiaret. Libyca 16(103-112).
- Cadenat (P.), Le Columnatien, industrie épipaléolithique d'Algérie. Bulletin de la Société d'Études et de Recherches Préhistoriques 20, 1970.
- Camps (G) & Camps-Fabrer (H), L'Epipaléolithique récent et le passage au Néolithique dans le nord de l'Afrique, Fundamenta (A/3), t. 7, 1972.
- Camps (G), dolmens, T16, encyclopédie Berbère, 1995.
- Camps (G), Épipaléolithique, In: Enc. Ber., n°17, Douiret – Eropaei, Aix-En-Provence, Edisud, 1996.
- Camps (G), Gisement atérien en relation stratigraphique directe avec un Strombus bubonius L.K. au Camp Franchet-d'Esperey près d'Arzew ». Bulletin de la Société d'Histoire Naturelle de l'Afrique du Nord, T. XV, 1954.
- Camps (G), L'homme de Mechta El-Arabi et sa civilisation, contribution a l'étude des origines Guaches, Anuario de estudios Atlantoos, N° 16, 1969.
- Camps (G), Morel (J), « Alimentation », Encyclopédie Berbère, IV, Paris, 1987.
- Camps (G), Tableau chronologique de la Préhistoire récente du Nord de l'Afrique. Deuxième synthèse des datations obtenues par le carbone 14, Bulletin de la Société préhistorique Française, N° 71-1, 1974.

- Camps (G.), « Tableau chronologique de la Préhistoire récente du Nord de l'Afrique », Bulletin de la Société préhistorique française. Études et travaux 65, no 2, 1968.
- Camps (G.), Amekni, Néolithique ancien du Hoggar. Mém. X, C.R.A.P.E., A.M. G., 1969.
- Camps (G.), Cadenat (P.), Nouvelles données sur le début de l'âge des métaux en Afrique du Nord, Travaux de L.P.E.M.O, Aix en Provence, 1980.
- Camps (G.), Les traces d'un âge du bronze en Afrique du Nord, Revue Africaine T.CIV, 1960.
- Camps G. & Camps-Fabrer H., La nécropole mégalithique du djebel Mazela à Bounouara. Mémoire du C.R.A.P.E., Paris, A.M.G. 1964.
- Camps-fabrer (H), « Autruche », *Encyclopédie berbère*, 8, 1990.
- Camps-Fabrer (H), « Damous-el-Ahmar », Encyclopédie Berbère, XIV, Paris,1994.
- Camps-Fabrer (H), Parures des temps préhistoriques en Afrique du Nord, *Libyca*, 8, 1960.
- Camps-Fabrer (H), Un gisement Capsien de faciès Sétifien. Medjez Il, El-Eulma (Algérie), CNRS, Paris, 1975.
- Camps-Fabrer (H.), Culture et Environnement : Capsien du Maghreb et Natoufien du Proche-Orient. In: Centre national de recherches préhistoriques aeh, editor. L'homme maghrebin et son environnement depuis 100000 ans. Maghnia. 1978.
- Camps-Fabrer (H.), Matières et arts mobiliers dans la préhistoire nord-africaine et saharienne, Art et Métier graphiques, 1966.
- Camps-Fabrer (H.), Un gisement du Capsien supérieur. L'escargotière de Medjez II (El Eulma), Département de Sétif, Alger, Algérie. Note prélimnaire. L'Anthropologie 72(5-6), 1968.
- Camps-Fabrer, H. *Matière et art mobilier dans la préhistoire nord-africaine et saharienne*. Mémoires du Centre de recherches anthropologiques, préhistoriques et ethnographiques 5, Paris, 1966.
- Canal (J), « Le littoral des Trara Les ruines d'Honaï, carte 6 pl » in B.S.G.A.O, vol 4, Année 1884.
- Canal (J), « Tiaret, monographie ancienne et moderne » in B.S.G.A.O, vol 20, Année 1900.
- Carrière (G) « Quelques stations préhistoriques de la Province d'Oran». Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie de la Province d'Oran, T. VI, 1886.
- Chamla (M. C), Étude anthropologique de l'homme capsien de l'Aïn Dokkara (Algérie orientale), Libyca XXI (1973).
- Chamla (M. C), Évolution du type de Mechta-Afalou en Algérie occidentale, C. R. Acad. Sci. Paris, Ser. D 267 (1968).
- Chamla (M. C), Les hommes néolithique de l'Afrique, Ed. L'homme, son évolution, sa diversité, Doin, Paris, 1986.

- Chamla (M.C), Les hommes des sépultures protohistoriques et puniques d'Afrique du Nord (Algérie Et Tunisie), L'Anthropologie, T. 79, 1975.
- Chamla (M.C.), Etude Athropologique de l'homme Capsien de l'Aïn Dokkara. Libyca 21, 1973.
- Chamla (M.C.), Les Hommes épipaléolithiques de Columnata (Algérie oxidentale) Etude Anthropologique. In: Edition A, editor. Mémoire du CRAPE. Paris, 1970.
- Chamla (M.C.), Note sur les restes humains (H4) découverts à Rachgoun en février 1964. Libyca (14), 1966.
- Chamla (M-C), L'évaluation du type de Mechta-Afalou en Algérie occidentale. "Comptes Rendus de 1'Académie des Sciences de Paris", t. 167, 1849-1851.
- Charbonneau (A) « Inscriptions latines découvertes dans la province de Constantine » in A.S.A.C, Année 1858- 1859.
- Charpentier (V), The Neolithic /le Néolithique In : 40 ans de coopération Archéologique entre les Emirats Arabes et la France, Unesco, November 2017.
- Child (G) & Gordon (V), *Bronze age*, Ed Cambridge University, 1930.
- Childe (VG), The Dawn of European Civilization, Routledge et Kegan paul LTD, London, 1925.
- Cilingiroglu (C), The concept of Neolithic package, considering its meaning and applicability, Documenta Praehistorica, XXXII, 4 (5), 2005.
- Clottes (J), Art rupestre du Tadrart Acacus (Libye), premiers données statistiques, international news lettre on rock art, IRONA, lettre internationale d'information sur l'art rupestre, N° 38, 2004.
- Collège de France, Une équipe internationale découvre les plus anciens Homo sapiens à Jebel Irhoud au Maroc, La lettre du Collège de France 42-43, 2016-2017.
- Coon (C.S.), Fossil Man in Tangier. Papers of the Peabody Museum, In Senytirek M.S., 1940), 13, 1940.
- Dalloni (M), notes sur la classification du plèocène supérieur et du quaternaire de l'Algérie, B.S.G.A.Or., T.LXI, 1940.
- Dalloni (M.), La station moustérienne de Retaïmia près d'Inkermann (Algérie). Actes 2e Congr, Panaf. de Préhist., Alger (1955).
- Darwin (Ch), De l'origine des espèces, édit. Schleicher Frères, 1859.
- Daugas (J-P.) et al., « Le Néolithique ancien au Maroc septentrional : données documentaires, sériation typo chronologique et hypothèses génétiques », Bulletin de la Société préhistorique française 105, no 4, 2008.
- De la Martinière H, lettre de la Martinière à M. le directeur de Journal des Savants, 10 em année 1912.
- De la torre Ignacio, The origins of the Acheulean: past and present perspectives on a major transition in human evolution. Phil. Trans. R. Soc. B, 2016.
- De Labord (E), Fouilles à El-Haria et Mhidjiba, R.S.A.C, T. XXV, 1901.

- De Morgan (J.), Capitan (L.) et Boudy (P.), Étude sur les stations préhistoriques du Sud tunisien. Revue de l'École d'Anthropologie de Paris 20, 1910.
- Debénath (A), Le peuplement préhistorique du Maroc : données récentes et problèmes, Anthropologie, 104, 2000.
- Debruge (A) « Industries Préhistoriques Sahariennes. Présentation De La Vitrine n° 8 du Musée De Constantine » in R.S.A.C, 1906.
- Debruge (A.), Fouilles de la grotte d'Ali-Bacha. In: sciences Afplad, editor. 31eme session Congrès de Montauban. Montauban, 1902.
- Delisle (F.) Note sur les ossements humains de la grotte "Ali Bacha". Assoc Fr pour l'avancement des sciences 2, 1902.
- Delisle (F.), Deuxième note sur les ossements humains préhistoriques de la grotte Ali Bacha (fouilles de M. Debruge). Recueil de la Société Archéologique de Constantine 40, 1906.
- Delisle (Fernand) « Deuxième note sur les ossements humains préhistoriques de la grotte Ali Bacha (Fouilles de M. Debruge) » in R.S.A.C, Année 1906.
- Despois (J), Le peuplement préhistorique de l'Afrique du Nord, d'après M. L. Balout. In: Annales de Géographie 1957, t 66, n°357.
- Devillers (Ch), les dépôts quaternaires de l'arg-tihodaine, Sahara central, congrès préhistorique de F. 13 séssion, Paris, 1950.
- Discours De Charles Jonnart Au Congres Des Orientalistes, » in R A vol 49, Année 1905.
- Doumergue (F), « Contributions au préhistorique de la province d'Oran ». XXVIIe Congrès de l'A.F.A.S., Nantes, 1898.
- Dupuy (Ch), sous zone 2 Algérie –Tunisie, ICOMOS 2007 UNISCO
- Elena A.A. Garcea, An Alternative Way Towards Food Production: The Perspective from the Libyan Sahara, Journal of World Prehistory, June 2004, Vol. 18, N°2.
- Ennouchi (E.), Essai de datation du gisement du Jebel Irhoud (Maroc). C.R. somm. de la Soc. Géol. De Fr., 1966.
- Ennouchi (E.), Le deuxième crâne de l'homme d'Irhoud. Annales de Paléontologie (Vertébrés), LIV, 1, pp. 117-128, 1968.
- Ennouchi (E.), Nouvelle découverte d'un Archanthropien au Maroc. C. R. Acad. Sc., Paris, 274, 1972.
- Ennouchi (E.), Présence d'un enfant néanderthalien au Jebel Irhoud (Maroc). Annales de Paléontologie (Vertébrés), LV, 2, 1969.
- Ennouchi (E.), Sur quelques pièces paléontologiques. Bull, de la Soc. des Se. Nat. et Phys. du Maroc, t. 45, 1965.
- Ennouchi (E.), Un néanderthalien : l'homme de Jebel Irhoud (Maroc). L'Anthropologie, 66, 3-4, 1962.
- Ennouchi (E.), Un nouvel Archanthropien au Maroc. Annales de Paléontologie des Vertébrés 56, 1970.

- Espérandieu (G.), Coppé (G.), et Chaker (S.), « Chien », E.B, in *13,* Aix-en-Provence, Edisud, 1994, p 1919.
- Farbe (Jean-Henri) « Monographie de la commune indigène de Tiaret-Aflou, fig. et carte » in B.S.G.A.O, vol 22, Année 1902.
- Ferand (L), Recherches sur les monuments dits celtiques dans la province de Constantine, R.S.A.C., T. VII, 1863.
- Ferembach (D), Les cromagoides de l'Afrique du Nord. 1868-1968. L'Homme de Cromagnon. "Antropoloigie et Archeologie", A. M. G. Paris.
- Ferembach (D), Les hommes du Paléolithique supérieur autour du Bassin méditerranéen, L'Anthropologie, Paris, 90 (3), (1986).
- Férembach (D), Les restes humains de la grotte de Dar-es-Soltane II (Maroc), campagne 1975. Bull. s et Mémoires de la Soci Et d'Anthropologie de Paris 3, 1976.
- Flamand (G. B .M), Les pierres écrites (Hadjrat Mektoubat). Gravures et inscriptions rupestres du Nord-Africain, Missions du Ministère de l'instruction publique et du Gouvernement général de l'Algérie (Service géologique), Paris: Masson & Cie, 1921.
- Flamand (G. B. M), Laquiére (E), « Nouvelle recherche sur le préhistorique dans le Sahara et dans le haut pays oranais». Revue africaine, T. L, n° 261/262, 1906.
- Flamand (G.B.M), Deux stations Nouvelles de pierres écrites l'anthrop, T. XXV, 1914.
- Flamand (G.B.M), les pierres écrites (Hadjrat Mektoube) gravures et inscriptions rupestres du Nord Afrique, Masson, Paris, 1921.
- Flamand. (G. B. M), Pierre écrites gravures et inscription on rupestre du Nord-Africain, Paris, 1921.
- Forrer (R), Ruhlmann (A), Maroc oriental, Bull. De la Société de préhistoire du Maroc, 1939.
- Gautier (E-F), Rapport sur une mission au Sahara, comptes-rendus des séances de l'académie des inscriptions et belles lettres, 79, N° 3, 1935.
- Giemsch (L), Frome Africa around the world: the Acheulean, In: Being Human, the beginnings of our culture, Accompanying volume to the special exhibition (May 2021-27 march 2022, Archaologisches Museum Frankfurt, Nunnerich-Asmus Verlag et Media, 2022.
- Gobert (E. G), le gisement paléolithique de Sidi Zine, Carthage, T. I, 1950.
- Gobert (E. G), morphologie quaternaire, et palèthnologie et leurs relations ; Libyca T. II, 1954.
- Gobert (E. G.) et Vaufrey (R.), Le Capsien de l'abri 402. Notes et Documents XII, Paris, 1950.
- Gobert (E. G.), El Mekta, station princeps du Capsien. Karthago III, 1952.
- Gobert (E. G.), Introduction à la Palethnologie tunisienne. Cahiers d'Archéologie Tunisienne 2, 1914.
- Gobert (E. G.), La Préhistoire dans la zone littorale de la Tunisie. Quaternaria VI, 1962.

- Gobert (E. G.), Les escargotières, le mot et la chose. Rev. Afr., 81, 1937.
- Gobert (E. G.), Notions générales acquises sur la préhistoire de la Tunisie, dans Actes du Congrès panafricain de préhistoire, 2e session. Alger, 1951-1952.
- Gobert (E.G.), Introduction à la Palethnologie tunisienne. Cah Archéol tunisienne 2e Cah.
- Gobert (E.G.), Note préliminaire sur l'évoluton du Capsien. Bull de la Soc Préhit Franç 7, 1910.
- GOBERT (E.G.), VAUFREY (R.), « Deux gisements extrêmes d'Ibéromaurusien », *L'Anthropologie*, 27 (1/2), 1932.
- Gouillault (R), Notes sur les stations préhistorique de Gafsa, L'Anth., T. V, 1894.
- Grebenart (D), le capsien des régions de Tébessa et d'ouled djellal(Algérie). Aix-en-Provence : Université de Provence, 1976.
- Grebenart (D), Le Capsien des régions de Tébessa et de l'Ouled Djellal. Algérie,Travaux de laboratoire d'anthropologie et de préhistoire et d'ethnologie des pays de la Méditerranée occidentale, 1972
- Grebenart (D.), Capsien. Encyclopédie berbère 12, 1993.
- Hachi (S), Aux origines des arts premiers en Afrique du Nord : Les figurines et les objets modelés en terre cuites de l'abri-sous-roche préhistorique d'Afalou, Babors, Algérie (18 000 – 11 000 ans BP), Mémoire du Centre National de Recherche Préhistoriques Anthropologiques et Historiques, Nouvelle série n° 6, Alger, 2003.
- Hachi (S), Les Cultures De L'homme De Mechta Afalou, Les Gisment D'afalou Bou Rhmmel (Massif Des Babors, Algérie), Mémoire de C.N.R.P.A.H, Nouvelle Série, n°2, 2003.
- Hachi (S), Résultats des fouilles récentes d'Afalou Bou Rmel (Bédjaîa, Algérie), *in* Fullola J.-M., Soler N. (ed.), *El Món Mediterrani Despres del Pleniglacial (18.000-12.000 BP)*, Girona, Museu d'Arqueologia de Catalunya, 1997.
- Hachi Slimane, Aux Origines Des Arts Premiers En Afrique Du Nord, Les Figurines Et Objets Modèles D'afalou C, N, R, P, A, H, 2003.
- Hachid (H), la chronologie relative des gravures de l'Atlas Saharien (Algérien) et la région de Djelfa, Libyca, tome 30-31, 1982.
- Hachid (M), L'art rupestre préhistorique en Algérie, in: Al Insan, CRAPE, Alger, 1983.
- Hachid (M), Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, (EL-HADJRA EL-MEKTOUBA); Tom 01, ENAG, ed., 1992.
- Hachid (M), Les Premiers Berbères Entre Méditerranée –Tassili -Et Nil,.Paris: Edisud-Ina-Yas, 2000.
- Hachid (M), Tassili –N-Ajjer Au Source De L'histoire il Y A 50 Siècle Avant Les Pyramids, France, Edition Paris –Mediterranean, 1998.
- Hachid M, Les Pierres Ecrite De L'atlas Saharien, Algerie: Edition ENAG, 1992.

- Hachid. (M), "Les gravures rupestres de l'Atlas Saharien. Expérimentation du relevé par estampages-moulages, Etudes et Document sur le Patrimoine, Unesco, N°13, 1986.
- Hadad (R), Inactualités de la révolution néolithique, Rousseau, l'Anthropocène et les nouveaux riches de la préhistoire, Revue De L'Homme, 234-235, 2020.
- Hadjouis (D), Algérie, 2 millions d'années d'histoire, Aux origines d'Homo Sapiens, Catalogue de l'exposition une année de l'Algérie en France, 2003.
- Haider-Boustani (M.), Le néolithique des Liban dans le contexte Proche-Orientale, Etats des connaissances, Université Saint- Joseph, Beyrouth. Vol. 12- 13, 2001-2002, Tempora (Beyrouth), 2002.
- Hamil (S), Lieux de sépultures et pratiques rituelles Épipaléolithiques en Algérie, TAFZA, revue des études historiques et archéologiques Vol. 03 Num. 03, 2023.
- Hauard (P), Petit (J), les Chasseurs -graveurs du Hoggar, Libyca, T. 13, 1975.
- Huard (P), Leclant (J), Figurations de pièges des chasseurs anciens du Nil et du Sahara, Revue d'égyptologie, T° 25, 1973.
- Hublin (J.-J.) et Tillier (A.-M.), The mousterian juvenile mandible from Irhoud (Morocco) : a phylogenetic interpretation. In Aspects of Human Evolution, C.B. Stringer éd., Taylor and Francis LTD, Londres,1981.
- Hublin (J-J), et Al., New fossils from Jebel Irhoud, Morocco and the pan-African origin of Homo sapiens. Nature, 546 (7657). 2017.
- Hublin (J-J), Recent human evolution in northwestern Africa, Philos. Trans. R. Soc. Lond. B Biol. Sci. 337 (1280) (1992).
- Hublin (J-J), Tillier (A-M), Tixier (J.), L'humérus d'enfant moustérien (Homo 4) du Djebel Irhoud (Maroc) dans son contexte archéologique. In: Bulletins et Mémoires de la Société d'anthropologie de Paris, XIV° Série. Tome 4 fascicule 2, 1987.
- Hugot (H.j.), le Sahara avant le désert, Editions des hespèrides, Paris, 1974.
- Hugot (H-J), Recherches préhistoriques dans l'ahggar nord-occidental, Mém du c.r.a.p.e.1, paris, 1963.
- Irish (J.D.), The Iberomaurusian enigma: North African proginitor or dead end? J Hum Evol (39), 2000.
- Judas (A) « Sur quelques animaux attribués ou refusés à la Libye par Hérodote » in R.S.A.C, Année 1865 ; FERAUD « Bordj bou Arréridj » in R.S.A.C, année 1869.
- Kavita (G), Graeme (R.), Anvar (Sh)., The Near-Eastern Roots of the Neolithic in South Asia, PloS ONE 9 (5), 2014.
- Lacombe (J.P.), Daugas (J.P.), Sbihi-Alaoui (EZ.), La nécropole néolithique de Rouazi-Skhirat (Maroc). Présentation de l'Etude des sépultures. Bull. et Mém. de la Soc. d'Anthrop, de Paris 2 (nouvelle série), 1990.
- Lacombe (J.P.), Elhajraoui (M.A.), Daugas (J.P.), étude anthropologique préliminaire des sepultures néolithiques de la grotte d'El Mnasra (Témara, Maroc). Bull. de la Soc. d'Anthrop, du Sud-Ouest, Bordeaux, 26, 1991.

- Lacombe (J.P.), La nécropole néolithique de Rouazi-Skhirat dans le contexte anthropologique holocène du Maroc atlantique. In: Colloque international, L'Homme de Témara et ses contemporains du bassin mEditerranEen depuis 100 000 ans, Témara 1992, résumé des communications.
- Lacroix (Alfred) Notice historique sur quatre botanistes membre ou correspondants de l'Académie des Sciences, ayant travaillé pour la France d'outre-mer, de la fin du siècle dernier à nos Jours : lecture faite en séance annuelle du 19 décembre 1938, Ed. Gauthier-Villars. Paris 1938.
- Lakhdar (F), *Considérations anthropologiques sur les Capsiens, peuple épipaléolithique du Maghreb oriental, Dialogue Méditerranéen, n ° 3-4, 2012.*
- Le Quellec (J-L), Chamanes et martiens: même combat ! Les lectures chamaniques des arts rupestres du Sahara », dans Michel Lorblanchet, Jean-Loïc Le Quellec, & Paul G. Bahn (Eds.), Chamanismes et arts préhistoriques : Vision critique, Paris, 2006.
- Le Quellec (J-L), Civrac (M-A), La chasse au filet sur les peintures rupestres du Sahara central et dans l'antiquité, cahiers de L'A.A.R.S., 14, 2010.
- Le Quellec (J-L), Les arts graphiques du Sahara et de l'Egypte ancienne : que comparer, in : AULA AEGYPTIACA Studia n°1, Barcelona, 2001, Africa Antigua - el Antiguo Egipto, una Civilizacion Africana, Actas de la IX Semana de Estudios Africanos del Centre d'Estudis Africans de Barcelona (18-22 de marzo de 1996), 2001.
- Le Quellec (J-L), Symbolisme et art rupestre au Sahara, L'Harmattan, Paris, 1993.
- Lhote (H), A la découverte de fresques du tassili, arthaud, paris, 1973[1] Picard (G), Images de chars romains du Sahara, C.R.I.A, et des belles lettres, vol.101, N°1, 1958.
- Lhote (H), Chars rupestres du Sahara, C.N.S.A.I Et des belles-lettres, 107, N° 2, 1963.
- Lhote (H), Chars rupestres du Sahara, C.R.I.A, et des belles lettres, vol.107, N° 2, 1963.
- Lhote (H), les gravures rupestres de l'ouest djerat (tassili-n-ajjer), T. 1-2, mémoire du centre de recherches anthropologiques préhistoriques et ethnographiques, N° 25, Alger, 1976.
- Lhote (H), Les peintures pariétales d'époque bovidienne du Tassili éléments sur la magie, Journal de la société des africanistes, V. 36, 1966.
- Lorcin (J), La station préhistorique du cap Ténès, Lybica, 9 (10), 1961-1962.
- Lubell (D.), et Aut., The prehistoric cultural ecology of Capsian escargotieres. Libyca, 23 (43), 1975.
- Lubell (D.), Paleoenvironments and Epi-Palaeolithic economies in the Maghreb (ca. 20,000 to 5000 B.P.), dans Clark, J. D. et Brandt, S. A. (éd.), From Hunters to Farmers. The Causes and Consequences of Food Production in Africa. Los Angeles, 1984.

- Lubell, D. (éd.) Holocene Prehistory in the Télidjène Basin, Eastern Algeria. Capsian occupations at Kef Zoura D and Aïn Misteheyia. Archaeopress Archaeology, Oxford. 2016.
- Lubell, D., Ballais, J.-L., Gautier, A. et Hassan, F. A.,The prehistoric cultural ecology of Capsian escargotières. Preliminary results of an interdisciplinary investigation in the Chéria-Télidjène Region (1972-1973). Libyca 23, 1975.
- Lubell, D., Gautier, A., Leventhal, E. T., Thompson, M., Schwarcz, H. P. et Skinner, M. The prehistoric cultural ecology of Capsian escargotières. Part II: Report on investigations conducted during 1976 in the Bahiret Télidjène, Tébessa Wilaya, Algeria. Libyca 30-31, 1982-1983.
- Maitre (J. P.), Contribution a la préhistoire de l'ahaggare, Téfedest centrale, Mém, du C.R.A.P.E,17, Paris, 1971.
- Marcais (J.), Découverte de restes humains fossiles dans le grès quaternaire de Rabat (Maroc), L'Anthropologie, t. XLIV, 1934.
- Marcel Otte, La Préhistoire, 3 éd, de poch université ,2005.
- Marchand (DH), Aymé (A), « Recherche stratigraphique sur l'atérien». Bulletin de la Société d'Histoire Naturelle de l'Afrique du Nord, T.XXVII, 1935.
- Marie Soressi. Le Moustérien de tradition acheuléenne du sud-ouest de la France. Discussion sur la signification du faciès à partir de l'étude comparée de quatre sites : Pech-de-l'Azé I, Le Moustier, La Rochette et la Grotte XVI.. Sciences de l'Homme et Société. Université Bordeaux I, 2002.
- Marmier F), Trecolle (G), étude de L'industrie du gisement d'Hassi Mouillah région de Ouargla, Sahara Algérien, Libyca, T19, 1971, C.R.A.P.E, Alger.
- Marssily (C) « Notice Sur Les Vestiges De L'occupation Romains Dans Le Cercle De Philippeville » in A.S.A.C, 1853.
- Mcburney (C.M.B), The Haua Fteah (Cyrrenaica) and the stone age of the South East Mediterranean, Cambridge university press.
- Merzoug (S), Faunal Remains from Medjez II (Epipalaeolithic, Algeria): Evidence of ostrich consumption and interpretation of Capsian subsistence behaviors, dans Jousse, H. et Lesur, J. (éd.), *People and Animals in Holocene Africa*: *Recent Advances in Archaeozoology*. Reports in African Archaeology 2, Francfort, 2011.
- Merzoug (S), Les comportements de subsistance en Afrique du Nord-Ouest durant la transition Pléistocène supérieur/Holocène : entre homogénéité et variations stratégiques. *L'Anthropologie* 121 (1-2), 2013.
- Merzoug, S., Aoudia, L., Aouimeur, S., Belambri, R., Eddargach, W. et Fergui, A., L'escargotière de Medjez I (El Eulma, Algérie) : résultats préliminaires d'une opération archéologique pluridisciplinaire, dans Sahnouni, M., Semaw, S. et Rios Garaizar J. (éd.), *Proceedings of the II Meeting of African Prehistory* (Burgos, 15-16 April 2015). Burgos, 2017.
- Ministère De La Guerre, Tableau De La Situation Des Etablissement Français Dans L'Algérie En 1838, Paris, imp. Royale, juin 1839.

- Moll (A) « Note sur des fouilles faites à Lambèse aux sources d'Ain Drinn et d'Ain Boubennana » in A.S.A.C Année 1956-1957.
- Morel (J), 1953. Le Capsien du Khanguet el Mouhâad. Libyca I, 1953.
- Morel (J), L'outillage lithique de la station Kef Oum Touiza dans l'Est constantinois, *Libyca*, 1, 1953.
- Morel (J), La faune de l'escargotière de Dra-Mta-el-Ma-el-Abiod (Sud-Algérien). Ce qu'elle nous apprend de l'alimentation et des conditions de vie des populations du Capsien supérieur. L'Anthropologie 78-2, 1974.
- Morel (J), Le Capsien de Khanguet-el-Mouhaâd (commune mixte de Morsott, département de Constantine), Libyca, t. 1, 1953.
- Morel (J), Les Capsiens de la région de Tébessa, sédentaires ou nomades ? Libyca 25, 1977.
- Morel (J), L'industrie lithique de l'escargotière de Dra-Mtael- Ma-el-Abiod dans le Sud-Est algérien. Sa composition. Son évolution, L'Anthropologie, t. 72, nc 2, 1978.
- Morel (J), Nouvelles réflexions sur l'alimentation et le mode de vie des Capsiens de Dra-Mta-el-Ma-el-Abiod dans la région to Tébessa (Est algérien), dans Roubet, C., Hugot, H.-J. et Souville, G. (éd.), Préhistoire Africaine : mélanges offerts au doyen Lionel Balout. Paris, 1981.
- Mulazzani, S. Belhouchet, L., Salanova, L., Aouadi, N., Dridi, Y., Eddargach W., Morales, J., Tombret, O., Zazzo, A. et Zoughlami, J., The emergence of the Neolithic in North Africa: A new model for the Eastern Maghreb. Quaternary International 410, 2016.
- Mulazzani, S. et Sidéra, I. Monthel, G. et Oboukhoff, S. 2012. Technological and typological study of the Upper Capsian bone assemblage from SHM-1, Tunisia. Journal of African Archaeology 10-1, 2012.
- Mulazzani, S., Belhouchet, L. et Jeddi, Z., Aspects techno-typologiques de l'industrie lithique des chasseurs-pêcheurs-cueilleurs de SHM-1 (Hergla-Tunisie). Le premier niveau d'occupation durant le VIIème millénaire cal BC. Africa 64, 3-4, 2009.
- Mulazzani, S., Cavulli, F., Azzara, V., Scaruffi, S. et Boussoffara, R. 2009. Structures d'habitat nord-africaines : la fouille de la rammadiya côtière holocène de SHM-1 (Hergla, Tunisie), dans Cavulli, F. (éd.), Defining a Methodological Approach to Interpret Structural Evidence, Session WS28. Actes du XV Congrès Mondial de l'Union Internationale des Sciences Préhistoriques et Protohistoriques (Lisbonne, 4-8 septembre 2006), vol. 32. British Archaeological Reports International Series 2045, Oxford, 2009.
- Mulazzani, S., Le Bourdonnec, F.-X., Belhouchet, L., Poupeau, G., Zoughlami, J., Dubernet, S., Tufano, E., Lefrais, Y. et Khedhaier, R.; Obsidian from the Epipaleolithic and Neolithic eastern Maghreb. A view from the Hergla context (Tunisia). Journal of Archaeological Science 37 (10), 2010.
- Mulazzani, S., Le Capsien de Hergla (Tunisie). Culture, environnement et économie. Reports in African Archaeology 4, Francfort, 2013.

- Mulazzani, S., Le site de SHM-1 (Hergla, Tunisie) entre le VIIe et le VIe millénaire Cal B.C. : prémices d'une transition du Capsien supérieur vers le Néolithique, dans Perrin, T., Manen, C. et Guilaine, J. (éd.), La transition néolithique en Méditerranée. Paris, 2014.
- Muzzolini (A), Les premiers moutons sahariens d'apres les figurations rupestres, Archaeozoologia, V. 12, 1987.
- Muzzolini (A), Masques et theromorphes dans l'art rupestre du Sahara centre, arhéo-nil, N° 16-42, T° 1, 1991.
- Muzzolini, A. L'art rupestre préhistorique des massifs centraux sahariens. British Archaeological Reports International Séries 318, Oxford, 1986.
- Nami (M.), & Moser (J.), La grotte d'Ifri n'Ammar, Tome 2: le paléolithique moyen, Forschungen zur Archäologie Außereuropäischer Kulturen 9. Wiesbaden: Reichert Verlag, 2010.
- Neuville (R.), Ruhlmann (A.), La place du Paléolithique ancien dans le Quaternaire marocain, Collection Hespéris, Institut des Hautes-études marocaines n°VIII, Librairie Farairre Casablanca.
- Nick Drake (A) et aut., Ancient watercourses and biogeography of the Sahara explain the peopling of the desert, PNAS, 11, vol. 108, n° 2, 2011.
- Otte (M), La Protohistoire. Avec la Collaboration de M. David-Elbiali, C. Éluère, J-P Mohen et P. Noiret.Ed. De Boeck, Bruxelles, 2008.
- Otte (M), Ulris-Closset (M), Carciumaru (M), Comportements techniques au Moustérien de l Pestera Cioarei, Olténie, Anthropologie et Préhistoire, N° 107, 1996.
- Pallary (P), état du préhistorique dans le département d'Oran, XXéme congrès de l'A.F.A.S., Marseille, 1891.
- Pallary (P), Instructions pour les recherches préhistoriques dans le Nord-ouest de l'Afrique, Mémoires de la Société Historique Algérienne, T.3, 1990.
- Pallary (P), la sablière d'Aboukir, B.S.G.A.Or., 1887.
- Pallary (P), Note sur un gisement paléolithique de la province d'Oran, Bulletin du Comité des Travaux Historiques et Scientifiques, 1909.
- Paris (F), Essai de classification des monuments funéraires sahariens. In: Bulletin de la Société préhistorique française, tome 92, N°4, 1995.
- Perret (R), Recherche archéologique et ethnographiques au Tassili des ajjers (Sahara central) les gravures rupestres de l'oued djaret, la population et les ruines d'iherir, journal de la société des africanistes, T6, Fisc. 1, 1936.
- Perret (R), Une Carte des gravures rupestres et des peintures à l'ocre de l'Afrique du Nord, journal des africaniste, 7-1, 1937.
- Peyrony (D), Le Moustérien - ses faciès. Association Française pour l'avancement des Sciences, 44° session, Strasbourg, 1920.
- Pierre Rognon Et Aut., Ahaggar ,In: Enc. Ber., V. 3., Aix-En-Provence, Edisud, 1986.
- Poulle (A) « A travers la Mauritanie Sétifienne, » in R.S.A.C, 1863.
- Rahmani (N), Lubell (D), Dessine-moi une autruche, la gravure de Kef Zourad et la repésentation de l'autruche au Maghreb, in Sahara, N° 16, 2005.

- Rahmani (N), Nouvelle interprétation de la chronologie capsienne (Épipaléolithique du Maghreb). In: Bulletin de la Société préhistorique française, tome 101, n°2, 2004.
- Rahmani (N.), Nouvelle interprétation de la chronologie capsienne (Épipaléolithique du Maghreb). Bulletin de la Société Préhistorique Française 101, 2004.
- Rahmani, N. et Lubell, D., Dessine-moi une autruche. La gravure de Kef Zoura D et la représentation de l'autruche au Maghreb. Sahara 16, 2005.
- Raynal (J-P), et Al., Préhistoire ancienne au Maroc atlantique : Bilan et perspectives régionales, Bulletin d'Archéologie marocaine, Tome 21, 2009.
- Reboud, Excursion dans la Maouna et ses contreforts, R.S.A.C., 1884.
- Reisser (Edmond) « Notice sur Tingitanum (ou Orléansville), sa création, sa destruction, ses Monuments » in B.S.G.A.O, vol 22, Année 1902.
- Reygasse (M), Etudes de Palethnogique Maghrébine (2è série, R.M.S.Ar.C., 1920-1921.
- Reygasse (M), Etudes de Palethnogique Maghrébine (Nouvelle série, R.M.S.Ar.C., 1919-1920.
- Reygasse (M), Gravures et peintures rupestres du Tassili des Ajjers., L'Anthropologie, tome 45, 1935.
- Reygasse (M), L'escargotière de Chéria. Recueil des notices et mémoires de la Société Archéologique du Département de Constantine, S. 5,8, 1917-1918.
- Reygasse (M), Note au sujet de deux civilisations préhistoriques africaines pour les quelles deux termes nouveaux me paraissent devoir être employés, in: XVIème session de l'Association française pour l'avancement des Sciences, Montpellier, 1922.
- Reygasse (M), Observations sur les techniques paléolithiques du Nord-Africain. Recueil des notices et mémoires de la Société Archéologique de Constantine, T. 51, 1917-1918.
- Reygasse (M)., La Préhistoire Du Sahara Central, Hoggar Et Tassili Des Ajjers, Congrée Préhistorique De France, XI Session, 1934.
- Reygesse (M), découvertes préhistoriques dans le centre de Tebessa, C.N.M.A.C., T. XLV, 1911.
- Roche (J), *L'Epipaléolithique marocain*, Livraria Bertrand, Lisboa, 1963.
- Roche (J), La grotte de Taforalt », *L'Anthropologie*, 57, 1953.
- Roubet (C), Le gisement du Damous el Ahmar et sa place dans le Néolithique de tradition capsienne. Trav. C.R.A.P.E., 1968.
- Roubet (C), Les comportements de subsistance et symboliques des premiers pasteurs néolithiques du Maghreb Oriental Atlasique, Comptes Rendus Palevol , V.5, 2006.
- Roubet (C.), Le gisement de Damous El Ahmar et sa place dans le Néolithique de tradition capsienne, travaux du CRAPE,1968.
- Ruhlmann (A.), 1951. La grotte pr6historique de Dar es-Soltan, Hespéris 11, 1951.

- Saban (R.), Les restes humains de Rabat (Kebibat). Ann. Pal6ontologie 61 (2), 1976.
- Sahnouni (M) et al., On the Earliest Human Occupation in North Africa: A Response to Geraads Et Al , Journal of Human Evolution 46, 2004.
- Sahnouni (M.), le bassin sétifien, DA, préhistoire d'Algérie, Avril 2003.
- Sahnouni, (M.). "Étude comparative des galets taillés polyédriques, subsphériques et sphériques des gisements d'Ain Hanech (Algérie orientale) et Olduvai (Tanzanie)." L'Anthropologie, Paris 97, n·1, 1993.
- Sahnouni, (M.). "Les plus vieilles traces d'occupation humaine en Afrique du Nord : Perspective de l'Ain Hanech, Algérie." C. R. Palevol 5, 2006.
- Sahnouni, (M.). L'industrie sur galets du gisement villafranchien supérieur de Ain Hanech, Office des publications universitaires (Alger), 1987.
- Sahnouni, (M.). The Lower Palaeolithic of the Maghreb: Excavations and analyses at Aïn Hanech, Algeria, British Archaeological Reports, International Oxford. Series 689, 1998.
- Sahnouni, M. and J. d. Heinzelin (1998). "The Site of Ain Hanech Revisited: New Investigations at this Lower Pleistocene Site in Northern Algeria." Journal of Archaeological Science 25.
- Sahnouni, M., D. Hadjouis, J. van der Made, A.-e.-K. Derradji, A. Canals, M. Medig, H. Belahrech, Z. Harichane and M. Rabhi (2002). "Further research at the Oldowan site of Ain Hanech, North-eastern Algeria." Journal of Human Evolution 43(6)
- Sahnouni, M., J. d. Heinzelin, F. Brown and Y. Saoudi (1996). "Récentes recherches dans le gisement oldowayen d'Ain Hanech, Algérie." C. R. Acad. Paris 323, série II.
- Sahnouni, M., N. Toth and K. Schick (1997). "An Experimental Investigation into the Nature of Faceted Limestone ‘‘Spheroids’’ in the Early Palaeolithic." Journal of Archaeological Science 24.
- Sahnouni, M., Parès Josep, M., Duval, M., Caceres, I., Harichane, Z., Van der Made, J,Gonzalez Alfredo-P, Abdessadok, S, Kandi, N, Derradji, A, Medig, M, Boulaghraif, K, Semaw, S, (2018). 1.9-million- and 2.4-million-year-old artifacts and stone tool–cutmarked bones from Ain Boucherit, Algeria. *Science First release.*
- Sari (L), « Particularismes régionaux et adaptations territoriales au cours de l'Ibéromaurusien. Apport des productions lithiques de Tamar Hat, Rassel et Columnata (Algérie)», *PALEO* [En ligne], Hors-série, 2023.
- Savary (J-P), Monuments en pierres sèches du Fadnoun, Tassili-Ajjer, C.R.A.P.E., N° 6, AMG, 1965.
- Scott (J. C.), «Crops, Towns, Government », *London Review of Books* 35 (22), 2013, p 3. En ligne : https://www.lrb.co.uk/the-paper/v35/n22/james-c.-scott/crops-towns-government.
- Semaw (S), Rogers (MJ), Stout (D), The Oldowan- Acheulian Transition: is there a ‘Developed Oldowan’ artifact tradition? In Sourcebook of Paleolithic

Transitions: methods, theories, and interpretations (eds M Camps, P Chauhan), pp. 173–193. New York, NY: Springer, 2009.
- Solignac (M), Basco (J), les pierres écrites de la berbérie orientale, Barlier, Tunisie, 1928.
- Souville (G), Ferembach (D), « Dar es-Soltane », *Encyclopédie berbère*, 15, 1995.
- Stoczkowski (W), La Préhistoire, les origines du concept, In: Bulletin de la Société préhistorique française, tome 90, n°1, 1993.
- Thomas (J), Rethinking the Neolithic, Cambridge, Cambridge Univ. Press, 1991.
- Thouvenot (R.) et Vicaire (M.), Vestiges Archéologiques dans la région de Fez el-Bâli. Hesperis, t. XXV, 1938.
- Tisserand (P.) « L'ancien et le nouvel Oran » in B.S.G.A.O, vol 4, Année 1884.
- Tixier (J), Les apports de la stratigraphie et de la typologie aux problèmes des origines de l'Homme moderne, in Origines de l'homme moderne, Actes du Colloque de Paris, UNESCO, 1972.
- Tschudi (Y), Les peintures rupestres du Tassi-n-Ajjer, La Baconnière, Paris, 1956.
- Vallois (H.V.), Le squelette d'Aïn Méterchem. Atti del 1° Congresso internationale di preistoria e protoistoria Mediterranea. Florence, 1950.
- Vallois (H.V.), L'Homme de Rabat. Bull. d'Archéologie Marocaine 3, 1958-1959.
- Vallois (H.V.), L'homme fossile de Rabat. C. R. Acad. Sci. Paris 221, 1945.
- Vallois (H.V.), Roche (J.), 1958. La mandibule acheuléenne de Témara. C. R. Acad. Sci. Paris 246, 1958.
- Vaquero Laster (J.), Cassen (S.), Le désir médusé. Arts et symbole du Néolithique à la protohistoire, Séminaires du collège de France, 2003.
- Vaufrey (R), L'Art rupestre nord-africain, Archives de l'institut de Paléontologie Humaine, Mémoire, 20, Masson, Paris, 1939.
- Vaufrey (R), Notes sur le Capsien. L'Anthropologie XLIII, 1933.Vaufrey (R), Préhistoire de l'Afrique du Nord. Tome 1 : le Maghreb. Publications de l'Institut des Hautes Etudes de Tunis 4, Paris, 1955.
- Vaufrey (R.), « Stratigraphie Capsienne », *Swiatowit* 16 ,1934.
- Vaufrey, (R), préhistoire de l'Afrique, t 1, (Maghreb), publications de l'institut des Hautes études de tunis, vol 4, librairie Masson, paris, 1966.
- Vel (A.), Monuments et inscriptions Libyques relevées dans les ruines de Tir-kabbine. RSAC., 1905.
- Viré, l'âge de pierre dans la région de Bordj Menail et sur la cote Rec, des notes et mém. De la société de Constantine, T. LXIII, 1935-1936.
- Zvelebil (M), What's in a nama: The Mesolithic, the Neolithic and Social change at the Mesolithic-Neolithic Transition, In. M. Edmonds and C. Richards (eds), Understanding the Neolithic of North-Western Europe, 1998.

3/ المذكرات والرسائل

- Aoudia-Chouakri (L.), Pratiques funéraires complexes : réévaluation archéo-anthropologique des contextes ibéromaurusiens et capsiens (paléolithique supérieur et épipaléolithique, Afrique du NordOuest). Bordeaux: Sciences agricoles. Université Sciences et Technologie, 2013.
- Belhouchet (L), Le Moustérien d'Oued El Akarit. Diplôme d'études approfondies inédit (DEA), Université de Provence, 1999.
- Deschamps (M), La diversité culturelle au paléolithique moyen récent : le vasconien et sa Signification au sein des faciès mousteriens. Thèse de Doctorat, Archéologie et Préhistoire. Université Toulouse le Mirail - Toulouse II, 2014.
- Hublin (J-J), L'émergence des Homo sapiens archaïques : Afrique du Nord-Ouest et Europe occidentale, thèse d'État, université Bordeaux-1, 1991.
- Iddir (S.), Peuplement holocène du bas Mertoutek, zone centrale de la chaîne Téfedest, Massif de l'Ahaggar (Algérie). Doctorat, Toulouse le Mirail - Toulouse II, 2013.
- Kherbouche (F.), Le néolithique tellien de la grotte de Gueldaman GLD1 (Babors d'Akbou, Algérie, VIII-V millénaire BP) thèse de doctorat, Toulouse, Toulouse Jean Jaurès, 2015.
- Naanaa (S), Etude paléoanthropologique (morphologie et variabilité architecturale) des cranes protoméditerranéens de l'Algérie orientale, mémoire de Magistère, Ecole doctorale, Université du 8 mai 1945, Guelma, 2011-2012.
- Rahmani (N.), Le Capsien typique et le Capsien supérieur : évolution ou contemporanéité ; les données technologiques. Thèse de doctorat inédite, Université de Bordeaux I, 2003.
- Sari (L), L'ibéromaurusien, Culture du paléolithique supérieur tardif approche technologique des productions lithiques taillées de Tamarahat, Rassel et Columnata (ALGÉRIE). T. de doctorat Archéologie et Préhistoire. Université de Paris X Nanterre, 2012.
- Grebenart (D.), Le Capsien des régions de Tébessa et d'Ouled Djellal, Algérie. Thèse de doctorat inédite, Université de Provence, 1976.

فهرس المحتوى

مقدمة **2**

المحاضرة الأولى/ مدخل إلى علم ما قبل التاريخ **6**

أولا/ مفهوم ما قبل التاريخ 6

ثانيا/ مفهوم علم ما قبل التاريخ 6

ثالثا/ نشأة علم ما قبل التاريخ 7

رابعا/ العلوم المساعدة لعلم ما قبل التاريخ 13

1/ العلوم الطبيعية 14

2/ العلوم الإنسانية 15

خامسا/ تقسيم فصول ما قبل التاريخ 18

المحاضرة الثانية/ الأبحاث الأثرية الأجنبية والمحلية في مجال ما قبل التاريخ حول إفريقيا الشمالية **20**

أولا/ الأبحاث الأجنبية في البلدان المغاربية 20

1/ المغرب الأقصى 20

2/ تونس 24

3/ليبيـا 24

ثانيا/ الأبحاث الأثرية الأجنبية (الفرنسية) في الجزائر 24

1/ الأبحاث التي أجريت قبل 1830م 24

2/ الأبحاث الأثرية الفرنسية ما بين 1830-1880م 25

2-1/ أعمال الهواة والعسكريين 25

2-2/ تأسيس اللجان والجمعيات الأثرية الفرنسية في الجزائر 25

3/ الأبحاث الأثرية ما بين 1880-1930م 29

ثالثا/ الأبحاث الأثرية الأجنبية في مجال ما قبل تاريخ بالجزائر 29

1/ الأبحاث في مواقع ما قبل التاريخ بالجزائر 29

2/ الأبحاث الأثرية حول المعالم الجنائزية الميغاليتية بالجزائر العائدة لفجر التاريخ 31

المحاضرة الثالثة/ حضارات العصر الحجري القديم الأسفل **34**

أولا/ الحضارة الألدو انية 34

1/ تعريفها 34

2/ طبيعة الموقع 35
3/مراحل الحضارة الألدوانية 35
4/ خصائص الوجه الثقافي الألدواني 36
5/ إنسان الوجه الثقافي الألدواني 36
6/ مواقع الوجه الثقافي الألدواني في شمال إفريقيا 37
6-1/ بعض مواقع شرق إفريقيا 37
6-2/ بعض مواقع شمال إفريقيا 38
7/ الصناعة الحجرية الألدوانية لموقع عين لحنش 39
7-1/ موقع عين لحنش 39
7-2/ مميزات الصناعة الحجرية لعين الحنش 40
ثانيا/ الحضارة الأشولية 43
1/ تعريفها 43
2/ مراحل الحضارة الأشولية 45
3/ خصائص الوجه الثقافي الأشولي 47
4/ الصناعة الحجرية عند الأشوليين 47
5/ إنسان الحضارة الأشولية 48
6/ مواقع الأشولية في شمال إفريقيا 48
المحاضرة الرابعة/ انسان الأطلس الموريطاني **53**
أولا/ الانسان المنتصب أو المعتدل Homo erectus 53
1/ اكتشافه 53
2/ أنواعه (أصنافه) 53
2-1/ إنسان الأطلس الموريطاني Atlanthropus Mauritanicus 53
2-2/ انسان سيدي عبد الرحمان 55
ثانيا/ المميزات العامة لإنسان الأطلس "المعتدل" وأصوله. 57
المحاضرة الخامسة: حضارات العصر الحجري القديم الأوسط **59**
أولا/ الحضارة الموستيرية 59
1/ تعريفها 59
2/ مراحلها 61

3/ خصائص الحضارة الموستيرية 32
3-1/ الخصائص الصناعية الموستيرية 63
3-2/ نمط المعيشة للحضارة الموستيرية 64
3-3/ الجانب العقائدي للموستيرية 64
4/- انتشارها في شمال إفريقيا 66
ثانيا/ الحضارة العاترية 68
1/ التسمية وتاريخ الأبحاث 68
2/ تعريفها 69
3/ مراحل الحضارة العاترية 70
4/ خصائص الصناعة العاترية 70
5/ التوزيع الجغرافي للحضارة الموستيرية 72
ثالثا/ العلاقة بين الموستيرية والعاترية 75
1/ النظرة الكلاسيكية. 75
2/ النظرة الحديثة. 76
المحاضرة السادسة/ إنسان جبل أرحود "إيغود" ودار السلطان **79**
أولا/ إنسان جبل أرحود 79
1/ التعريف به 79
2/ بقاياه العظمية المكتشفة 80
3/ مميزات انسان جبل أرجود 81
ثانيا/ انسان دار السلطان 2 82
1/ بقاياه المكتشفة 82
2/ خصائصه التشريحية 83
المحاضرة السابعة: حضارات العصر الحجري القديم الأعلى **86**
أولا/ الحضارة الايبيرومغربية Ibéromaurusien 86
1/التسمية 86
2/ تعريفها 88
3/ تاريخ الأبحاث حول الايبيرومغربية 88
4/ مراحل الحضارة الايبيرومغربية 89

4-1/ تقسيم أنطوان 97
4-2/ تقسيم موريل 89
4-3/ تقسيم بالو 90
5/ الانتشار والامتداد الجغرافي 90
6/ الخصائص العامة للحضارة الايبيرومغربية 92
6-1/ الصناعة الحجرية لهذه الحضارة 92
6-2/ الصناعة العظمية في هذه الحضارة 94
6-3/ نمط معيشة الايبيرومغربيين وأشكال المسكن 94
6-4/ الفن الإيبرو-مغربي 95
6-5/ المعتقدات الدينية لدى الشعوب الايبيرومغربية 96
7/ انسان الحضارة الايبيرومغربية 99
ثانيا / الحضارة القفصية 100
1/ الاكتشاف وأصل التسمية 100
2/ نبذة عن أهم الأبحاث الأثرية حول الحضارة القفصية 102
3/ الأدوات القفصية 104
4/ مراحل الحضارة القفصية 106
4-1/ القفصي النموذجي Capsien typique 106
4-2/ القفصي الأعلى Capsien supérieur 108
5/ الانتشار والامتداد الجغرافي 108
6/ المظاهر الفنية في الحضارة القفصية 111
7/ نمط معيشة القفصيين 114
7-1/ الحلزون 114
7-2/ الحيوانات الفقارية 115
7-3/ الحيوانات الطائرة 117
7-4/ النباتات البقولية 118
8/ المدافن والطقوس الجنائزية 119
المحاضرة الثامنة: الإنسان العاقل المغربي **122**
أولا/ الانسان المشتوي 122

1/ تعريفه 122
2/ مواقع اكتشافه 123
3/ الخصائص التشريحية للإنسان المشتوي 125
4/ أصول الانسان المشتوي 125
5/ أصناف الانسان المشتوي 127
ثانيا/ انسان ما قبل المتوسطي 130
1/ تعريفه 130
2/ خصائصه التشريحية 132
ثالثا/ علاقة المشتويين بإنسان ما قبل المتوسطي، علاقة انقطاع أم استمرار؟ 133
المحاضرة التاسعة: حضارات العصر الحجري الحديث **138**
أولا: تعريف العصر الحجري الحديث (النيوليتي) 138
ثانيا/ انتشار النيوليتي ومسار تطوره 140
ثالثا/ السمات العامة للنيوليتي 142
1/ الصناعة الحجرية 142
2/ الصناعة العظمية 142
3/ استمرار الصيد المائي والبري 144
4/ استئناس الحيوان 144
5/ الزراعة 145
6/ الفخار 146
7/ الفن المنقول 147
رابعا/ بروز العصر النيوليتي ومميزاته في شمال إفريقيا 148
خامسا/ أقسامه 152
1/ النيوليتي ذو التقاليد الصحراوية السودانية 152
1-1/ تعريفه وأقسامه 152
2-1/ سماته الحضارية 154
1-2-1/ الصناعة الحجرية 154
2-2-1/ الصناعة العظمية 155
3-2-1/ الحلي 155

1-2-4/الفخار	156
2/ نيوليتي ذو الأصول القفصية	158
2-1/ تعريفه	158
2-2/ سيماته الحضارية	15 9
2-2-1/ الصناعة الحجرية	160
2-2-2/ صناعة الفخار	160
2-2-3/ الحلي	160
2-2-4/ الصناعة العظمية	161
2-2-5/ الفن	162
3/ النيوليتي ذو التقليد التلي (الساحلي- المتوسطي)	166
3-1/ تعريفه	166
3-2/ سيماته الحضارية	166
3-2-1/الصناعة الحجرية	166
3-2-2/ الصناعة العظمية	167
3-2-3/ الصناعة الفخارية	167
3 -2-4/ صناعة الحلي	170
المحاضرة العاشرة: الفن الصخري	**171**
أولا/ الأبحاث الأثرية في مجال الفن الصخري	171
ثانيا/ مفهوم الفن الصخري	177
ثالثا/ تأريخ الفن الصخري بشمال إفريقيا	178
رابعا/ طرق تنفيذ الرسوم والنقوش الصخرية	181
خامسا/ مراحل الفن الصخري	183
1/ مرحلة الجاموس العتيق	185
2/ مرحلة البقريات	189
3/ مرحلة الحصان	191
4/ مرحلة الجمل	192
سادسا/ مواضيع الفن الصخري	194
1/ الموضوع الاقتصادي	194

2/ المشاهد التعبدية الدينية 195
المحاضرة الحادية عشر: الحياة الاقتصادية والاجتماعية بمنطقة الصحراء والأطلس الصحراوي 201
أولا/ الحياة الاقتصادية 203
1/ من الصيد 203
2/ الاستئناس والرعي 206
3/ النشاط الزراعي 208
ثانيا/ الحياة الاجتماعية 210
1/ المسكن 211
2/ مشاهد عن بعض الأعمال اليومية 214
3/ الطعام 215
4/ اللباس 215
5/ المرأة مكانتها ودورها في المجتمع 217
6/ الزينة والتزين 223
7/ الحلي 224
المحاضرة الثانية عشر: فجر التاريخ في شمال إفريقيا 226
أولا/ تعريف فجر التاريخ 226
1/ لغة 226
2/ اصطلاحا 226
ثانيا/ الخصائص العامة لفترة فجر التاريخ 228
ثالثا/ فجر التاريخ في شمال افريقيا 229
1/ اشكالية تحديد فجر التاريخ زمنيا 229
2/ تاريخ الأبحاث في مجال فجر التاريخ 233
3/ ملامح فجر التاريخ في شمال افريقيا 236
3-1/ المسكن 238
3-2/ المعالم الجنائزية وأصنافها 239
3-2-1/ الجثوة 239
3-2-2/ البازيناس 240
3-2-3/ الدولمن (المصاطب) 241

3-2-4/ الشوشت 242
3-2-5/ الحوانيت 243
قائمة البيبليوغرافيا 245
المحتوى 269